السنة الخامسة عشرة

العدد الثامن والخمسون

مجلة

مركز دراسات الكوفة

مجلة فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

اقرأ في هذا العدد

- دور الشمول المالي في تعزيز نمو الاقتصاد العراقي
- العوامل المحددة لسلوك المستثمرين في الأسواق المالية
- الجاهزية الاستراتيجية ودورها في مكافحة الإرهاب المحلي
- مسؤولية منظمة الصحة الدولية في انتشار فيروس "covid 19"

مجلة مركز دراسات الكوفة

الترقيم الدولي ISSN :1993-7016

العدد ٥٨ السنة الرابعة عشرة ٢٠٢٠

جمهورية العراق النجف الأشرف – جامعة الكوفة

المراسلة

Website : www.ksc.kufauniv.com
Email : kufascenter@gmail.com
Mobile : 07400665815

جميع الحقوق محفوظة © مركز دراسات الكوفة

أعضاء هيأة التحرير

أ.د. رضا صاحب أبو حمد/ كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

أ.د. عبد الصاحب البغدادي/ كلية التخطيط العمراني/ جامعة الكوفة

أ.د. رزاق كردي العابدي/ كلية الآثار/ جامعة الكوفة

أ.د. محمد علي آذرشب مدير مركز الحوار الفارسي/ إيران

أ.د. حسن جابر حسن/ الجامعة اللبنانية/ لبنان

أ.د. محسن خنياب الميالي/ كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

أ.د. عامر عبد زيد البديري/ كلية الآداب/ جامعة الكوفة

أ.د. وهاب فهد الياسري/ كلية الآداب/ جامعة الكوفة

أ.د. حيدر ناجي الشاوي/ كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

أ.د. حسين لفته حافظ/ مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

رئيس التحرير:

أ.د. عدي جواد الحجار

مدير التحرير:

أ.د. عقيل جاسم دهش

مسؤول الحسابات

السيدة ولاء فيصل محسن

الإخراج الفني:

المهندس أسامة عادل الشماع

ضوابط النشر

١. أن لا يكون البحث قد نشر أو قبل للنشر في مجلة أخرى.
٢. تقبل البحوث المكتوبة باللغة العربية فقط.
٣. يشترط في البحث المقدم للنشر أن يكون مراعيا لقواعد البحث العلمي وأن يكون مرتبا على النحو الآتي: عنوان البحث-اسم الباحث-درجته العلمية-خلاصة البحث باللغتين العربية والانجليزية -المقدمة-متن البحث-الخاتمة والنتائج -قائمة الهوامش-المصادر والمراجع.
٤. يرفق مع البحث السيرة الذاتية الموجزة للباحث التي تتضمن ما يأتي حصراً: اسم الباحث ومكان عمله، واختصاصه العلمي ونتاجاته البحثية وأهم مشاركاته العلمية ووسيلة الاتصال به.

٥. يلزم ألاّ تزيد عدد صفحات البحث عن ٢٠ صفحة، وإذا زاد عدد الصفحات عن ذلك يستحصل مبلغ قدره ٣٠٠٠ دينار عن كل صفحة إضافية.
٦. يخضع البحث للتحكيم السري من الخبراء المختصين لتحديد صلاحيته للنشر ولا يعاد البحث إلى صاحبه سواء قبل للنشر أم لم يقبل، ولهيأة التحرير صلاحية نشر البحوث على وفق الترتيب الذي تراه مناسبا.
٧. تقدم البحوث مطبوعة باستخدام برنامج (Microsoft Word) بخط (Arabic Transparent) للغة العربية بحجم (١٦) للعنوان الرئيس و(١٤) للبحث و(١٢) للهوامش، وبخط (Time New Roman) للغة الانكليزية.
٨. تكون فقرة المسافات البادئة والتباعد قبل النص وبعده صفراً وتباعد الأسطر يكون (واحد ونصف).
٩. تنسق الأبيات الشعرية باستخدام الجداول.
١٠. تترك مسافة بمقدار (٢،٥) على الجوانب الأربعة للصفحة.
١١. تقدم البحوث مطبوعة بنسختين على ورق قياس (A4) مع قرص صلب (CD) مسجل عليه البحث على وفق المتطلبات.

محتويات العدد ٥٨

١	العوامل المحددة لسلوك المستثمرين في الأسواق المالية- دراسة استطلاعية تحليلية في سوق العراق للأوراق المالية	أ.د. صاحب نعمة العكايشي الباحث محمد عبد الله عباس	١
٢	دور الشمول المالي في تعزيز نمو الاقتصاد العراقي- دراسة تطبيقية لعينة من المصارف المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية	أ.د. سالم صلال الحسناوي الباحثة لينا صلاح مهدي	٢٧
٣	الجاهزية الاستراتيجية ودورها في مكافحة الإرهاب المحلي	أ.د. يوسف حجيم الطائي الباحث حيدر محسن سلمان	٥١
٤	سلسلة التجهيز الهجين وتأثيرها في التسويق المستدام- دراسة استطلاعية في معمل سمنت الكوفة/ النجف الاشرف	أ.د. عمار عبد الأمير زوين الباحث منتظر جاسم محمد	٧٣
٥	ألفاظ السياسة الدالة على التشريع والانتخاب في شعر الجواهري- دراسة دلالية	أ.د. حسن عبد المجيد الشاعر الباحث ستار جبار هاشم	١٠٩
٦	كتاب (تأريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عَهدي الصادق والطوسي) دراسة في مادته وأهميته العلمية	أ.د. مقدام عبد الحسن الفيّاض الباحثة حنان حميد حسين	١٣١
٧	ترتيبات الاقليمية الجديدة والتغيرات في ميزان القوى العالمي- تكتل مجموعة دول البريكس أنموذجا	أ.د وسن إحسان عبد المنعم	١٥٣
٨	الخطاب السردي عند ابن شهيد الأندلسي (ت٤٢٦هـ) دراسة في ضوء النقد الثقافي- الجملة الثقافية مثالاً	أ.م.د. حسين عبيد الشمري الباحثة رحاب سالم حنوف	١٧٩
٩	النقد الاجتماعي في نثر العتابي	أ.م.د. عدنان كاظم مهدي	٢٠٧
١٠	مشكلات فهم المصطلح التداولي عند طلاب الدراسات العليا في العراق	أ.م.د. خالد توفيق مزعل	٢٣٣

١١	الاقطاعات في العصر الفاطمي- دراسة تاريخية (٣٥٨-٥٦٧ هـ /٩٦٨-١١٧١م)	أ.م.د. محمود شاكر مشعان	٢٥٣
١٢	علم نسيء التقويم القمري العربي على الشمسي حتى وفاة النبي (ص)	أ.م.د. تومان غازي الخفاجي أ.م.د. شكيب غازي الحلفي	٢٨٩
١٣	التأويل بين ضرورة استدلال واستراتيجية فكر	أ.م د. طالب حسين كطافة	٣٣٥
١٤	الاكتفاء في الجملة الشرطية في نهج البلاغة- دراسة نحوية دلالية	أ.م.د. ليث قابل الوائلي الباحث ضرغام علي محسن	٣٦٧
١٥	الاتساع الدّلالي للإضافة في القرآن الكريم	أ.م.د. رفاه عبد الحسين الفتلاوي	٣٨١
١٦	تأثير قابليات المسح البيئي في القرارات الاستراتيجية- دراسة لآراء القيادات العليا في جامعة الكوفة	أ.م.د. مهند حميد العطوي الباحث عدنان رحيم حمود	٣٩٥
١٧	مؤشرات الكثافة الحضرية وحيوية المكان	أ.م.دعبد الوهاب أحمدعبد الوهاب الباحثة نور ضياء مجيد	٤١٩
١٨	مسؤولية منظمة الصحة الدولية في انتشار فيروس "covid 19"	م.د. محمد جبار جدوع م. مهند إياد جعفر	٤٥٩
١٩	الاستلزامُ التَّخاطُبيّ في وصايا الإمام عليّ "ع"- مقاربة تداوليّة	م. رجاء محسن حمد	٤٧٩
٢٠	سيكولوجية البكاء في ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة- دراسة تحليلية	م.د. ضرغام علي العنكوشي	٤٩٩

العوامل المحددة لسلوك المستثمرين في الأسواق المالية
دراسة استطلاعية تحليلية في سوق العراق للأوراق المالية

أ.د. صاحب نعمة العكايشي

الباحث محمد عبد الله عباس

المقدمة:

تُعدُ الاسواق المالية من أهم وسائل التمويل المالي كونها القناة التي يمرُّ من خلالها تحويل الموارد المالية من وحدات الفائض المالي إلى وحدات العجز المالي ، وقد حضي موضوع الاسواق المالية باهتمام كثير من البلدان المتقدمة والنامية على حدٍ سواء نظراً لما تقوم به من دورٍ هامٍ في تعبئة المدخرات الوطنية وتوجيهها نحو قنوات استثمارية تعمل على دعم الاقتصاد القومي وتزيد معدلات الرفاه الاقتصادي لأفراده ، كما إنها تُعبر عن حجم النشاط إذ إن حجم التعاملات وقيمتها دليل على حجم وتنوع النشاط ، وتتأثر الاسواق المالية بكثيرٍ من المتغيرات الاقتصادية، لذلك سوف نسلط الضوء على إحداها وهو الجانب السلوكي للمُستثمِر تتأثر عملية الاستثمار بمجموعة من العوامل السلوكية التي تنعكس بشكل واضح على قرارات المستثمرين ، اذ ان للسلوك الانساني عموماً والسلوك الاستثماري خصوصاً دوراً فعالاً في عمليات اتخاذ القرارات الاستثمارية .

إن القرار الاستثماري ليس دائماً خياراً عقلانياً يتخذه المستثمر، فهو يقوم في اغلب أحواله على تحليل جميع العوامل المحيطة بالسوق للوصول للهدف النهائي المتمثل بتحقيق الارباح، بل ينطوي على هذا القرار جانب كبير من عدم الرشد الذي يتجلى في كثيرٍ من السلوكيات الشاذة للمستثمر، إذ ان هنالك نوعاً من التفاعل بين المستثمرين وسوق الاوراق المالية والذي يتأثر بعدة عوامل (عاطفية ، معرفية ، اجتماعية) ، وتتجسد تلك التفاعلية في قرار استثماري يأخذ انماط عديدة تحددها سلوكيات المستثمرين، فضلاً عن ذلك تأثر المستثمر بجملة من العوامل المتعلقة بشخصه وهو ما يعرف بمحددات سلوك المستثمر.

وللوصول إلى هدف البحث وفق للمنهجية المعتمدة تم تقسيمها إلى اربع مباحث، احتوى المبحث الاول على سلوك المستثمر وانماطه، بينما جاء المبحث الثاني ليتحدث عن أهم العوامل والمحددات السلوكية للمستثمر في سوق الاوراق المالية، وبعدها تطرق الثالث إلى التحليل الاحصائي للعوامل المحددة لسلوك المستثمر في سوق العراق للأوراق المالية، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات جاء ذلك في المبحث الرابع .

أهمية الدراسة:

يُعدُّ سوق الأوراق المالية مرآة للوضع الاقتصادي في البلد وازدهار هذا السوق مقياس لمدى نجاح السياسة العامة للدولة، ونظراً للتطورات المتسارعة والمتلاحقة التي تشهدها الأسواق المالية، فقد اقتضى مواكبة هذه التطورات عن طريق دراسة العوال السلوكية للمستثمرين، إذ تكمن أهمية الدراسة في التركيز على جانب مهم من الجوانب المتعلقة بسوق الأوراق المالية وهو موضوع (التمويل السلوكي) إذ تتلخص الدراسة في تحديد بعض العوامل السلوكية التي تحدد سلوك المستثمرين في سوق الاوراق المالية .

مشكلة الدراسة:

لم يعرِ الباحثون أهمية لأثر السلوك الانساني في أداء السوق المالي إلا في العقد الاخير من القرن الماضي إذ عدَّ الباحثون فهم الوعي المالي والاستثماري للمستثمر من المشاكل التي ينبغي التصدي لها عن طريق الاسس والقواعد النفسية والسلوكية، إذ تختلف تعاملات المستثمرين في السوق المالي من مستثمر إلى آخر تبعاً للعوامل النفسية والسيكولوجية المؤثرة بهم وإن هذا الاختلاف قد ينعكس على أداء السوق المالي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وعلى هذا الاساس يُمكن تشخيص مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيسي، (ماهي اهم العوامل السلوكية التي تحدد سلوك المستثمر) .

اهداف الدراسة:

يمكن إجمال الاهداف التي تسعى الدراسة إلى تحقيقها بالآتي:

١- معرفة العوامل الرئيسية التي تحدد سلوك المستثمر في سوق العراق للأوراق المالية، وذلك من خلال استطلاع آراء عينة من المستثمرين الافراد في سوق العراق للأوراق المالية .

٢- كشف واقع التمويل السلوكي في سوق العراق للأوراق المالية

فرضية الدراسة:

ارتكزت الدراسة على الفرضيات الثلاثة الآتية :

١-عدم وجود فروق معنوية في آراء عينة البحث وفقا لسمات البحث

٢-لا يوجد ارتباط في آراء افراد العينة تجاه تقييم كل سؤال من اسئلة الاستبانة

مجتمع وعينة الدراسة:

تكون مجتمع البحث من مجموعة من المستثمرين في سوق العراق للأوراق المالية، وتم أخذ آراء واستطلاع عينة منهم عن طريق توزيع مائة وعشرين استمارة استبيان، تم استرداد تسعين استمارة منها للمــدة ٢٠١٩/٥/٢ـ ٢٠١٩/ ٧/٣١، وجرى تحليلها وتفسيرها احصائياً .

المبحث الأول: سلوك المستثمر وانماطه:

١- مفهوم السلوك الانساني :

قبل التطرق لتعريف سلوك المُستَثمِر بشكلٍ خاص لابد من شرح نبذة مختصرة عن مفهوم السلوك الانساني بشكلٍ عام ،إذ يهتم الباحثون في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية والنفسية بمصطلح السلوك وتصنيفاته ، فالسلوك سيرة الانسان ومذهبه واتجاهه ، يقال فلان حسن السلوك او سيء السلوك و (في علم النفس) الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حي ازاء أي موقف يواجههُ، (الصوالحي واحمد ، ١٩٨٧ :٤٤٥) ويعرف السلوك بانه طريقة التصرف أو الطريقة التي يستجيب بها الفرد، أي أن السلوك الانساني يكون مجموعة من التصرفات الصادرة من الانسان والتي تتأثر بالثقافة، العاطفة، القيم، الاخلاق ، النفوذ ، الاقناع والاكراه ، ويمكن القول إن السلوك هو كلُّ ما يمكن أن يفعله الأفراد او ما يحاولون فعله . (مريم ، ٢٠١٦ : ٧٤) .

يشمل السلوك كافة العمليات العقلية التي تدور في ذهن الفرد وتفاعلاته مع الآخرين والبيئة المحيطة به، ويكون إما ايجابياً مقبولاً أو سلبياً مذموماً حسب ما يسلكه من تصرفات وما هو سائد في كل مجتمع من المجتمعات وما فيه من عادات وتقاليد واعراف وديانات، وتحكمه العلاقات التي تنشأ بين الافراد والجماعات وردود الافعال .

إن السلوك الانساني هو طريقة تصرف الأفراد وطرائق عملهم وردود أفعالهم وانجاز وظائفهم ومسؤولياتهم واشباع حاجاتهم من خلال مراقبتهم للجوانب المهمة في سلوكهم والعوامل التي تؤثر فيه، (Gangadhar,1997 :71) فالسلوك من الظواهر التي يصعب تفسيرها بمصطلحات مطلقة فهو بمثابة تداخل في الاستجابات نحو مؤثرات خارجية وداخلية، وهذا ما ينعكس في التكوين النفسي للفرد ، وقد يكون نتيجة لعمليات التداخل الحياتية والنفسية، إذ إن السلوك هو نظام يتحسس الفرد بواسطته الاحداث الخارجية والمؤثرات، ويقوم بتفسيرها ثم يستجيب لها بالطريقة المناسبة ، ويتعلم من نتائج تلك الاستجابات ، (Chandan, 1995 : 40) ، و من الصعب تحليل السلوك البشري وذلك لكونه ذا طبيعة معقدة فالسلوك البشري يستند اساساً الى السبب والنتيجة وإن الافراد يتصرفون وفقاً لمؤثرات داخلية وخارجية وبذلك ينجم عنه افعال وردود أفعال وفي علم النفس هذا التفاعل يُسمـــى سلوكاً (Skinner,B.F, ٢٠٠٥:٣٥) .

ومن هنا نجد إن السلوك الانساني هو مزيج من النشاطات والأفعال والتصرفات التي تدفع الفرد لاتخاذ قراراته بغية الحصول على سلعة أو خدمة معينة او لسد حاجةٍ من حاجاته الخاصة .

٢- انماط السلوك الإنساني:

لقد تمَّ تصنيف السلوك الانساني إلى أنماطٍ مختلفةٍ، فوفقاً للنمطِ الاجتماعي (social style concept) صنف السلوك إلى أربعة انماط يمكن ايضاحها بالآتي :

أ- السلوك العدواني (Aggressive Behavior)

يهدف هذا السلوك إلى الحاق الأذى بالآخرين أو الاستحواذ على ممتلكاتهم بالقوة، فالذي يُبادر إلى هذا السلوك يُسمى المعتدي، وتوصف تصرفاته بأنها عدوانية. أما من كان يستخدم تلك الأدوات دفاعاً عن نفسه وعن ممتلكاته فيُعد مدافعاً عن نفسه ويُوصف سلوكه دفاعي .(جسام ،٢٠٠٧ : ٤٧) .

ب– السلوك الجازم (Assertive Behavior)

هو السلوك الذي يُعبر عن المشاعر وإختيار الطريقة التي يتصرف بها الفرد والمطالبة بحقوقه كلَّما كان ذلك مناسبٌ بهدف احترام الذات، ويتبع هذا السلوك عندما يدافع الفرد عن حقوقه عند انتهاكها من قبل الآخرين وبذلك يحصل على حقوقه دونما أيُ مساس بحقوق الآخرين .(جبر ، ٢٠٠٥ : ٥٩٣) .

ج – السلوك المتجاوب (Responsive Behavior)

في هذا النوع من السلوك يُعبر الفرد عن أهتمامه بالآخرين وبمشاعرهم وبأهدافهم وبحقوقهم إلى درجة أنه يضع مشاعرهم وأهدافهم وحقوقهم قبل مشاعره وأهدافه وحقوقه الشخصية . (جسام ،٢٠٠٧ : ٤٧).

د – السلوك السلبي (Passive Behavior) .

يتصف الفرد الذي يسلك هذا السلوك بعدم اهتمامه باحتياجات الآخرين ومشاعرهم وأفكارهم إلى درجة إنه يعمل كل شيء من اجل مصلحته الشخصية . (جبر ، ٢٠٠٥ : ٥٩٣) .

ومن هذه التصنيفات نجد إن أي انسان يجب أن يكون ضمن إحدى هذه التصنيفات في السلوك الذي يسلكه، سواء كان سلوكاً استثماريا او غيره من سلوكيات الحياة الاخرى، ونجد ايضاً بأن افضل سلوك بإمكان الانسان أن يتبعه هو السلوك المتجاوب .

٣– مفهوم المُستَثمِر وانماطه:

أ– مفهوم المُستَثمِر Concept of investor

يعرف المُستَثمِر: بأنه الشخص الذي يضع رأس ماله في مشروع أو اعمال تجارية بقصد تحقيقِ ربحٍ من الطرح الأولي لرأس المال، ويشمل ذلك شراء موجودات معينة بقصد إعادة بيعها لاحقا بسعر أعلى، والمُستَثمِر الجيد يتطلب مزيجاً من المهارة والمعرفة بالسوق، والتوقيت الملائم، (عبد الكريم،٢٠١٥ :٥٤)

، والمُستَثمِر هو أصل العملية الاستثمارية فكلمّا يكون المُستَثمِر ناجحاً وكفوءً، تكون استثماراته ناجحة وتحقق الأهداف المرجوة من الاستثمار .

كما ويُعرف المُستَثمِر بأنه الشخص المُؤتمن على مال للاستثمار في مجالٍ معينٍ بهدف الحصول على ارباح مالية، وإن الهدف الأساس للمستثمر هو تقليل المخاطـــرة من خلال تعظـــيم العوائد، (جسام ، ٢٠٠٧ :٤٩) .

فالمُستَثمِر هو الشخص الذي يستخدم ماله لشراء العقارات او الموجودات المالية التي من المتوقع ان تحقق تدفقات نقدية بشكلٍ دوري، أو تحقق ربح من إعادة بيعها في نهاية المطاف، (Evans,et, ٢٠٠٧: ١) ، وتتميز شخصية المُستَثمِر عن غيره بالالتزام بالمحددات والقيود والشروط الاقتصادية بما يزيد من ثقة المتعاملين معه لسمعته الاقتصادية أو بتجنبه الأضرار المترتبة على عدم التنفيذ أو عدم الالتزام بالقوانين والأنظمة والتعليمات الرسمية سواء بما تفرضه الأجهزة الحكومية (التنفيذية) أو الأجهزة التشريعية والقضائية أو كما تتبناه المؤسسة الاستثمارية التي ينتمي إليها المُستَثمِر أو يتعامل معها، (جسام ، ٢٠٠٧ : ٥٠).

وبإمكاننا ان نعرف المُستَثمِر بانه الفرد او الشخص الذي يستخدم امواله بتجارة معينه (تجارة سلعة او خدمة) بهدف تحقيق عوائد أو ارباح مجزية .

ب- انماط المُستَثمِرين:

و ينقسم المُستَثمِرون بشكلٍ عام على ثلاثة انماط هي :-

- المُستَثمِر المتحفظ Conservative Investor :

وهو المُستَثمِر الذي يعطي الاولوية لعنصر الامان على ما سواه و بذلك ينعكس نمط هذا المُستَثمِر على قراراته الاستثمارية فيكون حساساً تجاه عنصر المخاطرة ، وغالبا ما نجد هذا النمط عند الكبار وعند ذوي الدخل المحدود .

- المُستَثمِر المضارب Speculator Investor :

وبخلاف سابقه فأن هذا النمط يُعطي الاولوية لعنصر الربحية على ما سواه ، و لذا تكون حساسيته تجاه عنصر المخاطرة متدنية فيكون على استعداد لدخول الاستثمارات الخطرة طمعاً في الحصول على عوائد مرتفعة من الاستثمار ونجد هذا النوع من المُستَثمِرين المضاربين بين فئة الشباب أو بين المُستَثمِرين الكبار ممن يتصرفون بمحافظ استثمارية كبيرة ، (مطر ،٢٠١٣:٤١) .

- المُستَثمِر المتوازن Balanced Investor :

وهو المُستَثمِر الرشيد الذي يوجه اهتماماته للعوائد والمخاطر على حد سواء وهكذا تكون حساسيته تجاه المخاطر في حدود معقولة تمكنه من اتخاذ قرارات استثمارية مدروسة بعناية ويعمل على تنويع استثماراته بكيفية تعظيم العائد ، وتدني درجة المخاطرة و اغلب المُستَثمِرين هم من هذا النمط

٤- المالية السلوكية Behavioral Finance .

المالية السلوكية هي احدى فروع المعرفة المالية، التي تركز على سلوك المُستَثمِر وعملية اتخاذ القرار من أجل فهم تشوهات التسعير في الموجودات وغيرها من الظواهر التي تمت ملاحظتها لدى الدراسات التجريبية في الأسواق المالية، فقد جاءت للرد على الصعوبات التي تواجه النظرية التقليدية في تفسير بعض الظواهر المالية، (حسين ، ٢٠١٧ : ٣٧). وتعرف بانها اتجاه حديث نسبياً يلاحظ إن الاسعار في السوق المالية تتحدد بشكلٍ مناقض لنظرية كفاءة السوق المالي والتي تقدم تفسير لحالة الشذوذ المُلاحظة في هذه الأسواق الناتجة عن السلوك غير العقلاني للمستثمرين، (بن ضب ،٢٠١٤: ٧٥) . وتعرف بانها جانبٌ حديث من العلوم المالية تدرس الظواهر السلوكية في عملية اتخاذ القرار وتهتم بالأفراد وكيفية تجميعهم للمعلومات وآلية استعمالها، وتهدف إلى فهم التنبؤ بحركة الأسواق المالية بالاعتماد على الجوانب التطبيقية والنفسية المتضمنة بقرارات الأفراد، وتقدم شرحاً لكيفية تأثير العوامل النفسية لسلوكيات المُستَثمِرين الامر الذي تجاهلته المالية التقليدية، (العبيدي ،٢٠١٥ : ٤٦). وتعمل المالية السلوكية على الدمج بين النظرية النفسية السلوكية والادراكية وبين النظريات الاقتصادية والمالية التقليدية لإعطاء توضيح عن تصرفات الافراد غير العقلانية، عن طريق استخدام نظريات علم النفس لتحليل وتفسير

الظواهر الشاذة في سوق الأوراق المالية وقرارات المُستَثمِرين، (الحموي ، ٢٠١٦ : ٣٥) . وعليه فان المالية السلوكية هي الاطار الذي يعمل على دمج مفاهيم علم النفس مع الافكار الاقتصادية العقلانية التقليدية، فحين نصنف سلوك المُستَثمِرين فمن المهم أن يكون المحللون الماليون على بينة بالمخاطر التي يمكن ان تؤدي بهم إلى اصدار احكام غير منطقية و المُستَثمِرون يعتمدون على المهنين ليكونوا عقلانيين حين يستسلم هؤلاء إلى الاختلافات المعرفية وإلى سيكولوجية الأسواق التي يمكن ان تؤذي المُستَثمِرين على الرغم من انها لا تنوي او تقصد ذلك ، (شهاب ، ٢٠١٥ : ٤٦) .

ويمكن ان نقسم المالية السلوكية إلى موضوعين فرعيين هما:

- المالية السلوكية الجزئية Micro Behavioral Finance : حيث يختبر سلوك المُستَثمِرين حسب عوامل العقلانية في نظرية المالية التقليدية .
- المالية السلوكية الكلية Macro Behavioral Finance : حيث تصف وتبحث في الحالات الشاذة في فرضية كفاءة الأسواق المالية ، (حسين ، ٢٠١٧ :٤٠) .

كممارسين ومستثمرين لإدارة الثروات، سيكون تركيزنا الأساسي على المالية السلوكية الجزئية، دراسة سلوك المُستَثمِر الفردي. على وجه التحديد، تحديد التحيزات النفسية ذات الصلة والتحقيق في تأثيرها على قرارات المُستَثمِرين وتوزيع اصولهم حتى نتمكن من إدارة آثار تلك التحيزات على عملية الاستثمار.

يتوافق كل موضوع من موضوعي التمويل السلوكي مع مجموعة متميزة من المشكلات في إطار التمويل القياسي مقابل مناقشة التمويل السلوكي. فيما يتعلق بالتمويل السلوكي الكلي، يسأل: هل ان الأسواق "فعالة" أم أنها تخضع لآثار سلوكية؟ فيما يتعلق بالتمويل السلوكي الجزئي، يسأل: هل ان المُستَثمِرين الأفراد عقلانيون تمامًا، أم يمكن أن تؤثر الأخطاء المعرفية والعاطفية على قراراتهم المالية؟ ومن المهم أن نفهم أن النظرية الاقتصادية والمالية تقوم على فكرة أن الأفراد يتصرفون بعقلانية ويفكروا في جميع المعلومات المتاحة في عملية صنع القرار، وفي الدراسات الأكاديمية، وثَّق الباحثون أدلة وفيرة على

السلوك غير العقلاني والأخطاء المتكررة في الحكم من قبل الأشخاص البالغين. (Pompian ,٢٠٠٦:٩) .

المبحث الثاني: العوامل والمحددات المؤثرة في سلوك المُستَثمِر:

ان الانسان بطبيعته كائن معقد، لذا فإن سلوكه على درجة عالية من التعقيد، وتؤثر في سلوكه عدة عوامل من الصعب حصرها وتحديدها، ولعل تداخل هذه العوامل بتأثيراتها المتبادلة لا تتيح مجالاً لوضع قوانين عامة تحكم هذا السلوك، وقد وثَّق علماء النفس انماطاً عدة للسلوك البشري، واكدوا ان هذه الانماط لها تأثير بلا شك بقرارته وخاصةً عند اتخاذ القرار الاستثماري، للعوامل السلوكية عدة انعكاسات نفسية على المتعاملين في سوق الأوراق المالية. ان واحدة من اهم العوامل التي تؤثر على القرارات الاستثمارية هي التحيزات النفسية التي تقود المُستَثمِر الى اتخاذ قرارات غير عقلانية في اغلب الاحيان و إن العواطف تلعب دوراً هاماً في جميع أنواع التحيزات السلوكية.

وهناك العديد من العوامل التي تفسر سلوك المُستَثمِر في الأسواق المالية يمكن ان نتناول البعض منها بالآتي :

١-الثقة المفرطة Overconfidence

ترتبط الثقة المفرطة بمدى اعتقاد الفرد بامتلاكه القدرة المعرفية في توقع الإحداث أو التنبؤ بها أو المبالغة في تقديرها، فمثلاً قد يعتقد المُستَثمِر بأنه الأفضل من غيره في اختيار الاسـهم المناسـبة، والأفضـل في دخوله أو خروجه من السوق ، (Chaudhary ,2013 : 88)

ويمكن تعريف الثقة المفرطة بأنها إيمان لا مبرر له في التفكير المنطقي ، والأحكام ، والقدرات المعرفية. ويستمد مفهوم الثقة المفرطة من مجموعة كبيرة من التجارب النفسية المعرفية والدراسات الاستقصائية التي يبالغ فيها الأفراد في تقدير قدراتهم التنبئية ودقة المعلومات التي قدّموها .

يعتقد الناس أنهم أكثر ذكاءً ولديهم معلومات أفضل من غيرهم، إذ أظهرت العديد من الدراسات أن المُستَثمِرين يشعرون بالثقة المفرطة في قدراتهم الاستثماريةو تكون فترات الثقة التي يعينها المُستَثمِرون

لتوقعات استثماراتهم ضيقة للغاية، هذا النوع من الثقة المفرطة يمكن أن يسمى التنبؤ بالثقة المفرطة، ان الآثار المترتبة على هذا السلوك هي أن المُستَثمِرين قد يقللون من المخاطر السلبية على محافظهم الاستثمارية، وغالبًا ما يكون المُستَثمِرون أيضًا على يقينٍ كبيرٍ من أحكامهم. وبالتالي، فإن الأشخاص المعرضين للثقة المفرطة في كثير من الأحيان يتاجرون في حساباتهم بشكلٍ كبيرٍ وقد يحتفظون بمحفظةٍ غير متنوعة بما فيه الكفــاية، (Pompian , 2006 : 52) .

٢-المحاسبة العقلية Mental accounting

تعرف المحاسبة العقلية بانها مجموعة من العمليات المعرفية المســتخدمة من قبل الافــراد والأســـر لتنظيم وتتبع الانشـطة المالية، مما يـؤدي الى ميـلهم لفصــل اموالهـم الى حســابات منفصـلة ، (حسين، ٢٠١٧ : ٤٨) ،ويميل الاشخاص إلى وضع استثماراتهم في أجزاء عقلية مستقلة ويتفاعلون بشكلٍ مستقل مع هذه الاستثمارات وحسب الجزء الذي هم فيه ، إن المُستَثمِرين المستقلين يفكرون بشكلٍ طبيعي في حالة امتلاكهم جزءً آمن من الاعتمادات المالية المحمية من خطر الهبوط وجزء المخاطرة المحدد من أجل فرصة الحصول على ثروة ، (جسام ، ٢٠٠٧ :٧٧) ، والمحاسبة العقلية هي ميل الناس إلى ترميز وتصنيف وتقييم النتائج الاقتصادية من خلال تجميع أصولهم في عدد من الحسابات الذهنية غير القابلة للتغيير (غير قابلة للتبادل). لن يستسلم الشخص العقلاني تمامًا لهذا النوع من العملية النفسية لأن المحاسبة العقلية تجعل الأشخاص يأخذون خطوة غير عقلانية في معالجة مبالغ مختلفة من المال بشكلٍ مختلف استناداً الى المكان الذي يتم فيه تصنيف هذه المبالغ عقلياً ،على سبيل المثال ، الطريقة التي يصنف بها مبلغاً معيناً تم الحصول عليه من (العمل ، الميراث ، المقامرة ، المكافأة ، وما إلى ذلك) أو طبيعة الاستخدام المقصود للمال (أوقات الفراغ ، الضروريات، إلخ) ، أحيانًا ينشئ الأشخاص حسابات عقلية من أجل تبرير الإجراءات التي تبدو جذابة ولكنها في الواقع غير حكيمة، وفي أحيان أخرى، يستمد الناس فوائد من المحاسبة العقلية. على سبيل المثال، قد يؤدي تخصيص الأموال للتقاعد إلى منع بعض الأسر من إنفاق هذه الأموال قبل الأوان ، (POMPIAN,2006 : 17)

٣-التمثيل Representativeness

التمثيل هو الحكم على الامور على اساس الصور النمطية واعطاء اهمية كبيرة للاتجاهات الحالية للبيانات، بغض النظر عن احتمال حدوثها بالمستقبل ، (Shefrin,2002:13) .

من اجل الاستفادة من تجارب الحياة ، طور الناس نزعتهم الفطرية في تطبيق الاشياء، والافكار عند موجهة اية ظاهرة جديدة لا تتوافق مع اي من تصنيفاتهم وافكارهم المسبقة، فهم يخضعون لتلك التصنيفات على اي حال، ويعتمدون على تقدير تقريبي مناسب لتحديد الفئة التي ينبغي ضمها، وبعد ذلك يشكل الاساس لفهم العنصر الجديد ،يوفر هذا الاطار اداة ملائمة لمعالجة المعلومات الجديدة من خلال دمج الرؤى المكتسبة من تحارب الماضي والمتشابهة في وقت واحد، هذا يمنح الاشخاص ردة فعل سريعة في بعض الاحيان تشبه المنبهات للعناصر الجديدة المألوفة التي تم تصنيفها مسبقاً ، في مثل هذه الحالة يؤدي انعكاس هذا التصنيف الى الخداع ، مما يؤدي الى فهم غير صحيح للعنصر الجديد الذي غالباً ما ننحاز له في تفاعلاتنا المستقبلية، وبالمثل يميل الناس الى ادراك الاحتمالات التي يتردد صداها مع افكارهم الموجودة مسبقاً حتى عندما تكون الاستنتاجات غير صالحة احصائياً، (Pompian , 2006 : ٦٢) .

يصنف المُستَثمِرون في السوق المالي اسهم شركة ما الى اسهم نمو، معتمدين بذلك على نمو أرباح هذه الشركة في الفترة الاخيرة ، متجاهلين بذلك ان هنالك عدداً قليلاً من الشركات التي تحافظ على نمو ارباحٍ في المستقبل ، (Barberis & others ,1998 :4) .

٤-الرسو او الترسيخ (Anchoring)

يفسر مفهوم هذا التحيز بانه اتجاه المُستَثمِر نحو ترسيخ الافكار والآراء عند نقطة مرجعية لا صلة لها بموضوع اتخاذ القرار الاستثماري ويعتمد المُستَثمِر على هذه النقطة المتمثلة بأشياء راسخة بمخيلته والتي حدثت مؤخراً ويهمل التطورات الجديدة ، فالمُستَثمِر قد لا يستثمر في شركة خسرت مؤخراً على الرغم من ان التقارير تشير الى ارتفاع اسهمها بشكلٍ ايجابي، لذا فهو فسر الفرصة الاستثمارية بقراءة خاطئة،

ونلاحظ هنا بأن المُستَثمِر يميل الى التفاؤل في حالة ارتفاع الاسعار ويميل الى التشاؤم في حالة انخفاضها، حيث يعطي المُستَثمِر الوزن الاكبر للتجربة الاخيرة والاتجاهات الحديثة التي غالباً ما تكون على خلاف الاحتمالات في المدى الطويل، (حسين ، ٢٠١٧ : ٤٧) .

ويصف هذا التحيز أثر الانطباع الاولي عن عملية صنع القرار ، يبدأ المُستَثمِر عملية صنع قراره من قيم اولية ويعمل على تعديلها بشكلٍ تدريجي حتى يصل الى النتيجة النهائية ، وغالباً ما تكون هذه النتيجة منحازة الى القيم الأولية (Tverskys & Kahnemans, 1974 :1128)، الرسو او الترسيخ هو ارشاد نفسي يؤثر على الطريقة التي يستكشف بها الناس احتمالاتهم ،غالباً ما يتأثر المُستَثمِرون الذين يظهرون هذا التحيز بنقاط الشراء او مستويات او قوائم الاسعار ويميلون الى التشبث بهذه الارقام عند مواجهة الاسئلة مثل (هل يجب ان اشتري او ابيع هذا الاصل المالي؟) ، او (هل السوق مبالغٌ بها او مقومةً باقل من قيمتها الآن؟) ، يتعامل المُستَثمِرون العقلانيون مع هذه المعلومات بموضوعية ولا يعكسونها على اسعار الشراء او الاسعار المستهدفة، ومع ذلك يشير هذا التحيز الى ان المُستَثمِرين ينظرون الى المعلومات الجديدة من خلال عدسة مشوشة تشدد بشكلٍ لا مبرر له على نقاط الربط التعسفية احصائياً والمحددة من الناحية النفسية، لذلك فأن صنع القرار ينحرف عن المعايير المنطقية الموصوفة حديثاً، (Pompian,2006 : 76)، لذا فان الارساء لا يجعل المُستَثمِر يسير دائماً بالاتجاه العقلاني عند اتخاذه للقرار الاستثماري، كون قراره لا يستند على الافكار والآراء ذات الصلة بالواقع انما يعتمد على افكار نابعة من نقطة مرجعية تسمى (نقطة الترسيخ) وهي تلك الاشياء التي حدثت مؤخراً وظلت راسخة في مخيلتهم، وهنا نشير الى ان نجاح المُستَثمِر لا يستند على تقييمه لواحد او اثنان من المقاييس بل يجب عليه تقييم الشركة ككل ولعدة مقاييس لاستخلاص صورة حية لطبيعة الاستثمار، (يسرى ، ٢٠١٥ : ٨٧)

٥-تحيز التوافر (Availability bias)

هو انحراف مرتبط بالذاكرة فقد لا يستطيع الفرد ان يستحضر كلَّ المعلومات اللازمة لتحديد حدث ما ، لذا فأنه يُركز على الاشياء التي يتذكرها ويدركها ويحدث عندما تشير الادلة التي تتبادر الى اذهاننا الى

اشياء تُقبل بسهولة ، لذلك فأن هذا التحيز لا ينتج عن ردة فعل مبالغ فيها من قبل المُستَثمِر لنتائج السوق سواء كانت هذه النتائج ايجابية او سلبية ، إنما يعني تحيز التوافر بانه التحيز المعرفي الذي يدفع الانسان الى ان يبالغ في تقدير احتمالات الاحداث التي ستحدث نتيجة مطابقة المعلومات المتوفرة لديه مع الاحداث الحية التي لا تنسى، (يسرى ، ٢٠١٥ : ٩٤)، ويُعرف تحيز التوافر على انه تفضيل صانعي القرار على استدعاء معلومات او احداث الذاكرة بسهولة ، ويشير الى التحيز البشري للحكم على احتمال وقوع حدث او تكراره واسترجاعه بسهوله ويحدث عندما نبالغ في تقدير حدوث شيء ، اما بسبب حدث مماثل حدث مؤخراً ، او لأننا نشعر بعاطفة تجاه حدث سابق، وفقا لهذا التحيز قد يكون تصورنا خاطئ ، فهو يشوه الفهم الحقيقي للمخاطر والذي قد يكون له تأثيرات قاتلة، عندما نتخذ القرارات فأننا نميل على التأثير على ما نتذكره ، وما نتذكره يتأثر بعدة عناصر مثل المعتقدات ،التوقعات ،العواطف، والمشاعر، وكذلك تؤثر الوسائط مثل (الانترنت والراديو والتلفاز) على ذاكرتنا ايضاً فتعتبر الاحداث النادرة ملحوظة للغاية عند حدوثها لأنها تحصل على تغطية كبيرة من وسائل الاعلام مما يزيد من احتمال تذكرها (Dervishaj,2018:27) .

ان تحيز التوافر او الاتاحة هو القاعدة او الاختصار العقلي الذي يسمح للناس بتقدير احتمال حدوث نتيجة بناءً على مدى انتشار هذه النتيجة في حياتهم، ويرى الاشخاص الذين يظهرون هذا التحيز ان الاحتمالات التي يتم تذكرها بسهولة اكثر احتمالا من تلك الاحتمالات التي يصعب تخيلها أو يصعب فهمها، إن قاعدة التوافر تكمن وراء الاحكام المتعلقة باحتمالية او توافر المعلومات المتاحة بسهولة ولا تستند الى معلومات عامة او موضوعية او واقعية ، (Pompian,2006 : 94-95) .

المبحث الثالث : تحليل العوامل والمحددات المؤثرة بسلوك المُستَثمِر:

يتضمن هذا المبحث عرض وتحليل العوامل والمحددات المؤثرة في سلوك المُستَثمِر في سوق العراق للأوراق المالية للمدة من ٢٠١٩/٥/٢ لغاية ٢٠١٩/٧/٣١ ، وذلك عن طريق اجراء التحليل الاحصائي لاستمارات الاستبيان الموزعة على أفراد العينة، واستخلاص النتائج منها، إذ تم توزيع (مائة وعشرين)

استمارة استبيان طيل فترة الدراسة وتم استرجاع (تسعين) استمارة صالحة منها، ويتناول هذا التحليل المحددات والخصائص الشخصية للمستثمر ، ويتضمن ايضاً التحليل الوصفي للعوامل السلوكية المؤثرة في سلوك المُستَثمِر ، ومن خلال التحليل الاحصائي للبيانات المتعلقة بالدراسة والتي تم استعراضها في الفصل السابق .

الوصف الاحصائي لإجابات عينة الدراسة على اسئلة الاستبانة المتعلقة بالعوامل السلوكية للمستثمر:

تمَّ تحليل العوامل السلوكية للمستثمر وذلك باستعمال الوسط الحسابي والانحراف المعياري ونسبة الاجابة على السؤال متحددة بالعوامل السلوكية وقد حددت الدراسة خمسة مستويات للأهمية وفق مقياس ليكرت الخماسي ، وكما موضح ادناه .

موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
٥	٤	٣	٢	١

ويتضح من الجداول الآتية تكرار آو عدد أفراد العينة المجيبين على أهمية كلٍ سؤال والوسط الحسابي والأهمية النسبية للسؤال والانحراف المعياري وقيمة (الفا) والخاصة برفض آو قبول فرضية العدم (Ho:M=3) ضد الفرضية البديلة (H1:M≠3) واحتمال رفض الفرضية (Ho) وهي صحيحة ومعامل الاختلاف المعياري بين اجابات أفراد العينة .

١- العامل الأول (عامل الثقة المفرطة):

يتضح من الجدول (١٠) ان عامل الثقة المفرطة حقق وسط حسابي (٣,٥٩٤) وبانحراف معياري (٠,٤٨١) وبنسبة (٧١,٨٩٪) ومعامل اختلاف معياري (١٣,٣٨%) والذي يشير الى تجانس اجابات أفراد العينة تجاه هذا العامل ،يدعم ذلك اختبار (T) لاختبار فرضية العدم (Ho:M=3) ضد الفرضية البديلة (H1:M≠3)، فقد كانت قيمة الفا لرفض فرضية العدم هي (٠,٠٠٠٠)، وهذا يعني أن أغلب

المُستَثمِرين هم على ثقة عالية في اتخاذ قراراتهم الاستثمارية ، إذ تبين أعلى نسبة اجابة ايجابية كانت للسؤال الأول (عند اتخاذ قرار تداول نوع ورقة مالية فإنني اكون على ثقة مما اختاره من أوراق مالية) إذ بلغ الوسط حسابي (٣,٨٧٨) وبانحراف معياري (٠,٤٩١) ومعامل اختلاف معياري (١٢,٦٥%) ، وأهمية نسبية (٧٧,٥٦٪) وهذا يؤكد ان المُستَثمِرين يتخذون قراراتهم بثقة عالية عند اختيار نوع الورقة التي يرغب المُستَثمِرون شرائها او بيعها، وذلك لتحقيق أكبر عائد وتجنب أكبر للمخاطر أو الخسائر، في حين حصل السؤال الثاني (اتخذ قراراتي الاستثمارية بناءً على توقعاتي الدقيقة للعائد) على وسط حسابي (٣,٦١١) وبانحراف معياري (٠,٨٥٢) ومعامل اختلاف معياري (٢٣,٦٠%) وأهمية نسبية (٧٢,٢٢٪) وتظهر اجابات المُستَثمِرين على هذا السؤال انهم على ثقة عالية بتوقعاتهم التي تقودهم لاتخاذ القرار الاستثماري الذي سيحقق لهم أعلى عائد، في حين حقق السؤال الرابع (استطيع قراءة البيانات وتفسيرها بشكلٍ أوضح من الآخرين) على وسط حسابي (٣,٥٨٩) وبانحراف معياري (٠,٨٠١) ومعامل اختلاف معياري (٢٢,٣٣%) وأهمية نسبية (٧١,٧٨٪) وهذا يؤكد ان قرارات المُستَثمِرين المتمثلة بالاستثمار الايجابي ناتجة عن كونهم يمتلكون مهارات تحليلية جيدة والتي تعكس ثقة المُستَثمِرين بأنفسهم على قراءة البيانات وتفسيرها مما يساعدهم في اتخاذ قرارهم تداول الورقة المالية، وحصل السؤال الثالث (دائما ما يكون قرار الاختيار والاستثمار في الأوراق المالية تتجاوز حركة مؤشر السوق ايجابيا نتيجة خبرتي ومهاراتي التحليلية) على وسط حسابي (٣,٣٠٠) وبانحراف معياري (٠,٨٠٩) ومعامل اختلاف معياري (٢٤,٥١%) وأهمية نسبية (٦٦,٠٠٪)، وهذا يعني ان عامل الثقة المفرطة لدى المُستَثمِرين واعتقادهم بخبرتهم العالية ومهاراتهم في التحليل يدفعهم لاتخاذ قرار استثماري يحقق لهم عائد أعلى من العائد الذي بإمكانهم تحقيقه لو اتبعوا حركة المؤشر العام لأسعار الأسهم .

جدول (١٠) تحليل استجابة العينة لعامل الثقة المفرطة

السؤال	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	الأهمية النسبية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف المعياري
١	0	2	11	73	4	77.56%	3.878	0.491	١٢.٦٥٪
٢	0	10	27	41	12	72.22%	3.611	0.852	23.60%
٣	0	16	35	35	4	66.00%	3.300	0.809	24.51%
٤	0	8	31	41	10	71.78%	3.589	0.801	22.33%
عامل الثقة المفرطة						71.89%	3.594	0.481	13.38%

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات البرنامج الاحصائي .

٢- العامل الثاني (عامل تجنب الخسارة):

اظهرت نتائج التحليل الاحصائي المبينة في الجدول رقم (١١) ادناه ان اجابات المُستَثمِرين بينت ان عامل تجنب الخسارة حقق وسط حسابي (٣,٦٦٧) و بانحراف معياري (٠,٤٥٠) و بأهمية نسبية مقدارها (٧٣,٣٣٪) ومعامل اختلاف معياري (١٢,٢٨٪) ،يدعم ذلك اختبار (T) لاختبار فرضية العدم (Ho:M=3) ضد الفرضية البديل (H1:M≠3)، فقد كانت قيمة الفا لرفض فرضية العدم هي (٠,٠٠٠٠) ، وهذا يعني إن أغلب المُستَثمِرين هم ممن يتجنب الخسارة قبل اتخاذ قراراتهم الاستثمارية ، وقد حصل السؤال الثاني (لا أرغب ابداً بخسارة ادنى مقدار من المال عندما استثمر اموالي) على أعلى اجابة إذ بلغ الوسط الحسابي (٤,٠٧٨) وانحراف معياري (٠,٦٠١) ومعامل اختلاف مقداره (١٤,٧٣%) وبأهمية نسبية (٨١,٥٦%)، هذا يعني أن أغلب المُستَثمِرين ليس لديهم استعداداً لخسارة ادنى مقداراً من المال عند استثمارهم لأموالهم، وقد حقق السؤال الأول (اكره الخسارة واحب ان اضاعف ربحي) وسط حسابي مقداره (٣,٩٣٣) وانحراف معياري (٠,٦٠١) ومعامل اختلاف مقداره (١٦,٤٣%) وأهمية نسبية (

٧٨,٦٧%) ، بينما كان وسط حسابي الاجابة على السؤال الثالث (اتحفظ على تخصيص كلٍ اموالي في ورقة مالية واحدة) هو (٣,٣٦٧) والانحراف المعياري (٠,٩٧١) ومعامل اختلاف (٢٨,٨٥%) وأهمية نسبية (٦٧,٣٣%) ، هذا يعني أن أغلب المُستَثمِرين يقومون بتنويع أوراقهم المالية عند تكوين محافظهم الاستثمارية، اما السؤال الرابع (الوم نفسي دائماً عندما اخسر وافكر بالأسباب التي ادت الى الخسارة) فقد كان الوسط الحسابي (٣,٢٨٩) والانحراف المعياري (٠,٩٦٩) ومعامل اختلاف (٢٩,٤٦%) وأهمية نسبية (٦٥,٧٨%)، وهذا يؤكد إن عامل تجنب الخسارة له تأثير كبير في سلوك المُستَثمِر عند اتخاذه للقرار الاستثماري .

جدول (١١) تحليل استجابة العينة لعامل تجنب الخسارة

السؤال	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	الأهمية النسبية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف المعياري
١	0	٠	22	52	16	78.67%	3.933	0.646	16.43%
٢	0	0	13	57	20	81.56%	4.078	0.601	14.73%
٣	0	20	29	29	12	67.33%	3.367	0.971	28.85%
٤	٧	7	34	37	5	65.78%	3.289	0.969	29.46%
عامل تجنب الخسارة						73.33%	3.667	0.450	12.28%

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات البرنامج الاحصائي .

٣- العامل الثالث (عامل الحسابات الذهنية):

اظهرت نتائج التحليل الاحصائي المبينة في الجدول رقم (١٢) ادناه ان اجابات المُستَثمِرين بينت ان عامل الحسابات الذهنية حقق وسط حسابي (٣,٥٤٢) وبانحراف معياري (٠,٦٤٦) وبأهمية نسبية

مقدارها (٧٠,٨٣٪) ومعامل اختلاف معياري (١٨,٢٣٪)، وهو مرتفع نسبياً بالنسبة للعامل الأول والثاني ويعود السبب في ذلك لاختلاف نظرة أفراد العينة تجاه كلٍ سؤال من اسئلة هذا العامل ، إذ حصل السؤال الرابع (أرغب دائماً بأن استثمر في الشركات ذات العوائد المرتفعة) على أعلى اجابة إذ بلغ الوسط الحسابي (٣,٩٧٨) وانحراف معياري (١,٠٥٤) ومعامل اختلاف مقداره (٢٦,٤٩٪) وبأهمية نسبية (٧٩,٥٦٪) ، هذا يعني إن أغلب المُستَثمِرين تدفعهم ارباح الشركات للاستثمار فيها ، وهذا ليس امر مربحاً دائماً فقد ترتفع ايرادات شركة ما بينما تنخفض أسعار أسهمها وذلك لأسباب معينة اهما توقف بعض الشركات عن توزيع مقسوم الارباح وهذا ليس بصالح المُستَثمِر، وقد حقق السؤال الثالث (افضل وضع اموالي في حسابات مختلفة) وسط حسابي مقداره (٣,٧٠٠) وانحراف معياري (٠,٩٦٠) ومعامل اختلاف مقداره (٢٥,٩٤٪) وأهمية نسبية (٧٤,٠٠٪) ،مما يدل على وعي المُستَثمِر العراقي في تنويع الأسهم المكونة لمحفظته الاستثمارية ، اما السؤال الثاني (أرغب بجمع معلوماتي عن طريق الانترنت) فقد كان الوسط الحسابي (٣,٤١١) وانحرافه المعياري (١,٠٨٤) ومعامل اختلاف مقداره (٣١,٧٨٪) وأهمية نسبية (٦٨,٢٢٪)، بينما كان وسط حسابي الاجابة على السؤال الأول (أستثمر غالباً في الشركات غير المستقرة ذات العائد المرتفع) هو أقل وسط حسابي بين الاسئلة (٣,٠٧٨) والانحراف المعياري (٠,٨٧٢) ومعامل اختلاف (٢٨,٣٤٪) ، وهو مرتفع جداً وهذا ما يشير الى عدم التجانس في آراء أفراد العينة تجاه هذا العامل، يدعم ذلك اختبار (T) لاختبار فرضية العدم (Ho:M=3) ضد الفرضية البديلة (H1:M≠3) ، فقد كانت قيمة الفا لرفض فرضية العدم هي (٠,٤٠) ، وهذا يعني ان أفراد العينة ينظرون بشكلٍ محايد الى هذه الفقرة من هذا العامل، وقد كانت الأهمية النسبية لهذا السؤال هي (٦١,٥٦٪) ، مما يدل على ان المُستَثمِر لا يستثمر في الشركات غير مستقرة العائد .

جدول (١٢) تحليل استجابة العينة لعامل الحسابات الذهنية

السؤال	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	الأهمية النسبية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف المعياري
١	4	16	42	25	3	61.56%	3.078	0.872	28.34%
٢	4	18	17	39	12	68.22%	3.411	1.084	31.78%
٣	2	6	29	33	20	74.00%	3.700	0.960	25.94%
٤	4	5	12	37	32	79.56%	3.978	1.054	26.49%
العامل الثالث (عامل الحسابات الذهنية)						70.83%	3.542	0.646	18.23%

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات البرنامج الاحصائي .

٤- العامل الرابع (عامل النفور من الندم):

اظهرت نتائج التحليل الاحصائي المبينة في الجدول رقم (١٣) أدناه، إن اجابات المُستَثمِرين بينت ان عامل النفور من الندم حقق وسطاً حسابياً (٣,٧٠٦) وبانحراف معياري (٠,٦٣٦) وبأهمية نسبية مقدارها (٧٤,١١٪) ومعامل اختلاف معياري (١٧,١٧٪)، يدعم ذلك اختبار (T) لاختبار فرضية العدم (Ho:M=3) ضد الفرضية البديلة (H1:M≠3)، فقد كانت قيمة الفا لرفض فرضية العدم هي (٠,٠٠٠٠) ، وهذا يعني إن أغلب المُستَثمِرين هم ينفرون من الندم بعد اتخاذ قراراتهم الاستثمارية ، إذ حصل السؤال الثالث (اندم كثيراً عند ارتكابي اخطاء في السوق) على أعلى اجابة إذ بلغ الوسط الحسابي (٣,٨١١) وانحراف معياري (٠,٩٠٥) ومعامل اختلاف مقداره (٢٣,٧٦٪) وبأهمية نسبية مقدارها (٧٦,٢٢٪) ، وهذا يدل على ان المُستَثمِر يتهرب من ارتكاب الاخطاء كي لا يندم لاحقاً، وقد حقق السؤال الثاني (أكثر العوامل أهمية عند اتخاذ القرار الاستثماري هو نصيحة المتخصصين) وسط حسابي

مقداره (٣,٧٦٧) وانحراف معياري (٠,٩٢٠) ومعامل اختلاف مقداره (٢٤,٤١٪) وأهمية نسبية (٧٥,٣٣٪) ،هذا يدل على ان المُستَثمِر يستفاد من نصائح الآخرين من ذوي الخبرة في مجال الاستثمار ، اما السؤال الأول (شعوري بالندم تجاه انخفاض سعر الأوراق المالية التي قمت بشرائها يفوق شعوري بالرضى تجاه ارتفاع أسعار الأسهم التي قمت بشرائها) فقد كان وسطه الحسابي (٣,٦٦٧) وانحرافه المعياري (٠,٦٦٧) ومعامل اختلاف مقداره (١٨,١٨٪) وبأهمية نسبية (٧٣,٣٣٪)، بينما كان وسط حسابي الاجابة على الرابع (غالباً ما الوم نفسي عند القيام باستثمار مجازف وأفضل التحفظ) هو أقل وسط حسابي بين الاسئلة (٣,٥٧٨) والانحراف المعياري (٠,٨٠٢) ومعامل اختلاف (٢٢,٤٣٪) وأهمية نسبية (٧١,٥٦٪)

جدول (١٣) تحليل استجابة العينة لعامل النفور من الندم

السؤال	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	الأهمية النسبية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف المعياري
١	0	4	28	52	6	73.33%	3.667	0.667	18.18%
٢	0	11	18	42	19	75.33%	3.767	0.920	24.41%
٣	2	6	17	47	18	76.22%	3.811	0.905	23.76%
٤	4	0	32	48	6	71.56%	3.578	0.802	22.43%
العامل الرابع (عامل النفور من الندم)						74.11%	3.706	0.636	17.17%

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات البرنامج الاحصائي .

٥- العامل الخامس (عامل الرسو او الترسيخ):

يتضح من الجدول رقم (١٤) ان عامل الرسو او الترسيخ حقق وسطاً حسابياً (٣,٨٣٩) و بانحراف معياري (٠,٤٤٨) و بأهمية نسبية (٧٦,٧٨٪) ومعامل اختلاف معياري (١١,٦٦٪) ، يدعم ذلك اختبار (T) لاختبار فرضية العدم (Ho:M=3) ضد الفرضية البديلة (H1:M≠3)، فقد كانت قيمة الفا لرفض فرضية العدم هي (٠,٠٠٠٠) ، وهذا يعني إن أغلب المُستَثمِرين هم ممن يرسخون ويثبتون في اتخاذهم لقراراتهم الاستثمارية وتبين ان أعلى نسبة اجابة ايجابية كانت للسؤال الأول (افضل الاستثمار في الأوراق المالية التي سبق وان حقق الاستثمار فيها ربحاً لي) والسؤال الثالث (اعتمد على التجارب السابقة في السوق في جهودي المقبلة في الاستثمار) إذ بلغ الوسط حسابي (٤,٠٣٣) و بانحراف معياري (٠,٦٠٥) و(٠,٧٠٦) على التوالي وبنسبة (٨٠,٦٧٪) ومعامل اختلاف معياري (١٤,٩٩٪) و (١٧,٥١٪) على التوالي، وهذا يدل على ان المُستَثمِر يستفاد من خبراته الاستثمارية والتجارب السابقة التي سبق وان حققت له ربحاً مجزياً، في حين حصل السؤال الثاني (افضل الاخذ بنظر الاعتبار توقعات السوق الاخيرة والمستويات الحالية للأسعار عند اتخاذي قرار الاستثمار في الأوراق المالية) على وسط حسابي بلغ (٣,٨٤٤) وبانحراف معياري (٠,٦٦٥) ومعامل اختلاف معياري (١٧,٣٠٪) وبأهمية نسبية (٧٦,٨٩٪) ، بينما حقق السؤال الرابع (اتوقع إن التغيرات في أسعار الأسهم في المستقبل ستكون على اساس أسعار الأسهم الاخيرة الحالية) وسط حسابي مقداره (٣,٤٤٤) وبانحراف معياري (٠,٨٥٨) ومعامل اختلاف معياري (٢٤,٩٠٪) وبأهمية نسبية مقدارها (٦٨,٨٩٪) .

جدول (١٤) تحليل استجابة العينة لعامل الرسو او الترسيخ

السؤال	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	الأهمية النسبية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف المعياري
١	0	0	15	57	18	80.67%	4.033	0.605	14.99%
٢	0	0	28	48	14	76.89%	3.844	0.665	17.30%
٣	0	2	15	51	22	80.67%	4.033	0.706	17.51%
٤	2	8	36	36	8	68.89%	3.444	0.858	24.90%
العامل الخامس (عامل الرسو او الترسيخ)						76.78%	3.839	0.448	11.66%

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات البرنامج الاحصائي .

المبحث الرابع الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات:

١- الاستنتاجات:

استناداً لما تقدم في لجانب العملي والجانب النظري من الدراسة يمكن الخروج بجملة من الاستنتاجات والتي يمكن ايضاحها بالآتي .

أ- المُستَثمِرون رشيدون وعقلانيون باتخاذهم لقراراتهم الاستثمارية بهدف تحقيق الارباح، فهم متحفظون في استثمار اموالهم في السوق المالي، إذا لا يدخلون بالاستثمارات الا بعد الدراسة والتأكد، ويتحوطون بتنويع تلك الاستثمارات .

ب- وجهات نظر المُستَثمِرين متقاربة جداً مما يجعلهم يسلكون سلوكاً متقارباً عند اتخاذهم القرار الاستثماري .

ج- بالرغم من المغالاة في الثقة الا ان اغلب المُستَثمِرين دقيقين في اتخاذ القرارات الاستثمارية، ترسخ في أذهانهم المواقف السابقة، يستخدمون المعلومات المتاحة لديهم، يستثمرون في الشركات ذات الارباح المرتفعة، يخافون من الخسارة ، يتجنبون الشعور بالندم ، ويتبعون سلوك الجماعة .

د- ان فهم السلوك الانساني بشكلٍ عام وسلوك المُستَثمِر بشكلٍ خاص، فهمٌ لمعرفة العوامل التي تؤثر على اتخاذ القرار الاستثماري، فسلوك المُستَثمِر سلوكاً معقداً، ومن الصعب فهمه بسهولة، الا بعد الاطلاع على العوامل التي تؤثر بسلوكه، ودراستها بعناية وتركيز .

هـ - ان النظرية المالية السلوكية مكملة للنظريات المالية الاخرى، وجاءت لفهم سلوك المُستَثمِر في الاسواق المالية والوقوف على حالات التشوهات التي لم تستطع النظريات التقليدية حلَّها .

و - ان للعوامل السلوكية تأثيراً في سلوك المُستَثمِرين، والذي يحدد قراراتهم الاستثمارية، وهذا يؤثر على حركة التداول عن طريق قوى العرض والطلب على الاوراق المالية .

ز – ان غالبية المُستَثمِرين في سوق العراق للأوراق المالية هم من الذكور وهذا ناتج عن طبيعة ودور المرأة في المجتمع العراقي، ومع ذلك لا توجد فروق معنوية في راء الذكور والاناث في الاجابة على معظم اسئلة الاستبانة.آ

٢– التوصيات والمقترحات:

بالاعتماد على الاستنتاجات الواردة بالمبحث السابق يوصي الباحث بالتوصيات ادناه، والتي قد يستفاد منها المُستَثمِر او العاملون في السوق المالي لتحسين أدائهم .

أ – العمل على نشر الوعي ورفع المستوى الثقافي الاستثماري لدى المُستَثمِرين، وذلك عن طريق اقامة الندوات والحلقات النقاشية والدورات التدريبية لاطلاعهم على الاساليب الاستثمارية وكيفية احتراف التداول وتكوين المحفظة الاستثمارية المثلى .

ب – ان يكون للدولة الدور الاساسي في تطوير السوق المالي بتوفير المكان اللائق وتقديم الدعم الالكتروني وتزويد السوق بكل وسائل التكنولوجيا المتطورة، لربطه مع منظومة الاسواق المالية العالمية الأخرى بأحدث الوسائل ، لمواكبة التطورات التي تشهدها الاسواق العالمية ، ولكون الاسواق المالية مرآة للمستوى الاقتصادي للبلد .

ج – ان توفير وسائل الامن والاستقرار السياسي والاقتصادي للمستثمرين ، يخلق بيئة استثمارية مناسبة وفعالة ، والتي تدفع المُستَثمِرين للإقبال على استثمار اموالهم في السوق المالي .

د– على المُستَثمِرين الاطلاع ومتابعة التقارير اليومية التي يصدرها السوق المالي وتصدرها الشركات المساهمة ، لمعرفة ادائها ومستوى نموها والارباح التي تحققها .

هـ– ان اطلاع المُستَثمِرين على اساليب التحليل الاساسي والتحليل الفني وطرق التنويع في المحافظ الاستثمارية يجنبهم الخسارة ويرفع مستوى الارباح المتحققة ويجنبهم الشعور بالندم .

و– الاستفادة من القدرات والخبرات الطويلة التي يتمتع بها المُستَثمِرون المتمرسون وذلك عن طريق استشارتهم والاستفادة من هذه الخبرات .

ز – على العاملين في السوق المالي استقطاب الخبرات الاستثمارية بدعمهم وتشجيعهم و تقديم الامتيازات لهم ، وحثهم على تقديم محاضرات توعوية وارشادية يستفاد منها صغار المُستَثمِرين .

ح – للدولة ان تعمل على اصدار القوانين والانظمة التي تحمي المُستَثمِرين وتنظم سير العمل في السوق المالي بانسيابية ودون مشاكل، وتمنح المُستَثمِرين الامان والاستقرار في عملية الاستثمار .

ط – اتاحة المجال للمالية السلوكية ان تأخذ دورها في السوق المالي لتفسير سلوك المُستَثمِرين غير العقلاني والذي يؤثر بشكل مباشر على اتخاذ القرار الاستثماري .

ي– يمكن للمستثمرين والقائمين على اعمال السوق المالي ان يستفيدوا من البحوث والدراسات في هذا المجال وان يأخذوا بالتوصيات التي توصل لها الباحثون، للاستفادة من الخبرات العلمية والبحثية في تكوين محافظهم الاستثمارية و كيفية ادارتها وكيفية التعامل في الاسواق المالية ومعرفة اهم السلوكيات التي يُمكن اتباعها .

المراجع:

اولاً : المراجع العربية :

١– بن ضب ، علي، قياس تكلفة رأس المال في البورصات العربية ، اقتراح نموذج قياس لترشيد القرارات المالية باستخدام نموذج (CAMP GARCHE) ، اطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية ، ٢٠١٤.

٢– جبر ، فارس حلمي ، التفاعلات الاجتماعية ، التفاعل بين الفرد والآخر ، وبين الفرد والجماعات – لقاء العقول – ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٥.

٣– جسام ، سفانة عبد المجيد، تحليل بعض العوامل السلوكية والهيكلية المؤثرة في أنماط سلوك المستثمر للأوراق المالية في العراق دراسة تشخيصية تحليلية لعينة من المتعاملين في سوق العراق للأوراق المالية، رسالة ماجستير ، كلية الإدارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، قسم إدارة الأعمال ، ٢٠٠٧ .

٤– حسين ، خيرية عبد الكاظم ، تحليل سلوك المستثمر في الاسواق المالية على وفق نموذج تسعير الاصول الرأسمالية ونموذج فاما وفرنش ، دراسة تحليلية مقارنة ، رسالة ماجستير ، كلية الادارة والاقتصاد ، الجامعة المستنصرية ،٢٠١٧ .

٥– الحموي، سيرين خالد ، تأثير العوامل السلوكية في عوائد الاسهم ، دراسة تطبيقية في سوق دمشق للأوراق المالية ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، كلية الاقتصاد ، قسم المصارف والتأمين ،٢٠١٦ .

٦- شهاب ، شيماء حمد، أثر العوامل السلوكية للمستثمر في حركة تداول الاسهم دراسة تحليلية في سوق العراق للأوراق المالية ، رسالة ماجستير، الكلية التقنية الادارية / بغداد، ٢٠١٥ .

٧- العبيدي ، يسرى عامر عبد الكريم ، تأثير إستراتيجيات الاستثمار والعوامل السلوكية في قرارات الاستثمار المالي، اطروحة دكتوراه ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، قسم ادارة الاعمال ، ٢٠١٥.

٨- مطر ، محمد" ادارة الاستثمارات " الاطار النظري و التطبيقات العملية ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان، ٢٠١٣.

ثانياً : المراجع الاجنبية :

١- Barberis , N,Shleifer,A. ,Vishny , R , (1998) , a model of investor sentiment , Journal of financial economic , 49 (3).

٢- Chandan, J. , (1995) ,Organizational Behavior, Kay printers Delhi .

٣- Chaudhary, Amar Kumar,(2013) , "Impact of Behavioral Finance in Investment Decisions and Strategies – A Frehe Approach, International Journal of Management Research and Business Strategy. Ranchi University – India.

٤- Dervishaj , Blerina ,(2018) , Psychological Biases, Main Factors of Financial Behaviour – A Literature Review , European Journal of Natural Sciences and Medicine , May-August , Volume 1, Issue 2.

٥- Evans , Denise L., & O. William Evans, JD , (2007) , The Complete Real Estate Encyclopedia , The McGraw-Hill Companies, Inc .

٦- Gangadhar, Rao M.,(, 1997), Organizational behavior, Delhi, Kinark Publishers.

٧- POMPIAN, MICHAEL M., (2006) , Behavioral Finance and Wealth Management , , New Jersey. Published simultaneously in Canada.

٨- Shefrin H. ,(2002) , beyond greed and fear understanding behavior and the psychology of investing .Harvard business school press , Boston Massa chusetts .

٩- Skinner , B.F,(2005) , science and human behavior sinner foundation , Cambridge.

١٠- Tversky,A.,&Kahneman,D.,(1974) , Judgment under uncertainty : Heuristics and basis . science , 185 (4157) .

دور الشمول المالي في تعزيز نمو الاقتصاد العراقي
دراسة تطبيقية لعينة من المصارف المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية

أ.د. سالم صلال الحسناوي
الباحثة لينا صلاح مهدي
كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة القادسية

المقدمة:

أصبح النمو الاقتصادي الهاجس الجديد للنهوض بالمجتمعات، اذ يعمد على ادخال تحسينات ملموسة في اساسيات الحياة، فكان مقصدا لجميع الحكومات ليكون مقصدا في غاية الأهمية للارتقاء بالمستويات المعيشية المتدنية، فمحاولتها الارتقاء بالنمو الاقتصادي ارتفاعا الى مستوى يرضى عنها المجتمع، من خلال الفرص الواسعة للانتقال بالسلوك الاجتماعي الى مرحلة جديدة تعنى بالالتزام بعدالة التوزيع.

وكان النمو الاقتصادي بحاجة الى بعث روح التنوع في حركة التفاعلات التجارية، عن طريق تنوع الأسواق وحركة الاقتصاد، فبرزت الحاجة الى الشمول المالي عبر تعميم خدمات المالية والمصرفية بكلف معقولة لأكبر عدد من الجمهور، سيما شرائح الدخل المنخفض، فكان لتوظيف النشاط التجاري المصرفي باعث الى تنشيط الفعاليات والخدمات والمهام ليشمل حسابات مصرفية، وإدخال الصراف الالي الى الخدمة، وإيجاد نقاط بيع، فضلا عن القروض وتوطين رواتب موظفي الدولة، والحوالات المالية على المستويين المحلي والخارجي الأثر الكبير في تحديث المنظومة الثقافية والسلوكية والاجتماعية لأفراد المجتمع العراقي، فكان لمجمل هذه التفاعلات الأثر الكبير في اختيار الباحثة لهذه المتغيرات لتكون عنونا للدراسة الحالية ، نظرا لأهميتها على المستوى القومي ومستوى المصارف عينة البحث نزولا الى مستوى افراد المجتمع.

وتضمنت الدراسة اربعة فصول، تمثل الاول فيها الاطار العام للبحث بمبحثين (المنهجية وبعض الدراسات السابقة)، فيما تناول الفصل الثاني الجانب النظري للبحث وبمبحثين (الشمول المالي كمبحث

اول، والثاني منها خصص للنمو الاقتصادي)، اما الفصل الثالث فيمثل الجانب العملي للبحث وبثلاث مباحث (وصف، تحليل، اختبار الفرضيات)، واختتم البحث بفصل رابع ليستعرض الاستنتاجات العملية في مبحثه الأول، وتناول في الثاني التوصيات.

المبحث الأول: منهجية الدراسة وبعض الدراسات السابقة:

أولا: منهجية الدراسة:

١. أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة الحالية من التعرف على دور الشمول المالي في تعزيز نمو الاقتصاد العراقي وبالتالي الوصول الى معرفة نوع ومقدار هذا الأثر ، اذ تسهم هذه المتغيرات وابعادها في نمو وتعزيز عجلة الاقتصاد العراقي ، فضلا عن وضع الضوابط التي تسهم في فعالية نقاط البيع، الصراف الالي، القروض وتقديم الخدمات لكافة فئات المجتمع ، الامر الذي يمكن المصارف عينة الدراسة من تمويل احتياجاتهم الاستثمارية والاستهلاكية وبحسب أهدافها وغاياتها التنافسية ، وقد تبين للباحثة من خلال اطلاعها على الدراسات السابقة ان التقدم في الشمول المالي ينعكس في تعزيز الاستقرار المالي ، ويساهم في النمو الاقتصادي والكفاءة المالية ، لذلك أصبحت دراسته ضرورة ملحة في البيئة الحالية ، اذ يعد الشمول المالي من الاهداف الواجب تطبيقها على المستوى المحلي بغية دعم الاقتصاد ، وصولا الى ازدهار المجتمع العراقي. فضلاً عن تعزيز دور الشمول المالي للمصارف عينة الدراسة من خلال تبني (نقاط البيع، الصراف الالي، القروض) في تعزيز نمو الاقتصاد العراقي.

٢. مشكلة الدراسة:

تجلت مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤل الرئيس للبحث (هل هناك أثر ذات دلالة احصائية للشمول المالي في تعزيز نمو الاقتصاد العراقي؟) لتتفرع عنه التساؤلات الآتية:

أ- هل هناك أثر ذات دلالة احصائية لنقاطع البيع على النمو الاقتصادي؟

ب- هل هناك أثر ذات دلالة احصائية للصراف الالي على النمو الاقتصادي؟

ت- هل هناك أثر ذات دلالة احصائية للقروض على النمو الاقتصادي؟

٣. أهداف الدراسة:

اهداف الدراسة الحالية لبلوغها من خلال الاتي:

١. توضيح مفهوم الشمول المالي والنمو الاقتصادي وأهميته للمصارف عينة الدراسة ومدى اسهامه في تحسين النشاط للقطاع المصرفي العراقي.
٢. التعريف بأهمية كل متغير من متغيرات الدراسة (الشمول المالي، النمو الاقتصادي) وابعادها وتأثير كل منها في عمل المصارف عينة الدراسة.
٣. تحليل دور المصارف المدرجة في السوق المالية العراقية والمتعاملة معها في تحقيق الشمول المالي للبيئة العراقية وقياس تأثير الشمول المالي في النمو الاقتصاد العراقي.
٤. دراسة مستوى التغير في ابعاد كل متغير من متغيرات الدراسة لفترة السلسلة الزمنية للبحث.
٥. الكشف عن التحديات والمعوقات التي تقف حائلا دون توسيع الشمول المالي في العراق واقتراح بعض التوصيات لتحسين فرص وصول الخدمات المالية والائتمانية في القطاع المصرفي الأهلي الخاص في العراق.

٤. فرضيات الدراسة:

تعد الفرضية تخمين اولي تفرضه الباحثة وتحاول اثباته من خلال الجانب التطبيقي للدراسة، ولغرض الاجابة وايجاد الحلول والمعالجات لمشكلة الدراسة وتساؤلاتها فقد صيغت الفرضيات الآتية:

الفرضية الرئيسة الاولى :

(هناك أثر ذات دلالة احصائية للشمول المالي على النمو الاقتصادي) وتتفرع الى الآتي :

١. هناك أثر ذات دلالة احصائية لنقاطع البيع على النمو الاقتصادي.
٢. هناك أثر ذات دلالة احصائية للصراف الالي على النمو الاقتصادي.
٣. هناك أثر ذات دلالة احصائية للقروض على النمو الاقتصادي.

٥. مجتمع وعينة الدراسة :

تمثل مجتمع الدراسة بالمصارف المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية، فيما تمثلت عينة الدراسة وكانت المصارف المدرجة (٣٥) مصرف.

٦. منهج الدراسة:

يعد المنهج المستعمل في البحث العملي انعكاساً لأفكار الباحثين، نتيجة لإدراك مشكلة الدراسة، والمحاولة في إيجاد الحلول المناسبة لتلك المشكلة وتساؤلاتها، تم الاعتماد المنهج التحليلي الوصفي للبيانات التي تم الحصول عليها من خلال السلسة الزمنية.

٧. أساليب جمع بيانات الدراسة:

أ. الجانب النظري:

المصادر العربية والأجنبية التي تناولت متغيرات الدراسة، وما توفر من معلومات في الشبكة العنكبوتية الدولية، وما تضمنته من بحوث ورسائل وأطاريح ومقالات عربية واجنبية، فضلاً عن سجلات وتقارير المصارف المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية من البنك المركزي العراقي وبشكل رسمي.

ب. الجانب العملي:

تم الاعتماد على بيانات البنك المركزي العراقي كونها المصدر الرئيس لجمع المعلومات والبيانات (الشمول المالي، النمو الاقتصادي)، لاستكمال مستلزمات جانب البحث العلمي للوصول للنتائج النهائية للبحث، فضلاً عن البيانات التي تم الحصول عليها من خلال عدة مقابلات مع بعض العاملين في البنك المركزي العراقي.

٨. حدود البحث:

١. الحدود المكانية: المصارف المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية وتمثلت في (٣٥) مصرف.

٢. الحدود الزمنية: بمدة ٦ سنوات تمثلت بالفترة (٢٠١١/١/١- ٢٠١٦/١٢/٣١).

٣. الحدود المعرفية: وتمثلت بالمتغيرات (الشمول المالي، النمو الاقتصادي).

٩. أدوات وأساليب وطرائق تحليل بيانات الدراسة:

من أجل قياس واختبار متغيرات فرضيات الدراسة، فقد تم الاستعانة بمجموعة من الأساليب الإحصائية تمثلت ببرنامج (SPSS.V23) الاحصائي الجاهز وبرنامج (Excel 2016) .

١٠. معوقات الدراسة:

لقد واجهت الباحثة في سعيها لإتمام الدراسة الحالية بعض المحددات، خاصة في ظل تنوع المصارف وامتدادها الجغرافي، فضلا عن صعوبة الحصول على المعلومات والبيانات الخاصة بمتغيرات البحث، تطلب منها السفر الى بغداد ومراجعة المصارف وسوق بغداد والبنك المركزي العراقي للحصول على تلك البيانات والمعلومات، فضلا عن التطبيق الحديث لبعض الخدمات افضى لعدم وجود بيانات عنها كبطاقات الائتمان وبطاقات الدفع والذكية، مما أدى الى عدم ظهورها بوحدة التحليل في الجانب العملي.

١١. المخطط الفرضي للدراسة:

يهدف المخطط الفرضي الى توضيح العلاقات المنطقية التي تفرضها الباحثة لمجموعة المتغيرات الرئيسة ومتغيراتها الفرعية ذات العلاقة بكل منها، وتمثلت متغيرات الدراسة بالأتية:

١- المتغير المستقل(التفسيري): الشمول المالي متمثلاً بـ(نقاط البيع، الصراف الالي، القروض)

٢- المتغير التابع (المستجيب): النمو الاقتصادي العراقي متمثلاً بـ(الناتج المحلي الاجمالي)

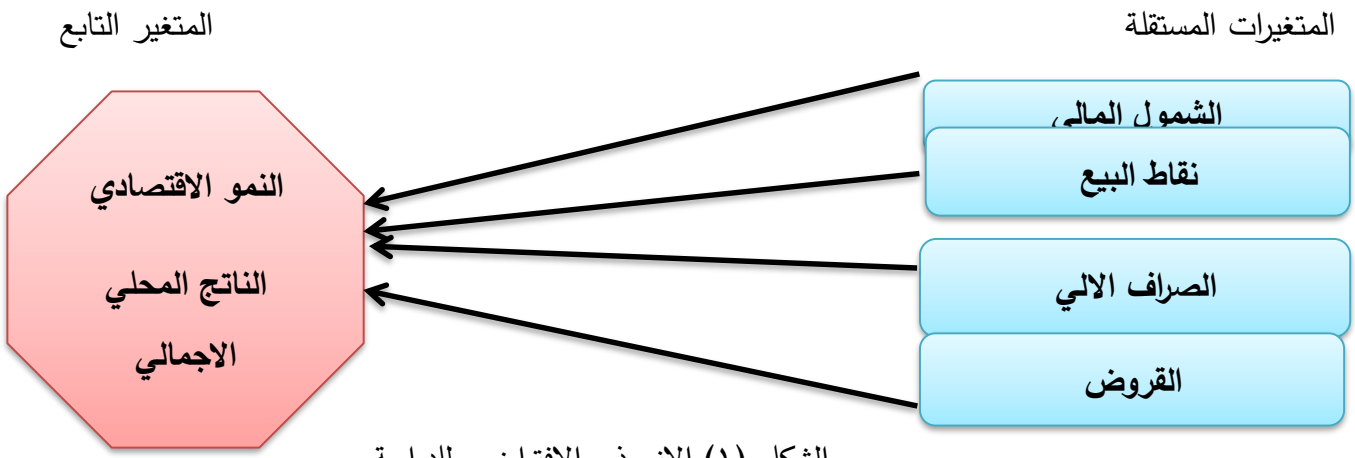

الشكل (١) الانموذج الافتراضي للدراسة

ثانياً: بعض الدراسات السابقة:

نظرت العديد من الدراسات البحثية في موضوع الشمول المالي. وكذلك هناك بعض الدراسات التي تهدف إلى فحص العلاقة بين الشمول المالي والنمو الاقتصادي من جوانب مختلفة، وبعض هذه الدراسات هي:

١. دراسة (الشمري،٢٠١٧): اثر اعتماد استراتيجية الشمول المالي في تعزيز الميزة التنافسية للمصارف، هدفت الدراسة الى تقديم اطار معرفي مفاهيمي عن استراتيجية الشمول المالي بأبعاده المختلفة وابعاد الميزة التنافسية للمصارف ،وكان مجتمع وعينة الدراسة بدراسة حالة البنك المركزي العراقي بـ(المديرون و المعاونون في تلك المؤسسة المالية الذين وزعت استمارة الاستبيان عليهم بواقع (٩٥) استمارة، واعتمد

المنهج الوصفي الاستطلاعي والتحليلي، وكان ابرز استنتاج يعد التسويق المصرفي الحديث أداة تحليلية مهمة في فهم النشاط المصرفي ومساعدة الموظفين في المصرف في رسم السياسات ومراقبة ومتابعة العمل المصرفي ، واوصت الدراسة زيادة الانفاق الاستثماري في مجال تكنلوجيا والاسراع في تنفيذ شبكة الاتصالات بين المركز الرئيس لكل مصرف وباقي فروعه لضمان سرعة تداول البيانات واجراء التسويات اللازمة والارتباط بالشبكات الالكترونية ما بين المصارف والبنوك العالمية لتقديم خدمات مصرفية متطورة ومتميزة.

٢. دراسة (ابو جامع وأبو دية، ٢٠١٦) : دور الاشتمال المالي في تحفيز الاقتصاد الفلسطيني، هدفت الدراسة بيان مفهوم الانتشار المصرفي والشمول المالي واهمية علاقتهما للاقتصاد الفلسطيني،وتمثل مجتمع وعينة الدراسة بمصارف فلسطين لفترة ٢٠٠٨-٢٠١٤ تمثلت بالخدمات المصرفية الالكترونية، اعتمد المنهج الوصفي التحليلي ، فضلا عن استعمال المنهج القياسي الكمي لاختبار الفرضيات وبناء انموذج الانحدار البسيط، وكان ابرز استنتاج يؤثر تطوير اعداد المصارف العاملة في فلسطين وفروعها بشكل ايجابي على نسبة الافراد الذين لديهم حساب في احد المصارف ، اذ ارتفعت هذه النسبة واصبحت مقارنة للنسبة في شريحة الدول منخفضة الدخل حسب تصنيف البنك الدولي وهذا دلالة على دخول فئات جديدة الى القطاع المالي الرسمي، واوصت الدراسة بإدخال تحسينات في البنية التحتية الريفية مثل توفير الكهرباء ، تعبيد الطرق ، انشاء شبكات اتصال السلكية واللاسلكية وهذا من شأنه يزيد الطلب على الخدمات المصرفية والمالية ويزيد من معدل الوساطة المالية.

٣. دراسة (Zanid etoc.، ٢٠١٣) :تأثير المدفوعات الإلكترونية على النمو الاقتصادي، هدفت الدراسة الى زيادة استعمال البطاقات المصرفية على غرار الاستهلاك الخاص الحقيقي، والإنفاق باستعمال البطاقات حصة من إجمالي الإنفاق الاستهلاكي، وتمثل مجتمع وعينة الدراسة ب(٥٦) دولة على مدى خمس سنوات واجريت المقارنة بينهما ، اعتمد المنهج القياسي الكمي، وكان ابرز استنتاج وجود علاقة إيجابية بين البطاقة المصرفية والنمو الاقتصادي وبالتالي تدعم الدراسة السياسات التي تشجع استعمال

البطاقات، اوصت الدراسة باستعمال البطاقة مما يجعل الاقتصاد أكثر كفاءة، وأسفر عن دفعة قوية للنمو الاقتصادي عاما بعد عام من خلال العديد من العوامل، بما في ذلك المعاملات الكفاءات، وصول المستهلك إلى الائتمان ، وثقة المستهلك في نظام الدفع بصورة شاملة.

٤ دراسة (Dudin، ٢٠١٧): الشمول المالي كاستراتيجية للاهتمام بالنمو الاقتصادي والتنمية، هدفت الدراسة الى دراسة تأثير الشمول المالي على النمو الاقتصادي في نيجيريا، وتمثل مجتمع وعينة الدراسة بنيجيريا وكانت العينة (٨) مصارف ، اعتمد المنهج التحليلي والقياس الكمي واستعمال تقنية الانحدار المربع الأدنى العادية ، وكان ابرز استنتاج ان الائتمان لنسبة القطاع الخاص إلى الناتج المحلي الإجمالي لها تأثير سلبي كبير على النمو الاقتصادي، اوصت الدراسة لا ينبغي تعميق جهود الشمول المالي من خلال تعزيز تقديم الائتمان إلى القطاع الخاص فحسب ، ولكن ينبغي تعزيز الإطار التنظيمي من أجل ضمان تخصيص الموارد واستعمالها بكفاءة وفعالية.

المبحث الثاني: الجانب النظري للدراسة (الشمول المالي):

١. نشأة وتطور الشمول المالي :

سعت بعض الدول في عام (٢٠٠٣) لتنفيذ استراتيجيات الشمول المالي، فكانت اول هذه الدول (ماليزيا، المملكة المتحدة)، اذ قامت بتنفيذ استراتيجيات جديدة ومبتكره لتطوير الشمول المالي في العالم والعمل على افادة أكثر عدد من فئات المجتمع، كما تسعى العديد من الدول في الالفية الثالثة الى تطوير الشمول المالي، اذ ظهرت أهميته بعد انتهاء الازمة المالية العالمية (Chakrabarty,2011:3). فزاد الاهتمام الدولي بالشمول المالي في عام (٢٠٠٨) بشكل مضطرد عبر سياسات منفذه تستهدف وصول جميع الفئات في المجتمع الى الخدمات المالية واستعمالها والإفادة منها، اذ تمكنها من العمل بصورة صحيحة عبر حث مزودي الخدمات المالية على توفير خدمة منوعة وبكلفة منخفضة (الامين، ٢٠١٧: ٣٠).

وقد اصبح تعميم الخدمات المالية وسهولة وصولها الى كافة فئات المجتمع ركيزة اساسية عدها البنك الدولي من أجل محاربة الفقر، فأطلق البنك الدولي في عام (٢٠١٣) مجموعة من البرامج العالمية للإفادة

من الابتكارات وتقديم الخدمات المالية والتركيز على مدفوعات التجزئة المبتكرة ونظام الدفع ، فاتسع مفهوم الشمول المالي بمرور الزمن ، كونه نظام مالي كامل يخدم السكان الفقراء ومنخفضي الدخل، فهو نظام مالي جديد أكثر طموحاً وتطويراً ، فقد لفت انتباه الحكومات، والمؤسسات المالية الدولية، وهيئات العمل الخيري، والجهات المصرفية الرئيسة النجاح الذي حققه ، فعملت على تطبيق الشمول المالي (عبدالله ،٢٠١٦: ١٥).

٢. مفهوم الشمول المالي:

يعد الشمول المالي هدفاً تنموياً تسعى جميع الدول نحو تحقيقه لأهميته الواسعة في تحقيق الاستقرار المالي، فمازالت نسب الشمول المالي في بعض الدول متدنية او دون الطموح الامر الذي استدعى العمل لتعزيز الشمول المالي وتوسعه، اذ توفر ابتكارات حديثة وذات كلف منخفضة لإيصال الخدمات المصرفية لكافة فئات المجتمع. ولقد تناوله الباحثون بشيء من الاهتمام، عبر ايجاد مساحة نظرية افضت الى وضع مفاهيم مختلفة، ويوضح الجدول (١) أبرز هذه المفاهيم.

الجدول (١) يوضح مفهوم الشمول المالي وفقاً لآراء الكتاب والباحثين

ت	اسم الباحث	المفهوم
أ-	(Gatnar,2013:2)	حالة يستطيع فيها جميع الاشخاص الوصول إلى مجموعة كاملة من الخدمات المالية عالية الجودة ، المقدمة بأسعار معقولة ، وبطريقة مناسبة ، وبكرامة للزبائن.
ب-	(Hameedu,2014:188)	عملية تسهيل الحصول على الخدمات المالية الى جميع فئات المجتمع من خلال البنوك والمؤسسات الاخرى والمكاتب.
ت-	(كمال الدين،٢٠١٥: ١١)	تعزيز وصول واستعمال كل فئات المجتمع التي

		تتضمن فئة مهشمة وميسورة للمنتجات المالية والخدمات بشكل يناسب مع احتياجهم وتكون بقيمة منخفضة.
ث-	(الشمري ،٢٠١٦: ٢٩٤)	إتاحة كافة المنتجات والخدمات المالية والمصرفية بتكاليف معقولة لأكبر عدد من المجتمعات، والمؤسسات وأفراد المجتمع ذات الدخل المنخفض.
ج-	(عبد النبي ،٢٠١٨: ٢)	وصول الخدمات المالية والمصرفية المتاحة الى أكبر عدد من الافراد وقطاع الاعمال بتكاليف مناسبة وبشكل عادل وشفاف بما يشارك في استدامة التنمية.

٣. أهداف الشمول المالي:

تسعى المصارف الى تحقيق مجموعة من الاهداف من خلال اتباع الشمول المالي، فالشمول المالي لا يتحقق من دون ثقافة، فالزبون الواعي يعد أكثر ادراكاً للمخاطر والمكاسب المرتبطة بالمنتجات المالية وأكثر وعي لحقوقه وواجباته، ومن أبرز هذه الاهداف (Helms,2006: 5) ، (الشمري ،٢٠١٧: ٣٠):

أ- تعزيز وصول كافة فئات المجتمع الى الخدمات المالية ومعرفة الافراد بأهمية هذه الخدمات وكيفية الحصول ومدى الافادة منها.

ب- تحسين الظروف المعيشية للأفراد وخاصة الفقراء والعمل على تقليل مستويات الفقر وتحقيق الرخاء والرفاهية من خلال بعث روح النشاط والحصول على فرص تنمية اقتصادية والعمل على تحسين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية.

ت- سهولة الوصول الى مصادر التمويل، ودعم الشركات الصغيرة وجعلها تتوسع في عملها وتحقيق الاستثمار المقبول.

ث- تعزيز النمو الاقتصادي من خلال اقامة مشروعات عمل حرة.

ج- تشجيع الافراد على الادخار واستثمار الاموال بطرائق استعمال مثالية كأعداد برامج، تعزيز ثقافة، التنافس.

٤. محددات توسع الشمول المالي:

مازالت هناك تحديات كبيرة تواجهها عمليات الشمول المالي، يمكن التعرف عليها (القاضي،٢٠١٥: ١٤) (بنهاز ،٢٠١٧: ٣١):

أ- هناك عدد كبير من الفئات لا تتعامل مع المصارف في بعض الحالات بسبب عدم جود سياسات صحيحة خاصة بالمصارف وغياب اللوائح التنظيمية الفعالة.

ب- يتم تقديم الائتمان في اغلب الاحيان الى أشخاص غير مؤهلين للحصول عليه، اذ تظهر التقارير من تعزيز الائتمان دون مراعاة التكلفة يؤدي في الواقع الى عدم الاستقرار المالي والاقتصادي.

ت- التحديات التي تواجه البلدان المنخفضة الدخل والتي تظهر في تحليل قاعدة بيانات مؤشر الشمول المالي العالمي للبنك الدولي، اذ تضمن التقرير ان (٣٠%) من البالغين في هذه البلدان قاموا بعمليات ادخارية في عام ٢٠١١مقارنة مع (٥٨%) في البلدان المرتفعة الدخل، واستعمل (١١%) من البالغين حساب مصرفي للادخار مقارنة مع (٤٥%) في البلدان المرتفعة الدخل.

ث- الخدمات المالية تكون بعيدة عن تناول الكثير من الاشخاص لان مواطن النقص والقصور في الاسواق والحكومات رفعت تكاليف هذه الخدمات الى مستويات تجعل من الصعب الحصول عليها، وفي حالات كثيرة فان الخدمات تكون غير متاحة بسبب العقبات التنظيمية والقانونية.

ج- انخفاض الانظمة المالية والمصرفية التي لا تستطيع مواكبة التقنيات والتطورات التكنلوجيا.

ح- التحديات في مساهمة القطاع المصرفي في مجال المسؤولية المجتمعية.

٥. سياسات الشمول المالي:

يتفق بعض الكتاب والباحثين (يوسف ،٢٠١٢: ٣٢)، (Hanning&Jensen,2010:259) على عددا من السياسات الخاصة بالشمول المالي والتي يمكن ان تبرز من خلال الاتي :

أ. الوكالة المصرفية: تعد الوكالة المصرفية عقد يلتزم بمقتضاه الوكيل بأن يقوم بعمل قانوني لحساب الموكل، فقد أثبتت سياسات تعاقد المصارف مع نقاط البيع بالتجزئة غير المصرفية كوكلاء للخدمات المالية نجاحاً كبيراً في تحسين عجلة الشمول المالي، فليست فروع المصارف لوحدها مجدية اقتصادياً، فالتعاون بين المصارف والوكلاء أصبح ممكناً، كما تلعب التكنلوجيا دور في خفض التكاليف ومخاطر معلومات الصرف من خلال اجراء التحويلات المالية، الى جانب ذلك فتح حسابات بسيطة وغيرها من الحوافز.

ب. تنويع مقدمي الخدمات: اعتمد صناع القرار استراتيجيات تنظيمية ورقابية مختلفة لإدارة مخاطر تراخيص مجموعة واسعة من المؤسسات التي تقدم الخدمات الائتمانية ولإيداعية، اذ تكون هذه الاستراتيجيات متلائمة مع الانظمة المصرفية الخاصة بعملية التمويل الاصغر وتتضمن: (تراخيص متخصصة للمؤسسات العاملة في مجال الايداع الصغير، والتراخيص المصرفية للتحويلات لمنظمات غير حكومية، وتراخيص المؤسسات المالية الغير مصرفية).

ت. الدفع عبر وسائل الاتصال (الهاتف المحمول): يفتح انتشار الهواتف النقالة افاق جديدة لتوصيل الخدمات المالية للفقراء ، اذ قلل هذا التطور بشكل كبير كلف المعاملات المالية ، فضلاً عن التحويلات المالية أصبحت أكثر سهولة ، اذ يتم وصولها بنفس الوقت ، اذ تعمل على توسيع نطاق نقاط الوصول وتقليل الحاجة لحمل النقود بسبب وجود النقود الالكترونية ، فعملت على جذب الزبائن غير المتعاملين مع المصارف سابقا وعلى الرغم من الاستعمال الواسع والنمو في استعمال القنوات الالكترونية إلا أنه لا تزال هناك ضرورة لتقوم المصارف بالمزيد من حملات التوعية حول كيفية استعمال ومزايا القنوات المصرفية الإلكترونية وتشجيع الزبائن على استعمالها لما تحققه من إضافة قيمة حقيقية للقطاع المصرفي بشكل

عام ، اذ وجد ان نسبة(٨٦%)من المعاملات المصرفية تتم عن طريق القنوات الإلكترونية، في حين إن نسبة نمو استعمال الخدمات المصرفية عبر الموبايل تتجاوز (١٠٠%).

ث. حماية المستهلك: اصبح الاهتمام المتزايد بحماية المستهلك من اولويات الشمول المالي وتعميم الخدمات المالية، اذ تعزى نشأته استجابة للضغوط المتأتية من سياسات وسائل الأعلام او جمعيات حماية المستهلك، التي أصبحت مهتمة بتنظيم حماية الزبون المالي من اهتمامات صانعي السياسات والجهات التنظيمية بشأن العلاقة بين المؤسسات المالية وزبائنها، وقد تستند الاهتمامات الى المشكلات القائمة الناتجة عن ممارسات السوق أو الرغبة في تجنب المشكلات المستقبلية (سيجاب ،٢٠١٣: ٢) .

٦. مخاطر الشمول المالي:

للشمول المالي مخاطر متنوعة تواجهها المصارف، عبر حزمة من المخاطر تتجسد بالآتي:(خليل ،٢٠١٦: ٤٤)

أ- عدم وجود البنية التحتية الضرورية للعمل على توسيع الشمول المالي.

ب- عدم الاستعداد بالشكل اللازم والصحيح للبيئة التنظيمية والرقابة المواتية والقانونية.

ت- وجود مخاطر اخرى متعلقة بالمصارف والتي تتمثل بإمكانية تخلي البعض منها عن جزء من معايير منح الائتمان، والذي يؤدي جراء ذلك الى زيادة حدة المخاطر الائتمانية المتوفرة، اضافة الى ذلك اختلاف في خصائص بعض الزبائن المستبعدين عن الزبائن الحالين من الخدمات المالية المتوفرة في المصارف.

ث- المخاطر في تحديد هوية الزبائن، كالامتثال للضوابط يزيد من تكاليف الخدمة، عدم معرفة صورة الزبائن أو الموقع.

٧. وسائل الدفع:

وتتمثل وسائل الدفع بالبطاقة البلاستكية كأداة من ادوات الائتمان، ووسيلة من وسائل الدفع من جانب الزبون بشكل سريع، فهي بطاقة من البلاستيك، تحتوي معلومات محددة كأسم الزبون، ورقم حسابه، ويتمتع الزبون بخدمات العديد من المحلات التجارية المتفقة مع المصرف على قبول منح الائتمان لحامل

هذه البطاقة، وتشمل البطاقات انواع مختلفة منها ما يصدر عن المصارف او عن المحلات التجارية، يمكن التعرف عليها من خلال الآتي (السنهوري ،٢٠١٣: ٢٣٠) :

أ. نقاط البيع:

تكون نقاط البيع على اتصال الكتروني بالمصرف الذي يعطي الموافقة على صحة البطاقة المستعملة وعلى امكانية سحب المبلغ المطلوب، وتتم المحاسبة بين نقاط البيع والمصرف نقداً او حسابياً من خلال فاتورة الحساب التي تصدرها الاجهزة المعتمدة لدى نقاط البيع التي تحتوي على كافة التفاصيل المتعلقة برقم حساب الزبون والمبلغ المسحوب وتاريخه ووقته ورقم العملية ورقم الالة (شافي ،٢٠٠٧: ٧٢).

كما تعد نقاط البيع بأنها الآلات التي تنتشر لدى المؤسسات التجارية والخدمية بمختلف انواعها ويمكن للزبون استعمال البطاقات البلاستكية او الذكية للقيام بأداء المدفوعات من خلال الخصم من حسابه الكترونياً بتمرير هذه البطاقة داخل الآلات المتصلة الكترونياً بحسب المصرف (الشمري والعبدلات، ٢٠٠٨ : ٣٠).

ب. الصراف الآلي:

يسمح هذا النظام للزبون باستعمال بطاقة مصرفية الكترونية معينة للحصول على مبالغ نقدية، او كشف حساب من الة الصراف الالي المرتبطة بالمصرف والمنتشرة خارجه، ولاقت خدمات الصراف الآلي اقبالاً مكثفاً من الزبائن على اختلاف فئاتهم، اذ يمكن للزبون الافادة من خدمات عديدة بمجرد حصوله على بطاقة الصراف الآلي المجانية ذات الرقم السري، منها خدمات السحب والايداع النقدي من الحساب وطلب دفتر شيكات لحسابه الجاري (عبد الخالق، ٢٠١٠: ١٠١).

يعد الصراف الآلي على انه تقنية تعتمد على آلة مصرفية تقوم بالسحب والتحويل والايداع المالي، بنظام ذو درجة امنية عالية محققاً مبادئ الانظمة الانية ويرتبط بشبكة بنكية حاسوبية بطريقة تحفظ حق أطراف العملية المصرفية (ابراهيم، ٢٠١٧: ٦).

ت. القروض:

تعد القروض المورد الاساس الذي يعتمد عليه المصرف للحصول على ايرادات، اذ تمثل نسبة القروض في ميزانيات المصارف التجارية التي تؤدي الى ارتفاع الفوائد والعمولات التي تعد كمصدر للإيرادات وتمكن من دفع الفائدة المستحقة للمودعين وتدبير قدر من الارباح مع الاحتفاظ بجزء من السيولة لاحتياطيات السحب (شماتة ،٢٠٠٦ :٢٣)، كما يعد منح القروض اتاحة الائتمان للنشاط التجاري الرئيس للمصرف التجاري، ويتحقق القرض بمختلف الانواع عائد أكبر من انواع التوظيف، في نفس الوقت تمثل مخاطر كبيرة عند الاقتراض (عقيل ،٢٠٠٠: ٢٥٦).

المبحث الثالث: اختبار فرضيات الدراسة:

الفرضية الرئيسة الاولى:

(هناك أثر ذات دلالة إحصائية للشمول المالي على النمو الاقتصادي)، ولغرض التحقق من صحة الفرضية من عدمها تم تنفيذ نماذج الانحدار البسيط وكالآتي :

يوضح الجدول (٢)، علاقة المتغير المستقل (الشمول المالي) في المتغير المعتمد (النمو الاقتصادي المتمثل بالناتج المحلي الاجمالي)، ويوضح الجدول (٢) ان علاقة الارتباط بين متغير الدراسة (الشمول المالي) مع المتغير التابع النمو الاقتصادي المتمثل بالناتج المحلي الاجمالي هي علاقة سالبة ، اذ بلغت R (٠,٣٦٩) ، وكما يوضح الجدول (٢) ان معامل الانحدار (١١,٩١٠) ويبين ان التغير في وحدة واحدة في المتغير المستقل (الشمول المالي) يؤدي الى مقدار يساوي (١١,٩١٠) في المتغير التابع (النمو الاقتصادي المتمثل بالناتج المحلي الاجمالي، كما يوضح الجدول (١٨) ان معامل التحديد R^2، قد بلغ (٠,١٣٧) وهذا يبين ان المتغير المستقل يفسر ما مقدار (٠,١٣٧) من التغيرات الحاصلة في المتغير التابع ، وان هناك مقدار (٨٧ %) تفسره عوامل اخرى خارج عن الدراسة ، اما بالنسبة الى ايضاح أثر المتغير المستقل على التابع فيوضحه اختبار t ، اذ بلغ مقدار (٠,٧٩٥) وبدلالة معنوية (٠,٤٧١) مما يدل على عدم وجود أثر ذات دلالة احصائية للمتغير المستقل التفرع المصرفي على النمو الاقتصادي

وهذا لا يطابق صحة اختبار الفرضية ، ومما يؤكد ذلك ان اختبار F كانت بمقدار (٣,٨٤١) وبدلالة معنوية (٠,٦٣٢) ، مما يبين عدم صحة النموذج الاحصائي لتحليل الفرضية.

الجدول ٢ معادلة انحدار للشمول المالي على النمو الاقتصادي

Fالمحسوبة للأنموذج	Sig	T	R^2	R	B
0.632	0.471	0.795	0.137	0.369	11.910

١. الفرضية الفرعية الاولى :

(هناك أثر ذات دلالة احصائية لنقاط البيع على النمو الاقتصادي)، ولغرض التحقق من صحة الفرضية من عدمها تم تنفيذ نماذج الانحدار البسيط وكالآتي :

ويوضح الجدول (٣) ان علاقة الارتباط بين متغير الدراسة (نقاط البيع كمؤشر من مؤشرات الشمول المالي) مع المتغير التابع النمو الاقتصادي المتمثل بالناتج المحلي الاجمالي هي علاقة سالبة ، اذ بلغت R (٠,٣٣٣) ، وكما يوضح الجدول (٣) ان معامل الانحدار (٩٣٢٥٨٤-) يبين ان التغير في وحدة واحدة في المتغير المستقل (نقاط البيع) يؤدي الى مقدار يساوي (٩٣٢٥٨٤-) في المتغير التابع (النمو الاقتصادي المتمثل بالناتج المحلي الاجمالي، كما يوضح الجدول (٣) ان معامل التحديد R^2، اذ

بلغ (٠,١١١) وهذا يبين ان المتغير المستقل يفسر ما مقدار (٠,١١١) من التغيرات الحاصلة في المتغير التابع ، وان هناك مقدار (٨٩%) تفسره عوامل اخرى خارج عن الدراسة ، اما بالنسبة الى ايضاح أثر المتغير المستقل على التابع فيوضحه اختبار t ، اذ بلغ مقدار(٠,٧٠٧-) وبدلالة معنوية (٠,٥١٩) مما يدل على عدم وجود أثر ذات دلالة احصائية للمتغير المستقل على النمو الاقتصادي وهذا لا يطابق صحة اختبار الفرضية ، ومما يؤكد ذلك ان اختبار F كانت بمقدار (٠,٥٠٠) وبدلالة معنوية (٣,٨٤١) ، مما يبين عدم صحة النموذج الاحصائي لتحليل الفرضية.

الجدول (٣) معادلة الانحدار لنقاط البيع على النمو الاقتصادي

F المحسوبة للأنموذج	Sig	T	R^2	R	B
-0.500	0.519	-0.707	0.111	0.333	-932584

٢. الفرضية الفرعية الثانية :

(هناك أثر ذات دلالة احصائية لصراف الالي على النمو الاقتصادي)، ولغرض التحقق من صحة الفرضية من عدمها تم تنفيذ نماذج الانحدار البسيط وكالآتي :

ويوضح الجدول (٤) ان علاقة الارتباط بين متغير الدراسة (الصراف الالي كمؤشر من مؤشرات الشمول المالي) مع المتغير التابع النمو الاقتصادي المتمثل بالناتج المحلي الاجمالي هي علاقة سالبة ،

اذ بلغت R (٠,٤٤٢)، وكما يوضح الجدول (٤) ان معامل الانحدار (١٠٢٠١٢-) يبين ان التغير في وحدة واحدة في المتغير المستقل (الصراف الالي) يؤدي الى مقدار يساوي (١٠٢٠١٢-) في المتغير التابع (النمو الاقتصادي المتمثل بالناتج المحلي الاجمالي، كما يوضح الجدول (٤) ان معامل التحديد R^2، قد بلغ (٠,١٩٥) وهذا يبين ان المتغير المستقل يفسر ما مقدار (٠,١٩٥) من التغيرات الحاصلة في المتغير التابع ، وان هناك مقدار (٨١%) تفسره عوامل اخرى خارج عن الدراسة ، اما بالنسبة الى ايضاح أثر المتغير المستقل على التابع فيوضحه اختبار t ، اذ بلغ مقدار(٠,٩٨٤-) وبدلالة معنوية (٠,٣٨١) مما يدل على عدم وجود أثر ذات دلالة احصائية للمتغير المستقل على النمو الاقتصادي وهذا لا يطابق صحة اختبار الفرضية ، ومما يؤكد ذلك ان اختبار F كانت بمقدار (٠,٩٦٩) وبدلالة معنوية (٣,٨٤١) ، مما يبين عدم صحة النموذج الاحصائي لتحليل الفرضية

الجدول (٤) معادلة الانحدار للصراف الالي على النمو الاقتصادي

Fالمحسوبة للأنموذج	Sig	T	R^2	R	B
0.969	0.381	-0.984	0.195	0.442	-102012

٣. الفرضية الفرعية الثالثة:

(هناك أثر ذات دلالة احصائية للقروض على النمو الاقتصادي)، ولغرض التحقق من صحة الفرضية من عدمها تم تنفيذ نماذج الانحدار البسيط وكالآتي:

ويوضح الجدول(٥) ان علاقة الارتباط بين متغير الدراسة (القروض كمؤشر من مؤشرات الشمول المالي) مع المتغير التابع النمو الاقتصادي المتمثل بالناتج المحلي الاجمالي هي علاقة سالبة ، اذ بلغتR (٠,٣٦٩) ، وكما يوضح الجدول (٥) ان معامل الانحدار(٣,٩٧٠) يبين ان التغير في وحدة واحدة في المتغير المستقل (القروض) يؤدي الى مقدار يساوي(٣,٩٧٠) في المتغير التابع (النمو الاقتصادي المتمثل بالناتج المحلي الاجمالي، كما يوضح الجدول (٥) ان معامل التحديد R^2، قد بلغ (٠,١٣٧) وهذا يبين ان المتغير المستقل يفسر ما مقدار (٠,١٣٧) من التغيرات الحاصلة في المتغير التابع ، وان هناك مقدار (٨٧٪) تفسره عوامل اخرى خارج عن الدراسة ، اما بالنسبة الى ايضاح أثر المتغير المستقل على التابع فيوضحه اختبار t ، اذ بلغ مقدار(٠,٧٩٥) وبدلالة معنوية (٠,٤٧١) مما يدل على عدم وجود أثر ذات دلالة احصائية للمتغير المستقل على النمو الاقتصادي وهذا لا يطابق صحة اختبار الفرضية ، ومما يؤكد ذلك ان اختبار F كانت بمقدار (٠,٦٣٢) وبدلالة معنوية (٣,٨٤١) ، مما يبين عدم صحة النموذج الاحصائي لتحليل الفرضية.

الجدول (٥) معادلة الانحدار للقروض في النمو الاقتصادي

F المحسوبة للأنموذج	Sig	T	R^2	R	B
0.632	0.471	0.795	0.137	0.369	3.970

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات:

اولاً : الاستنتاجات:

١. تمتلك المصارف عينة الدراسة الشمول المالي وتعمل على تقديم خدمات مالية ومصرفية بتكاليف معقولة من خلال، انتشار الصراف الالي ونقاط البيع، فضلاً عن زيادة في حجم القروض وتوطين رواتب موظفي الدولة والتحويلات المالية، اذ شهدت انحدار في اجمالي نقاط البيع عن سنة الاساس وتذبذب في اجمالي الصراف الالي وحجم القروض.

٢. ان نسبة الشمول المالي ماتزال دون الطموح في ظل المقارنة مع النسب العالمية أو مع الدول العربية ، وعدد حسابات القروض الى عدد السكان البالغين مما يشير الى لجوء افراد المجتمع الى عدم الاقتراض من المصارف بسبب ارتفاع نسبة الفائدة .

٣. لم يظهر النمو الاقتصادي أي تأثير في الشمول المالي، مما يدل على وجود عناصر وابعاد اخرى لم تدخل في أنموذج البحث المختبر.

ثانياً: التوصيات:

١. يتحتم على المصارف عينة الدراسة الاهتمام بالشمول المالي من خلال الاهتمام بفتح حسابات مصرفية وايلاء الاهتمام بالصراف الالي والعمل على زيادة نقاط البيع كونها أحد الأدوات الرئيسة التي تعكس التطبيق الجيد للشمول المالي.

٢. ضرورة الاهتمام بالشمول المالي لمصارف عينة الدراسة من خلال:

أ- زيادة عدد القروض من شأنه ان يزيد العائد على الاستثمار من خلال سعر الفائدة على القروض وبما يتناسب مع توجهات المصارف في تعزيز النمو الاقتصادي.

ب. تقليل من نقاط البيع من شأنه دفع الزبائن الى الاتصال بالمصارف بشكل مباشر والاطلاع على الخدمات المصرفية، فضلا عن بناء علاقات عامة معها.

٣. ينبغي على المصارف عينة الدراسة الاهتمام بالشمول المالي عن طريق صياغة استراتيجيات وسياسات وتوجهات تستهدف من خلال تقديم قروض مصرفية بأسعار فائدة مقبولة، فضلاً عن تقديم الخدمات المصرفية الأخرى التي تحاكي التطور المصرفي في الدول المجاورة والعالمية.

المراجع:

اولاً : المراجع العربية:

١. ابراهيم ، بدر الدين عبد الرحيم ، (٢٠١٧) ، " دور المعلومات والتكنلوجيا المرتبطة بها في انشطة التمويل الاصغر " ، بحث منشور في مجلة المصرفي ، العدد (٨٥) ، السودان .

٢. ابو جامع ، حسن نسيم وابو ديه، ماجد محمود، (٢٠١٦) ، " دور الاشتمال المالي في تحفيز الاقتصاد الفلسطيني " ، مجلة الحكمة للدراسات الاقتصادية – مؤسسة كنوز للنشر والتوزيع ، العدد (٧)، دار المنظومة ، عمان .

٣. الامين ، مجدي ، (٢٠١٧) ، "دور التقنية المصرفية في نشر الشمول المالي – دراسة تطبقيه ولاية الجزيرة " ، رسالة ماجستير ، جامعة السودان ، السودان .

٤. بنهاز ، داغي علي القرة ، (٢٠١٧) ، " الشمول المالي : دولة قطر انموذجاً " ، مجلة الإدارة والقيادة الإسلامية – الهيئة العالمية للتسويق الإسلامي ، المجلد (٢) ، العدد (١)، دار المنظومة ، عمان .

٥. خليل ، أحمد فؤاد ، (٢٠١٦) ، " أليات الشمول المالي نحو الوصول للخدمات المالية " ، بحث منشور في مجلة اتحاد المصارف العربية ، العدد (٤٢٢) .

٦. السنهوري ، محمد مصطفى ، (٢٠١٣) ، " ادارة البنوك التجارية " ، دار الفكر الجامعي للنشر والتوزيع ، الاسكندرية .

٧. سيجاب ، (٢٠١٣) ، " الترابط بين محاور اطار الشمول المالي المتكامل " ،I-SIP، المنتدى العربي للسياسات ابو ظبي .

٨. شافي ، نادر عبد العزيز ، (٢٠٠٧) ، " المصارف والنقود الالكترونية " ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان .

٩. شماتة ، عبد الرزاق ، (٢٠٠٦) ، " محاسبة المنشآت المالية (البنوك التجارية)" ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان .

١٠. الشمري ، صادق راشد ، (٢٠١٦) ، " التكنلوجيا المتقدمة ودورها في تحقيق الشمول المالي"، منتدى الشمول المالي التوجه الاستراتيجي للاستقرار المالي والاجتماعي ، عمان ، المملكة الاردنية

١١. الشمري ، صادق راشد ، (٢٠١٧) ، " أثر اعتماد استراتيجية الشمول المالي في تعزيز الميزة التنافسية للمصارف (دراسة حالة البنك المركزي العراقي وعينة من المصارف العراقية الخاصة) " ، رسالة ماجستير في الادارة المالية ، الجامعة الاسلامية في لبنان ، لبنان .

١٢. الشمري ، ناظم نوري والعبدلات ، عبدالفتاح زهير ، (٢٠٠٨) ، " الصيرفة الالكترونية الادوات والتطبيقات ومعيقات التوسع " ، دار وائل للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، عمان.

١٣. عبد الخالق ، أحمد ، (٢٠١٠) ، " الإدارة المالية والمصرفية " ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، عمان .

١٤. عبد الله ، سمير ، (٢٠١٦) ، " الشمول المالي في فلسطين " ، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني ، القدس ورام الله ، دار المنظومة ، عمان.

١٥. عبد النبي ، وليد عيدي ، (٢٠١٨) ، " الشمول المالي ودوره في تحقيق التطور المصرفي وتنمية الاقتصاد العراقي " ، بحث منشور في البنك المركزي العراقي .

١٦. عقيل ، جاسم عبدالله ، (٢٠٠٠) ، " النقود والمصارف " ، دار الجامعية المفتوحة للنشر والتوزيع ، ليبيا .

١٧. القاضي ، عبدالله ابراهيم، (٢٠١٥) مجلة الدراسات المالية والمصرفية ، الاكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية، العدد (٣) ، الاردن .

١٨. كمال الدين ، الياس ، (٢٠١٥) ، " مفهوم الاشتمال المالي واهدافه " ،مجلة الدراسات المالية والمصرفية – الاكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية ، المجلد (٢٣) ، العدد (٣) ، دار المنظومة ، عمان .

١٩. يوسف ، حسن يوسف ، (٢٠١٢) ، " البنوك الالكترونية " ، المركز القومي للإصدارات القانونية ، القاهرة ، مصر .

ثانياً : المراجع الاجنبية :

١. A. Hanning, &S. Jansen, (2010) ," Financial inclusion and Financial stability : current policy issues " , article, p(105) , p(259) .

٢. Chakrabarty , (2011) , " financial inclusion and banks– issues and perspectivies " , article, p (3)

٣. Dudin ,Mihail, (2017) ," financial inclusion as a strategy for enhanced economic growth and development ", article , p(11)

٤. Gatanar ,(2013) , " Financial inclusion indicators in Poland " , article, p(2) .

٥. Hameeda m. shahul , (2014) ," financial inclusion – Issues in measurement and Analysis ,international journal of current research and academic review " , article, p(188) .

٦. Helms, Brigit, (2006) ," access for all : Building inclusive finance systems washing ton ,D.C, world Bank " , article p(5) .

٧. Zandi, Mark, Singh, Virenda , Irving, Justin, (2013) ," The Impact of Electronic Payments on Economic Growth " , article, p(10).

الجاهزية الاستراتيجية ودورها في مكافحة الإرهاب المحلي

أ.د. يوسف حجيم الطائي

الباحث حيدر محسن سلمان

المقدمة Introduction:

تركز فلسفة الجاهزية الاستراتيجية على كيفية ادارة الاصول الفكرية التي تستند على المعرفة الفكرية والمفاهيمية لتحديد الاصول غير الملموسة لتحقيق التفوق والتنافس في المجال الامني، ومن اهم هذه الاصول هو راس المال الفكري والذي يضبط ايقاع اي منظمة لتحقيق اهدافها الرئيسة وخصوصا اذا كان التعامل مع منظمات ذات اهمية كبيرة وتسهم في صناعة الامن المستدام لأي مجتمع ويتم دعمها بشكل مباشر من قبل القيادات المهارية، وبالتالي فان هذا الاصل سيندمج مع راس المال المعلوماتي أو راس المال التنظيمي لصياغة الجاهزية الاستراتيجية وبناء القدرة على تنظيم ونشر الاصول غير الملموسة في مواجهة التحديات التنظيمية من خلال استراتيجية رأس المال الفكري والتي تعد المحرك الاساس للأبداع في الحد من الازمات الامنية ومواجهة الارهاب المحلي وترتبط الجاهزية الاستراتيجية بسلوكيات متعددة، ومنها سلوكيات تحويلية لتحديد الكفاءة القيادية لكل من القيادات الامنية والمرونة في اتخاذ القرار، والتي تجعل القائد الامني فعالاً في تنفيذ استراتيجيته الامنية لمواجهة الارهاب وهنا يتحتم على هذه القيادات التركيز على الاتي (التركيز على سلامة وأمن الجميع، تعزيز العمل الجماعي لدفع الضرر المتوقع ، الاتصالات المفتوحة وتناقل المعلومة الملائمة فيما بين جميع الطراف، التركيز على البيئة الخارجية وتحدياتها) .

١- المشكلة الفكرية:

٥- تطرقت الأدبيات الإدارية والسياسية والأمنية إلى موضوعة الإرهاب بصورة عامة والإرهاب المحلي بصورة خاصة وكانت هنالك محطات فكرية وتنظيري لهذا المفهوم الذي فتك بالعالم بأسره وانبرى العديد من الباحثين في هذا المجال عن البحث لممارسات يمكن إن تحد من خطورة هذا الإرهاب لذا تم تسليط الضوء في دراستنا على احد الأساليب الاستراتيجية التي يمكن من خلالها مكافحة الإرهاب والحد منه من خلال

التسلح ببعض استراتيجيات الجاهزة وكان هنالك أيضا جدل فكري في هذا المجال وتعدد الاستراتيجيات التي يمكن إن تستخدم لفك هذا الجدل، وعرفت الجاهزة الإستراتيجية (Kaplan & Norton., 2004:1)مصطلح ينطوي على قياس مدى جاهزة الأفراد والأنظمة والثقافة التنظيمية فيما يتعلق بقدرتها على تنفيذ إستراتيجية المنظمة. والتي يتم تقييمها من خلال رأس المال البشري ولمعلوماتي والتنظيمي، أو الأصول غير الملموسة التي تشكل أساساً للتغيير الإستراتيجي في تقليل حدة المؤثرات الخارجية. وهنا سيتم المزج فيما بين الأصول غير الملموسة مع الذكاء الذي يمتلكه القادة الأمنيين في مواجهة الإرهاب المحلي من خلال رأس المال البشري الذي تمتلكه الأجهزة الأمنية ، ورأس المال لمعلوماتي لتحديد الأهداف بدقة

أهداف الدراسة:

إن لكل دراسة هدف تسعى إلى تحقيقه ولدراستنا هذه هدف رئيس وهو كيفية تطبيق إبعاد الجاهزية الاستراتيجية من اجل مكافحة إشكال الإرهاب المحلي، لذا الدراسة حاولت تحقيق الأهداف الآتية:

- تسعى هذه الدراسة إلى إمكانية تطبيق إبعاد الجاهزية الإستراتيجية في الحد من الإرهاب المحلي.
- تفعيل الاستشراف المستقبلي في توجه القيادات الأمنية لمواجهة إي خطر إرهابي محلي في المستقبل.
- التركيز على بث ثقافة التسامح وتصحيح التنشئة الاجتماعية السلبية للحد من مغذيات الإرهاب المحلي.
- وضع الخطط الأمنية الاستباقية المبنية على الرؤية القيادية المتكاملة لمواجهة الإرهاب المحلي.
- تحسين عمل القيادات الأمنية وإجراء التحليل البيئي لها لمعرفة نقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات ووضع الخطط التي تلاؤم عملية التحليل البيئي المستقبلي .
- بث ثقافة الاستعداد الاستراتيجي لدى القيادات الأمنية لمواجهة حالات التطرف الديني واستغلال الديمقراطية.
- تطبيق القوانين التي من شأنها إن تجرم الإرهاب المحلي والقضاء على حاضناته في المستقبل.

٦- مسوغات الدراسة:

- إن الدراسة تناولت موضوع معاصر وحديث في الفكر الإداري والاستراتيجي والأمني إلا وهو الجاهزية الإستراتيجية التي يجب إن تتمتع بتا القيادات الأمنية لمواجهة خطر الإرهاب المحلي
- عدم السماح لأي حركة متطرفة في الظهور مستقبلا ممكن إن تؤثر على سير النظام وان تنتهك حرمة المؤسسة الأمنية.
- ما زالت المنطقة الجغرافية للعراق تحتضن بعض بقايا الإرهاب وهنا لابد إن يكون الاستعداد التام لمواجهة هذه الخلايا التي يمكن إن تؤثر على امن واستقرار العراق.
- تعد الحاجة للأمن من الضروريات الأساسية التي نادي بتا اغلب علماء الإدارة والتي تعد من الحاجات الأساسية ويجب على القيادات الأمنية إن تحقق هذه الحاجة للمجتمع العراقي وبأسلوب استراتيجي من خلال تبني الجاهزية الإستراتيجية.
- ملاحظة الباحث من خلال انتظامه بهيئة الحشد الشعبي الدور الرئيس والمهم للقيادات الأمنية في استعمال استراتيجيات قد تكون جديدة على الواقع الأمني العراقي مما سيقود إلى النجاح الأمني في مواجهة الإرهاب.
- إعداد العدة والتهيؤ التام فيما لو أراد الإرهاب العودة مرة أخرى للظهور فلابد إن تكون هنالك قيادات أمنية مستعدة للمواجهة .

٧- المفاهيم والتعريفات الإجرائية :

أثارت الدراسة العديد من المفاهيم والمصطلحات والمتغيرات ومن أجل الوضوح في تعريف نطاق الدراسة وحدود عمل متغيراتها والتأثيرات المحتملة فيما بينها لابد من توضيح أهم المفاهيم والتعريفات الإجرائية للمتغير الرئيس والتابع وإبعادهما. ويبين الجدول (١) التعريفات الإجرائية للمتغيرات الأساسية في الدراسة.

جدول (١)

التعريفات الإجرائية لمتغيرات الدراسة

المتغيرات الرئيسة والإبعاد الأساسية Key Dimensions	المفهوم الإجرائي Operational Definition	الملاحظات
المتغير المستقل الجاهزية الإستراتيجية	هي مدى استعداد القيادات الأمنية والإفراد في المؤسسات الأمنية وأنظمتها وثقافتها التنظيمية لتنفيذ إستراتيجيتها في القضاء على الإرهاب المحلي بمعنى أخر هي الاستعداد لشيء ما	متغير رئيسي للدراسة
الثقافة	هي نمط من الافتراضات الأساسية المشتركة التي تعلمها القادة الامنيون في مؤسساتهم الأمنية من خلال حل مشاكلها المتعلقة بالتكيف الخارجي والتكامل الداخلي والتي عملت بشكل جيد مكنها إن تصبح بمثابة الطريقة المثلى للتفكير والشعور فيما يتعلق بتلك المشاكل	بعد فرعي للمتغير الرئيسي المستقل
القيادة	عملية التأثير فيما بين القائد الأمني والمرؤوسين لتجنب المشاكل البيئية والذين يستطيعون قيادة مؤسساتهم الأمنية واختيار الإستراتيجية الملائمة لتحقيق الأهداف وتخطي	بعد فرعي للمتغير الرئيسي المستقل

	المشاكل البيئية وغيرها	
العمل الجماعي وتبادل المعلومات	العمل بصورة تشاركيه فيما بين الإفراد من اجل التكامل والتعاون وتبادل المعارف الذي من خلاله يتم تقاسم المعرفة والمعلومات والمهارات اللازمة لتخطي المشاكل	بعد فرعي للمتغير الرئيسي المستقل
الملائمة	عملية ربط هيكل المؤسسة الأمنية ومواردها مع استراتيجياتها وبيئة العمل الذي تعمل فيه	بعد فرعي للمتغير الرئيسي المستقل
المتغير المعتمد الإرهاب المحلي	وهي الإعمال التي تشير إلى ارتكاب الجرائم ضمن الحدود الجغرافية لبلد ما من قبل متطرفين داخليين والتي تخلق حالة من عدم الاستقرار الأمني في المجتمع .	متغير تابع للدراسة
التطرف الديني	هو نشاط ديني متطرف ومتزمت بأفكاره يعتنق فكرة عدم وجود الأخر وتتم تغذيته من المغذيات الداخلية أو الخارجية للإرهاب وارتباطه بأفكار دينية دخيلة تجيز القتل والدمار وغير ذلك	بعد فرعي للمتغير التابع
الديمقراطية المفرطة	هي الديمقراطية التي جاءت بعد نظام دكتاتوري مقيت ولم تضبط قوانينها مما جعلها مفرطة بكل شيء ومتسامحة إلى ابعد الحدود ولم يكتمل النضج الديمقراطي فيها .	بعد فرعي للمتغير التابع
العوامل الاقتصادية	مجموعة من العوامل التي تقود بعض إفراد	بعد فرعي للمتغير التابع

	المجتمع إلى انتهاج تصرفات غير قانونية مما تؤثر على سلامة وامن البلد ومنها البطالة والفقر وسوء توزيع الثروة وغيرها	
ضعف قوى الأمن وتنفيذ القانون	النقص في المؤهلات والدورات التدريبية وقلة التجهيز للمؤسسات المنية وانخفاض روح المواطنة لدى الأجهزة الأمنية وضعف في تطبيق القانون والقضاء .	بعد فرعي للمتغير التابع

الجدول: إعداد الباحث

٨- حدود الدراسة:

لدراستنا هذه العديد من الحدود منها والمفاهيمية أو التطبيقية والبشرية وهي كالآتي :

- الحدود الزمانية : امتدت دراستنا من المدة إلى المدة
- الحدود المكانية : تم تطبيق هذه الدراسة على المؤسسات الأمنية العراقية
- الحدود البشرية : مجموعة من القيادات الأمنية التابعة للمؤسسة الأمنية والحشد الشعبي .
- الحدود والمفاهيمية : تكونت دراستنا هذه من متغير مستقل الجاهزية الإستراتيجية وإبعاده الفرعية (بعد الثقافة، بعد القيادة ،بعد العمل الجماعي وتبادل المعلومات، بعد الملائمة) ومتغير تابع الإرهاب المحلي وتكون من الإبعاد الآتية (بعد التطرف الديني ، الديمقراطية المفرطة ،العوامل الاقتصادية ، ضعف قوى الأمن وتنفيذ القانون)

٩- نموذج الدراسة الفرضي:

نموذج الدراسة هو بناء فكري لمجموعة من المتغيرات والتي تفسر العلاقة والأثر تمثيلاً مبسطاً ومختصراً وافتراضياً للظاهرة قيد الدراسة بين المتغير المستقل والتابع وتفاعلاتها المحتملة لتحقيق أهداف الدراسة وإن

نموذج دراستنا هو من النماذج والمفاهيمية النظرية وهو محاولة لترجمة مشكلة الدراسة إلى متغيرات إجرائية وحركية من اجل وصف وتحليل دورها في إسناد فاعلية الدراسة في تفسير الظاهرة المدروسة.

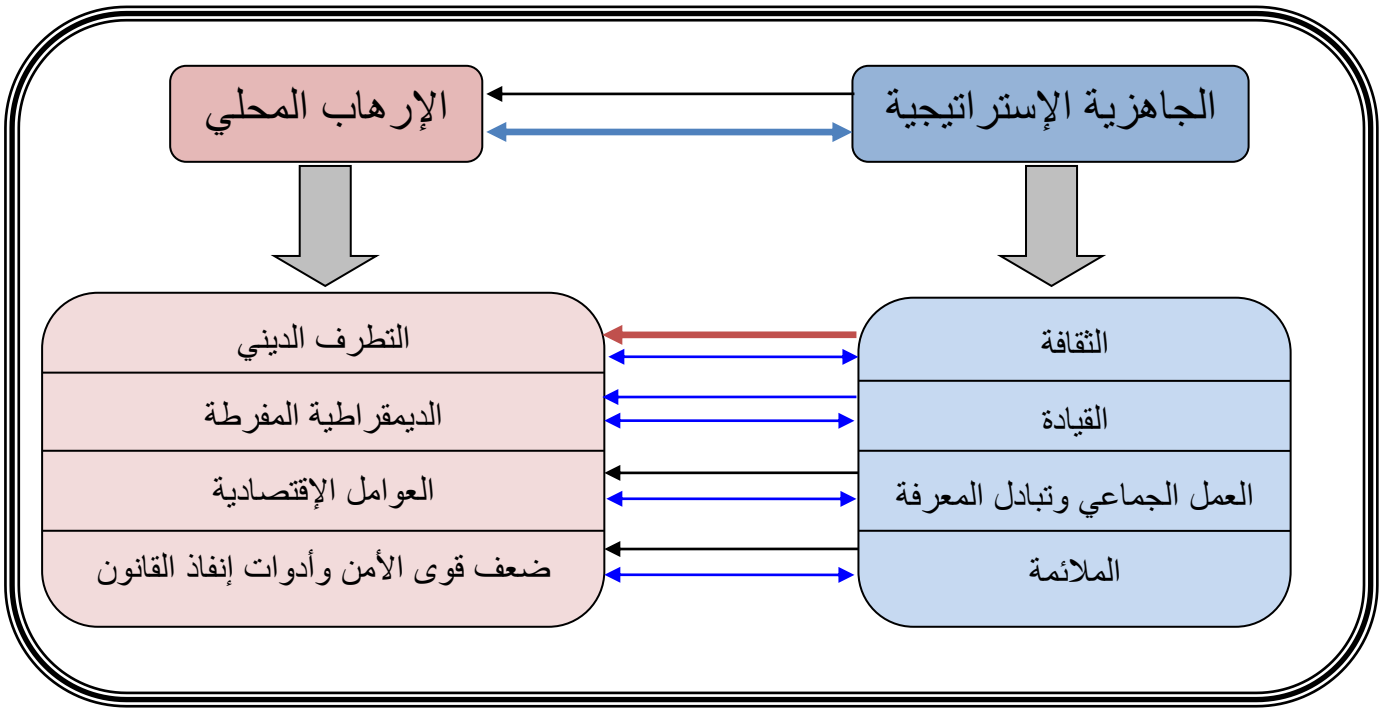

شكل (١) النموذج الفرضي للدراسة

كما يتضح من الشكل (١) فان أنموذج الدراسة هو تفاعل بين مكونين أساسيين وهما الجاهزية الاستراتيجية وأبعادها الفرعية (بعد الثقافة، بعد القيادة ،بعد العمل الجماعي وتبادل المعلومات، بعد الملائمة) ومتغير تابع الإرهاب المحلي وتكون من الإبعاد الآتية (بعد التطرف الديني ، الديمقراطية المفرطة ،العوامل الاقتصادية ، ضعف قوى الأمن وتنفيذ القانون.

فرضيات الدراسة:

على وفق مشكلة وأنموذج الدراسة تم صياغة فرضيات العلاقة والأثر لدراستنا كما يلي

فرضيات الدراسة:

فرضيات علاقة الارتباط:

١) الفرضية الرئيسة الأولى:

توجد علاقة ارتباط عكسية ذات دلالة إحصائية بين الجاهزية الإستراتيجية والإرهاب المحلي وتنبثق منها الفرضيات الفرعية الآتية :

٢) الفرضية الفرعية الأولى:

توجد علاقة ارتباط عكسية ذات دلالة إحصائية بين بعد الثقافة وإبعاد الإرهاب المحلي.

٣) الفرضية الفرعية الثانية:

توجد علاقة ارتباط عكسية ذات دلالة إحصائية بين بعد القيادة وإبعاد الإرهاب المحلي.

٤) الفرضية الفرعية الثالثة :

توجد علاقة ارتباط عكسية ذات دلالة إحصائية بين بعد العمل الجماعي وتبادل المعلومات وإبعاد الإرهاب المحلي

٥) الفرضية الفرعية الرابعة :

توجد علاقة ارتباط عكسية ذات دلالة إحصائية بين بعد الملائمة وإبعاد الإرهاب المحلي

فرضيات التأثير :

١) الفرضية الرئيسة الأولى:

توجد علاقة تأثير إيجابية ذات دلالة إحصائية بين الجاهزية الإستراتيجية والإرهاب المحلي وتنبثق منها الفرضيات الفرعية الآتية ::

٢) الفرضية الفرعية الأولى :

توجد علاقة تأثير إيجابية ذات دلالة إحصائية بين بعد الثقافة وإبعاد الإرهاب المحلي.

٣) الفرضية الفرعية الثانية :

توجد علاقة تأثير إيجابية ذات دلالة إحصائية بين بعد القيادة وإبعاد الإرهاب المحلي .

٤) الفرضية الفرعية الثالثة :

توجد علاقة تأثير إيجابية ذات دلالة إحصائية بين بعد العمل الجماعي وتبادل المعلومات وإبعاد الإرهاب المحلي .

٥) الفرضية الفرعية الرابعة :

توجد علاقة تأثير إيجابية ذات دلالة إحصائية بين بعد الملائمة وإبعاد الإرهاب المحلي .

١٠- ميدان وعينة الدراسة study field & sample

عدت المؤسسات الأمنية وقياداتها من المواضيع المهمة في تأريخ العراق الحديث للدور الريادي الذي قامت بت ومقارعتها للإرهاب المحلي مما تطلب من الباحث الغوص في غمار هذا الموضوع الحيوي وذو البعد الاستراتيجي ومن الممكن إن يتكرر هذا السيناريو في المستقبل فلابد أن يكون هنالك الإطار النظري لمتغيري الدراسة.

تمهيد:

يهتم البحث بالتركيز على الأطر المفاهيمية لمتغيري الدراسة وفقاً لما تم مراجعته من الأدبيات ذات الصلة. إذ تم تقسيم البحث إلى مبحثين رئيسين، تناول المبحث الأول منها عرض الأطر النظرية للجاهزية الإستراتيجية، وتضمن المبحث الثاني الأطر المفاهيمية لموضوع الإرهاب المحلي.

المبحث الأول: الإطار النظري لمتغير الجاهزية الاستراتيجية:

أولاً: الجاهزية الاستراتيجية:

حظيت الإدارة الاستراتيجية بصورة عامة بأهمية منقطعة النظير في الفكر الإداري، وتطرق لهذا الموضوع العديد من الباحثين والكتّاب في مجال إدارة الأعمال لما له من دور في تنظيم الأعمال وفقاً لتوقعات

المستقبل على أساس خطوات مدروسة ابتداءً من التحليل البيئي وانتهاءً بالرقابة الاستراتيجية. وفي خضم هذه الفلسفة ومواصفاته المتشعبة ظهر مفهوم الجاهزية الإستراتيجية. والذي أخذ يحاور التغيرات البيئية المتصارعة، وأرسى دعائم هذه الفلسفة كلاً من العالمين (Kaplan & Norton., 2004)، معتبرين الجاهزية الإستراتيجية بمثابة الحل الأمثل بالنسبة للمنظمات في بيئة تتسم بالتنافس المتسارع. ومن بين المتغيّرات العديدة التي تؤثر على المنظمة، يعتمد مفهوم الجاهزية الإستراتيجية على ثلاث متغيرات أو مقومات أساسية تسمح للمنظمة بالتطور والنمو الدائم بقصد البقاء أطول فترة ممكنة في السوق، وذلك من خلال بناء نظام متكامل يجعل المنظمة أكثر قدرة على تخطي التغيرات البيئية والاستعداد للاستجابة لها بصورة مناسبة،

ويمكن إيجاز أبعاد الجاهزية الإستراتيجية بحسب رأي (Kaplan & Norton,2004) , والتي تم اعتمادها من قبل الباحث لقياس المتغير المستقل في هذه الدراسة كما يلي:

١. الثقافة:

من بين الأبعاد الأربعة للجاهزية الإستراتيجية، تعد الثقافة البعد الأكثر تعقيداً وصعوبة للفهم والوصف لأنها تشتمل على مجموعة واسعة من السلوكيات. يعتقد المدراء التنفيذيون أن التغييرات في الإستراتيجية تتطلب تغييرات أساسية في الطريقة التي يتم بتا العمل على جميع مستويات المنظمة. ومن أجل تحقيق الجاهزية الإستراتيجية، على العاملين في المنظمة تطوير مواقفهم وسلوكياتهم، بعبارة أخرى، تغيير ثقافتهم (Chordate &Zargarzadeh.,2013, 1101).

إذ يعرف (Schein,1992:12) الثقافة التنظيمية على أنها نمط من الافتراضات الأساسية المشتركة التي تعلمها الأفراد العاملين في المنظمة خلال حل مشاكلها المتعلقة بالتكيف الخارجي والتكامل الداخلي، والتي عملت بشكل جيد مكنها أن تصبح بمثابة الطريقة المثلى للتفكير والشعور فيما يتعلق بتلك المشاكل. فيما يصف (Raves & Schultz.,2006:435) الثقافة التنظيمية بأنها مجموعة من الافتراضات المشتركة التي توجه السلوكيات. إنها نمط من السلوكيات والافتراضات الجماعية التي يتم تعليمها لأعضاء التنظيم الجدد

كطريقة للإدراك، وحتى التفكير والشعور. وبالتالي تؤثر الثقافة التنظيمية على الطريقة التي يتفاعل بتا الأفراد والمجموعات مع بعضهم البعض ومع الزبائن ومع أصحاب المصالح (Schrodt,2002:191).

وترى (Schein,1992:9) بأنه على الرغم من إشارة الأدبيات إلى امتلاك كل منظمة ثقافة فريدة خاصة بتا، فإنه من المرجح أن تمتلك المنظمة في الغالب ثقافات فرعية مختلفة جداً وربما متضاربة أحياناً. وعليه تدعو إلى النظر للثقافة التنظيمية "كشخصية تنظيمية" تميز المنظمة عن قريناته. لذا يعرّف (Flamholtz &Randle.,2011:6) الثقافة التنظيمية على أنها القيم والمعتقدات والقواعد التي تؤثر على سلوك الأشخاص كأعضاء في منظمة ما.

ويمكن تطوير الثقافة التنظيمية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي ينخرط فيها الموظفين لفهم القيم والممارسات والسلوكيات المقبولة لمنظمة ما. إذ تنعكس ثقافة المنظمة في أنماط القيادة المهيمنة، واللغة والرموز، والإجراءات والروتين، وتعريفات النجاح التي تضعها المنظمة (Cameron & Quinn.,2006:16-17).

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى ضرورة أن تكون الثقافة التنظيمية قوية، وغالباً مايرتبط ذلك بعمر المنظمة كما يرى (Deal & Kennedy.,1983:498). إذ أشارت نتائج الأبحاث إلى أن الثقافات القوية ترتبط بتجانس الجهود، والتركيز الواضح، والأداء العالي في البيئات التي تتطلب الرؤية المشتركة (Cameron & Quinn.,2006:72).

إذ يميز (Flamholtz &Randle.,2011:9) بين نوعين من الثقافة التنظيمية هما: الثقافة القوية التي تمنح الأفراد سبباً لاحتضانها، والثقافة الضعيفة التي يجد الموظفون صعوبة في تحديدها أو فهمها. وتساعد الثقافة القوية على تعزيز الجاهزية الإستراتيجية من خلال ضمان الاستجابة الفاعلة للموظفين نتيجة تلاقي دوافعهم الذاتية مع القيم التنظيمية. ويمكن وصف دور الثقافة التنظيمية القوية والمتطابقة في تحقيق الجاهزية الإستراتيجية من خلال القول بأن الثقافة القوية هي الأساس في تحسين جاهزة المنظمة نحو تحقيق رؤيتها ورسالتها وأهدافها من خلال تحفيز الموظفين وضمان رضاهم. وذلك من خلال زيادة تماسك الفريق وتعزيز

الإتساق وتشجيع التنسيق والرقابة الداخلية. وبالتالي تشكيل سلوك الموظف في العمل، مما يمكن المنظمة من أن تكون أكثر جاهزة.

٢. وفي حال عدم امتلاك المنظمة ثقافة صحية فإن عملية التغيير التنظيمي ستكون شاقة، وبالتالي سيقود القصور التنظيمي إلى جعل تحقيق الجاهزية الإستراتيجية أمراً صعباً للغاية. إذ لايمكن أن تحقق المنظمة مستوى مقبول من الجاهزية من دون إحداث التغيير الضروري لتقليل معدل دوران الموظفين، أو التأثير على سلوك الموظفين، أو إجراء تحسينات على المنظمة، أو إعادة تركيز أهداف المنظمة و /

٢ القيادة:

استخدم الباحث (Adair) استعارة " تبدأ الأشجار في الموت من الأعلى إلى الأسفل" للدلالة على وجوب أن تكون القيادة قادرة على من أجل تحويل التهديدات والعوائق الخارجية إلى فرص، مؤكداً على أن الإبداع والابتكار يؤثران بشكل مباشر على الاحتفاظ بالقدرة التنافسية التنظيمية (Adair,2007:10). إذا قامت المنظمات بتغيير إستراتيجياتها، سيكون على العاملين أن يفعلوا بعض الأشياء بشكل مختلف أيضاً. ويقع على عاتق القادة في جميع المستويات التنظيمية (بدءاً من الرئيس التنفيذي إلى سلسلة متاجر التجزئة وصولاً إلى مديري المتاجر المحلية) مساعدة الموظفين على تحديد وفهم التغييرات المطلوبة وتحفيزهم وتوجيههم نحو تبني الأفكار وطرق العمل الجديدة (Chordate & Zargarzadeh.,2013, 1101).

وتعد مناقشة علاقة القيادة بالجاهزة الإستراتيجية أمراً بالغ الأهمية. فالقادة هم المسئولون، بشكل عام، عن إنشاء الثقافات التنظيمية ووضع الإستراتيجيات. على القادة الجيدون النظر في جميع جوانب الأعمال ومتابعة قيام إلموظفين ذوي العلاقة بأدوارهم ومسؤولياتهم

٣. العمل الجماعي وتبادل المعرفة:

ليس هناك خسارة أكبر من فكرة جيدة تستخدم لمرة واحدة فقط. يتعين على معظم المنظمات أن تمر بتغيير ثقافي لتحويل الأفراد من اكتنازهم المعرفة إلى تقاسمها. ليس لأي أصول إمكانات أكبر للمنظمة أكثر من المعارف الجماعية التي يمتلكها جميع موظفيها. هذا هو السبب في قيام العديد من الشركات بإنفاق الملايين من الدولارات لشراء أو إنشاء أنظمة إدارة المعرفة الرسمية لتوليد ونشر المعرفة في جميع أنحاء المنظمة (Chordate & Zargarzadeh.,2013: 1101).

١. ويعرف تبادل المعرفة بأنه النشاط الذي يتم من خلاله تقاسم المعرفة (المعلومات أو المهارات أو الخبرات) بين الأفراد في المنظمات والمجتمعات (Bukowitz & Williams.,1999:12). وقد أدركت المنظمات أن المعرفة تشكل رصيداً قيماً غير ملموس لخلق الجاهزية الإستراتيجية واستدامة المزايا التنافسية (Miller & Shamsie.,1996:٥٢٨). إذ يمكن تعزيز أنشطة مشاركة المعرفة بشكل عام من خلال أنظمة إدارة المعرفة. ومع ذلك، لا تشكل التكنولوجيا سوى أحد العوامل التي يمكن أن تؤثر على تبادل المعرفة في المنظمات، مثل الثقافة التن الملائمة.

يرى (Chordate & Zargarzadeh.,2013,1101) أنه يمكن تعزيز الجاهزية الإستراتيجية عندما يكون لدى جميع العاملين في المنظمة هدف مشترك، ورؤية مشتركة، وفهم لكيفية دعم أدوارهم الشخصية للإستراتيجية العامة. وأن على المنظمات أن تشجع سلوكيات الابتكار التي توجه الأفراد نحو تحقيق أهداف رفيعة المستوى.

ويعرف (Alaceva & Rusu.,2015:719) الموائمة على أنها عملية ربط هيكل المنظمة ومواردها مع إستراتيجيتها وبيئة أعمالها. مما يمكنها من تحقيق أداء أعلى من خلال تحسين مساهمات الأفراد والعمليات والمدخلات لتحقيق أهداف قابلة للقياس. وضمان تقليل الضائعات وعدم توجيه الجهود والموارد إلى أغراض غير مقصودة أو غير ذات صلة. وفي بيئة الأعمال العالمية الحديثة، ينبغي النظر إلى المواءمة

الإستراتيجية على نطاق واسع على أنها لا تشمل فقط الموارد البشرية وغيرها من الموارد داخل أي منظمة بعينها ولكن تكامل جميع الجهود الرامية لتعزيز الأداء.

إذاً هناك سؤال أساس يتعلق بالملائمة الإستراتيجية يجب أن تطرحه القيادة على نفسها والذي يدور حول: هل أن ما يقوم بت القادة والأفراد (سواء كان عملاً روتينياً أو مشروعاً أو غيره) يساهم في تحقيق رؤية المنظمة وأهدافها الاستراتيجية ؟. مما يشكل الأساس لتحقيق الانسجام مع المتطلبات البيئية، وبعكسه يجب التدخل لإحداث التغييرات التي يمكن أن تعزز جاهزة المنظمة (Avison et al.,2004:233).

ويتوفر التوافق بين استراتيجية العمل وبيئة المنظمة عندما تتعاون الإدارات لإنشاء وتطويع إستراتيجياتها معًا لتحقيق نفس الأهداف، وذلك من خلال عملية متماسكة من الربط بين جميع مكونات الشركة، والمساهمة في الأداء مع مرور الوقت. على سبيل المثال، يمكن أن يؤدي محاذاة الأعمال إلى خفض التكاليف، وزيادة الكفاءة، وتحسين العلاقات مع الزبائن والموردين وقد يعزز إنشاء الحلول والفرص.

المبحث الثاني: التأطير النظري لمتغيّر الإرهاب المحلي:

أولاً: مفهوم الإرهاب:

يعد الإرهاب من أبرز المواضيع التي شغلت اهتمام أغلب الدول القديمة والمعاصرة، فكانت هنالك العديد من المحاولات الإرهابية في العصور القديمة، لاحظ العلماء منذ سنوات من الإرهاب هو العنف السياسي الذي تكون فيه الظاهرة ضمنيا غير شرعية وتميل هذه الجماعات التي تركز على المظاهر المرئية في تعبئة الموارد والإيديولوجيات والعنف الخاص في العمليات الإرهابية (Maron,2014:1). والإرهاب بصورة خاصة في السنوات الأخيرة جذب اهتمام الكثير من اهتمام العلماء والباحثين والمحللين والعلامين لدراسة أسباب العنف الإرهابي لكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى حلول ناجحة إلا أنهم اقتربوا كثيرا من الوصول إلى رؤى جديدة أو مفيدة حول كيفية تفسير هذه الأهداف. لكن المحللين اقتربوا كثيرا من الظاهرة بصورة منهجية واهتمام بأنماط العمليات التي حدثت وتوسيع التفكير في معنى العنف (Waugh, 1983:3).

إن عمل الإرهابيين كمجموعة منظمة تكون لها إستراتيجيات محددة لإلحاق الضرر الهائل بالمدنيين من خلال إستراتيجية معينة لزعزعة استقرار النظام المستهدف وإستراتيجية الإرهابيين هي شكل من إشكال الأعمال المتشددة كالعصابات التي تستهدف الأشخاص والبني التحتية ونظام السياسة والنظام المحلي وكذلك هناك سمة اخرى وهي إن الإرهابيين يعلنوا أهدافهم كمعارضة والتي تريد إحداث تغيير جذري للوضع السياسي والاجتماعي على مستوى محلي وإقليمي وعالمي، وهكذا ينطلق الإرهاب لارتكاب مختلف إشكال الجريمة المنظمة وانطلاق الحرب من أمراء الحرب (Mainz, 2004: 7).

١- كما أصبحت المنظمات الإرهابية هجينة ذات طابع دولي جديد الذي يتناقض مع الهيكل الهرمي الوظيفي، لكن التحليل الدقيق يكشف الفرق بين القديم والجديد للإرهاب من حيث التنظيم، نظرا لانتقال عمل المنظمات الإرهابية إلى العالمية مستخدمة مبد اللامركزية وشبكة اتصالات وربما حتى استخدام الديمقراطية ابعد الإرهاب المحلي.

١.التطرف الديني Religious Extremism

وفقاً لـ (Juergensmeyer,2004:2)، كان للتطرف الديني والعنف علاقة تكافلية منذ ما قبل الحروب الصليبية وحتى قبل الكتاب المقدس. إذ يعرف التطرف على أنه أي شكل من أشكال التزمت الديني الذي يتعارض مع الديمقراطية وسيادة القانون والحرية الفردية والاحترام المتبادل والتسامح بين الأديان والمعتقدات المختلفة (Dominic,2014). وغالباً ما يعبر الباحثين عن التطرف الديني في الأدبيات التي تتناول متغير الإرهاب بمصطلحات أخرى مثل "التطرف الإسلامي" (Kurzman et al., 2011:474) و"الإسلاموية" (Maynard, 2015: 3).

إذ يعرف (Hoffman,1997:3) الإرهاب الديني على أنه النشاط الإرهابي القائم على أساس الدوافع والأهداف التي قد يكون لها طابع أو تأثير ديني في الغالب. مشيراً إلى أن هذا النوع من الإرهاب قد تصاعدت وتيرته مع بداية ثمانينيات القرن الماضي، كبديل عن العنف السياسي أو القومي الذي كان سائداً.

وقد تبين للباحث من خلال الإطلاع على مجموعة واسعة من الأدبيات التي تناولت العلاقة بين التطرف الديني والإرهاب المحلي، بأن هناك وجهتي نظر متناقضتين بخصوص ذلك. ففي الوقت الذي ينظر فيه العديد من الباحثين إلى التطرف الديني كأحد أهم التحديات الأمنية التي تواجهها الدول التي تعاني خطر الإرهاب المحلي (Moghadam,2006:٧٠٩) . فإن بعض علماء السياسة من أمثال (Nardin,2001:683) وباحثي علم النفس الاجتماعي (Rogers et al.,2007: 254)، وعلماء الدراسات الإقتصادية والدراسات الدينية (Juergensmeyer, 2004: 6) ينظرون إلى الدين باعتباره عاملاً عرضياً فقط وأن الإرهاب الديني يرتبط بعوامل جيوسياسية في المقام الأول. وهو ما أكده (Juergensmeyer,2004:10) من خلال الإشارة إلى أن الدين لا يؤدي عادةً إلى العنف. وهذا يحدث فقط مع مجموعة من الظروف السياسية والاقتصادية والأيديولوجية. أي عندما يصبح الدين مندمجاً بالتعبيرات العنيفة عن التطلعات الاقتصادية والشخصية، وحركات التغيير السياسي. كما يرى (Kupelian,2010:185)

٢. الديمقراطية المفرطة Excessive Democracy

يشير العديد من الباحثين في مجال الإرهاب إلى أن الديمقراطية والإرهاب المحلي يسيران جنباً إلى جنب، وذلك لأن أغلب حوادث الإرهاب المحلي تتخذ من الدول الديمقراطية مسرحاً لها (Eubank & Weinberg.,2001:155)، ولا سيما في الديمقراطيات الليبرالية التي تعتمد شرعيتها على قدرتها في حماية أرواح وممتلكات مواطنيها (Sandler,2015:1). ومع ذلك، فإن المناقشة العلمية حول مدى العلاقة بين درجة الديمقراطية التي يتمتع بتا النظام الحاكم في دولة ما ومستويات الإرهاب المحلي في تلك الدولة لا تزال موضع جدل. ويمكن للباحث تأطير هذه العلاقة من خلال ثلاث وجهات نظر متضاربة وردت في الأدبيات ذات الصلة وهي:

أ- وجهة النظر الأولى:

يرى مجموعة من الباحثين بأن ديمقراطية النظام الحاكم (الأنظمة المستجيبة) تقلل من مستويات الإرهاب المحلي. وتجادل هذه المدرسة بأن المؤسسات الديمقراطية تعمل على توفير الوسائل القانونية للتعبير السياسي والتخفيف من حدة المظالم من خلال توفير قدر أكبر من فرص الوصول إلى الانتخابات واستخدام آليات سلمية لحل النزاعات. وعليه، فمن المرجح أن تتبع الجماعات في المجتمعات الديمقراطية بدائل أخرى للحصول على ماتريد بدلاً من ممارسة الأنشطة الإرهابية، وبالتالي التخفيف من وطأة الإرهاب المحلي (Schmid,1992:17;Windsor,2003:47). وفي ذات الصدد، يدعم العديد من الباحثين هذه الحجة من خلال التأكيد على أن الدول التي تلتزم بسيادة عالية لسلطة القانون ستعاني من الإرهاب بدرجة أقل من غيرها (Choi,2010:940). وكذلك من خلال إيجاد علاقة سلبية بين الاستقلال القضائي والإرهاب المحلي من قبل العديد من الباحثين (Ghatak,2016:64). فضلاً عن توصل نتائج العديد من الدراسات السابقة إلى أن زيادة الحريات المدنية تقلل من مستويات الإرهاب المحلي الذي من المحتمل أن ينشأ في بلد ما (Krueger & Maleckova., 2003: 140).

ب- وجهة النظر الثانية:

فيما يذهب مجموعة من الباحثين إلى العكس من وجهة النظر الأولى. وذلك من خلال الإشارة إلى أن الديمقراطية المتسامحة تشجع على زيادة الإرهاب المحلي. ويجادل هؤلاء الباحثين بأن الدول الديمقراطية توفر مساحة أكبر نسبياً في حرية التعبير والحركة وتكوين الجمعيات، مما يسمح للمصالح الضيقة بالتنظيم والقيام بأنشطة إرهابية. إذ تسهل الحريات السياسية على الجماعات الإرهابية ممارسة النشاط الإرهابي، مما يقلل من تكاليف اللجوء إلى العنف. ويعزز هذه الحجة ما توصل إليه العديد من الباحثين فيما يتعلق بأن الديمقراطيات كانت أكثر أهداف الإرهاب المحلي شيوعاً على الإطلاق (Eubank & Weinberg.,2001:155; Li, 2005: 278).

ت- وجهة النظر الثالثة:

٢-ومن جانب أخر، بدأ عدد متزايد من الباحثين بدراسة تأثير الديمقراطيات على حوادث الإرهاب المحلي. وقد توصلت تلك الدراسات إلى أن العلاقة منحنية، إذ أن الديمقراطيات الراسخة هي أقل عرضة للإرهاب من الديمقراطيات الناشئة "غير الناضجة" ولاسيما في الدول التي تخلصت حديثاً من الحكم الاستبداي (Chenoweth,2013:336 ; Abadie,2006:3). فعلى الرغم من توفير الديمقراطيات الناشئة لبعض الضمانات الدستورية والحريات السياسية والمدنية ولكنها تتسم غالباً بسيادة القانون الناقصة وعدم وجود حماية مؤسسية كافية للأقليات وانتهاكات واسعة النطاقالعوامل الاقتصادية Economic Factors

تبين للباحث من خلال مراجعة الأدبيات التي تناولت العلاقة المتبادلة بين العوامل الاقتصادية والإرهاب المحلي أن هناك أساساً نظرياً واسعاً للفرضية القائلة بأن الظروف الاقتصادية السيئة تؤدي إلى تفاقم الإرهاب المحلي. ومع ذلك، فإن مراجعة الأدلة التجريبية على المحددات الاقتصادية للإرهاب، لا تسفر عن نتيجة حاسمة. ففي الوقت الذي تؤكد فيه بعض الدراسات على أن الظروف الاقتصادية ترتبط ارتباطا كبيراً (بشكل مباشر وغير مباشر) بمستويات الإرهاب المحلي، فإن مجموعة أخرى من الدراسات تميل إلى اعتبار العوامل غير الاقتصادية أكثر أهمية.

بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١) في الولايات المتحدة. ظهر إجماع سريع بين المثقفين والسياسيين والجمهور حول أن التخلف الاجتماعي والاقتصادي بما ينطوي عليه من فقر وبطالة سوف يؤدي إلى حالة من اليأس ويجعل البلدان الفقيرة ملاذات آمنة للإرهاب، وبالتالي يسهم بشكل كبير في تفاقم الإرهاب المحلي (Jai,2001:7).

٣. ضعف قوى الأمن / إنفاذ القانون Weakness of securityforces and law

تعد قضية مكافحة الإرهاب المحلي أحد أهم القضايا التي تواجه وكالات إنفاذ القانون حول العالم. وخلال السنوات الماضية، طُلب من مجتمع إنفاذ القانون أن يكون بمثابة خط الدفاع الأخير في الحرب على الإرهاب (Murray,2005:359). وفي الوقت الذي تم فيه إنفاق الكثير من الأموال في هذا الإطار لزيادة جاهزية قوى الأمن ووكالات إنفاذ القانون على مواجهة مشاكل الإرهاب المحتملة، فإنه تم استثمار القليل من

الطاقة في تنسيق الجهود وتحقيق الكفاءة في الإنفاق، لاسيما فيما يتعلق بالأجهزة الأمنية ووكالات تطبيق القانون المحلية (White,2004:43)

في حين أن الأجهزة الأمنية تتحمل مسؤولية كبيرة فيما يتعلق بمنع الأنشطة الإرهابية وردعها، إلا أنها لا تحصل على إرشادات تذكر في تنفيذ تلك النتائج. تتحدث الوثائق الفيدرالية حول الأمن الداخلي عن الأهداف والغايات العامة. كما يتوفر التمويل الفيدرالي والمحلي على نطاق واسع للأجهزة الأمنية ولكنه يأتي مع بعض التوجيهات العامة. يمثل هذا الافتقار إلى التوجيه إشكالية حيث يوجد جدل كبير في الأدبيات الأكاديمية بشأن الخطوات الأكثر ملاءمة التي يجب على الأجهزة الأمنية اتخاذها لتعزيز الأمن الداخلي وتجنب الإرهاب المحلي (Pelfrey,2007:315). على سبيل المثال، يشير (Lyons,2002:537) إلى أن قوى الأمن ليست بحاجة إلى سلطات موسعة أو المزيد من الأفراد. بدلاً من ذلك، يجب على تلك الأجهزة تعزيز الثقة والعلاقات في المجتمعات التي من المحتمل أن تدعم النشاط الإرهابي، وبالتالي إنشاء شبكات استخباراتية ستساعد في منع الحوادث المستقبلية.

هذه الآراء المتباينة حول التهديدات وردود الفعل المحتملة ودور الشرطة في الأمن الداخلي وتجنب الإرهاب المحلي أضافت بعداً آخر أكثر إرباكاً للدور المعقد لقوى الأمن في مجتمع ديمقراطي. ويتفاقم هذا الإلتباس مع إخبار الضباط بأنهم "عيون وآذان الدولة" لمنع الإرهاب، ومع ذلك، هناك القليل من التوجيهات المحددة فيما يتعلق بالبرامج والتطبيقات المتاحة لوكالات إنفاذ القانون المحلية (White,2004:48).

لقد أدت أحداث ١١ سبتمبر وما تلاها من قلق للأمن القومي إلى تغيير أولويات الشرطة. ومع ذلك ، في ما يسمى بـ "الحرب على الإرهاب"، هناك خطر محتمل في أن تتخلى أجهزة الشرطة عن (أو تقليل) توجهاتها المجتمعية والعودة إلى النموذج التقليدي للشرطة الذي يركز على ممارسة أدوار شبه عسكرية. إن القيام بذلك لن يكون له نتائج عكسية فحسب، بل سيؤدي أيضاً إلى وقف التقدم الذي أحرزته الشرطة في العقود الأخيرة مما أدى إلى رفع مستوى القبول المجتمعي الذي تتمتع به الآن. في تعجلهم في إعطاء الطمأنينة العامة، قد يتوقع الساسة نموذجًا تقليديًا، ومع مواجهة مفوضي الشرطة التحدي المتمثل في الحفاظ على الشرطة

المجتمعية، سيكون هناك مزيد من التوتر من داخل الرتب لأن ثقافة الشرطة السائدة موجهة نحو العمل ومن المرجح أن تفضل نهجًا شبه عسكري. بدلاً من الابتعاد عن الشرطة المجتمعية، ينبغي أن تنظر قوى الشرطة في خصائصها وأن تطبق مبادئها الدقيقة التي ستكون في نهاية المطاف أكثر فعالية من النموذج التقليدي.....

المراجع:

١. Adair, J. (2007). Leadership for Innovation: How to Organize Team Creativity and Harvest Ideas. Kogan Page – London and Philadelphia.

٢. Alaceva, C., & Rusu, L. (2015). Barriers in achieving business/IT alignment in a large Swedish company: What we have learned?. Computers in Human Behavior, 51, 715–728

٣. Bukowitz, W.R. & Williams, R. L. (1999). The Knowledge Management Fieldbook. FT Press.

٤. Cameron, K. S., & Quinn, R. E. (2006). Diagnosing and changing organizational culture. Reading, PA: Addison–Wesley.

٥. Deal, T. E., & Kennedy, A. A. (1983). Culture: A New Look Through Old Lenses. The Journal of Applied Behavioral Science, 19(4), 498–505.

٦. Flamholtz, E. G., & Randle, Y. (2011). Corporate Culture: The Ultimate Strategic Asset. Stanford Business Books. Stanford, California: Stanford University Press.

٧. Hoffman, B. (1997). The confluence of international and domestic trends in terrorism. Terrorism and Political Violence, 9(2), 1–15.

٨. Kaplan, R.,& Norton, D. (2004). Measuring the Strategic Readiness of Intangible Assets. Harvard business Review, pp.1-14.

٩. Miller, D., & Shamsie, J. (1996). The resource-based view of the firm in two environments: The Hollywood film studios from 1936 to 1965. Academy of Management Journal, 39 (5), 519–543.

١٠. Ravasi, D., & Schultz, M. (2006). Responding to organizational identity threats: Exploring the role of organizational culture. Academy of Management Journal, 49(3), 433–458.

١١. Schein, E. (1992). Organizational Culture and Leadership: A Dynamic View. San Francisco, CA: Jossey-Bass. 2nd ed Edition.

١٢. Schrodt, P. (2002). The relationship between organizational identification and organizational culture: Employee perceptions of culture and identification in a retail sales organization. Communication Studies, 53 (2), 189–202.

سلسلة التجهيز الهجين وتأثيرها في التسويق المستدام
دراسة استطلاعية في معمل سمنت الكوفة/ النجف الاشرف

أ.د. عمار عبد الأمير زوين
الباحث منتظر جاسم محمد
كلية الادارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

المقدمة:

يهدف البحث الى التحقق من طبيعة العلاقة بين سلسلة التجهيز الهجين والتسويق المستدام، اذ ركز البحث على عينة من الموظفين الاداريين في معمل سمنت الكوفة. وتنبع الأهمية الرئيسة للبحث من ندرة الدراسات التي حاولت توضيح طبيعة العلاقة بين المتغيرات قيد البحث، وانطلاقا من مشكله واقعية مؤثرة بصورة مباشرة على عملية تطوير المنتجات في المنظمات الصناعية في العراق عموما وفي معمل سمنت الكوفة خصوصا"، فقد تمت صياغة مشكله البحث بالآتي: "يتأثر مستوى التسويق المستدام في المنظمة بشكل مباشر بمستوى سلسلة التجهيز الهجين في المنظمة قيد البحث. وبهدف جمع البيانات واستكمالاً لمتطلبات البحث. فقد تم توزيع (٢٧١) استمارة استبيان بصورة مباشرة على المجتمع المستهدف والمتمثل بالموظفين الإداريين في معمل سمنت الكوفة؛ وقد تم استرجاع (٢٣٨) استبانة، وكانت عدد الاستبانات الصالحة للتحليل الإحصائي (٢١٤) استبانة، أي بمعدل استجابة (٧٩%).

المبحث الأول: منهجية البحثResearch Methodology:

يتناول هذا المبحث مشكلة البحث، اهميتها، اهدافها بالإضافة الى تصميم المخطط الفرضي للبحث، صياغة الفرضيات، معرفة مقاييس واداة البحث وكذلك تحديد مجتمع وعينة البحث والاساليب الاحصائية المستخدمة.

أولاً :مشكلة البحث Research Problem

أن الدور التي تؤديه سلسلة التجهيز الهجين للمنظمات مسألة ذات اهمية كبيرة في تحقيق اهداف المنظمة من خلال اتباع التنسيق الاستراتيجي المنهجي لوظائف وتكتيكات الأنشطة التقليدية مع وظائف الأعمال

المبتكرة داخل المنظمة وعبر سلسلة التجهيز الهجين (Maharaja et al., 2018:345). ويمكن اعتبار سلسلة التجهيز الهجين مجموعة من الأنشطة التي تستخدمها أي منظمة لتوفير قيمة لزبائنها إما كمنتج وأما خدمة، وأما مزيج من الاثنين معا.

ومن خلال مراجعة الدراسات والابحاث السابقة، تبين قلة الدراسات التي تربط بين متغيرات؛ وهذا ما يدل على وجود فجوة معرفية. ومن هنا جاءت فكرة البحث الحالي نظرا لأهمية سلسلة التجهيز الهجين ولتسليط الضوء وتأثيره على التسويق المستدام للمنظمات. وسيتم تطبيق هذه البحث في معمل سمنت الكوفة التي تتميز بتشجع الابداع والابتكار ومشاركة الموظفين في اتخاذ القرارات والذي ينعكس بدوره في تحسين الاداء في المنظمة قيد البحث. وبناء على ما تقدم، يمكن للباحثين صياغة مشكله البحث بالآتي: "يتأثر مستوى التسويق المستدام بشكل مباشر بمستوى سلسلة التجهيز الهجين في المنظمة قيد البحث ".

ثانيا: تساؤلات البحث Research Questions

استنادا على ما تم عرضه في مشكله البحث، يسعى الباحثان الى ايجاد الاجابات عن التساؤلات الاتية:

١- ما مدى اهتمام معمل سمنت الكوفة بسلسلة التجهيز الهجين فيها؟

٢- ما هو مستوى توافر التسويق المستدام في معمل سمنت الكوفة؟

٣- هل هنالك تأثير لسلسلة التجهيز الهجين على التسويق المستدام في معمل سمنت الكوفة؟

ثالثا: اهداف البحث Research Objectives

١- معرفة مدى إدراك المنظمة قيد البحث لأبعاد سلسلة التجهيز الهجين.

٢- التأكد من مدى إدراك الادارة في المنظمة قيد البحث لأبعاد التسويق المستدام.

٣- تحديد علاقة التأثير لسلسلة التجهيز الهجين على التسويق المستدام في المنظمة قيد البحث.

رابعا: اهمية البحث Research Importance

يمكن توضيح اهمية البحث الحالية من الجانب النظري والجانب العملي من خلال ما يأتي:

١-الاهمية النظرية للبحث:

ندرة الدراسات السابقة (الاجنبية والعربية) التي تناولت متغيرات البحث، مما حفز الباحثين الاستناد الى الادبيات ذات الصلة على معرفة طبيعة العلاقة بين متغيرات البحث لذا حاز هذه البحث اهميته من كونه تطرق الى متغيرات مهمة على المستوى الاداري في معمل سمنت الكوفة وهي، سلسلة التجهيز الهجين والتسويق المستدام.

٢-الاهمية العملية للبحث:

- ندرة الدراسات التي تسلط الضوء على عملية سلسلة التجهيز الهجين في المنظمات الصناعية عموما في العراق وفي معمل سمنت الكوفة خصوصا.
- توظيف واختيار مقاييس استخدمت في بيئات عالمية مختلفة لدراسة متغيرات البحث (لسلسلة التجهيز الهجين على التسويق المستدام)؛ وتم تطبيقها في البيئة العراقية.
- وجود مجال للاستفادة من نتائج البحث الحالية من اجل تطوير واقع المنظمات العراقية الصناعية عموماً ومعمل سمنت الكوفة خصوصاً.

خامسا :المخطط الفرضي للبحث Research Framewor :

استنادا الى الدراسات السابقة ذات الصلة بمتغيرات البحث مثل دراسة (Gyulavári & Kolos , ٢٠١٥، Trivedi et al., 2018، Primus & Stavrulaki , 2018) قام الباحثان بوضع مخطط فرضي يظهر طبيعة العلاقة بين متغيرات البحث، كما هو موضح بالشكل (١) ادناه.

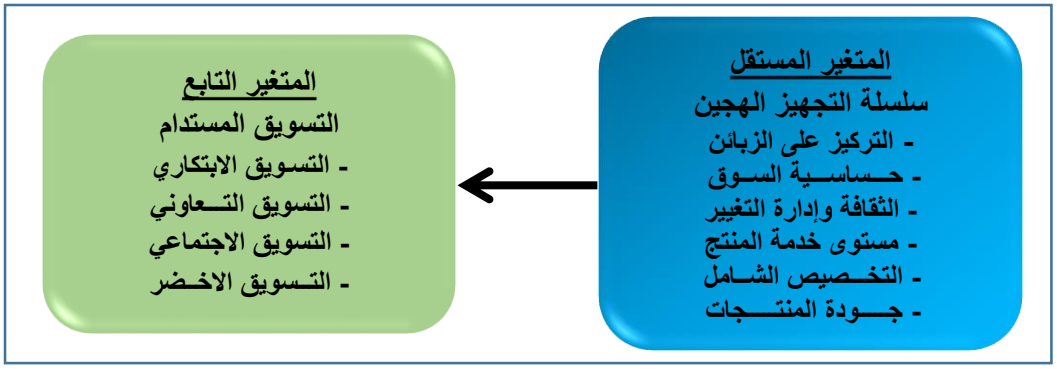

الشكل (١) المخطط الفرضي للبحث

المصدر: من اعداد الباحثين

من خلال الشكل (١)، اتضح بان متغير سلسلة التجهيز الهجين هو المتغير المستقل Independent Variable الذي سيتم قياسه من خلال ست ابعاد هي: (التركيز على الزبائن، حساسية السوق، الثقافة وإدارة التغيير، مستوى خدمة المنتج، التخصيص الشامل، جودة المنتجات)، اما التسويق المستدام فهو المتغير التابع Dependent Variable الذي سيتم قياسه من خلال اربعة ابعاد هي: (التسويق الابتكاري، التسويق التعاوني، التسويق الاجتماعي، التسويق الاخضر).

سادسا: فرضيات البحث Research Hypotheses

بعد الاطلاع على نتائج الدراسات السابقة (Raj et al., 2018، Trivedi et al., 2018) واستناداً الى ما سيتم عرضه في الجانب النظري، ومن اجل وضع اجابة عن تساؤلات البحث الحالي وتحقيق أهدافه، فقد تم صياغة الفرضية الرئيسة وفرضياتها الفرعية، كما يلي:

الفرضية الرئيسة: سلسلة التجهيز الهجين لها تأثير موجب معنوي في التسويق المستدام.

وينبثق عن هذه الفرضية ثلاثة فرضيات فرعية:

H_1- التركيز على الزبائن لها تأثير موجب في التسويق المستدام.

H_2- حساسة السوق لها تأثير موجب في التسويق المستدام.

H_3– الثقافة وإدارة التغيير لها تأثير موجب في التسويق المستدام.

H_4– مستوى خدمة المنتج لها تأثير موجب في التسويق المستدام.

H_5– التخصيص الشامل لها تأثير موجب في التسويق المستدام.

H_6– جودة المنتجات لها تأثير موجب في التسويق المستدام.

سابعا: مقاييس البحث Research Measurement

تم اعتماد دراسة (Raj et al., 2018) لقياس سلسلة التجهيز الهجين، حيث تم تطوير هذا المقياس بشكل خاص لكي يتم تطبيقه في بيئة الصناعية، اعتمد الباحثان هذا المقياس بوصفه الاحدث والاكثر ملائمة للبيئة العراقية. ولقياس متغير التسويق المستدام، اعتمد الباحثين مقياس كل من (Trivedi et al., 2018، Gordon et al., 2011) الذي قام بتطوير هذا المقياس بالاعتماد على المقياسين الأكثر استخداما من قبل الباحثين. الجدول (١)، يوضح مقاييس البحث.

جدول (١) مقاييس البحث

المتغيرات	الابعاد	عدد الفقرات	المقياس المعتمد
سلسلة التجهيز الهجين	التركيز على الزبائن	4	Raj et al., 2018
	حساسية السوق	3	
	الثقافة وادارة التغيير	3	
	مستوى خدمة المنتج	3	
	التخصيص الشامل	3	
	جودة المنتجات	3	
التسويق المستدام	التسويق الابتكاري	5	Trivedi et al) (2018
	التسويق التعاوني	5	

	التسويق الاجتماعي	5	Gordon et al)
	التسويق الأخضر	5	(2011

المصدر: من اعداد الباحثين

ثامناً: منهج البحث Research Approach

تبنى البحث منهج دراسة استطلاعية Survey، وذلك بالاعتماد على اراء عينة من الإداريين في معمل سمنت الكوفة. للإجابة على تساؤلات البحث وتحقيقاً لأهدافه، يسعى الباحثان وعلى وفق هذا المنهج إلى تحديد طبيعة العلاقة بين متغيرات البحث (سلسلة التجهيز الهجين والتسويق المستدام).

مجتمع وعينة البحث Population & Sample Research

تضمن مجتمع الدراسة على جميع العاملين في معمل سمنت الكوفة البالغ عددهم (١٦٠٠) موظف، ومن هذا المنطلق، فأن ليس جميع العاملين هم ذي صلة مباشرة بطبيعة متغيرات الدراسة الحالية وأهدافها، وعلى وفق رأي (Saunders et al., 2016:204) يمكن للباحث اختيار مجموعة فرعية من المجتمع يطلق عليها مصطلح (المجتمع المستهدف) وكما يظهر في الشكل (٢) ادناه، بناءً على ذلك، حدد الباحث المجتمع المستهدف بالموظفين الإداريين المرتبطين بالعمليات الإنتاجية والتسويقية في المعمل قيد الدراسة المتمثلة بـــ (رؤساء الأقسام، مسؤولين الشعب، والمهندسين) في معمل اسمنت الكوفة بوصفهم الأفراد الأكثر ملائمة لمتغيرات الدراسة، وقد بلغ عددهم (٢٧١) موظف.

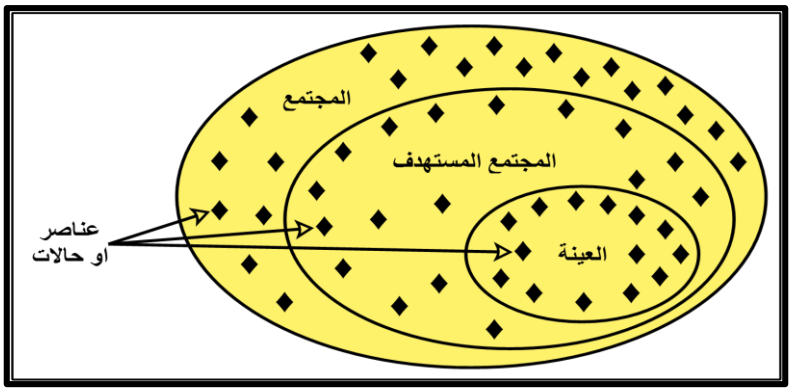

الشكل (٢) المجتمع والمجتمع المستهدف

Source: Saunders, M., Lewis, P. & Thornhill, A. (2016). Research methods for business students. New York: Pearson Education, p. 275.

ومن أجل تحقيق اهداف الدراسة، تم توزيع استمارات الاستبيان على كافة أفراد المجتمع المستهدف البالغ عددهم (٢٧١) كما موضحة بالجدول (٢) وعناصر المجتمع المستهدف.

جدول (٢) عناصر المجتمع المستهدف

افراد المجتمع المستهدف	العدد
رؤساء الأقسام	14
مسؤولين الشعب	111
المهندسين	146
المجموع الكلي	271

عاشرا: اساليب التحليل الاحصائي Techniques of Statistical Analysis

في الجانب العملي من هذا البحث تم استخدام مجموعة من الادوات الاحصائية من اجل التوصل الى نتائج احصائية دقيقة، وذلك باستخدام برنامج SPSS مع توظيف أسلوب نمذجة المعادلات الهيكلية (SEM)

باستخدام برنامج Amos كأداة تحليلية لتقييم مقياس البحث من خلال بناء نماذج القياس Measurement Models لمتغيرات البحث واختبار الفرضيات من خلال بناء النماذج الهيكلية Structural Models .

المبحث الثاني: الإطار النظري للبحث Theoretical Framework

اولا: سلسلة التجهيز الهجين leagile supply chain

١- سلسلة التجهيز الهجين Concept of leagile supply chain

قد أظهرت العديد من الأبحاث أن مناهج المرن والرشيق يمكن دمجها بطرق متنوعة من امثال (Raj ; Maharaja et al., 2018 ; Soni & Kodali, 2012 et al., 2018) هذا لأنهم مشتركين مع بعضهم بعضا ويمكن ربطها بتطوير نموذج تصنيع جديد تحت اسم الهجين.

يعرّف (Raj et al., 2018:186) الهجين بنه "نظام يتم فيه الجمع بين مزايا المرن والرشيق". تهدف سلسلة التجهيز الهجين إلى بث القدرة التنافسية في منظمة بتكلفة معقولة. وعلى وفق (Maharaja et al., 2018:339) الهجين هو عبارة عن سلسلة تجهيز تعتمد على التجهيز المرن والتجهيز الرشيق في إطار استراتيجية سلسلة التجهيز الإجمالية عن طريق تحديد أفضل وجه مع الاستجابة إلى الطلب المتقلب في اتجاه السوق مع توفير جدول زمني عند الانتاج. يوضح الجدول (٣) مجموعة من التعاريف لمفهوم سلسلة التجهيز الهجين.

جدول (٣) مجموعة من التعاريف لمفهوم الاستراتيجيات الاستباقية

الباحث والسنة	التعريف
Naylor et al (1999)	هو مزيج من النماذج المرن والرشيق ضمن استراتيجية سلسلة التجهيز الإجمالية من خلال تحديد نقطة الفصل بحيث تتناسب بشكل أفضل مع الحاجة إلى الاستجابة إلى الطلب المتقلب في اتجاه السوق مع توفير جدول زمني على مستوى السوق.

Christopher et al (2006)	هي عملية استخدام المبادئ الفعال عند تصميم سلسلة التجهيز لمنتجات قياسية قابلة للتنبؤ ومبادئ رشيقة لمنتجات لا يمكن التنبؤ بها أو "خاصة".
Raj et al (2018)	هو مزيج من النموذج المرن والرشيق ضمن نظام سلسلة التجهيز الكلي عن طريق وضع نقطة الفصل بحيث تتناسب بشكل أفضل مع الحاجة إلى الاستجابة إلى الطلب المتقلب في السوق.

المصدر: من اعداد الباحثين

٢. ابعاد سلسلة التجهيز الهجين Dimensions of leagile supply chain

تزايد المنافسة في السوق والتطورات في تكنولوجيا المعلومات من المهم أن تلبي المنظمة الاحتياجات الفردية للزبائن عن طريق استخدام سلسلة التجهيز المناسبة. تتنافس المنظمات على أساس سلسلة التجهيز الخاصة بها والتي تختلف على وفقً أهداف المنظمة، وتعتمد سلسلة التجهيز الهجين على الابعاد التي تحقق من خلالها الافضلية للمنظمة والتي حددها (Raj et al., 2018) ويتم توضيح هذه الابعاد كما يأتي:

❖ التركيز على الزبائن Customer focus

يتمثل أحد الأهداف الرئيسية لتطوير شبكة سلسلة التجهيز الهجين في تحقيق رضا الزبائن (Maharaja et al., 2018:404). يمكن تحقيق التركيز على الزبائن من خلال تقديم المنتجات والخدمات مع مجموعة من الخصائص مثل تقليل الوقت المحتمل وخفض السعر والتسليم في موقع العمل والعمليات المضمونة (مثل نقل البضائع بأمان وتسهيل تحويل الأموال بدون أخطاء) وتوفير خدمة ما بعد البيع إلى جانب الخدمات اللوجستية العكسية. تختلف طبيعة الزبائن لأن متطلبات الخصائص تختلف من عميل إلى آخر (Raj et al., 2018:183). ومن ثم يجب قياس أداء سلسلة التجهيز الهجين من وجهة نظر تحقيق رضا العملاء من خلال توظيف مبادئ سلسلة التجهيز الهجين، وستحدد درجة تحقيق التركيز على الزبائن موقف

نقطة الفصل في سلسلة التجهيز المستخدمة في المنظمة. ومن ثم فإن القدرة على إرضاء العملاء ستكون معيارًا سيؤثر على أداء سلسلة التجهيز الهجين.

❖ حساسية السوق Market sensitivity

تنطوي حساسية السوق على مسائل تتعلق بالاستجابة السريعة للطلب الحقيقي. إنه يتميز بستة تدابير: سرعة التسليم وموثوقية التسليم مقدمة المنتج الجديد ووقت تطوير المنتج الجديد وقت التصنيع واستجابة العملاء (Agarwal et al., 2006:213). هو مقدار رد فعل المنظمة للتغيرات في العوامل الأساسية للبيئة المحيطة للمنظمة من خلال اختلاف اذواق الزبائن والتطوير الذي يحصل على المنتجات باستمرار. حسابات الحساسية لجميع العوامل التي تؤثر على أداة معينة بطريقة سلبية أو إيجابية. الهدف هو معرفة مدى تأثير عامل معين على قيمة أداة معينة (Chakravarty, 2015:20).

❖ الثقافة وادارة التغيير Culture and change management

كما يشير (Christopher & Towill, 2001:3) إلى أن هناك حاجة بقوة جميع برامج إدارة التغيير والثقافة للنظر في الاحتياجات الفكرية وكذلك الاحتياجات التشغيلية لسلسلة التجهيز. وبالتالي فإن تطوير ووصف نموذجنا المتكامل لتمكين المؤسسة رشيقة على أساس مفهوم اتصال سلس بين التصنيع واللوجستيات. وعلى وفق (Gattorna, 2006:29) يغطي تنفيذ استراتيجيات سلسلة التجهيز المتعددة ويقترح أن مبادرات الثقافة إدارة التغيير يمكن تنفيذها الآن بحيث يمكن رسم خرائط للثقافات الحالية والمثالية والمفضلة في المنظمة. وحتى ذلك الوقت تظل الثقافة وإدارة التغيير في منظمات سلسلة التجهيز مهمة أساسية لأي مبادرة أو تنفيذ أو إعادة هيكلة (Vinodh & Aravindraj, 2013:1190).

❖ مستوى خدمة المنتج Product service level

إن الوقت المتاح للسوق هو مدى قدرة أي منظمة على تقديم منتجات جديدة بسرعة أكبر من المنافسين الرئيسيين، لذا فأن عملية تقييم مستوى خدمة المنتج من حيث الموثوقية في التسليم إلى أي مدى تكون

المنظمة قادرة على توفير في الوقت المناسب نوع وحجم المنتج المطلوب من قبل الزبائن (Carvalho et al., 2012:56).

واشار (Sanchez & Perez, 2004:340) توجد هناك ستة أبعاد رئيسية لمستوى خدمة الزبائن: توفر المنتج ، وقت دورة الطلب ، قابلية نظام التوزيع ، معلومات نظام التوزيع ، عطل نظام التوزيع ودعم ما بعد البيع. الشركات قادرة على تحسين مستويات الخدمة عن طريق تقليل أوقات التسليم (Raj et al., ٢٠١٨:١٨٦).

❖ التخصيص الشامل Mass customization

هو نوع من نمط للمنتجات المخصصة التي يتم توريدها إلى الزبون الفردي بكمية عشوائية أو إلى أسواق دفعات صغيرة متعددة الفروق تعتمد على الإنتاج الضخم بفاعلية عالية من خلال إعادة تركيب هياكل المنتجات وعملية التصنيع باستخدام سلسلة من تكنولوجيا المعلومات الحديثة تكنولوجيا التصنيع المتقدمة وتكنولوجيا الإدارة الحديثة بتكلفة وسرعة الإنتاج الضخم (Yang & Li, 2002:641). الجمع بين التخصيص الشامل ومزايا الإنتاج الضخم مع تلك المنتجات المخصصة لتلبية طلب الزبائن بحيث تصبح تدريجيا واحدة من وسائل الإنتاج المؤسسي المهمة في سوق تلبية طلبات الزبائن.

❖جودة المنتجات Quality of products

ان جودة المنتج (تلبية احتياجات ومتطلبات الزبائن) وخدمة الزبائن (توفير الوقت وحجم الإنتاج المطلوب) والوقت اللازم للتسويق (إدخال سريع لمنتجات جديدة) كأولويات تنافسية لسلسلة التجهيز (Carvalho et al., 2012:55). لذا أصبح الزبائن أكثر تطوراً وإعلاماً يطلبون منتجات جديدة أو ميزات جديدة في المنتجات الحالية مع وقت أسرع في السوق. واستخدام تكنولوجيا المعلومات لتنسيق ودمج الأنشطة في المشتريات: لذا يكون لتكامل الموردين تأثير أقوى على جودة المنتج من التكامل الداخلي والزبائن مع زيادة مستوى الخدمة من خلال تقديم المنتجات الأكثر (Maharaja et al., 2018:339).

ثانيا: مفهوم التسويق المستدام Sustainable Marketing

١- مفهوم التسويق المستدام Concept of Sustainable Marketing

يُنظر إلى الاستدامة كمفهوم جذاب في مجموعة متنوعة من المجالات لكن التسويق على وجه الخصوص لديه فرصة للإسهام بشكل كبير في فهم المفهوم ومزاياه وحيويته كمحور للعمليات المستقبلية للمنظمة، ويتمتع التسويق بفرصة لـرفع مستـوى تـركيزه من إدارة العلاقات مع الزبائن وإدارة العلاقات مع أصحاب المصلحة الآخرين بالإضافة إلى مجموعة أوسع من قضايا السوق التي تتضمن الأبعاد الاقتصادية والبيئية والاجتماعية (Trivedi & Trivedi, 2018:198).

ويبدو ان مفهوم التسويق المستدام الذي ظهر في الأدبيات الغربية في الآونة الأخيرة في أواخر التسعينات بمثابة مرحلة طبيعية في تطور التسويق (Rudawska, 2018:67). هذا هو مفـهوم الإدارة الأوسع الذي يوضح فكرة التنمية المستدامة، التي تستلزم الحاجة إلى تفعيل سـلوك جـميع الأطـراف الـفاعلة فـي سياق سلسلة الـقيمة بما في ذلك المصنعين والمستهلكين (الفقهاء والصيفي ،٢٠١٥: ٣٨٦). لذا يـجب تطبيق التسويق المسـتدام على المنـظمـة ككـل، ويـنبغي أن تسـهم جمـيع عمـلياته فـي وضـع سـياسة شـامـلة لـلاسـتدامـة. وكذلك اضاف (Eitiveni et al., 2018:23) تتعزز الحاجة إلى رؤية أوسع لمفهوم التسويق من خلال مشاكل الإدارة الناشئة عن الآثار البيئية والاجتماعية والاقتصادية السلبية الوخيمة التي نشأت عن الأحداث العالمية والمدفوعة بالأسواق. واضافه لكل ما تقدمه يوضح الجدول (٤) مجموعة من تعاريف التسويق المستدام على فق أراء مجموعة من الباحثين.

جدول (٤) مجموعة من تعاريف التسويق المستدام

الباحث والسنة	التعريف
Fuller (1999)	عملية تخطيط وتنفيذ ومراقبة تطوير وتسعير وترويج وتوزيع المنتجات بطريقة تفي بالمعايير الثلاثة التالية: (١) تلبية احتياجات العملاء (٢) تحقيق الأهداف التنظيمية (٣) العملية متوافق مع النظم البيئية.
Gordon et al (2011)	تخطيط وتنظيم ومراقبة موارد وبرامج التسويق لتلبية احتياجات الزبائن واحتياجاتهم مع مراعاة المعايير الاجتماعية والبيئية وتحقيق أهداف الشركة.
McDonagh & Prothero (2014)	عملية إنشاء وتوصيل وتسليم القيمة للزبائن بطريقة يتم فيها الحفاظ على كل من رأس المال الطبيعي والبشري أو تحسينه في جميع أنحاء.
Eitiveni et al (2018)	هو عملية ترويج للمنتجات والخدمات والأنشطة التي لا تضر بالبيئة والموظفين والمجتمعات التي تعمل فيها منظمة.

المصدر: من اعداد الباحثين

٢- ابعاد التسويق المستدام Dimensions of Sustainable Marketing

اعتمد كل من (Gordon et al., 2011،Trivedi & Trivedi, 2018) على اربعة ابعاد للتسويق المستدام التي تحقق الاداء الافضل للمنظمة على المدى البعيد، وهذه الابعاد هي (التسويق الابتكاري، التسويق التعاوني، التسويق الاجتماعي، التسويق الاخضر) حيث سيتم اعتماد هذه الابعاد للدراسة لشمولها الوضوح وهي كالاتي:

١- التسويق الابتكاري Innovative Marketing

يتسع مفهوم التسويق الابتكاري لجميع التطبيقات التسويقية، حيث يحظى باهتمام الباحثين والأكاديميين في حقل التسويق لما له من تأثير ايجابي واضح في نجاح المنظمة وتميزها، فهو أحد ابعاد التسويق المستدام الرئيسة، والذي يتم من خلاله بحث المنظمة بعملية تطوير منتج حقيقي وجديد وإجراء التحسينات التسويقية. لذا فأن التسويق الابتكاري هو تحسين أو تطوير منتجات تقليدية أو خلق منتجات جديدة من خلال الانفتاح على أفكار جديدة ووجهات نظر متعددة حول الابتكار من اجل إيصال تلك الأفكار إلى أفراد بعد وضعها في صيغة مفهومة حتى تصبح منتجا او خدمة مقدمة، حيث ويهدف هذا التسويق إلى إرضاء المستهلكين بشكل أفضل من المنافسين الاخرين من خلال البراعة في تحديد وتلبية متطلبات حاجاتهم ورغباتهم الزبائن بشكل دقيق والموائمة بينها وبين قدرات التي تقوم عليها المنظمة (الياسري و كامل، ٢٠١٥:٩٨). وبين (Trivedi & Trivedi, 2018:200) يجب على المنظمات الأولى دفع الابتكار في جميع مجالاتها. لتلبية احتياجات أوسع للمستهلكين ومواءمة مع القيمة التجارية، لذا يجب دمج الابتكار في المنتجات والخدمات العملية. إذا كان الابتكار يحسن حياة وصحة ورفاهية المجتمع بشكل حقيقي، فإن المستهلكين يطورون علاقات أعمق مع المنظمات. وكذلك يجب أن تؤدي هذه الابتكارات إلى فعالية وتوفير التكاليف للمستهلكين والمؤسسات.

٢- التسويق التعاوني Collaboration marketing

يتضمن التسويق التعاوني استخدام تقنيات عبر الإنترنت للمساعدة في زيادة فاعلية الزبائن في عمليات الشراء، لذا يتم تحقيق ذلك من خلال الربط الشبكي بين الزبائن مع مجموعة من الأشخاص والمؤسسات لإنشاء مجموعة من العلاقات القائمة على المحادثة التي تهدف الى تحقيق الاستدامة، هذا بدوره يؤدي إلى إنشاء مجتمعات افتراضية تفاعلية للمنظمة وزبائنها (Coviello et al., 2001:23).

ويؤكد (Izvercian et al., 2013:389) ان هم الجيل الجديد من المستهلكين: الذين يسعون الى تحقيق التسويق المستدام من خلال استخدام الوسائل التقنية والتعاون أو المشاركة في مفهوم المنتج أو الخدمة والتصميم والاختبار والذين لديهم تأثير معين على شبكتهم الاجتماعية، ولكي يصبح المستهلك مستحقاً

للعرض فإنه يحتاج إلى دافع جوهري للتحقيق الاستدامة، لذا يتجاوز دوره التقليدي ويبدأ في خلق مخرج جديد. هذا الدافع هو المفتاح للإيجابيات الذي يمكن استخدامه من قبل المنظمة لتحديد التعاون والإبداع المشترك للقيمة وكذلك توليد الابتكار في جميع مجالات المنظمات التي تسعى لتحقيق التسويق المستدام.

٣- التسويق الاجتماعي Social marketing

تتخذ المنظمات الواعدة قرارات التسويقية الاجتماعية من خلال الأخذ باحتياجات المستهلك ومتطلبات المنظمة واهتمامات الزبائن والمجتمع على المدى الطويل، لذا يسعى التسويق الاجتماعي إلى تطوير ودمج مفاهيم التسويق مع الأساليب الأخرى للتغيير السلوك، ويهدف التسويق الاجتماعي إلى التأثير على السلوكيات التي تعود بالنفع على الأفراد والمجتمعات من أجل الصالح الاجتماعي الأكبر، وكذلك يقدم برامج للتغيير الاجتماعي حساسة للمنافسة التي تتسم بالكفاءة والفعالية والإنصاف والاستدامة (الياسري وكامل ، ١٠٠:٢٠١٥).

ويوضح (Gordon et al., 2011:149) يمكن أن يكون التسويق الاجتماعي "مسارًا" فعالًا لتشجيع حلول تسويقية أكثر استدامة، لذا يعرف التسويق الاجتماعي بأنه: "التطبيق المنهجي لمفاهيم وتقنيات التسويق لتحقيق أهداف سلوكية محددة لسلعة اجتماعية أو عامة".

٤- التسويق الاخضر Green Marketing

الطريقة الأولى التي يمكن للتسويق أن يصبح أكثر استدامة هي من خلال تطوير واستخدام التسويق الأخضر. لذا يعرف التسويق الأخضر بأنه: "عملية الإدارة الشاملة المسؤولة عن تحديد متطلبات الزبائن والمجتمع وتوقعها واستيفائها بطريقة مربحة ومستدامة"(Gordon et al., 2011:147). وبعبارة أخرى يستخدم المسوقون مهاراتهم لتشجيع الاستهلاك المستدام من خلال التأثير على جميع مكونات عملية التسويق.

وتم تطوير أدبيات حول التسويق الأخضر اذ يدور التسويق الأخضر حول المنظمات التي تطبق التفكير المستدام بشكل كلي من الإنتاج إلى خدمة ما بعد الشراء، بهدف تحقيق التوازن بين حاجة المنظمة إلى

الربح والحاجة الأوسع لحماية البيئة (Belz & Karstens, 2005:45). ويمارس التسويق الأخضر عادة من قبل المنظمات التي تلتزم بالتنمية المستدامة والمسؤولية الاجتماعية للمنظمات.

المبحث الثالث: تحليل البيانات وتقييم المقياس Data Analysis & Scale Assessment

أولاً. ترميز متغيرات وفقرات المقياس Coding of Variables and Scale Items

قبل البدء في عملية تحليل البيانات المتوفرة في استمارات الاستبانة المسترجعة يتطلب الامر ترميز المتغيرات الرئيسية والفرعية وكذلك فقرات المقياس الخاصة بتلك المتغيرات. الغرض من هذا الاجراء هو لتسهيل عملية ادراج وتحليل البيانات في برنامج SPSS-Amos، كما مبين في الجدول (٥) أدناه.

جدول (٥) ترميز متغيرات وفقرات المقياس

المتغيرات الرئيسة	رمزه	البعد (المتغير الفرعي) ورمزه	رمز الفقرات في البرنامج
سلسلة التجهيز الهجين	LASC	التركيز على الزبائن CFS	CFS1-CFS4
		حساسية السوق MSE	MSE1-MSE3
		الثقافة وادارة التغيير CCM	CCM1-CCM3
		مستوى خدمة الزبائن PSL	PSL1-PSL3
		التخصيص الشامل MAC	MAC1-MAC3
		جودة المنتجات QOP	QOP1-QOP3
التسويق المستدام	SUSM	التسويق الابتكاري INM	INM1-INM5
		التسويق التعاوني COM	COM1-COM5
		التسويق الاجتماعي SOM	SOM1-SOM5
		التسويق الاخضر GRM	GRM1-GRM5

ثانيا. معدل الاستجابة Response Rate

بهدف استكمال متطلبات الدراسة الحالية ومن اجل تمثيل مجتمع الدراسة المستهدف تمثيلاً دقيقاً بعيداً عن التحيز، استخدم الباحث أسلوب العينة القصدية.

وفي هذا السياق، فقد قام الباحث بتوزيع (٢٧١) استبانة على مجتمع الدراسة المستهدف في المعمل قيد الدراسة، وللمدة من (٢٠١٩/٢/٥) ولغاية (٢٠١٩/٣/١٠). وبعدها تم استرجاع (٢٣٨) استبانة، حيث وجده الباحث إن الاستبانات غير مكتملة الإجابات كان (١٨) استبانة، في حين (٦) استبانة كانت استبانات شاذة (Outliers). وبهذا يكون عدد الاستبانات الصالحة للتحليل الإحصائي (٢١٤) استبانة، أي بمعدل (٧٩٪).

ثالثاً: وصف عينة المستجيبين Description of Respondents Sample

إن وصف عينة المستجيبين تعطي صورة متكاملة عن خصائص عينة البحث، فالمستجيبين قد أجابوا عن الأسئلة التي تتعلق بـ(الجنس – الحالة الاجتماعية – العمر– مستوى التعليم – عدد سنوات الخبرة في الوظيفة الحالية)، والتي تسهم في إعطاء المعلومات المطلوبة حول خصائص وسمات عينة المستجيبين لمعرفة مساهمتها في تحقيق أهداف البحث. يظهر النتائج المتعلقة بمتغير الجنس، إن عدد الذكور قد بلغ (١٩٣، بنسبة.٩٠%)، بينما كان عدد الاناث (٢١، بنسبة.١٠%)، وهذه النتيجة متوافقة مع سجلات معمل سمنت الكوفة، التي توضح ان النسبة الاعلى من العاملين هم من الذكور، أما نتائج الحالة الاجتماعية فأن النسبة الاكبر كانت من عينة المستجيبين هم المتزوجون (١٧٠، بنسبة.٤. ٧٩%)، أما الذي يتعلق بنتائج متغير العمر فقد كانت الحصة الاعلى من المستجيبين ضمن الفئة (٣٦–٤٥) بعدد (٩١، بنسبة.٤٢٪)، وتليها الفئة العمرية (٤٦–٥٥) بعدد (٧٠، بنسبة ٣٢,٨%)، وكان عدد (٣١، بنسبة ١٤,٥%) من نصيب الفئة العمرية (٢٦–٣٥)، وتليها الفئة العمرية (٥٦فأكثر) بعدد (12 بنسبة ٦%) اما الفئة العمرية (–٢٥ ١٨) فقد احتلت المرتبة الاخيرة بعدد (١٠، بنسبة ٤,٧%).

أما مستوى التعليم، فقد كانت النسبة الاعلى من المستجيبين هم من حملة شهادة البكالوريوس (١٦١، بنسبة ٧٥,٣%)، ويليهم في الترتيب الموظفون من حملة شهادة الدبلوم (٤٠، بنسبة ١٨,٧%)، اما خريجي الماجستير بعد الدبلوم فكان عددهم (٩، بنسبة ٤,٢%) ومن الجدير بالذكر ان حملة شهادة الدكتوراه بعدد (٤ بنسبة ١,٨%). وتأسيساً على مؤشر مستوى التعليم، فأن عينة المستجيبين لهم القدرة الكافية على فهم فقرات الاستبانة.

أما فيما يتعلق بسنوات الخبرة، فأن نتائج الجدول في اعلاه توضح ان النسبة المئوية الاعلى (٧٨، بنسبة ٣٦,٣%) وقد كانت من نصيب عينة المستجيبين التي تتراوح مدة خبرتهم بين (٢١ فأكثر) سنة، ويليهم في المرتبة الثانية من عينة الدراسة الذين تتراوح مدة خبرتهم بين (١٦-٢٠) سنة والبالغ عددهم (٥٥، بنسبة ٢٥,٧%)، و يليهم في المرتبة الثالثة من عينة الدراسة الذين تتراوح مدة خبرتهم بين (١١-١٥) سنة والبالغ عددهم (٤٥، بنسبة ٢١%)، أما المستجيبين الذين لديهم خبرة وظيفية بين (٦-١٠) سنوات فقد بلغ عددهم (٢١، بنسبة ١٠%)، وأخيراً فأن النسبة الاقل كان لعدد المستـجيبين ممن لديهم خبرة وظيفية (١-٥) سنة، فقد بلغ عددهم (١٥، بنسبة ٧%)، ومن هذه النتائج يتبين ان نستنتج أن النسبة الاعلى من عينة الدراسة كانت لهم الخبرة الوظيفية والمعرفة الكافية بواقع العمل في المنظمة قيد البحث، التي تمكنهم من تحديد اجاباتهم بدقة على فقرات الاستبانة. واستنادا إلى ما تقدم، فأن عينة المستجيبين لهذه الدراسة تتوافر فيها كافة الخصائص والصفات والسمات التي تسعى الى تحقيق أهداف الدراسة.

رابعاً. التحليل الإحصائي الوصفي Descriptive Statistics Analysis

أ. التحليل الإحصائي الوصفي للمتغير المستقل

التحليل الإحصائي الوصفي لمتغير سلسلة التجهيز الهجين يتضمن قيم (الوسط الحسابي، الانحراف المعياري، التباين)، حيث إن الوسط الحسابي العام قد بلغ (٤,١٢) وهو أعلى من الوسط الفرضي (٣) وبانحراف معياري عام (٠,٧٤٨) وتباين عام (٠,٥٥٩)، وهما يدلان على وجود تشتت منخفض نسبياً للإجابات حول الوسط الحسابي. بشكل عام، تدلّ النتائج على ان جميع اجابات العينة كانت متجانسة

ومتوافقة وصالحة للتحليل الاحصائي. ونستنتج من ذلك بان أبعاد سلسلة التجهيز الهجين هي مدركة بشكل واضح من قبل المستجيبين في المنظمة قيد البحث، وبهذا يتحقق هدف الدراسة الاول الذي يتعلق بمدى إدراك العاملين في المنظمة قيد البحث لأبعاد سلسلة التجهيز الهجين.

ب. التحليل الإحصائي الوصفي للمتغير التابع

التحليل الإحصائي الوصفي لمتغير التسويق المستدام، تضمن قيم (الوسط الحسابي، الانحراف المعياري، التباين). حيث إن الوسط الحسابي العام قد بلغ (٤,١٢٨)، وهو أعلى من الوسط الفرضي (٣). أما قيمة الانحراف معياري العام كانت (0.٧١٦) وتباين عام مقداره (٠,٥١٣)، وهما يدلان على وجود تشتت منخفض نسبياً للإجابات حول الوسط الحسابي. بشكل عام، تدلّ تلك النتائج على ان جميع الاجابات العينة كانت متجانسة ومتوافقة وصالحة للتحليل الاحصائي. ونستنتج من ذلك بان أبعاد التسويق المستدام هي مدركة بشكل واضح من قبل عينة المستجيبين في المنظمة قيد البحث، وبهذا يتحقق هدف الدراسة الثاني الذي يتعلق بمدى إدراك العاملين في المنظمة قيد البحث لأبعاد التسويق المستدام.

خامساً: اختبار دقة وجودة البيانات Testing Accuracy & Goodness of the Data

قبل البدء بأي عملية تحليل إحصائي من الضروري اجراء عدة اختبارات بهدف اختبار دقة وجودة البيانات الخاضعة للتحليل، ومن هذه الاختبارات هي (اختبار صدق Validity test، اختبار الثبات Reliability Test).

أ. اختبار الصدق Validity test

يُعدّ اختبار صدق المقياس واحداً من المؤشرات التي يجب توافرها في اداة المقياس المعتمدة في قياس أي من الصفات والظواهر قيد البحث. يُقصد به أن يقيس الاختبار فعلاً القدرة أو السمة أو الاتجاه الذي وُضعت اداة المقياس لقياسه. ولاختبار صدق اداة المقياس، هناك عدة انواع من الاختبارات، وفي البحث الحالي تم التركيز على الاختبارين الاكثر شيوعاً وهما (اختبار الصدق الظاهري واختبار صدق المتغير)، وكما هو موضح في أدناه:

- الصدق الظاهري Face Validity

استناداً الى الادبيات في هذا المجال (Bindl & Parker, 2010, Grant & Ashford, 2008)، تم عرض مقياس البحث على مجموعة من الأساتذة الأكاديميين من ذوي الخبرة والاختصاص في مجال إدارة الأعمال. وعلى ضوء ملاحظات السادة الخبراء جرى إعادة صياغة بعض فقرات المقياس لتصبح أكثر دقة ووضوحاً لعينة المستجيبين.

- صدق المتغير Construct Validity

ان من أهم اختبارات صدق المقياس هو التأكد من صدق المتغير Construct Validity، ولعل تحليل العامل التأكيدي (CFA) Confirmatory Factor Analysis من أهم الطرق وأكثرها شيوعاً في هذا المجال (Hair et al., 2010). وقد أجر الباحثان هذا الاختبار باستخدام برنامج Amos v.24، وكما هو موضح في أدناه.

– التحليل العاملي التوكيدي لمتغير سلسلة التجهيز الهجين:

الجدول (٦) أدناه، يظهر نتائج التحليل العاملي التوكيدي (CFA) الخاصة بالمتغير المستقل سلسلة التجهيز الهجين من خلال ابعاده الست (CFS–MSE–CCM–PSL–MAC–QOP).

جدول (٦) نتائج تحليل العاملي التوكيدي لمتغير سلسلة التجهيز الهجين

المسار Path			التقدير Estimate	المسار Path			التقدير Estimate
CFS3	<---	CFS	.819	PSL3	<---	PSL	.881
CFS2	<---	CFS	.786	PSL2	<---	PSL	.870
CFS1	<---	CFS	.618	PSL1	<---	PSL	.631
CFS4	<---	CFS	.594	MAC3	<---	MAC	.861

المسار Path			التقدير Estimate	المسار Path			التقدير Estimate
MSE3	<---	MSE	.625	MAC2	<---	MAC	.823
MSE2	<---	MSE	.708	MAC1	<---	MAC	.493
MSE1	<---	MSE	.066	QOP3	<---	QOP	.874
CCM3	<---	CCM	.556	QOP2	<---	QOP	.868
CCM2	<---	CCM	.641	QOP1	<---	QOP	.021
CCM1	<---	CCM	.726				

المصدر: مخرجات برنامج Amos v.24

تشير نتائج التحليل العاملي التوكيدي في الجدول (٦) أعلاه، إلى إن اغلب قيم التحميل كانت أكبر من الحدود الدنيا المسموح بها (٠,٥٠) للتحليل العامل التأكيدي، أما قيم التحميل التي كانت اقل من الحدود الدنيا للتحليل العامل التأكيدي فسيتم حذفها من المقياس وفقاً لمقترح (Hair et al., 2010)، وذلك لجعل البيانات الخاصة بمتغير "سلسلة التجهيز الهجين" صالحة لإجراء التحليلات الإحصائية الأخرى.

- تحليل العامل التوكيدي لمتغير التسويق المستدام:

الجدول (٧) في أدناه، يظهر نتائج تحليل العامل التأكيدي الخاصة بالمتغير التابع "التسويق المستدام" من خلال ابعاده الاربعة (INM–COM–SOM–GRM).

جدول (٧) نتائج تحليل العاملي التوكيدي لمتغير التسويق المستدام

المسار Path			التقدير Estimate	المسار Path			التقدير Estimate
INM5	<---	INM	.386	SOM5	<---	SOM	.479
INM4	<---	INM	.828	SOM4	<---	SOM	.483

المسار Path			التقدير Estimate	المسار Path			التقدير Estimate
INM3	<---	INM	.660	SOM3	<---	SOM	.559
INM2	<---	INM	.091	SOM2	<---	SOM	.687
INM1	<---	INM	.638	SOM1	<---	SOM	.530
COM5	<---	COM	.644	GRM5	<---	GRM	.845
COM4	<---	COM	.589	GRM4	<---	GRM	.807
COM3	<---	COM	.645	GRM3	<---	GRM	.737
COM2	<---	COM	.754	GRM2	<---	GRM	.790
COM1	<---	COM	.765	GRM1	<---	GRM	.852

المصدر: مخرجات برنامج Amos v.24

تشـــير نتائج الجدول (٧) في أعلاه، إلى إن قيم التحميل جميعها كانت أكبر من الحدود الدنيا (٠,٥٠) لتحليل العامل التأكيدي وفقاً لـــــ(Hair et al., 2010)، وهذا يدل على إن البيانات الخاصـــة بمتغير التسويق المستدام صالحة لإجراء التحليلات الإحصائية الأخرى المطلوبة.

ب. اختبار ثبات المقياس Reliability Test:

على الرغم من وجود عدة أساليب وطرق لاختبار ثبات المقياس. إلا ان الأسلوب الأكثر شيوعاً في هذا المجال هو من خلال قياس مدى الاتساق الداخلي (الثبات) لفقرات المقياس باستخدام معامل كرونباخ ألفا Cronbach Alpha. وبالاستعانة بالدليل التفسيري الذي قدمهُ (Cohen, 2007: 506)، النتائج موضحة في الجدول (٨) أدناه.

جدول (٨) نتائج اختبار ثبات أداة المقياس

المتغير الرئيس	الأبعاد (المتغيرات الفرعية)	الرمز	عدد الفقرات	Cronbach Alpha
سلسلة التجهيز الهجين (LASC)	التركيز على الزبائن	CFS	4	.835
	حساسية السوق	MSE	3	.888
	الثقافة وادارة التغيير	CCM	3	.872
	مستوى خدمة الزبائن	PSL	3	.830
	التخصيص الشامل	MAC	3	.857
	جودة المنتجات	QOP	3	.713
التسويق المستدام (SUSM)	التسويق الابتكاري	INM	5	.730
	التسويق التعاوني	COM	5	.851
	التسويق الاجتماعي	SOM	5	.847
	التسويق الاخضر	GRM	5	.835

المصدر: إعداد الباحث باستخدام برنامج SPSS v.24.

تشير نتائج الجدول (٨) في أعلاه، إن قيم معامل كرونباخ ألفا لجميع الفقرات تتراوح ضمن المدى (٠,٧٣٠–٠,٨٨٩)، وهذا مؤشر للمستوى المتوسط والعالي للمقياس، والذي يدل على ثبات المقياس المعتمد في الدراسة الحالية. وضمن هذا السياق، أشار (Hair et al., 2007) الى ان قيم معامل Cronbach Alpha يفضل ان لا تقل عن (٠,٧) لثبات حالة الاتساق الداخلي لفقرات المقياس.

سادساً. نماذج القياس Measurement Models

من اجل بناء نماذج المعادلات الهيكلية لمتغيرات البحث وفقاً لمؤشـــرات جودة المطابقة المذكورة في الجدول (٩)، يتطلب من الباحثين حذف بعض فقرات المقياس التي تبين ضـــعف ثباتها أو عدم معنويتها

(أقل من ٠,٥٠) في انموذج القياس Measurement Model التي تنتمي إليه، والإبقاء فقط على الفقرات التي لها تأثير معنوي في تكوين الاتســـاق الداخلي التي تســـهم في تحقيق جودة التطابق لبناء الأنموذج النهائي (Hair et al., 2010).

جدول (٩) مؤشرات جودة المطابقة

الرمز	GOF Indexes	حدود جودة التطابق
GFI	مؤشر جودة المطابقة Goodness of fit Index	أكبر من ٠.٩٠
CFI	مؤشر المطابقة المقارن Comparative fit Index	أكبر من ٠.٩٠
RMSEA	الجذر التربيعي لمتوسط الخطأ التقريبي Root Mean Square Error Approximation	أقل من ٠.٠٨
P–value	اختبار الدلالة الإحصائية (مستوى المعنوية)	أكبر من ٠.٠٥

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على (Hair et al., 2010)

عند الرجوع إلى انموذج البحث الفرضي، نلاحظ أنه يتشكل من متغير كامن مستقل واحد هو سلسلة التجهيز الهجين، ومتغير كامن تابع واحد وهو التسويق المستدام، وفيما يلي في الفقرات اللاحقة بناء نماذج القياس لمتغيرات البحث.

١. انموذج القياس لمتغير "سلسلة التجهيز الهجين"

يظهر نموذج القياس Measurement Model والخاص بمتغير يظهر انموذج القياس والخاص بمتغير سلسلة التجهيز الهجين، الذي يتكون من ١٩ فقرة ضمن ست متغيرات (CFS–MSE–CCM–PSL–MAC–QOP)، وهو مستوفٍ أيضا لمؤشرات جودة التطابق بعد أن تم حذف ثلاثة فقرات بسبب ضعف تأثيرها وعدم معنويتها في النموذج، هي (MSE1, MAC1, QOP1) كما موضح في الشكل

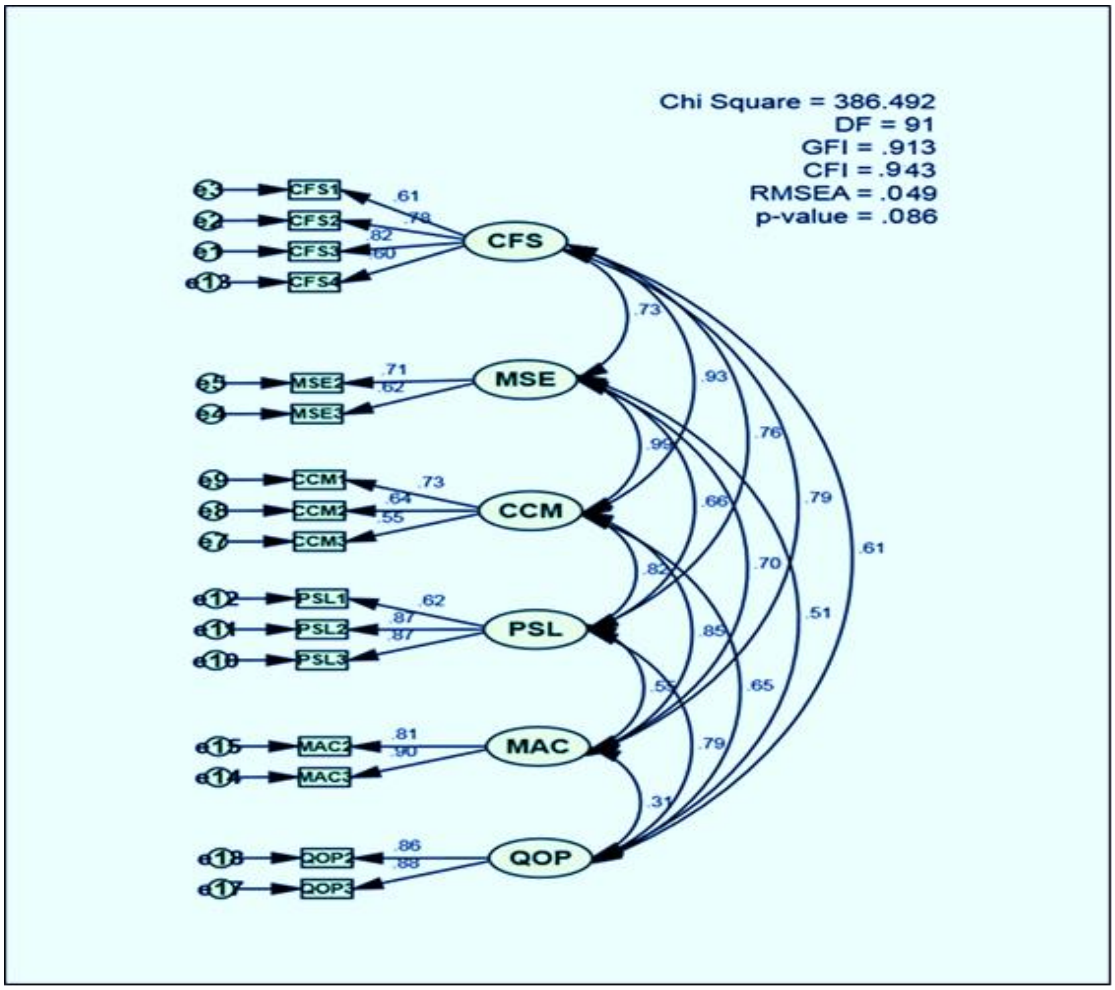

شكل (٣) انموذج القياس لمتغير سلسلة التجهيز الهجين

المصدر: نتائج برنامج Amos v.24

يظهر من الشكل (٣) في أعلاه، إن جميع تقديرات Estimates انموذج القياس لمتغير سلسلة التجهيز الهجين هي معنوية تحت مستوى ٠.٠٠١> p. أما Ratio فكانت اقل من (٣)، وإن جميع قيم مؤشرات جودة التطابق (GFI=0.927; CFI=0.920; RASEA=0.070) وقعت ضمن المدى المسموح به، مما يدل على جودة مطابقة البيانات لأنموذج القياس Measurement Model الخاص بمتغير سلسلة التجهيز الهجين.

٢. انموذج القياس لمتغير "التسويق المستدام"

يبين الشكل (٤)، نموذج القياس لمتغير التسويق المستدام، الذي يتكون من ٢٠ فقرة ضمن اربعة متغيرات (INM–COM–SOM–GRM)، وهو مستوفٍ أيضا لمؤشرات جودة التطابق بعد أن تم حذف اربعة فقرات بسبب ضعف تأثيرها وعدم معنويتها في النموذج، هي (INM2, INM5, SOM4, SOM5) كما موضح في الشكل (٤) في ادناه.

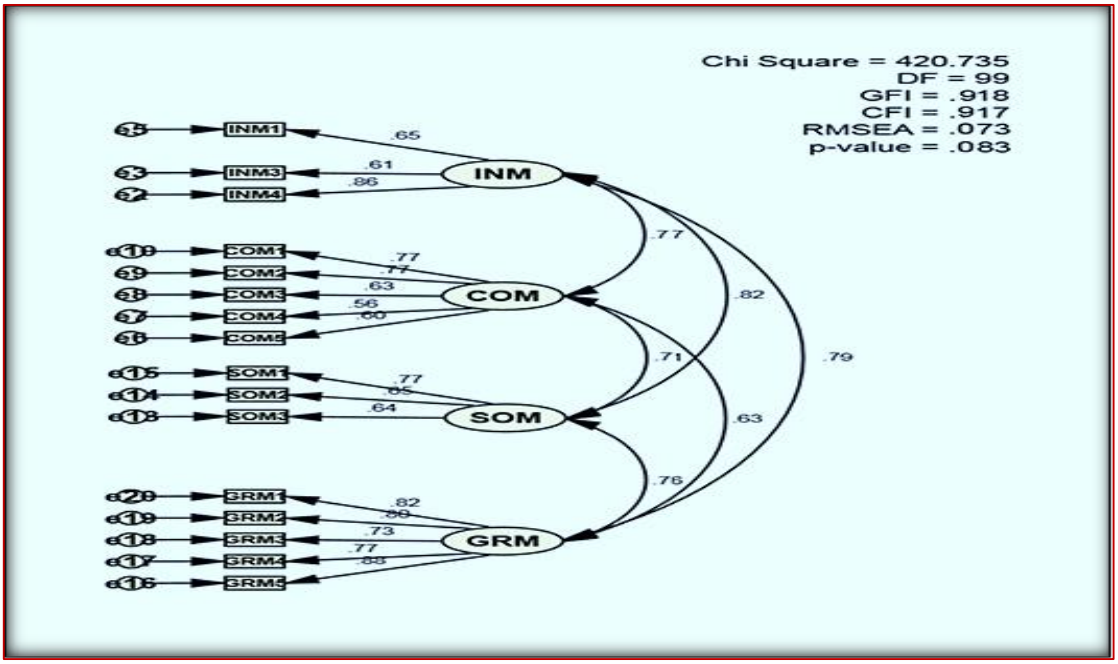

شكل (٤) انموذج القياس لمتغير التسويق المستدام

المصدر: نتائج برنامج Amos v.24

يتبين من الشكل (٤) أعلاه، إن جميع تقديرات Estimates انموذج القياس لمتغير التسويق المستدام هي معنوية تحت مستوى ٠٠١.> p. أما Ratio فكانت اقل من (٣)، كما إن جميع قيم مؤشرات جودة التطابق (GFI=0.940; CFI=0.892; RASEA=0.088)وقعت تقريباً ضمن المدى المسموح به، مما يدل على جودة مطابقة البيانات لأنموذج القياس Measurement Model الخاص بمتغير التسويق المستدام.

سابعاً. النماذج الهيكلية Structural models

بعد أن تم بناء نماذج القياس لمتغيرات البحث بصورة مستقلة، في هذا القسم، سيتم تشكيل النماذج الهيكلية Structural Models للتحقيق في قوة واتجاه العلاقات السببية بين متغيرات البحث. اذ سيتم بناء النماذج الهيكلية لفرضيات البحث الرئيسة والفرعية في ضوء مؤشرات جودة المطابقة لغرض اختبار تلك الفرضيات لاحقا.

الأنموذج الهيكلي لاختبار الفرضية الرئيسة

الفرضية الرئيسة: سلسلة التجهيز الهجين لها تأثير موجب في التسويق المستدام

بهدف اختبار الفرضية الرئيسة، يتطلب من الباحثين تشكيل الأنموذج الهيكلي الخاص بالفرضية لتحديد العلاقة بين المتغير المستقل (سلسلة التجهيز الهجين) والمتغير التابع (التسويق المستدام)، كما موضح في الشكل (٥) ادناه.

- الفرضيات الفرعية التابعة للفرضية الرئيسة الأولى:

H31: التركيز على الزبائن له تأثير موجب في التسويق المستدام

H32: حساسية السوق لها تأثير موجب في التسويق المستدام

H33: الثقافة وادارة التغيير لها تأثير موجب في التسويق المستدام

H34: مستوى خدمة الزبائن له تأثير موجب في التسويق المستدام

H35: التخصيص الشامل له تأثير موجب في التسويق المستدام

H36: جودة المنتجات لها تأثير موجب في التسويق المستدام

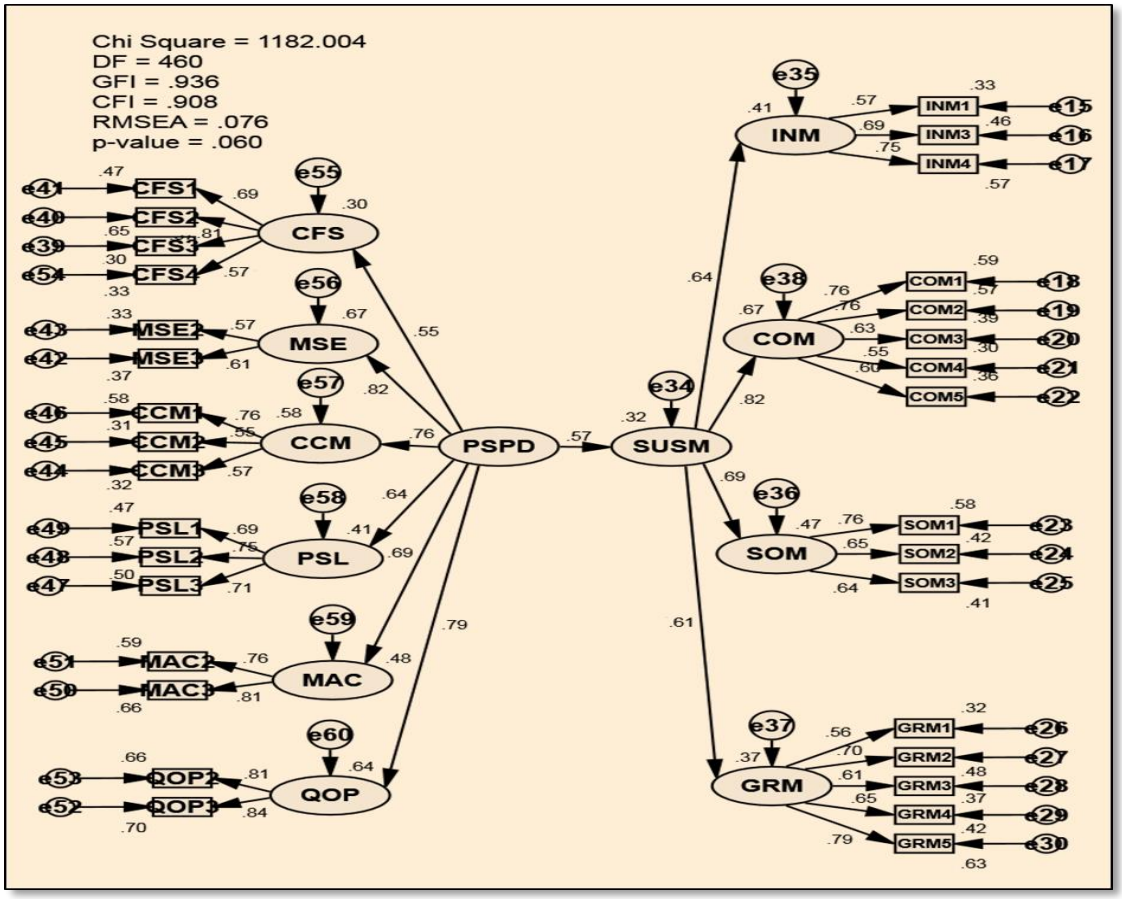

(٥)

الأنموذج الهيكلي لاختبار الفرضية الرئيسة

المصدر: نتائج برنامج Amos v.24

يتبين من الشكل (٥) في أعلاه، إن جميع قيم مؤشرات جودة التطابق (GFI=0.901; CFI=0.902; RASEA=0.075) قد وقعت ضمن المدى المسموح به، كما ان تقدير علاقة التأثير لسلسلة التجهيز الهجين في التسويق المستدام كانت موجبة ومعنوية تحت مستوى ٠٠٥.> p

ثامناً: اختبار الفرضيات Hypotheses Testing

في هذا القسم، سيتم اختبار هذه الفرضيات باستخدام برنامج Amos. بشكل أساسي، تم بناء الأنموذج الهيكلي وفقاً لمؤشرات جودة المطابقة بهدف اختبار فرضيات البحث الرئيسة والفرعية، ثم سيتم التركيز إلى معاملات المسار path coefficients والمرتبطة مع t–values، التي يجب ان تكون مساوية او أكبر من (١,٩٦) لأثبات معنويتها بهدف معرفة قبول أو رفض الفرضيات.

اختبار الفرضية الرئيسة

في ضوء نتائج النموذج الهيكلي للفرضية الاولى والموضح في الشكل (٥)، يبين الجدول في (١٠) نتيجة اختبار الفرضية الرئيسة الاولى.

جدول (١٠) نتيجة اختبار الفرضية الرئيسة الأولى

الفرضية	علاقة التأثير			التقدير	*P*	C.R.
H3	LASC	<---	SUSM	.572	.001	4.215

يتبين من نتائج الجدول (١٠) في أعلاه، إن تقدير علاقة التأثير للفرضية الأولى كانت موجبة ومعنوية تحت مستوى ٠٠١.> p فضلاً عن ذلك، إن قيمة C.R. هي أكبر من ١,٩٦. مما يؤكد على وجود التأثير المباشر لمتغير (سلسلة التجهيز الهجين –LASC) في متغير (التسويق المستدام–SUSM). وبناءً على ذلك، تقبل الفرضية الرئيسة الأولى. أما فيما يخص نتائج اختبار الفرضيات الفرعية التابعة للفرضية الرئيسة فهي مبينة في الجدول (١١) في أدناه.

جدول (١١) نتائج اختبار الفرضيات الفرعية التابعة للفرضية الرئيسة الاولى

الفرضية	علاقة التأثير			التقدير	*P*	C.R.
H_{31}	CFS	<---	SUSM	.453	.001	5.118
H_{32}	MSE	<---	SUSM	.522	.٠٠١	2.321
H_{33}	CCM	<---	SUSM	.359	.٠٠٢	3.587
H_{34}	PSL	<---	SUSM	.665	.٠٠١	5.306
H_{35}	MAC	<---	SUSM	.502	.٠٠١	4.098
H_{36}	QOP	<---	SUSM	.772	.٠٠١	5.546

يتضح من نتائج الجدول (١١)، كما ان تقدير علاقات التأثير للفرضيات الفرعية كانت موجبة ومعنوية تحت مستوى p <.٠٠٥ فضلاً عن ذلك، إن قيم C.R. هي أكبر من ١,٩٦ باستثناء علاقة التأثير بين (SUSM – LASC)، مما يؤكد قبول جميع الفرضيات الفرعية، باستثناء الفرضية الفرعية الاولى.

جدول (٢٦) ملخص نتائج اختبار فرضيات الدراسة

الفرضية	الوصف	النتيجة
H	سلسلة التجهيز الهجين لها تأثير معنوي موجب في التسويق المستدام	تقبل
H_1	التركيز على الزبائن له تأثير معنوي موجب في التسويق المستدام	تقبل
H_2	حساسية السوق لها تأثير معنوي موجب في التسويق المستدام	تقبل
H_3	الثقافة وادارة التغيير لها تأثير معنوي موجب في التسويق المستدام	تقبل
H_4	مستوى خدمة المنتج له تأثير معنوي موجب في التسويق المستدام	تقبل
H_5	التخصيص الشامل له تأثير معنوي موجب في التسويق المستدام	تقبل
H_6	جودة المنتجات لها تأثير معنوي موجب في التسويق المستدام	تقبل

وفي ضوء ما توصلت اليه البحث من معطيات منبثقة من نتائج التحليل الوصفي والاحصائي، فانه يمكن القول بان الدراسة الحالية قد حققت أهدافها التي تم تحديدها أنفاً وهي:

- معرفة مدى إدراك المنظمة قيد البحث لأبعاد سلسلة التجهيز الهجين.
- التأكد من مدى إدراك المنظمة قيد البحث لأبعاد التسويق المستدام.
- تحديد العلاقة السببية المباشرة بين سلسلة التجهيز الهجين والتسويق المستدام في المنظمة قيد البحث.

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصياتConclusions and Recommendations

اولا: الاستنتاجات Conclusions:

يتضمن هذا المبحث الاستنتاجات التي توصلت اليها الدراسة الحالية على وفق محورين، إذ سيتناول في الجزء الاول الجانب المعرفي للدراسة، اما الجزء الثاني يتضمن الجانب التطبيقي:

١. الاستنتاجات المرتبطة بالجانب المعرفي:

- ندرة الدراسات التي اهتمت بدراسة وتفسير العلاقة بين متغيرات البحث.
- آن سلسلة التجهيز الهجين قد تظهر نتيجة لوجود بيئة تنظيمية غير مستقرة ومتذبذبة، لذا تعتمد على هذه الاستراتيجيات في مواجهة التغيرات في البيئة العراقية.
- يساهم التسويق المستدام في بعد الاجتماعي بشكل واضح بتنمية المستدامة وتركيزه على البحث عن الثروة والربح والاهتمام بالجانب البيئي من خلال تقليص الفجوة بين متطلبات التسويق وحاجة المجتمع المحلي.

٢. الاستنتاجات المرتبطة بالجانب التطبيقي:

- سلسلة التجهيز الهجين وما يتصل بها من ابعاد لها تأثير موجب في التسويق المستدام بأبعادها مجتمعة (التسويق الابتكاري، التسويق التعاوني، التسويق الاجتماعي، التسويق الاخضر) وبما يتفق مع نتائج الدراسات السابقة، وهذا يدل على ان المنظمة قيد البحث تعمل على توفير بيئة أعمال متطورة بشكل استباقي.

– التركيز على الزبائن لها تأثير موجب في التسويق المستدام وهي مطابقة لنتائج الدراسات السابقة، وهذا يؤكد على ان المنظمة قيد البحث تعمل على تنمية القدرات الابتكار والابداع واعداد برنامج التدريب لزيادة مهارة الموظفين بهدف تحقيق تسويق مستدام داخل المنظمة.

– حساسية السوق لها تأثير موجب في التسويق المستدام وبما يتفق مع نتائج الدراسات السابقة، وهذا يدل على ان المنظمة قيد البحث تعمل على تعزيز وتطوير التكنولوجية في المنظمة من خلال مواكبة التطورات في بيئة الاعمال الخارجية.

– الثقافة وادارة التغيير لها تأثير موجب في التسويق المستدام؛ وهذا يتفق مع الدراسات السابقة، وهذا يشير الى ان المنظمة قيد البحث تعمل على تعزيز التسويق المستدام من خلال توفير ظروف وسائل التسويق مناسبة في المنظمة.

– مستوى خدمة المنتج له تأثير معنوي موجب في تطبيق التسويق المستدام، وهذا يدل إن معمل قيد الدراسة يأخذ بعين الاعتبار خدمات ما بعد البيع، ويسعى الى امتلاك مراكز توزيع متعددة ومتوزعة جغرافياً.

– التخصيص الشامل له تأثير معنوي موجب في تطبيق التسويق المستدام، وهذا يبين إن المعمل يمتلك سلسلة التجهيز مرونة عالية في التعامل مع ديناميكية السوق.

– جودة المنتجات له تأثير معنوي موجب في تطبيق التسويق المستدام، إذ يتبين إن المعمل قيد الدراسة يقوم بعملية تعزيز خدمات العمليات اللوجستية لسلسلة التجهيز من مستوى جودة المنتج وهذا بدوره سوف يزيد من الحصه السوقية.

ثانياً. التوصيات Recommendations:

- ينبغي على المنظمة قيد البحث ان تهتم أكثر بالتسويق المستدام من خلال تبني مدخلاً متكاملاً في ادارة الموارد البشرية التي تحسن وسائل التسويقية للمنظمة، ومن خلال الاهتمام بإجراءات البيئة وضع برنامج التدريب والتعليم في المنظمة.

- توضح مدى اهتمام الإدارة بعمليات الابتكارية والإبداعية للموظف وكيفية الحفاظ عليها، فعلى المنظمة قيد البحث الاهتمام بالموظفين وتوفير بيئة عمل امنة لهم. فقد تسبب الظروف البيئية غير الآمنة انخفاض في مستوى تحقيق التسويق المستدام للمنظمة.
- ضرورة إعادة هيكلة الآلات والمعدات المتهالكة التي تم إنشائها في فترة زمنية مختلفة عن الحالية بأنظمة إنتاجية متقدمة، من أجل تحقيق نتائج تتلاءم مع الإمكانيات المعمل.
- ضرورة ان يقوم المعمل بعملية توعية زبائنها بالاستهلاك المستدام للمنتجات واثارة على مستوى المجتمع والمعمل.
- تركز المعمل على البعد الاجتماعي وعلى متابعة الأنشطة التسويقية التي تؤثر على المجتمع مثل رعاية الجمعيات الخيرية والدعوة إلى العلاقات المجتمعية ودعم التعليم.

المراجع:

١. الفقهاء، سام عبد القادر، الصيفي & مي إياد. (٢٠١٥). العوامل المؤثرة في مستوى تبني شركات الصناعات الغذائية للتسويق المستدام في فلسطين. (Jordan Journal of Business Administration, 11(2.

٢. الياسري، أكرم محسن وسهاد برقي كامل (٢٠١٥). أثر استراتيجية التسويق المستدام في التوجه الريادي ، (مجلة الإدارة والاقتصاد، جامعة كربلاء، العراق، المجلد الثاني، العدد الثامن، ص ص: ٩٢-١١٣).

٣. Maharaja, R., Devadasan, S. R., Sakthivel, M., & Murugesh, R. (2018). Performance measurement of the leagile supply chain. International Journal of Services and Operations Management, 31(3), 396-414.

٤. Gyulavári, T., & Kolos, K. (2015). The Impact of Proactive Strategies on Market Performance in Economic Downturn: the Case of Hungary.

٥. Belz, F. M., & Karstens, B. (2005). Strategic and instrumental sustainability marketing in the Western European food processing industry: Conceptual framework and hypothesis. In Proceedings of the Corporate Responsibility Research Conference.

٦. Coviello, N., Milley, R., & Marcolin, B. (2001). Understanding IT-enabled interactivity in contemporary marketing. Journal of interactive marketing, 15(4), 18-33.

٧. Eitiveni, I., Kurnia, S., & Buyya, R. (2018). IT-Enabled Capabilities for Sustainable Supply Chain Management: An Affordance Theory Perspective.

٨. Fuller, D. A. (1999). Sustainable marketing: Managerial-ecological issues. Sage Publications.

٩. Primus, D. J., & Stavrulaki, E. (2018, April). Connecting product development and supply chain sub-processes to improve new product introductions: the impact of connection intensity and timing. In Supply Chain Forum: An International Journal (Vol. 19, No. 2, pp. 142-159). Taylor & Francis.

١٠. Trivedi, K., Trivedi, P., & Goswami, V. (2018). Sustainable marketing strategies: Creating business value by meeting consumer expectation. International Journal of Management, Economics and Social Sciences (IJMESS), 7(2), 186-205.

١١. Gordon, R., Carrigan, M., & Hastings, G. (2011). A framework for sustainable marketing. Marketing theory, 11(2), 143-163.

١٢. Rudawska, E. (2018). From Sustainable Market Orientation to Sustainability Marketing. In The Sustainable Marketing Concept in European SMEs: Insights from the Food & Drink Industry (pp. 53-79). Emerald Publishing Limited.

١٣. McDonagh, P., & Prothero, A. (2014). Sustainability marketing research: Past, present and future. Journal of Marketing Management, 30(11-12), 1186-1219.

١٤. Izvercian, M., Seran, S. A., & Buciuman, C. F. (2013). Transforming usual consumers into prosumers with the help of intellectual capital collaboration for innovation. International Journal of Information and Education Technology, 3(3), 388.

١٥. Hair Jr, J. F., Babin, B. J., & Anderson, R. E. (2010). A GLOBAL P-ERSPECT-IVIE.

١٦. Saunders, M., Lewis, P. & Thornhill, A. (2016). Research methods for business students. New York: Pearson Education, p. 275.

١٧. Goldsby, T. J., Griffis, S. E., & Roath, A. S. (2006). Modeling lean, agile, and leagile supply chain strategies. *Journal of business logistics*, *27*(1), 57-80.

١٨. Christopher, M., Peck, H., & Towill, D. (2006). A taxonomy for selecting global supply chain strategies. *The International Journal of Logistics Management*, *17*(2), 277-287.

١٩. Christopher, M., & Towill, D. (2001). An integrated model for the design of agile supply chains. *International Journal of Physical Distribution & Logistics Management*, *31*(4), 235-246.

٢٠. Carvalho, H., Azevedo, S. G., & Cruz-Machado, V. (2012). Agile and resilient approaches to supply chain management: influence on performance and competitiveness. *Logistics research*, *4*(1-2), 49-62.

٢١. Agarwal, A., Shankar, R., & Tiwari, M. K. (2006). Modeling the metrics of lean, agile and leagile supply chain: An ANP-based approach. *European Journal of Operational Research*, *173*(1), 211-225.

٢٢. Naylor, J. B., Naim, M. M., & Berry, D. (1999). Leagility: Integrating the lean and agile manufacturing paradigms in the total supply chain. *International Journal of production economics*, *62*(1-2), 107-118.

٢٣. Raj, S. A., Jayakrishna, K., & Vimal, K. E. K. (2018). Modelling the metrics of leagile supply chain and leagility evaluation. *International Journal of Agile Systems and Management*, *11*(2), 179-202.

٢٤. Soni, G., & Kodali, R. (2012). Evaluating reliability and validity of lean, agile and leagile supply chain constructs in Indian manufacturing industry. *Production Planning & Control*, *23*(10-11), 864-884.

٢٥. Vinodh, S., & Aravindraj, S. (2013). Evaluation of leagility in supply chains using fuzzy logic approach. *International Journal of Production Research*, *51*(4), 1186-1195.

٢٦. Yang, S. L., & Li, T. F. (2002). Agility evaluation of mass customization product manufacturing. *Journal of Materials Processing Technology*, *129*(1-3), 640-644.

ألفاظ السياسة الدالة على التشريع والانتخاب في شعر الجواهري– دراسة دلالية

أ.د. حسن عبد المجيد الشاعر
كلية الآداب/جامعة الكوفة
الباحث ستار جبار هاشم
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

عاصر الجواهري كثيراً من الأحداث السياسية في وطنه العراق خاصة والعالم العربي عامة، وبيّنَ رأيه فيها، مجسّداً انتمائه الوطني، إذ كان شعره مرآة عكست لنا ما يدورُ حولَه من قضايا سياسية واجتماعيّة مدّة قرن من الزمن، وقد تناول هذا البحث نظرة الجواهري لظاهرة سياسية تنطوي على كيفية ممارسة الانتخابات تحت سلطة الاحتلال، وتشريع القوانين، وكفالة الدستور لحقوق المواطن. وقد استعنت بالمنهج الوصفي في تحليل النص الشعري.

١- الاقتراع :

الاقتراع المساهمة [١]، و((القُرعَةُ: حيلة يتعيّن بها سَهْم الإنسان ونصيبه، والمقروعُ: (السيّدُ) ولكونه اقْتُرِعَ، أي اخْتِيرَ))[٢].

لم ترد لفظة (الاقتراع) في القرآن الكريم[٣]، وفي الحديث ((إنّكَ قريعُ القرّاء)، أي رئيسُهم، والقريعُ: المُختار، واقترعتَ الإبِلَ إذا اخترتَها))[٤]، قال الفرزدق يمدح بشر بن مروان[٥]: [من الطويل]

قَريعُ قُرَيشٍ[٦] وَالَّذي باعَ مالَهُ لِيَكسَبَ حَمداً حينَ لا أَحَدٌ يُجدي

أمّا دلالة هذه اللفظة في المفهوم السياسي الحديث، فهي ((أيّةُ وسيلةٍ تُتَّبَع لأخذ رأي قطاع معين محدد من الشعب في أمرٍ ما أو مشكلة ما، ويُعدُّ رأي هذه الفئة بمثابة انعكاس صحيح لرأي الشعب كله))[٧].

تكرر هذا اللفظ في شعر الجواهري أربعَ مرات؛ للدلالة على ابتعاد السلطة عن الخوض في عملية الاقتراع بمفهومها السياسي، وهو أنْ يدلي المواطن بصوته في تصويت أو انتخاب، ومنه الاقتراع السّري

العام المباشر، ويقصد به الانتخابات العاديّة، التي يحقّ للفرد فيها سريّة التصويت وقت تسليم الورقة من دون أي تأخير، وهو عام؛ لأنّه يتم على مستوى الدَّولة، ومن ثمَّ يتبين أنّ الاقتراع هو التصويت والانتخاب[٨]، وذلك في سياق كلامه في مدح مَلِك أفغانستان (أمان الله)، حين دبّر الاستعمار البريطاني ضدّه انقلاباً سنة ١٩٢٩م، أدّى إلى خلعه؛ بسبب دعوته إلى الإصلاحات الحديثة في مملكته، التي طغت فيها ظلمة الاستعمار البريطاني من تبعات التقاليد الموروثة، والطقوس التي يأبها الدين والمجتمع[٩]، إذ إنّ الجواهري نشأ في مجتمعٍ ناهضٍ أدبيّاً وشعريّاً، ولكنّه متناقض سياسياً واجتماعياً؛ وهذا ما جعله يتفاعل مع الأحداث السياسية في العراق وخارجه، فتأثر بهذا الحدث السياسي وتفاعل معه، ونسج قصيدةً يشيد فيها بالدور ((الحضاري لسياسة ملك أفغانستان الذي ائتمر به الإنكليز والرجعيّة المحليّة حيث أفزعتهم تطلعاته الحضاريّة، وطردوه من البلاد))[١٠]، وقد استهلّها بالوعظ والإرشاد، يحذّر فيها من خداع الدنيا وتقلباتها[١١]: [من الوافر]

أمـــانَ اللهِ والـــدُّنيا (هَلُـــوكٌ) أبـــت إلّا التحـــوّلَ والخِـــداعا[١٢]

وأحكـــامُ القضـــاءِ مُغَفّـــلاتٌ يُسِـــئنَ إذا انتخـــبنَ الاقتراعـــا

تَقـــدّمْ أيُّهـــا الشـــرقيُّ وامـــددْ يـــديكَ وصـــارِعِ الـــدُّنيا صِـــراعا

فقـــد حلفـــوا بأنّـــك مـــا اســـتطاعوا ســـتبقى أقصـــرَ الأقـــوامِ باعـــا

الصراعُ في هذه الأبيات واضحٌ بين مَلكٍ أُطيحَ به من الشرق (أمان الله)، وانقلابيين يقف خلفهم مستعمرون من الغرب، لم يصرّحْ بهم الشاعر، إنّما لمّح لهم بضمير جماعة الغائبين بـ(الواو) في (حلفوا)، التي دلّت عليهم، فقد أدرك الجواهري أنَّ الغربَ عَمِلَ على فكرة تقسيم العالم إلى شرق وغرب من أجل

مصالحه، و((نجد في شعر الجواهري أكثر من شاهدٍ على هذا التوجه الشرقي المعادي للغرب بوصفه ممثلاً للاستعمار والوصاية والانتداب، وكلّ أشكال السيطرة الأجنبية))[١٣]، فقد أيقن الجواهري أنّ الشرق أُبتلي بحكومات مستبدّة لا تمثل إرادة شعوبها، وقد اتّهم (أحكام القضاء) بالتغفيل وابتعادها عن الخوض في عملية اقتراع يمارسها الشّعبُ حرّةً ونزيهة، وأراد بـ(أحكام القضاء) السّلطة أو حكّام تلك الفترة، الّذين يعدّون عملية (الاقتراع) إساءةً لهم ولسلطتهم، وقد استعمل أداة الشرط (إذا) في جملة(يُسِئنَ إذا انتخبنَ الاقتراعا)، ولم يقل(يُسِئنَ إنْ انتخبنَ الاقتراعا)؛ لأنَّ الإساءة في ممارسة عملية (الاقتراع) من السلطة الحاكمة متحقّقة ومتيقّنة وغير مشكوكٍ بها، إذ الأصل في ((إذا) أن تكون للمقطوع بحصوله، وللكثير الوقوع))[١٤]، أمّا(إنْ)، فتستعمل في ((المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها، والموهومة والنادرة))[١٥]، جاء في الكليات(((إنْ) الشرطية تقتضي تعليق شيء، ولا تستلزم تحقّق وقوعه، ولا إمكانه، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً))[١٦]، وسائر الافتراضات الأخرى، فهي لتعليق أمرٍ بغيره[١٧]. كذلك استعمل الجواهري الدلالة اللغوية للفظة (انتخَبنَ)، في قوله (يُسِئن إذا انتخبْنَ الاقتراعا)، وجاءت في السياق بمعنى الاختيار، ((انتخَبَ الشيءَ: اختارهُ))[١٨].

وقد وردت لفظة الاقتراع، مفردة، معرفة بـ(ال)؛ للدلالة على الاقتراع المعروف بمفهومه السياسي، وجاءت على زنة (الافتعال)، وهو مصدر قياسي للفعل الثلاثي المزيد بحرفين، الألف والتاء(أقترع)؛ للدلالة على المبالغة في مشاركة الشعب العراقي في عملية (الاقتراع)[١٩]، ووقعت مفعولاً به للفعل (انتخبنَ). ومثل هذه الدلالة وردت في قصيدة (اليأس المنشود):١٨٩/٣، و(دم الشهيد): ٢٨٩/٣، و(يا نديمي): ١٦١/٥.

٢- الانتخاب:

الانتخابُ: الانتزاعُ والاختيار والانتقاء، ومِنهُ النُّخْبَةُ، وهم الجماعة تختارُ من الرجال فتنزعُ منهم[٢٠].

لم ترد لفظة (الانتخاب) في القرآن الكريم[٢١]، وفي حديث علي (عليه السلام):((خَرجْنا في النُّخبة))[٢٢].

وفي الشعر العربي القديم، قال جرير[٢٣]: [من الطويل]

وَسارَ لِبَكرٍ نُخبَةٌ مِن مُجاشِعٍ فَلَمّا رَأى شَيبانَ وَالخَيلَ عَفَّرا [٢٤]

أمّا في الاصطلاح السياسي، فإنّ الانتخابات، هي ظاهرة سياسية ديمقراطيّة، يمارسها الشعب لاختيار ممثليهم في المجالس المختلفة بطريق التصويت، وهو إجراء قانوني يُحَدّدُ نظامه ووقته ومكانُه في دستور أو لائحة ليُختار على مقتضاهُ شخصٌ أو أكثرُ لرئاسة مجلس أو حزبٍ أو نقابة أو ندوة لعضويتها[٢٥].

وردت هذه اللفظة في شعر الجواهري ثلاث مرات؛ للدلالة على البرلمان المنتخب، وذلك في سياق كلامه عن حماقات السّياسيين، الذين يقودون البلد، وما ترتب على ذلك من مفاسد ومظالمَ أنهكت الشعب، وضيّعت حقوق الإنسان وكرامته[٢٦]: [من المجتث]

إصلاحُكُم ليس يُجدي كلُّ الأمــورِ خــرابُ
قلبي وبيتي وشعبي في كلِّهِنَّ اضطراب
البــرلمانُ صحيــحٌ يعـــوزُه الانتخـــابُ

وفـيــه قـامَ دويٌّ تَـجـهـلـُه الأحـــزابُ
الجوعُ يُـنْذِرُ قـومي أنْ يأكُلَ الظُفرَ نـابُ

إنَّ الدلالة الظاهرة لهذه الأبيات توحي لنا استعمال الشاعر أسلوب السخرية في هجائه للطبقة السياسيّة الحاكمة، فكيف يكون البرلمانُ صحيحٌ، وقد غابَ عنه الانتخاب؟، والبرلمانُ في المفهوم السياسي: هو ((الهيئة التي تنتخب بشكل مباشر من الشعب باختيار مَنْ يريدون من المرشحين لشغل المقاعد المتنافس عليها))[٢٧]. وممّا يدلُّ على أنَّ هذا البرلمانُ غيرُ صحيح وغير منظم، أنّ الخلافات فيه مدوّية صاخبة، تجهلها الأحزابُ المكوّنة له. ونلحظ أنَّ الجواهري انتقى لفظة (يَعوزُ) بدلاً من لفظة (يفتَقِرُ)؛ لأنّ العَوزَ في اللغة هو((أن يُعوِزَكَ الشيءُ وأنتَ إليه محتاجُ، والعَوْزُ: العدم وسوء الحال))[٢٨].

أمّا (الفقرُ): فهو الحاجةُ، وفعله الافتقارُ، افتقرَ: أي صارَ فقيراً معوزاً، وساءت حالتهُ، وهذه اللفظة كثيراً ما تكون ملازمةً لقلة المال[٢٩]، فثمة فارق دلالي دقيق بين اللفظتين، يتمثّلُ في أنَّ العوز يكون في المال

وغيره من الأشياء، ومن جهة أخرى، فإنّ اختياره لهذه اللفظة (يَعُوزهُ) يتوافق مع الوزن الشعري لتفعيلة البحر المجتث (مُتفعِلُن فاعلاتن)، وهذا يعني أنّ الجواهري يَستَنْفِرُ كُلَّ طاقاته اللغوية والفنيّة في انتقائه للألفاظ المعبّرة والموحية، والاهتمام بصوغها، وتكثيف دلالتها وتعميقها؛ لتكون مؤثّرة في المتلقي[٣٠].

كذلك استعمل الجواهري في هذا البيت ظاهرة دلالية بارزة هي (المصاحبة اللغويّة) بين لفظتي(البرلمان) و(الانتخاب)، فقد حقّقت انسجام النّص وتماسكه؛ إذ إنّ(المصاحبة) هي((عبارة عن مصاحبة بعض ألفاظ اللّغة ألفاظاً أخرى للتّعبير عن معنى خاص يتكوّن من هذا التّلازم))[٣١].

والمصاحبة التي وردت بين (البرلمان) و(الانتخاب)؛ هي المصاحبة بالملازمة، والملازمة في معناها اللغوي (المصاحبة) ذاتها، والمقصود بالملازمة هنا هو الإتيان بمجموعة من الكلمات في النَّصِّ الواحد بحيث تكون متلازمة دائماً، قال الجاحظ (ت:٢٥٥هـ): ((وفي القرآن معانٍ لا تكاد تفترق، مثل الصّلاة والزّكاة، والجوع والخوف، والجنّة والنّار، والرّغبة والرّهبة، والمهاجرين والأنصار، والجنّ والإنس))[٣٢]؛ فهذا الأسلوب هو أسلوب قرآنيٌّ متّبع في الإتيان بالمتلازمات؛ للدلالة على إكمال المعنى المرجوّ من المنشئ. فهناك تلازم بين(البرلمان) و(الانتخاب). ومن ثمّ فإنّ من نتائج الانتخابات تشكيل البرلمان، فهي علاقة ملازمة بين الكُلّ والجزء. فذكر الجزء(البرلمان) بعد الكل(الانتخاب)؛ للدلالة على الشّمول والاستيعاب للأجزاء كافة، وربط النَّصِّ وانسجامه، فيتفاعل المتلقّي معه بحيث يبدأ يتصوّر الكلمات التّالية للكلمة السّابقة.

وقد جاءت لفظة (الانتخاب) معرَّفَة بـ(ال)، ووقعت فاعلاً للفعل (يعوزه)، على صيغة (الافتعال) المشتقّة من الفعل المزيد بحرفين، الألف والتاء (انتخب)، وهذا الوزن يأتي لدلالات ذكر الصّرفيّون منها: الاتّخاذ، والمشاركة، والمبالغة، والاختيار، وتوسّع آخرون في دلالات أخرى، إلّا أنَّها راجعة إلى هذه الدّلالات بصورة عامّة[٣٣]. وقد جاء على معنى الإخفاق أو عدم مشاركة الشعب في (اختيار) أعضاء البرلمان الذين يمثلونهم. ومثل هذه الدلالة وردت في قصيدة (ضحايا الانتداب): ٤٣٥/١.

كذلك دلت على النائب المنتخب من جيل الاستعمار، وذلك في سياق حديثه عن محنة فلسطين وتهويدها، بإعطاء اليهود (وعد بلفور سنة ١٩١٧) من قبل بريطانيا، فنشأ جيلٌ جديد من السياسيين والحكّام، أسماهم الجواهري بجيل (وعد بلفور)، وكان هذا الجيل قد تربّى في أحضان الاستعمار والصهيونيّة، وهو جيل عربيٌّ بالاسم فقط ليس لهُ ولاءٌ حقيقي للوطن [٣٤]:

جيــلٌ تَصَــرَّمَ مُــذ أبــدى نَواجــذَه وعـدٌ لبلفـورَ فـي تهويـدِها قَطعـا[٣٥]

نَمــا وشَــبَّ بأيــدي القــوم مُحتَضــنا ومِـن ثُـدِيِّ النتـاج المَحـضِ مُرتَضـعا

والسّــاهرون عليــه كــلُّ (مُنتَخَــبٍ) يبني ويَهْدِمُ، إنْ أعطى وإن منعا

فالاستعمار هو من يهتم بهذا الجيل ويوفر له أحوال البقاء خدمة لمصالحه، فهو يبني هذا الجيل (النّواب المنتخبون من قبله وليس من قبل الشعب)، الذي يعمل على هدم الأمّة.

(كُلُّ مُنتَخَبٍ)، ((كلُّ من الألفاظ التي يتوضح معناها بما تضاف اليه، فإنْ أُضيفت الى نكرة، وجب مراعاة معناها في إعادة الضمير عليها))[٣٦]، وفي التركيب(كُلُّ مُنتَخَبٍ)، جاء الضمير في(مُنتَخَب)عائداً على(كلّ) مفرداً مذكّراً[٣٧]، ونظير ذلك قوله تعالى﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾[٣٨]، وقد أفادت إضافة(كلّ) الى النكرة(مُنتَخَب)، استغراق كلّ فردٍ من أفراد جنس (المُنتَخَبين)[٣٩]، كما في قوله تعالى﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[٤٠]، أي المضاف اليه بجمعه.

وقد وردت لفظة (مُنْتَخَبٍ) على صيغة (اسم المفعول)، وهو اسم يشتقُّ من المصدر المبني للمجهول؛ للدلالة على أصل الحدث، ومن وقع عليه على وجه التجدد والحدوث[٤١]، فهو يدلُّ على ذات المفعول (السياسي المُنتَخَب)، وكذلك يدلُّ على الثبوت إذا ما قيس بالصفة المشبّهة، وعلى الحدوث إذا ما قيس بالفعل[٤٢].

٣- التشريع:

التشريع: ما سنَّ الله تعالى من الدين وأمَرَ به كالصوم والصلاة وسائر أعمال البر، والتشريعُ لغةً: مصدر شَرّع بتشديد عين الفعل[٤٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[٤٤]، وهو يدلُّ على التكثير والتأكيد؛ لأنَّ الزيادة في المبنى تدلّ على زيادة في المعنى[٤٥].

وفي الحديث النبوي الشريف ((إنّ للإيمان فرائضَ وشَرائِعَ وحدوداً وسُنَناً، فَمَن استَكمَلَها استَكمَلَ الإيمان))[٤٦]. وفي الشعر العربي، قال أبو تمام[٤٧]: [من الطويل]

مَضَوا وَكَأَنَّ المَكرُماتِ لَدَيهِمُ لِكَثرَةِ ما أَوصَوا بِهِنَّ شَرائِعُ

وفي الاصطلاح السياسي هو: ((قانون أو عرف معتمد وراسخ، ديني أو مدني، يرمز إلى العلاقة القائمة بين الحاكم والمحكوم، المتضمنة توافق العمل أو النهج السياسي للحكم من المصالح والقيم الاجتماعية للمواطنين، بما يؤدي إلى القبول الطوعي من قبل الشعب بقوانين وتشريعات النظام السياسي))[٤٨].

وردت هذه اللفظة (تشريع) في شعر الجواهري خمسَ مرّات؛ للدلالة على سنّ القوانين والأحكام الوضعية التي وضعها ملوك بابل القدماء، التي أبهرت الناس وأعجبوا بها، قبل أنْ يطّلعوا على قوانين وأحكام اليونان، وكانت هذه التشريعات تُمهِّد لأنظمةٍ وأديان ظهرت في بلاد الرافدين والمشرق العربي[٤٩]: [من البسيط]

مـن هاهنـا كـان تحضـيرٌ لأنظمـةٍ فـي المشـرقَينِ وتمهيـدٌ لأديـانِ

تشـريعُ بابـلَ هـزَّ النـاسَ رَوعتُـه مـن قبـلِ أنْ يعرِفـوا تَشـريعَ يونـانِ

لـلآن يُحتـاجُ فـي إصـلاحِ مملكـةٍ نظـامُ دولـة آشـور وكلـدانِ

هُنـا (حمـورابِ) سَـنَّ العَـدلَ معتمـداً بـه علـى حِفـظِ أفـرادٍ وعمـرانِ

ومن تشريعات بابل تشريع (حمورابي) أو قوانين حمورابي البابليّة، التي يبلغ عددها اثنتين وثمانين ومائتي مادة قانونية سجّلها الملك حمورابي سادس ملوك بابل- حكم من سنة (١٧٩٢-١٧٥٠ قبل الميلاد)- على مسلة كبيرة اسطوانيّة الشكل، وضح فيها قوانين مَنْ يخترق القانون وعقوباته، ركّزَ فيها على السرقة، والزراعة، ورعاية الأغنام، وإتلاف الممتلكات، وحقوق المرأة، والأطفال والعبيد، والقتل والموت، ولا تقبل هذه القوانين الاعتذار[٥٠].

إذا أنعمنا النظر في البيت الشعري الذي وردت فيه لفظة (تشريع)، فيلحظ أنَّ الشاعر قد انتقى لفظة (هَزَّ) في قوله: (تشريع بابل هزَّ الناسَ روعتُه)، واستعملها بدلاً من (بَهَرَ) أو (أبْهَرَ)؛ لمسوغّات منها ملاءمة هذه الصيغة (هَزَّ) للوزن الشعري والإيقاعي، بوصف القصيدة نظمت على البحر البسيط (مستفعلن – فعِلن)، فضلاً على المسوّغ الدلالي في ممارسته لأسلوب التضعيف، وهو ظاهرة واضحة في شعر الجواهري في كثير من قصائده، وفي جميع مراحل تطور شعره، وهذه الظاهرة يلجأ اليها الجواهري لشدّ المتلقي إلى فكرته وهدفه، فيتسعُ أفق الكلمة دلالياً وتحدث الهزة والمفاجأة الإيقاعية والدلالية في سياق البيت الشعري، فهذه المفردة تشتمل على صوت الزاي المضعّف، الذي يتصف بطول المدة الزمنية لنطقه ؛ حتّى ليمكن أنْ يقال أنّ الصوت المضعف هو صائت طويل[٥١]. فضلاً على الدلالة المعجمية، فـ(الهزُّ) في الأصل تحريك الشيء، أي الحركة، قال تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[٥٢]، أي حرّكي، والعرب تقول: هَزَّهُ وَهَزَّ به إذا حرّكه[٥٣]، فتشريعُ بابل عمل على إظهار حركةٍ وشعورٍ مرهونين بالفرح والارتياح بسنِّ هذه القوانين والأحكام والإعجاب بها، التي صدرت من ملك بابل، وعملت على تنظيم الحياة في المجتمع البابلي، ولمّا يطّلعوا على أنظمة اليونان وقوانينهم، أمّا (البُهرُ)، ففيه معنى التوسط والغلبة والقهر، قال ابن فارس((بهر، الباء والهاء والراء أصلان: أحدهما الغَلَبَة والعلوّ، والآخر وسط الشيء))[٥٤].

وقد أفادت إضافة النكرة (تشريع) الى المعرفة اسم العلم(بابل)، التعريف بتشريعات بابل[٥٥]، وجاءت مصدراً على زنة (تفعيل)، وهو مصدر قياسي لكل فعل على زنة (فعَّلَ – يُفَعِّلُ)، نحو (شرَّع – يُشرِّعُ – تشريعاً)، إذا كان الفعلُ صحيح الآخر[٥٦].

وأمّا من جهة الدلالة، فإنّ صيغة (تشريع)، تدلّ على الكثرة والمبالغة في الفعل، بمعنى (كثرة سنّ القوانين أو الأحكام التي تنظمُ شؤون المجتمع البابلي) ؛ بسبب فعلها المضعّف العين (شَرَّعَ)، بحسبان أنّ التضعيف يؤدي وظائف صرفيّة أهمّها التكثير والمبالغة في مدلول الفعل[٥٧].

كذلك دلت على سنّ القواعد القانونيّة، والأحكام التي تنظم العلاقات في المجتمع، من قبل سلطة فاسدة غير مختصة بهذا الشأن، بل جعلت ذلك هواية تلعب بها[٥٨]: [من الخفيف]

وغريبٍ في أمرِ هذي الجموعِ
هُمْ عبيدٌ لعبد ذاك (المطيعِ)
يا (هواةَ) التنفيذ والتّشريعِ
و(غواةَ) التمويهِ والترقيعِ
هل عرفتُم جوعانَ ربَ مُجيعِ

إنّ الهجاء في النصّ واضحٌ للساسة والحاكمين، فقد وصفهم بـ(هواة) التنفيذ والتشريع، والهوى: محبّةُ الإنسان الشيء وغَلَبَتُهُ على قلبه، ورجُلٍ هوٍ: أي ذو هوى، وقوله تعالى:﴿اجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾[٥٩]، أي تميل وتسرع[٦٠].

و((التنفيذ في الحُكم: الإجراء العملي لما قُضي به: والهيئة التنفيذية: السُّلطة التي تقوم بتنفيذ قوانين الدولة وأوامرها))[٦١]، وهذا يعني أنَّ الجواهري وصفهم بالعبيد للجهات الأجنبية المطيعين لهم، الذين يتجاوزون أصل القوانين، ويتعدّون على حقوق الشعب بالعبث في إصدار قوانين وتشريعات ليست من شأنهم أو اختصاصهم، يخضعونها لميولهم وأهوائهم، وهي قوانين وأحكام مبهمة مرقّعة، والترقيع: هو الزيادة في

الحديث أو الكلام[٦٢]، وبحسب هذا فإنّ هؤلاء الساسة الفاسدين يزيدون في هذه القوانين، وينسبون إليها ما ليسَ منها؛ لأنَّ التشريع في مفهومهم هوايةٌ وليس اختصاصاً.

كذلك دلّ أسلوب العطف بـ(الواو) في التركيب (يا هواةَ التنفيذِ والتّشريعِ)،((مطلقُ الجمع))[٦٣]، حيث تفيد الواو العاطفة الإشراك والجمع بين متعاطفيها، وأكّد هذا المعنى لها العلويّ إذ رأى أنَّها ((تفيد إشراك الثّاني فيما دخل فيه الأوّل))[٦٤].

ولم يجعل الجواهري التنفيذ لوحده، بل ربطه بالتشريع، ممّا أعطى دلالة العبث بالاختلاط والتمازج بين عمل الهيأتين (التنفيذيّة والتشريعيّة) ، وهذه الدّلالة غير منفصلة بعضها عن بعض، وقد أفادت الواو الرَّبط الكامل بينهما، فمع اختلاف التنفيذ والتشريع في المفهوم إلا أنَّ الواو جعلتهما متّسقتين فيما بينهما. ومن ثَمَّ فإنَّ دلالة الواو هنا؛ هي دلالة الشّمول والجمع بين الصِّفات الّتي يتّسم بها السياسيون أو الحكام المتمردون على حقوق الشعب.

وقد وردت لفظة (التشريع) مفردة معرّفة بـ(ال)؛ لتدلّ على كلّ قاعدة أو مجموعة من القواعد تضعها السلطة التشريعية لتنظيم أمرٍ معين، مجرورة بالكسر؛ لأنّها وقعت معطوفةً على المضاف اليه (التنفيذ)، وأن علاقة التشريع بالقانون هي من باب عطف الخاص على العام.

٤- الدستور:

الدستور: هو الدّفاتِر التي يُجمعُ فيها قوانينُ المَلِكِ وضوابِطُهُ، وهي لفظة فارسيّة مُعرّبة، مركبة من (دست) بمعنى القاعدة ومِنْ (وَر)، أي صاحب، وجمعه دَساتيرُ، أطلقه الكُتّابُ على الذي يُديرُ أمرَ المَلكِ تَجَوُّزاً [٦٥].

لم يرد هذا اللفظ في القرآن الكريم[٦٦]، ولا في الحديث النبوي الشريف[٦٧]، ولا في الشعر العربي الموروث، بوصفه من الألفاظ المحدثة.

أمّا في المفهوم السياسي، فإنَّ الدستور يُعَدُّ ((هو مجموع القواعد القانونيّة التي تحدد نظام الحكم وشكل الحكم في الدولة، ولكل دولة دستور، يبيّن طبيعة النظام السياسي وهيئات الدولة وسلطاتها ووظائفها

وكيفية انبثاقها وعلاقتها واختصاصاتها فيما بينها ثم علاقتها مع المواطنين وحقوق المواطنين وواجباتهم، وهو ضمانة لحريات الأفراد وحقوق الجماعات))[٦٨].

ورد هذا اللفظ في شعر الجواهري ثلاث عشرة مرّة ؛ للدلالة على انتهاك السياسيين والحكومة الجائرة باسم الدستور حقوق الشعب العراقي، وذلك في سياق حديثه في وصف الدستور العراقي الذي صدر منذ سنة ١٩٢٥، بعنوان (القانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥)، الذي عُدَّ من الدساتير الناهضة، بوصفه يركز على حقوق الإنسان والحريات الرئيسة المصانة، الذي ينص على ((تساوي العراقيين في الحقوق أمام القانون، وإنْ اختلفوا في القوميّة، والدين، واللغة،...)) [٦٩].

فقد هجا الجواهري هذا الدستور، ومن كتبه ووضعه، ووصفهم بالسّراق الذين ينهبون خيرات البلاد الوفيرة، ويتخذون من الدستور ذريعة أو سُلّماً سهلاً للوصول إلى مطامعهم وغاياتهم[٧٠]:

وما رفَعَ الدُّستورُ حيفاً وإنَّما ... أتونا بهِ للنَّهبِ ألطفَ سَلَمِ

ستارٌ بديعُ النَّسْجِ حيكَ ليختفي ... به الشعبُ مقتولاً تَضرَّجَ بالدّمِ

به وجَدَت كفُّ المظالِمِ مَكْمَناً ... تحومُ عليه أنّةُ المُتظَلِّمِ

نلوذُ به مِن صَولَةِ الظُّلمِ كالذي ... يَفِرُّ من الرَّمضاءِ بالنّارِ يَحتمِي

فهذا الدستور ستارٌ جميلٌ، مُحْكَم النّسْجِ، يخفي تحته جريمة (شعب مقتول)، ووفّر ملاذاً آمناً للقاتل الظالم (السياسيين والحكّام)، يشكو منهم الشعب المظلوم ويئِن من سياستهم، ثم يصوّر لنا الشاعر صورة تراثيّة، هي صورة المستجير بالنار من الرمضاء، فقد صوّر الجواهري بهذه الأبيات ما يعانيه الشعب من استغلال من جهة السلطة الحاكمة.

وكان الجواهري موفقاً في انتقاء ألفاظه، فقد استعمل لفظة (رفَعَ) في جملة (وما رفَعَ الدستور حيفاً) بدلاً من (دَفَعَ)؛ للدلالة على أنَّ الحيف موجود ومتحقق في الواقع الخارجي على الشعب العراقي، فالرفعُ: هو عبارة عن إزالة الشيء بعد وجوده وتحقّقه، ((والرفعُ ضِدَ الوضع، رفعته فارتفع فهو نقيضُ الخفض في كلِّ شيء))[٧١]، فإذا كان الوضعُ هو وجود الشيء في مكان، فيكون الرفعُ إزالة وجوده بعد وضعه[٧٢]، قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾[٧٣]، أي مقربةٌ لهم[٧٤]. أمّا الدّفعُ، فهو ((المنعُ عن تقرير الشيء وتحققه عند وجود مقتضيه))[٧٥]، ودَفَعَ اللهُ عنك السّوءَ: أي أبعدَهُ.

واستعمل الجواهري لفظة (حَيْفَاً) بدلاً من لفظة (ظُلْماً)، المُطابقة لها بالوزن الشعري من حيث الحركات والسكنات ؛ لأنَّ الظُّلْمُ : هو الانحراف عن الاعتدال، والميلُ عن القصد[٧٦]

أمّا (الحيفُ)، فإنّه أوسع دلالة من (الظلم)، فقد ذكر أهل اللغة أنَّ الحيف: الجور والظّلْمُ، والميلُ في الحُكْم[٧٧]، قال تعالى:﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٧٨]، أي يخافون أنْ يجور عليهم[٧٩].

كذلك استعمل الجواهري في هذه الأبيات أسلوب المفارقة في قوله[٨٠]:

نَلوذُ به مِنْ صَولة الظُّلمِ كالذي يَفِرُّ مِنْ الرّمضاء بالنارِ يَحْتَمِي

وهو أسلوبٌ يقوم على لغة المراوغة، ومفاجأة القارئ بقول ما لا يتوقعه، متجاوزاً إمكانيات القارئ الذي يقف على حدود المعنى السطحي، ويثيرُ الدهشة التي تتشكل لدى القارئ، فيحدث القلق والتوتر، فيحصل على الإعجاب أو الاستنكار، ذلك أن أسلوب المفارقة ولا سيّما في الشعر يصدر عن فطنة الشاعر، ويقوم على فكرة التعارض والتناقض[٨١].

والرمضاء كناية عن السياسة القمعيّة المتمثلة بالسّلطة الحاكمة، التي يفرُّ منها الشعب، ولكن إلى أين؟ ، إلى الدستور الذي من المفترض أنْ يكونَ المُنقذَ والملاذَ الآمِنِ، بَيْدَ أنَّ الجواهري عبّر عنه بالنّار، والنار لا يُحتمى بها بل يُفَرُّ منها لشدة حرارتها.

ويُلحظ هنا أنّ الجواهري كما عهدناه متمرّدٌ متناقض، تقبَّل العيش متصالحاً مع الظُّلْمِ، وعلى الحين نفسه فاراً منه إلى أكناف ظلمٍ آخر، كالمستجير من الرمضاء بالنارِ يحتمي، وهي صورة استمدّها الجواهري من التراث العربي، إذ قالت العربُ من أمثالها: ((كالمستغيث من الرمضاء بالنّارِ))[٨٢].

فالأفعال (نلوذُ به، يفرُّ من، بالنار يحتمي)، أعطَتْ حَركاتُها الدلالية العلاقة الثنائية بين الشخصيّة التراثيّة والموقف المعاصر في ضمار الظُّلم، وخلق جدليّة متداخلة بين رموز الظلم في جميع العصور، ومن ثمّ فإنَ الدستور لم يرفع الظُّلم والجور المتحقق من جهة السلطة عن الشعب العراقي المظلوم في تلك الحقبة.

وقد وردت لفظة الدستور مفردة، معرفة بـ(ال)، ووقعت فاعلاً للفعل (رفع).

ومثل هذه الدلالة وردت في قصيدة (الأنانية)، في قوله[٨٣]: [من الطويل]

لجأتُ إلى الدُّسْتُورِ في كلِّ شدةٍ أفسّرُ منه ما أراهُ مَناسِبا

أكُمُّ به الأفواهَ حقّاً وباطِلا وأخْنُقُ أنْفاساً به ومَواهِبا

وكذلك في قصيدة (عقابيلُ داء):١/٢١٨، و(ذكرى الهاشمي):١/٣٣٣، و(ذكرى أبو التمن):٣/١٤٢، و(سر في جهادك):٤/(١٨، ١٢٩)، و(جيش العراق):٤/٣٠٤، و(يانديمي): ٥/١٥٠، و(ذكرى عبد الناصر):٦/٥٩، و(على الرصيف): ٦/١٤٠.

الخاتمة:

١- إنّ الجواهري يتفاعل مع الأحداث السياسيّة في العراق وخارجه؛ بسبب تناقضها، فيشجّع الحركات والدعوات الإصلاحيّة، ويؤيّد كلّ ما يهدفُ الى نُهوضِ الشعوب، مثلما أيّدَ ملك الأفغان (أمان الله) في إصلاحاته.

٢- يتمثل الفرق الدلالي بين الاقتراع والانتخاب؛ في أنّ الاقتراع هو إنابة ثلّة من مُمَثّلي الشعب للقيام بعمليّة انتخاب أو اختيار في حالة وجود طارئٍ أو مُشكلة معيّنة. أمّا الانتخابُ، فهو ظاهرة ديمقراطيّة يمارسها الشعبُ بجميع طوائفه في اختيار من يمثلهم لتشكيل السلطات بأنواعها في ظلّ تزايد أعداد السّكان.

٣- نظر الجواهري الى عملية الاقتراع، التي تقومُ بها الحكومات تحت ظلّ الاحتلال نظرة سلبيّة؛ لأنّها فاسدة لا تمثّلُ إرادة الشعب .

٤- وضّحَ الجواهري أنّ الانتخابات التي تمارس تحت ظلّ السلطات العراقيّة غير مجديّة؛ لأنّها لا تلبّي طموح الشعب العراقي، موظّفاً في ذلك ظاهرة التناقض اللغوي كما في سخريته من انتخاب البرلمان.

٥- نوّع الجواهري البنية الصرفية في انتقائه لهذه الألفاظ، فمرةً يستعمل صيغة (الافتعال)، ومرة (التفعيل) وهي صيغُ تدلّ على المشاركة والكثرة والمبالغة .

٦- مدح الجواهري ملوك العراق القدماء، ومنهم (حمورابي)؛ لأنّه أصلح البلاد بتشريعه قوانين تمسُّ حياة المواطن، فكانت نظرته الى تشريعات الماضي تفاؤليّة، والمعاصرة سلبيّة؛ لأنّها متخبّطة وصادرة عن (هواة التشريع) .

٧- لم يكن الدستور في عصر الجواهري منصِفاً له ولشعبه؛ لأنّ السلطة توظّفه لسلب حقوق المواطن.

هوامش البحث:

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (قرع): ٧٣/٥ ، والعين (قرع): ١٥٦/١ .

(٢) تهذيب اللغة (قرع): ٢٣٢/١.

(٣) ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم (قرع):٨٩٤ .

(٤) النهاية في غريب الحديث(قرع): ٤٤/٤.

(٥) ديوان الفرزدق: ٣٠٢/١ .

(٦) قريع قريش: أي رئيسهم، ينظر: لسان العرب (قرع): ٢٦٨/٨ .

(٧) موسوعة السياسة :٢٣٥/١.

(٨) موسوعة السياسة: ٢٣٦/١ .

(٩) ينظر: الجواهري شاعر العربية: ٤٧٣ .

(١٠) في رحلة الفكر والتحول: ٣٠ .

(١١) الديوان (أمان الله): ٤٥٧/١.

(١٢) الهلوك: المرأة الفاجرة، ينظر: لسان العرب(هلك): ١٠/ ٥٠٧، وأساس البلاغة: ٧٠٥/١.

(١٣) الجواهري صناجة الشعر العربي: ٤٧٢-٤٧٣.

(١٤) معاني النحو : ٦١/٤.

(١٥) شرح المفصل، لابن يعيش: ٤/٩.

(١٦) الكليات : ١٩٣.

(١٧) ينظر: معاني النحو: ٥٩/٤.

(١٨) لسان العرب (نخب): ٧٥١/١ .

(١٩) ينظر: شرح الرضي على الشافية: ٧٥/١ .

(٢٠) ينظر: العين (نخب): ٢٩٧/٤ ، ولسان العرب (نخب): ٧٥٢/١.

(٢١) ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم(نخب): ١٠٨١ .

(٢٢) النهاية في غريب الحديث (نَخَبَ): ٣٦١/٥.

(٢٣) ديوان جرير: ٤٧٨ .

(٢٤) أي لما رأى الخيل سقط على الأرض، فَتتربَ وجهُهُ، ينظر: العين(عفر): ١٢٢/٢ .

(٢٥) ينظر: قاموس المصطلحات السياسية والدستورية، د. أحمد سُعيفان: ٥٣.

(٢٦) الديوان (نزوات): ٣٩٨/١.

(٢٧) دليل المصطلحات السياسية : ١٣٣.

(٢٨) لسان العرب (عوز) : ٣٨٥/٥.

(٢٩) ينظر: تاج العروس (فقر): ٣٣٤/٣ .

(٣٠) ينظر: حركية الإبداع، دراسات في الشعر العربي الحديث : ١٩٠.

(٣١) التّحليل اللّغوي في ضوء علم الدّلالة : ١٨٧-١٨٨، وينظر: علم الدّلالة، أحمد مختار عمر:٧٤.

(٣٢) البيان والتّبيين: ٢١/١.

(٣٣) ينظر: شرح الرّضيّ على الكافية: ٧٨/١-٧٩، وشذا العرف في فن الصرف: ٤٣.

(٣٤) الديوان (اليأس المنشود): ١٩٠/٣.

(٣٥) النّواجذ: جمع ناجذ، وهو السِّن، ينظر: لسان العرب، ٥١٤/٣.

(٣٦) مغني اللبيب : ١٩٦/١-١٩٧.

(٣٧) ينظر، النحو الوافي: ١٠٤/٣- ١٠٨.

(٣٨) سورة القمر، الآية: ٥٢ .

(٣٩) ينظر: مغني اللبيب: ٩٢/١، والنكرة والمعرفة في الجملة العربية : ٨٩٩.

(٤٠) سورة الطور، الآية: ٢١ .

(٤١) ينظر: المقتضب: ١٠٠/١، والتكملة، أبو علي الفارسي، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان: ٥٠٧.

(٤٢) ينظر: معاني الأبنية العربية: ٥٩ ، والمرجع في اللغة العربية (نحوها وصرفها)، د.علي رضا: ٨٥/١ .

(٤٣) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن(شرع):٢٩٠، والقاموس المحيط(شرع): ٧٣٢.

(٤٤) سورة الشورى، من الآية : ١٢ .

(٤٥) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب: العكبري، تحقيق: غازي مختار ظليمات: ٢٧١/٢.

(٤٦) صحيح البخاري: ١٢، كتاب الإيمان، باب(بني الإسلام على خمس)، رقم الحديث: ٧، وينظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث: ١٠١/٣.

(٤٧) ديوان أبي تمام: ٣٢٧/٢ .

(٤٨) الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية: ٢٥٤/٢، وينظر: التشريع الإسلامي، مصادره وأطواره:٧.

(٤٩) الديوان(تحية الحلة): ٢٥٠/٢.

(٥٠) ينظر: شريعة حمورابي، الأب سهيل قاشا، ترجمة: محمود الأمين: ٩-١٠.

(٥١) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي ، د. عبدالصبور شاهين :٧٠

(٥٢) سورة مريم، الآية : ٢٥ .

(٥٣) ينظر: لسان العرب (هزَزَ): ٤٢٣/٥.

(٥٤) معجم مقاييس اللغة (بهر): ٣٠٨/١، وينظر: لسان العرب(بهر): ٨٢/٤.

(٥٥) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٦٧٧/١.

(٥٦) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب : ٤٩٩/٢ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣١٨.

(٥٧) ينظر: سُنن العربية في الدلالة على المبالغة والتكثير، د. خليل بنيان الحسون: ٣٥ .

(٥٨) الديوان(عالم الغد): ١٩١/٧.

(٥٩) سورة إبراهيم، من الآية : ٣٧ .

(٦٠) ينظر: لسان العرب (هوا): ٣٧٣/١٥.

(٦١) المعجم الوسيط (نفذ): ٩٣٩.

(٦٢) ينظر: لسان العرب(رقع):١٣٢/٨.

(٦٣) مغني اللبيب: ٤٣٦/١، وينظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس: ١٥.

(٦٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز: يحيى العلوي اليمني: ٤٥/٢.

(٦٥) ينظر: المعرّبُ من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، للجواليقي،٣٢.

(٦٦) ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم: ٤٠٣.

(٦٧) ينظر: معجم ألفاظ الحديث: ١٢٥/٢.

(٦٨) موسوعة السياسة : ٦٧٩/٢-٦٨٠.

(٦٩) القانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥ : هيأة النزاهة، الشبكة العنكبوتيّة، www.nazaha.iq .

(٧٠) الديوان(يدي هذه رهنُ): ٨١/٢.

(٧١) لسانُ العرب (رفع): ١٢٩/٨.

(٧٢) القاموس المحيط (رفع) : ٧٢٢ .

(٧٣) سورة الواقعة، الآية : ٣٤ .

(٧٤) ينظر: روح المعاني: ١٤١/٢٧ .

(٧٥) لسان العرب (دَفَعَ): ٨٧/٨ .

(٧٦) ينظر: تاج العروس (ظلم): ٣٣/٣٣.

(٧٧) ينظر: العين (حيف): ٣٠٧/٣ ، ومعجم مقاييس اللغة (حيف): ١٢٥/٢

(٧٨) سورة النور، الآية : ٥٠ ، وينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن (حيف): ١٨٣ .

(٧٩) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن (حيف): ١٨٣ .

(٨٠) الديوان(يدي هذه رهنُ): ٨١/٢.

(٨١) ينظر: المفارقة وصفاتها: دي.سي. ميويك، تر: عبد الواحد لؤلؤة : ٣٦.

(٨٢) مجمع الأمثال : ١٤٩/٢،(رقم المثل: ٣٠٦٤).

(٨٣) الديوان: ١٣٢/٢.

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

١. أبنية الصرف في كتاب سيبويه: الدكتورة خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٢. أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر أحمد الزمخشري (ت:٣٥٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣. أوزان الفعل ومعانيها: الدكتور هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف،١٩٧١م.

٤. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني (ت:٧٣٩هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٥. البيان والتبيين: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٩٩٨ م.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، التراث العربي، مطبعة حكومة الكويت،١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٧. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية): الدكتور محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.

٨. التشريع الإسلامي، مصادره وأطواره: الدكتور شعبان محمد إسماعيل، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ – ١٩٨٥م.

٩. التكملة: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٠. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت:٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة،١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١١. الجواهري شاعر العربية: عبد الكريم الدجيلي، مطبعة الآداب، النجف الاشرف،١٩٧٢م.

١٢. الجواهري صنّاجة الشعر العربي في القرن العشرين: الدكتور زاهد محمد زهدي، قدّم له محمد عبده يماني، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

١٣. حركية الابداع ، دراسات في الشعر العربي الحديث: خالدة سعيد ، دار العودة، الطبعة الثاني، ١٩٨٢م.

١٤. حروف المعاني بين الأصالة والحداثة: حسن عباس ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠م .

١٥. دليل المصطلحات السياسية: عبد الناصر حسين المودع، مركز التنمية المدنية، مؤسسة فريدرش آيبرت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

١٦. ديوان الجواهري، محمد مهدي الجواهري، جمعه وحققه وأشرف على طبعه: إبراهيم السامرائي، وآخرون، مؤسسة الأندلس للمطبوعات، بيروت ، لبنان/ العراق، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٧. سنن العربية في الدلالة على المبالغة والتكثير: الدكتور خليل بنيان الحسون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٩م.

١٨. شذا العرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي(ت:١٣٥١هـ)،دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،١٣٧٣هـ-١٩٥٣م.

١٩. شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهري (ت:٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، منشورات: محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٠. شرح الرضي على الكافية ، تأليف محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ .

٢١. شرح المفصل للزمخشري (ت:٥٨٣هـ): موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي الموصلي(ت:٦٤٣هـ)، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٢. شريعة حمورابي: الأب سهيل قاشا، ترجمة: محمود الأمين، دار الوراق للنشر المحدودة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٢٣. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري (ت:٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة،١٩٩٠م.

٢٤. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني (ت:٧٤٩هـ)، مطبعة المقتطف، مصر،١٣٣٢هـ -١٩٧٤م.

٢٥. علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

٢٦. القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت:٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م .

٢٧. قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية(عربي – انكليزي – فرنسي): الدكتور أحمد سُعيفان، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٢٨. القانون الأساسي لعام ١٩٢٥: هيئة النزاهة، الشبكة العنكبوتيّة، www.nazaha.iq .

٢٩. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، (د.ط) ، (د.ت).

٣٠. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأبي البقاء أيّوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣١. اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العكبري(ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: غازي مختار ظليمات، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٣٢. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري (ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).

٣٣. مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (ت:٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة المنة المحمديّة،(د. ط)،(د.ت).

٣٤. مذكراتي: محمد مهدي الجواهري، منشورات دار المجتبى للطباعة النشر والتوزيع، بني الزهراء، قم المقدسة، ايران، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ - ٢٠٠٥م.

٣٥. المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها: علي رضا، المطبعة السورية، حلب،١٩٦٢م.

٣٦. معاني الأبنية في العربية: الدكتور فاضل صالح السامرائي، جامعة الكويت، قسم اللغة العربية، ساعدت جامعة بغداد على نشره، (د. ط)،(د: ت).

٣٧. معاني النحو: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣٨. معجم التعريفات: علي بن محمد الجرجاني(ت:٨١٦هـ)، تحقيق ودراسة: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة،(د. ط) ، (د.ت).

٣٩. معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مصر، طبعة منقحة،١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٤٠. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

٤١. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبع بإذن خاص من رئيس المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٤٢. المُعرّب من الكلام الأعجميَ على حروف المعجم: أبو منصور الجواليقي (ت: ٥٤٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة الكتب، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٤٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري(ت:٧٦١هـ)، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة السادسة،١٩٨٥م.

٤٤. المفارقة وصفاتها، الدكتور سي ميوميك، ترجمة: الدكتور عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٤٥. المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر القاهرة، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤٦. المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي: الدكتور عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، سوريا،١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٤٧. موسوعة السياسة: الدكتور عبد الوهاب الكيالي، دار الهدى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

٤٨. الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسيّة (عربي – إنكليزي): الدكتور إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، مركز الاسكندرية للكتاب (د. ط)، ٢٠٠٥م.

٤٩. النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتعدَدة: عباس حسن، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٣٧م.

٥٠. النهاية في غريب الحديث والاثر: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناجي وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،١٣٨٣هـ –١٩٦٣م.

كتاب (تأريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عَهدي الصادق والطوسي)
دراسة في مادته وأهميته العلمية

أ.د. مقدام عبد الحسن الفيّاض
الباحثة حنان حميد حسين
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

المقدمة:

سعت العديد من الدراسات الاكاديمية الحديثة إلى العناية بسيرة المؤرخين والتعريف بإنجازاتهم، لِما أسهمَ به هؤلاء من نِتاجاتٍ عِلميّةٍ وفِكرية، تركت أثراً بارزاً وبصمات واضحة المعالم على الحياة الثقافية في المجتمع. كشفت هذه الدراسة بمبحثيها عن المحطات الرئيسية من حياة للدكتور عبد الله الفياض والتعريف بأعماله البحثية وكتاباته التاريخية، حيث حمل المبحث الأول عنوان (الدكتور عبد الله الفياض سيرته ودراسته ومؤلفاته) متناولاً السيرة العلمية والمهنية للفياض منذ ولادته وحتى وفاته والتعريف بمؤلفاته المطبوعة وبحوثه في التاريخ الإسلامي والحديث، والتي استفادت منها اجيالا متعاقبة من المؤرخين ، وكرس المبحث الثاني الذي عنوانه (كتاب تأريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بَينَ عَهدي الصادق والطوسي)، لعرض ودراسة الكتاب نفسه والذي عد أحد أهم نتاجات الفيّاض في حقل التاريخ الإسلامي، معتمداً فيه المنهج العلمي الاكاديمي المستند على النقد والتحليل والاستنتاج، والتعمق في دراسة الحوادث، والتحقق من صحتها. اعتمدت الدراسة على عددٍ من الدراسات والأبحاث ذات الصلة بموضوع البحث، كان في مقدمتها الإضبارة الشخصية للدكتور عبد الله الفياض، والتي تضم ين دفتيه المئات من الكتب الرسمية التي توثق حياته المهنية والعلمية بدقة، الى جانب مؤلفاته المطبوعة لا سيما كتابه موضوع البحث.

المبحث الأول: الدكتور عبد الله الفياض سيرته ودراسته:

ولد الدكتور السيد عبد الله الفياض عام ١٩١٧م، في قضاء الرفاعي التابع للواء المنتفك (محافظة الناصرية حالياَ) [١]. ونشأ في كنف ورعاية أبوين علويين مستنداً إلى عشيرته التي

كان لها شأن مرموق في مجتمع الرفاعي، وظهر متأثراً بالقيم والتقاليد الدينية والعشائرية التي كانت تعيشها أسرته [٢]. متلقياً دروسه الأولى في الكتاتيب على أيدي ما يُسمون (المُلالي)، أعقبها دخوله التعليم الرسمي الذي تشرف عليه وزارة المعارف يوم ذاك، ملتحقاً بمدرسة الكرادي الابتدائية (مدرسة الرفاعي لاحقاً) والتي أسست عام ١٩٢٢م في قضاء الرفاعي، منتقلاً بعد ذلك إلى مدينة النجف الأشرف ليكمل تعليمه، فانتمى إلى ثانويتها التي تحمل أسم المدينة [٣]. وبعد أن أنهى عبد الله دراسته الثانوية عام ١٩٣٩م في مدينة النجف الأشرف، توجه نحو العاصمة بغداد، وقُبل طالباً في دار المعلمين العالية (كلية التربية حالياً)، وأمضى فيها أربعة أعوام (١٩٤٠-١٩٤٤م) [٤]، وتحديداً في قسم العلوم الاجتماعية، ومُنذُ مراحل دراستهِ المُبكّرة أتقن اللغة الإنكليزية وأفصح عن مواهبه في البحث والتأليف، فأنجز أول كتاب له في حقل التاريخ [٥] وهو لما يزل طالباً في المرحلة الثالثة [٦]، ثم تخرج من الدار على أيدي نخبة من مؤرخي العراق، حاملا شهادة الليسانس [٧] مع مرتبة الشرف [٨]. ثم التحق بكلية الحقوق المسائية التابعة لجامعة بغداد، حاصلاً على شهادة ليسانس(البكالوريوس) في الحقوق عام ١٩٥٠م [٩].

ظل طموح الفيّاض قائماً في مواصلة دراسته حتى بعد حصوله على شهادتي ليسانس، متطلعاً إلى الغاية الأسمى وهي الدراسات العليا، وأهّله تفوقه الدراسي وكفاءته الوظيفية لنيل منحة الحكومة الامريكية التي خصصتها لجماعة من الطلبة العراقيين، فالتحق بالبعثة الدراسية لكلية الآداب بالجامعة الامريكية في بيروت، وحصل خلالها على شهادة دبلوم عالي في التاريخ عام ١٩٥٣م، وشهادة الماجستير في التاريخ الحديث عام ١٩٥٤م [١٠]. ولم يكتفي الفيّاض بما حصل عليه من مؤهل علمي ومهارة تدريسية عالية، انما كان طموحه أوسع، ففي تشرين الأول عام ١٩٦٤م التحق من جديد بالجامعة الامريكية في بيروت بموجب الامر الجامعي الذي تقرر

فيه منحه إجازة لمدة سنة واحدة وبراتب تام وبشرط حصوله على شهادة الدكتوراه خلال تلك المدة حصراً، لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي [١١].

بَدَأَ عبد الله الفيّاض مشواره التربوي التعليمي منذ منتصف أربعينيات القرن العشرين، فكان أول تعيين له مُدَرِّساً في (ثانوية الناصرية للبنين) في مدينة الناصرية (مركز لواء المنتفك)، ثم عزم الفياض على الانتقال إلى العاصمة بغداد والاستقرار بها، منتقلاً بين عدد من مدارسها [١٢]. وبعد مدة عشرة سنوات قضاها في التعليم الثانوي، صدرت الإرادة الملكية بنقله من مُدَرِّسٍ في الملاك الثانوي إلى أستاذاً في دار المعلمين العالية بقرار من وزارة المعارف عام ١٩٥٤م [١٣]. وبرز دوره في حقل الدراسات التاريخية في كُلَّيّتي التربية والآداب كأكاديميّ متميز، مضطلع بتدريس حقبات من التاريخ الإسلامي، وتاريخ العراق الحديث، فضلاً عن منهج البحث التاريخي.

ولم تكن كُلَّيّتي التربية والآداب هي المحطة الوحيدة التي مارس فيها عبد الله الفياض التدريس، فقد قام بتدريس التاريخ الإسلامي خلال صيف عام ١٩٦٦ في الجامعة الامريكية في بيروت [١٤]. يضاف إلى ذلك فقد عمل بوصفه أستاذاً زائراً في جامعة مارتن لوثر في مدينة هالة (Martin–Luther University of Halle) والتي تعد من أقدم الجامعات في المانيا الديمقراطية بدعوة منها للتدريس في جامعتها، تنفيذاً لاتفاق الصداقة بين الجامعتين (بغداد ومارتن لوثر)، فضلاً عن أنه عمل محاضراً أيضاً للتاريخ الاسلامي في كُلّية الفقه في مدينة النجف الاشرف [١٥]. وفي كلية أصول الدين في بغداد، منذ تأسيسها عام ١٩٦٤م، الى جانب أشغاله منصب معاون العميد، وتوليه شؤون عمادتها بالوكالة منذ نهاية عام ١٩٦٩م وحتى عام ١٩٧٣م[١٦]. أحيل الفياض الى التقاعد وقد أمضى في خدمة التعليم أكثر من ثلاثين عاماً، بالأمر الوزاري المرقم (١٨٩٧٢) في ٩ نيسان عام ١٩٧٨م، تنفيذاً لقرار مجلس قيادة الثورة ذي العدد (٤١٠) في ٢٨ أذار من العام نفسه [١٧].

اعتلت صحة الدكتور عبد الله الفيّاض، وأصيب في مطلع ثمانينات القرن الماضي بمرض عضال، فتوفيّ على أثره في تشرين الثاني عام ١٩٨٤م، عن عمر ناهز (٦٧) عاماً، قضى معظمه في الدراسة والبحث والكتابة.

ترك الفيّاض اثاراً علمّية قيّمة، تناولت جوانب مهمة في حقول المعرفة، حيث ألّف خلال سني حياته ستة عشر كتاباً مطبوعاً، تنوعت مضامينها في شتى الموضوعات التاريخية، ليتحف المجتمع كتباً مهمة ونافعة، عكست رغبته واهتمامه في حقل التاريخ الإسلامي، وتاريخ العراق الحديث والمعاصر. إلى جانب أنجازه عدد من الكتب (مخطوطة)، جمعها وكان في نيته الشروع بطبعها. ومما يؤسف له أنها لم يقدّر لها ان ترى النور، أذ فقدت من مكتبته الخاصة، بعد وفاته بمدة [١٨]. ويمكن القول ان باكورة التأليف لديه ترجع إلى منتصف عقد أربعينيات القرن العشرين. ولنشاطه في حقل اختصاصه، عهدت إليه وزارة المعارف العراقية آنذاك بتأليف كتب علمية منهجية، فألّف أربعة كتب بالاشتراك مع أساتذة كبار، خلال مدة عمله في التعليم الثانوي، واعتمدتها الوزارة في حينها كمقررات مدرسية لأعوام كثيرة، وطبعت عدة طبعات، ومنها كتاب (تاريخ بلادك وأمتك في عصره الذهبي)، و(مرشد طالب البكلوريا الى الجغرافية المتوسطة)، (الجغرافية المتوسطة). وفيما يلي جدولاً بمؤلفات الدكتور عبد الله الفيّاض المطبوعة.

ت	عنوان الكتاب	سنة الصدور	المطبعة	مكان المطبعة	عدد الصفحات	موضوع الكتاب
١	التاريخ العربي	١٩٤٦	مطبعة النجاح	بغداد	٢٠٣	(تاريخ اسلامي)

٢	تاريخ البرامكة	١٩٤٨	مطبعة الرشيد	بغداد	١٨٦	تاريخ اسلامي
٣	تاريخ بلادك وأمتك في عصره الذهبي	١٩٤٨	شركة التجارة للطباعة المحدودة	بغداد	١٩١	(تاريخ اسلامي)
٤	مرشد طالب البكلوريا إلى الجغرافية المتوسطة	١٩٥٠	المطبعة العربية	د.م		(تاريخي/ جغرافي)
٥	الجغرافية المتوسطة	١٩٥٢	مطبعة الراعي	بغداد	٢٠٣	(تاريخي جغرافي)
٦	مشكلة الأراضي في لواء المنتفك	١٩٥٦	مطبعة سلمان الاعظمي	بغداد	٢٠٣	تاريخ العراق المعاصر
٧	مشاهداتي في تركيا	١٩٥٦	مطبعة سلمان الاعظمي	بغداد	٨٠	وصف رحلات
٨	الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م	١٩٦٣	مطبعة الارشاد	بغداد	٤١٤	تاريخ العراق المعاصر
٩	مشاهداتي في إيران	١٩٦٧	مطبعة الايمان	بغداد	١٢٧	وصف رحلات
١٠	الاجازات العلميّة عند المسلمين	١٩٦٧	مطبعة الارشاد	بغداد	١٣٤	تاريخ اسلامي
١١	محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الاموية	١٩٦٧	مطبعة الارشاد	بغداد	١٢٢	تاريخ اسلامي

١٢	الحركة الفدائية في الإسلام قديماً وحديثاً	١٩٧٠	مطبعة أهل البيت	كربلاء	١٠٨	تاريخ اسلامي ومعاصر
١٣	تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة	١٩٧٠	مطبعة أسعد	بغداد	٢٢٢	تاريخ اسلامي
١٤	تأريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بَينَ عَهدي الصادق والطوسي	١٩٧٢	مطبعة أسعد	بغداد	٣٩٩	تاريخ اسلامي
١٥	مشاهداتي في المانيا الديمقراطية	١٩٧٢	مطبعة أسعد	بغداد	١٢٧	وصف رحلات
١٦	التاريخ فِكَرة ومنهجاً دراسة في التاريخ واصول بحثه	١٩٧٢	مطبعة أسعد	بغداد	١٦٠	منهج بحث

وانصرف الفيّاض إلى متابعة البحث والتنقيب، فقد بذل فضلاً عما تقدم جهوداً كبيرة وقيّمة في إعداد بحوثٍ ومقالاتٍ تنوعت أغراضها، وتباينت موضوعاتها باختلاف مضامينها، الا أن معظمها دخل في حقل الدراسات التاريخية الإسلامية. عارضاً نتاجه الفكريّ على صفحات العديد من المجلات العراقية، وفيما يلي جدولا تفصيليا بما حصلت عليه الباحثة من بحوث الفياض ودراساته المنشورة:

ت	عنوان المقال	اسم المجلة	العدد	التاريخ	عدد الصفحات	الاختصاص
١	الجامعة العراقية	البطحاء	العدد ١	١/ نيسان/ ١٩٤٦م.	٢	تعليم
٢	البنوك المركزية(جزئين)	البطحاء	العدد ٤ العدد ٥	٢٥ /ايار/ ١٩٤٦م ١٥/ حزيران/ ١٩٤٦م.	٢	اقتصاد
٣	أور الكلدانيين (خمسة أقسام)	البطحاء	العدد ٦ العدد ٧ العدد المزدوج ٨-٩ العدد ١١ العدد ١٢	٧/تموز/١٩٤٦م ٢٧/تموز/١٩٤٦م ١٥/ آب / ١٩٤٦م ١ تشرين أول/١٩٤٦م ١٨ تشرين أول/١٩٤٦م	١٠	تاريخ قديم

٤	كرم البرامكة دليل على سعة نفوذهم	دار المعلمين العالية	العدد ٢	حزيران ١٩٤٦م	٢	تاريخ أسلامي
٥	تعليق على مقال	البيان	العدد ٥٦	١٩٤٩/١٩٤٨	٢	تاريخ أسلامي
٦	تدوين التاريخ عند المسلمين (جزئين)	الاستاذ	المجلد ٤ المجلد ٥	١٩٥٥م ١٩٥٦م	٣٢	تاريخ أسلامي
٧	محاضرات في تاريخ العرب	الاستاذ	المجلد ٥	١٩٥٦	١٠	تاريخ أسلامي
٨	الحالة الثقافية في الحجاز قبيل الاسلام	الأستاذ	المجلد ١٠	١٩٦٢م	٨	تاريخ أسلامي
٩	الزراعة والتجارة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر	الاستاذ	العدد ١١	١٩٦٣م	١٥	تاريخ حديث

١٠	التعليم في عهد الرسول والخلفاء الراشدين	الاستاذ	العدد١٢	١٩٦٤م	١٦	تاريخ أسلامي
١١	صور من آداب المعلمين والمتعلمين في الاسلام	رسالة الاسلام	العدد ٢	١٩٦٦م	٥	تاريخ أسلامي
١٢	العقل عند الغزالي	رسالة الاسلام	العدد ٣	ايار ١٩٦٦م	٢٠	تاريخ أسلامي
١٣	دور الامام الصادق في التربية والتعليم عند الامامية	رسالة الاسلام	العدد٥ العدد ٦	كانون الأول ١٩٦٦م	٦	تاريخ أسلامي
١٤	كتابان في شخصية الامام علي (ع)	العدل	الجزء ٨	١٩٦٧م	١	تاريخ أسلامي
١٥	الخلافة العباسية في العهد البويهي	رسالة الاسلام	العدد ١ العدد ٢	١٩٦٧م	٢٣	تاريخ أسلامي
١٦	الخلافة العباسية في عهد السلاجقة	رسالة الاسلام	العدد ٣ العدد ٤	١٩٦٧م	١٣	تاريخ أسلامي

١٧	كتب الامالي عند الشيعة الامامية	الايمان	العدد ٣ العدد ٤	١٩٦٧م	٥	تاريخ أسلامي
١٨	حياة أمير المؤمنين (عليه السلام)	الايمان	العدد ٣ العدد ٤	١٩٦٧م	٤	تاريخ أسلامي
١٩	السبأية بين الحقيقة والخرافة	الايمان	العدد ٧ العدد ١٠	١٩٦٨م	١٧	تاريخ أسلامي
٢٠	دور الامامين الكاظم والرضا في التربية والتعليم عند الامامية	رسالة الاسلام	العدد ٧ العدد ٨	١٩٦٨م	١٢	تاريخ أسلامي
٢١	التعليم في المساجد عند الشيعة قبل ظهور المدارس (جزئين)	رسالة الاسلام	العدد المزدوج ٣-٤ العدد المزدوج ٥-٦	كانون الثاني ١٩٦٩م أيلول ١٩٦٩م	١٦	تاريخ أسلامي
٢٢	الفدائيون من أهل الثغور وواجبنا نحوهم	رسالة الاسلام	العدد ٩ العدد ١٠	١٩٦٩م	٨	تاريخ حديث ومعاصر

٢٣	الغلو والغلاة وموقف الشيعة الامامية منها	رسالة الاسلام	العدد ٣ العدد ٤	١٩٧٠م	٤٤	تاريخ أسلامي
٢٤	دور العلم وخزائن الكتب في العصر البويهي	المجلة التاريخية	العدد ١	١٩٧٠م	١٦	تاريخ أسلامي
٢٥	نسخ خطية نادرة من القران الكريم في مكتبة غوتا	رسالة الاسلام	العدد ٥ العدد ٦	شباط/ ١٩٧٠م	٥	تاريخ أسلامي
٢٦	العلم وقواعد العقائد بين الغزالي في حيائه والكاشاني في محجته	رسالة الإسلام	العدد ١ العدد ٢	١٩٧٣م	٢٧	تاريخ أسلامي
٢٧	الصلة بين حركة التجديد والإصلاح في العراق وحركة الافغاني الاصلاحية	المجلة التاريخية	العدد ٣	١٩٧٤م	١٥	تاريخ حديث

المبحث الثاني: كتاب (تأريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بَينَ عَهدي الصادق والطوسي):

أحد الكتب القيمة والدراسات البحثية المهمة التي قدمها الدكتور الفيّاض، وأخذ شهرة علمية واسعة، وهو في الأصل اطروحة قدمها إلى الجامعة الامريكية في بيروت، ونال بها درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ عام ١٩٦٦م. صدر بطبعتين الاولى عام ١٩٧٢م بمطبعة أسعد في بغداد، والثانية عام ١٩٨٣م بمطبعة الدار المتحدة للنشر في دمشق. ضاماً بين دفتيه ثلاثمائة وتسع وتسعين صفحة في الطبعة الأولى، وثلاثمائة وأربع وستين صفحة في الطبعة الثانية، بعد الزيادات الكثيرة التي اضافها اليه. مقسماً إلى مقدمة للمؤلف وستة فصول وملاحق، وخلاصتين باللغة العربية والإنكليزية، ومن الواضح ان جامعة بغداد قد ساعدت على نشره [١٩].

واستهل المؤلف الكتاب بتصدير للأستاذ محمد توفيق حسين [٢٠]، تحدث فيه بشكل موجز عن نشوء النظام التربوي للحركة العلمية الإسلامية وأساليبه. مثنياً على جهود المؤلف بسطور ختم بها مقدمته [٢١]، بينما تضمنت مقدمة المؤلف تعريف (الشيعة الامامية)، موضحاً من خلاله نشأتهم، مشيراً بعدها إلى العقائد الأساسية لتلك الفرقة [٢٢]، وبين المؤلف في المقدمة ذاتها الفروق الأساسية بين الامامية وبين سواهم من الفرق الشيعية الأخرى [٢٣] مؤكداً اشتراك التربية عند الامامية في كثير من المفاهيم مع التربية عند الفرق الإسلامية الأخرى، معللاً ذلك بأن الأسس التي بُنيت عليها التربية عند الجميع واحدة، متمثلاً بوحدة الكتاب السماوي، ووحدة التراث الحديثي الوارد عن النبي محمد (ﷺ)، أمّا الاختلاف الذي نشأ بعد ذلك فهو في التفاصيل [٢٤]، موضحاً في ختامها أهم المصادر التي أستقى منها معلومات الكتاب[٢٥].

استعرض المؤلف في الفصل الأول والمعنون (العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الامامية واسلافهم من الشيعة) مجموعة من العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الامامية، ملخصها

بثلاثة عوامل، وهي: اعتقاد الشيعة الامامية بعلوم أئمتهم. وانهم امتداد لعلوم النبي (9)، ورثوه منه، ودونوه في كتب خاصة أطلق على بعضها الجامعة أو الجفر، ومصحف فاطمة، الا ان المؤلف يشير إلى عدم أهمية تلك المدونات في وقتنا الحاضر لعدم وجودها [٢٦]، إلى جانب وجود الكتب الحديثية الأربعة والتي تنسب مضامينها إلى الائمة الاطهار. أمّا العامل الثاني فقد شرح المؤلف فيه الموقف السياسي للائمة المعصومين وموقف السلطة الحاكمة منهم، موضحاً تأثير العامل السياسي وبشكل كبير على النظام التربوي عند الامامية، حيث أضطر الائمة إلى الابتعاد عن السياسة، والانصراف إلى الوعظ والتدريس، ودعوة أتباعهم إلى ذلك، ومن أهم توابع العامل السياسي هو التضييق على كثير من تعاليم الائمة، واضطرارهم الكتمان في كثير من الأحيان، ما أدى إلى استخدامهم مبدأ التقية لحماية أنفسهم وحقن دمائهم [٢٧]. مناقشاً في العامل الثالث، الموارد المالية للائمة المعصومين، مشيراً ان الأموال التي تجبى إلى الائمة ونوابهم بعد الغيبة من الحقوق الشرعية، كالزكاة والخمس، كان الائمة ينفقون قسماً منها على التعليم. مستشهداً برواية للإمام الرضا (A)، يقول فيها: " ان الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالنا وعلى موالينا ..."[٢٨]، ويعلق الفيّاض على رواية الامام بما نصه:" ان كلمة الدين الواردة في النص تشمل فيما تشمل الانفاق على المعوزين من الشيوخ والطلبة الذين يشتغلون بتدريس العلوم الدينية ودرسها". ويتابع المؤلف عرضه مشيراً الى أنّ النشاط التعليمي والعلمي عند الامامية لم يقتصر على علوم الدين والمذهب فحسب، وانما تعداه إلى علوم أخرى كعلم الفلك والنحو والفلسفة والطب [٢٩].

تناول المؤلف في الفصل الثاني المعنون (امكنة التعليم عند الامامية واسلافهم من الشيعة) بحثاً مستفيضاً عن أمكنة التعليم عند الشيعة الامامية، معترفاً في مطلعه بقوله:" من الصعب ان نرسم خطاً فاصلاً بين مؤسسات التعليم الأولى عند الامامية وعند غيرهم من المسلمين" [٣٠]، منتقلاً بالحديث عن بدايات التعليم الاولي، مشيراً في الوقت نفسه إلى فقدان الكتاتيب صلاحيتها بتعليم

صبيان الامامية في العصر الاموي، لان معلميهم يُعلّمون فضائل معاوية دون ذكر فضائل أهل البيت (%) [٣١]. مبيناً أهمية المساجد ودورها في التعليم والعبادة معاً، على الرغم من خضوعها لرقابة السلطات الاموية مما فسره المؤلف اضطرار علماء الامامية إلى عدم التصريح بأسماء أئمتهم الذين يروون عنهم، واللجوء إلى الكنى للإشارة إليهم [٣٢]. موضحاً ما يجري في مراقد الائمة من نشاط تربوي كبير، وتمتع الامامية بتدريس علومهم بعيداً عن مراقبة السلطات، ومنها مرقد الامام علي بن ابي طالب (A) في النجف الأشرف، ومرقد السيدة فاطمة بنت الامام موسى الكاظم (X) في قم المقدسة، وغيرها من التي زادت أهميتها خلال القرنين الرابع والخامس الهجري [٣٣]. وفي السياق نفسه، أكد المؤلف بنص قوله: " لعبت منازل العلماء دورا مهما في التعليم عند الامامية نظرا لعدم توفر الحرية الفكرية لهم في المساجد العامة"، ويشير بالروايات إلى ان بيوت بعض علماء الشيعة كانت اشبه بالمساجد مملؤة بالطلبة، مستشهداً ببعض الأمثلة من تلك الدور [٣٤]. ثم عالج المؤلف دور التعليم الامامي في العهد البويهي الممتد بين (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٦-١٠٥٥م)، مشيراً إلى تمتع الامامية نوعاً من الحرية في ظل حكمهم. فاستطاعوا من نشر علومهم وتأسيسهم قواعد مذهبهم، إلى جانب السماح لهم لإنشاء خزائن الكتب ودور العلم والمدارس [٣٥]، واصفاً نماذج من تلك المؤسسات [٣٦]. وحاول المؤلف تلمس البداية التاريخية لظهور المدارس عند الشيعة الامامية. معللاً قلة مدارس الامامية وندرتها في المدة التي أعقبت احتلال السلاجقة للعراق إلى الضعف العام، نتيجة مقاومة السلاجقة لحركة التشيع على الصعيدين الفكري والسياسي معا [٣٧].

وتابع المؤلف في صفحات الفصل الثالث والمعنون (المعلمون) كل ما يتعلق بالعلماء وأساتذة التعليم، وأهمية دورهم، مبيناً أصنافهم. وأوكل المؤلف مهمة التعليم الاولي للمعلم، إلى جانب المؤدب، وعرف الأخير بـ(معلم خاص يتولى تعليم أولاد الخاصة)، متطرقاً إلى وضعهم الاجتماعي والمالي، إلى جانب مستواهم الثقافي [٣٨].

أما الفصل الرابع فخصص الفيّاض لبحث ركنٍ آخر في العملية التعليمية، وهم (الطلبة)، مصنفهم إلى صبيان ومتعلمي العلوم، ويقلب المؤلف في التراث ليستطلع منه بعض النظم التي كانت تنظم سلوك الصبيان في الكتّاب، مشيراً إلى التزامهم بمجموعة من القواعد، منها المظهر الجيد والامتناع عن اصطحاب الطعام. منتقلا بعد ذلك للتعريف بوضع طلبة المراحل الأعلى وعلاقتهم بشيوخهم، مؤكداً على التزامهم بالجد والاجتهاد في الدرس [٣٩].

وعرج المؤلف في الفصل الخامس والذي عنونه (أساليب التعليم والمنهج) لبحث أساليب تحصيل العلم من طريقة السماع من الشيخ إلى طريقة القراءة عليه تليها طريقة المكاتبة والاجازة والمناولة. موضحاً تفاصيلها ومتطرقاً إلى أكثر الطرق التعليمية شيوعاً [٤٠]. ثم يصف المؤلف مناهج التعليم في تلك المدة بأنها كانت حرة لا تتبع لجهة رسمية تقيدها بمنهج محدد [٤١].

أما الفصل السادس والأخير والذي عنوانه (تمويل التعليم) فقد بحث المؤلف فيه الموارد المالية للمؤسسات التعليمة عند الامامية، وما يُنفق على الطلبة من معونات وهبات المحسنين، ومن واردات الوقف والحقوق الشرعية. [٤٢].

وتضمن كتابه (خلاصة)، أكد فيها المؤلف بعد أنْ بين الجوانب المهمة من كتابه، ان دراسته هذه "هي الأولى من نوعها في حقل التربية عند الامامية، وذلك لعدم العثور على مصادر ذات شأن تبحث في التربية عندهم، وعدم وجود من تصدى، الا ما ندر"، أملاً في الوقت نفسه ان يسهم عمله بحل مشكلات التربية عند الامامية، ويخدم حقل البحث العلمي لدى الباحثين [٤٣]. وللكتاب ملحقان، جاء الأول بعنوان (المشاهد الشيعية الشريفة ودورها في العلم والتعليم عند الأمامية) وتضمن معلومات عن أصل تلك المشاهد ونشوئها، ودورها في دراسة العلوم عند الشيعة الامامية [٤٤]. بينما تناول الثاني (الائمة المعصومين ونبذة عن احوالهم) معلومات موجزة عن حياة الائمة الاثنا عشر المعصومين، وألقابهم، ومصدر علمهم [٤٥].

تناول الفياض موضوعات كتابه بذهنية متفتحة وتواضع علمي في تحليله للأحداث، مستنداً الى ما هو الأصيل من المصادر والمراجع. إلى جانب انه كتبه وفقاً لوجه نظر تحليلية معتمداً على طريقة البحث عن الحقيقة التاريخية كيفما كانت. ومن بين استنتاجاته التي وردت في كتابه أعلاه، قوله: " ولم تسعفني المصادر التي اطلعت عليها بأدلة قطعية على وجود مدرسة عند الامامية قبل وفاة الشيخ الطوسي سنة ٤٦٠هـ"[٤٦]. ومن استنتاجاته أيضاً على سبيل المثال لا الحصر، جاءت بعد عرضه لموضوع الحالة الاجتماعية والمالية لمعلمي الصبيان، قائلاً: " ان نظرة غالبية المجتمع الإسلامي في الفترة التي تناولها بحثنا لمعلمي الصبيان لم تكن تتسم بالتقدير والاجلال"[٤٧]. كما أمتاز الفياض بالأسلوب التحقيقي، فلا يقبل الروايات أو مصدراً من دون فحص وتدقيق لرواتها ومتونها، رائده الوصول للمعرفة الدقيقة الأقرب إلى الواقع. فحين يناقش المستحقات المالية التي يتقاضاها المعلمين لدى الامامية، يقول: " ولم اعثر على ما يعين المبلغ الذي يستوفيه المعلم عن تعليم الصبي الواحد سوى نص غامض للجاحظ يقول فيه ان المعلم البليغ لا يرضى دون الالف درهم حين ينتدب لتعليم الصبيان"[٤٨]. ولم يكن الفياض مستبداً بما يطرحه من أفكار، متجلياً ذلك بقوله:" وحاولت جهد الطاقة، ان أكون موضوعيا ضمن الإطار الذي يتطلبه موضوع له صله وثقى بالعقيدة كموضوعي، واترك للقارئ الحرية في قبول او تقويم او رفض الإطار الذي تصورته لموضوعي بحثي"[٤٩]، ومن تواضعه العلمي توقفه عن استنباط النتائج عندما لا تسعفه المعطيات التاريخية، مشيراً إلى تلك الفجوات على سبيل المثال لا الحصر، ففي موضوع الامتحانات التي من خلالها يعرف الشيوخ تقدم تلاميذهم العلمي وأهليتهم للتدريس، يقول: " لم أعثر في الفترة التي تناولها بحثنا على أنظمة شكلية للامتحانات سواء في مرحلة التعليم الأولى أو مرحلة تعليم العلوم"، معللاً صمت المصادر عن إيراد الامتحانات برأيه" ان الامتحانات الشكلية المعروفة في العصور الحديثة كانت غير معروفة عند المعلمين في ذلك العصر. ويبدو ان المعلمين كانوا أحرارا في تقرير الطريقة او بالأحرى اظهار القناعة الشخصية

التي يقيمون بها معرفة الصبيان الذين يعلمونهم"[٥٠]. ولعل غايته من ذلك هو ان يحفز الباحثين ليتمموا ما فاته.

مستخدماً في أحيانٍ اخرى أسلوب الترجيح، لتغليب رأي على آخر، كما فعل مع عمر الصبيان الذي يبدأ فيه التعليم، فيقول: "ونرجح من كل ما سبق ان السنة السادسة والسابعة هي التي يبدأ بها الصبي تعليمه الاولي"[٥١]. وكثيراً ما يقارن، مثلاً مقارنته بين كتابي الامالي للشيخين الصدوق والمفيد، موضحاً غايته من ذلك " لعل القارئ يستطيع الاستنتاج بالاستعانة بالمقارنة"[٥٢]. كما قارن بين المعلم والمؤدب، بما نصه " لم يكن هناك فصل تام بين عمل المعلم وعمل المؤدب... كلاهما يعلم الصبيان بالكتاب"، دليله في ذلك حديث ورد عن الجاحظ يطلق على المعلمين مؤدبين في مرة، وأخرى يسميهم معلمين. مضيفاً إلى ذلك بقوله:" وأحسب ان الفرق الرئيسي بين المعلم والمؤدب هو ان المعلم رجل ممتهن للتعليم في الكتاتيب.. ولكن المؤدب في الغالب هو المعلم الخصوصي لأبناء الخاصة"[٥٣]. مستشهداً في أحيانٍ كثيرة بالروايات التاريخية التي تؤكد آرائه في الحوادث التاريخية، كما في قوله: " يعتقد الامامية ان الامامة منصب يختاره الله كما يختار النبوة "[٥٤].

الخاتمة:

- احتل كتاب (تأريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بَينَ عَهدي الصادق والطوسي) للدكتور عبد الله الفيّاض مكانة رفيعة بين الدراسات الاكاديمية التي اهتمت بدراسة التراث الفكري لدى المسلمين، إذ ملئ الفياض فراغاً بيّناً في المكتبة العربية بتتبعه الدقيق لتاريخ التعليم عند مذهب طائفة مهمة كالإمامية، وفي حقبة زمنية مهمة من تاريخهم امتدت لأكثر من ثلاث قرون، وقدّمها للقارئ باستخدام أسلوب موضوعي غير منحاز. علماً ان عمله لم يكن يسيرا هينا، بل تشوبه الكثير من الصعوبات بسبب ندرة المادة العلمية وتشابكها وقلة من تناولها.

- من خلال دراسة آثار الدكتور عبد الله الفيّاض في مؤلفاته ودراساته التاريخية، تبين انه أتبع منهجاً علمياً وموضوعياً، وجعله طاغياً على نتاجه الفكري بشكل عام، ذلك النتاج المتنوع بين التاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث، وهذا نتيجة حذاقة الفياض في فهم التاريخ وتفسيره.
- وأخيراً نقول، ان مؤلفات الفياض ودراساته ثروة ضخمة لا يستهان بها في مجال علم التاريخ الإسلامي والمعاصر، ونرى أن من الضروري إعادة طباعتها على شكل موسوعة، وفاءاً لجهوده، وفائدة للعلم وأهله.

هوامش البحث:

---

(١) أوراق شخصية محفوظة لدى ذويه، هوية الأحوال المدنية (الهوية الشخصية)، الصادرة من دائرة أحوال الكرادة الشرقية في بغداد بتاريخ ٦ أيار ١٩٧٦م.

(٢) سالم عبد الله الفياض، (النجل الثالث للفياض)، مقابلة علمية معه، بغداد، بتاريخ ٢٧ اب ٢٠١٨م.

(٣) مقدام عبد الحسن الفياض، موجز عن حياة والدي وجدي، أوراق مخطوطة، محفوظة لدى المؤلف، النجف الاشرف، ورقة رقم (٣)؛ سالم عبد الله الفياض، مقابلة علمية، المصدر السابق.

(٤) (الملفة الشخصية لعبد الله الفيّاض) المحفوظة في كُلّية الآداب جامعة بغداد، والمرقمة (٢٧٠)، كتاب عمادة كُلّية التربية/جامعة بغداد، إلى جامعة القاهرة، م/ وثيقة درجات، ذي العدد (١٥٩٩)، بتاريخ ٤ شباط ١٩٦٣م.

(٥) هو كتاب تاريخ البرامكة طبعه عام ١٩٤٨م.

(٦) نبيلة عبد المنعم داوود، مكالمة هاتفية، بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني عام ٢٠١٨م.

(٧) الليسانس: هي شهادة جامعية تعادل شهادة البكالوريوس.

(٨) (الملفة الشخصية)، كُلّية الآداب/ جامعة بغداد، رقم٢٧٠، كتاب عمادة كُلّية التربية/جامعة بغداد، إلى جامعة القاهرة، م/ وثيقة درجات، ذي العدد (١٥٩٩)، بتاريخ ٤ شباط ١٩٦٣م.

(٩) المصدر نفسه، كتاب عمادة كلية الآداب/ القسم السري، الى رئاسة جامعة بغداد/ قسم الافراد، ذي العدد (٥٤)، بتاريخ٣٠ أيار ١٩٧٨م.

(١٠) (الملفة الشخصية)، كُلّية الآداب جامعة بغداد، رقم٢٧٠، كتاب جامعة بغداد/ السجل الشخصي، مديرية التقاعد العامة، الدكتور عبد الله الفياض، ذي العدد (٣٢١٧)، بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩٦٧م.

(١١) المصدر نفسه، كتاب رئاسة جامعة بغداد، امر جامعي، م/ منح إجازة دراسية، ذي العدد (١٤٠٦١) بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٦٤م.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) المصدر نفسه، وزارة معارف الذاتية المعاهد العالية، المرقم (٤٧٣٨٣) بتاريخ١٥كانون اول ١٩٥٤م.

(١٤) عبد الله الفياض، الاجازات العلمية عند المسلمين، (بغداد: مطبعة الارشاد،١٩٦٧م)، ص ١٣١.

(١٥) حسن عيسى الحكيم، مقابلة علمية معه، النجف الاشرف، بتاريخ ٤ايلول٢٠١٨م.

(١٦)(الملفة الشخصية)، محفوظة في كلية الآداب جامعة بغداد، رقم (٢٧٠)، جامعة بغداد الذاتية، م/معاون عميد، المرقم (١٤٢٧٢) بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٦٧م؛ المصدر نفسه، كلية أصول الدين، م/ امر اداري، المرقم (١٤٢٧٢) بتاريخ ٢٣ كانون اول ١٩٦٩م؛ المصدر نفسه، أمر اداري كلية أصول الدين، م/ قبول استقالة الأستاذ عبد الله الفياض، المرقم (٥٤٨) بتاريخ ٢٤ نيسان ١٩٧٣م.

(١٧) المصدر نفسه، أمر اداري من عمادة كلية الآداب /الذاتية، المرقم (١٨٩٧٢) بتاريخ ٩ نيسان ١٩٧٨م.

(١٨) نجاة عبد الله الفياض، (الابنة الكبرى للفيّاض) مقابلة علمية معها، بغداد، ٢٧ آب ٢٠١٨م.

(١٩) عبد الله الفيّاض، تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي، (بغداد: مطبعة أسعد،١٩٧٢م)، صفحة الغلاف.

(٢٠) محمد توفيق حسين : ولد في الموصل عام ١٩٢٢م، وتخرج من مدارسها عام١٩٣٩م، ارسل بعدها ضمن البعثة العراقية إلى الجامعة الامريكية في بيروت، نال منها شهادة البكالوريوس في التاريخ عام ١٩٤٣م، كما حصل على الماجستير من جامعة أكسفورد البريطانية، مارس التدريس في كلية الآداب جامعة بغداد، كما شغل عدة مناصب منها مديرا عاما للصحافة في وزارة الثقافة عام ١٩٥٩م ، له مقالات في الصحف ومؤلفات منها: كتاب(مفهوم الإنسانية والعنصرية عند الجاحظ)، توفي في بغداد عام ١٩٩٨م. للمزيد ينظر: كوركيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠ – ١٩٦٩م، (بغداد: مطبعة الارشاد،١٩٦٩م)، مجلد ٣، ص١١٨.

(٢١) عبد الله الفيّاض، تاريخ التربية ...، المصدر السابق، ص ص ٣-١٤.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ص ١٥-٢٠.
(٢٣) المصدر نفسه، ص ص ٢١-٢٤.
(٢٤) المصدر نفسه، ص ص٢٣-٢٥.
(٢٥) المصدر نفسه، ص ص ٢٦-٣٢.
(٢٦) المصدر نفسه، ص ص ٣٥-٣٩.
(٢٧) المصدر نفسه، ص ص٤٠-٤٧.
(٢٨) المصدر نفسه، ص ص ٤٨-٤٩.
(٢٩) المصدر نفسه، ص ص ٥١-٥٢.
(٣٠) المصدر نفسه، ص ٥٧.
(٣١) المصدر نفسه، ص ص ٥٨-٦٤.
(٣٢) المصدر نفسه، ص ص ٦٤-٦٧.
(٣٣) المصدر نفسه، ص ص ٧٠-٧٣.
(٣٤) المصدر نفسه، ص ص ٧٥-٧٧.
(٣٥) المصدر نفسه، ص ٨٢.
(٣٦) المصدر نفسه، ص ص ٨٢-٩٥.
(٣٧) المصدر نفسه، ص ص ١٠١-١٠٢.
(٣٨) المصدر نفسه، ص ص ١١٢-١١٧.
(٣٩) المصدر نفسه، ص ص ١٧٥-١٩٥.
(٤٠) المصدر نفسه، ص٢١٩-٢٤٠.
(٤١) المصدر نفسه، ص٢٤١.
(٤٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٥٣-٢٦٢.
(٤٣) المصدر نفسه، ص ص ٢٦٣-٢٦٦.
(٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٩.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ١١٩.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٥١) المصدر نفسه، ص ١٧٦.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٦-٢٢٨.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٣٥.

المراجع:

١. (الملفة الشخصية لعبد الله الفيّاض) المحفوظة في كُلّية الآداب جامعة بغداد.

٢. أحمد عبد الله أبو زيد العاملي، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، (بيروت: مؤسسة العارف للمطبوعات، ٢٠٠٧م).

٣. جمعية الصندوق الخيري الإسلامي، دليل كلية أصول الدين في بغداد للعام ١٩٦٧-١٩٦٨م، (بغداد: مطبعة الزهراء).

٤. حسن عيسى الحكيم، مقابلة علمية معه، النجف الاشرف، بتاريخ ٤ايلول٢٠١٨م.

٥. حسين علي محفوظ، كتب الحديث عند الشيعة الامامية، تحقيق جودت القزويني، (بيروت: دار الرافدين، ٢٠٠٦م).

٦. زاهدة إبراهيم، كشاف بالجرائد والمجلات العراقية، (بغداد: منشورات وزارة الاعلام الجمهورية العراقية، ١٩٧٦م).

٧. سالم عبد الله الفياض، (النجل الثالث للدكتور عبد الله الفياض)، مقابلة علمية معه، بغداد، بتاريخ ٢٧ اب ٢٠١٨م.

٨. علي الحيدري، المدخل إلى حوض الغراف تاريخا وحضارة: موسوعة اثارية تاريخية اجتماعية -أدبية للفترة (٢٥٠٠ ق. م ٢٠٠٠ ب. م)، (بغداد: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م).

٩. عبد الله الفيّاض، تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي، (بغداد: مطبعة أسعد،١٩٧٢م).

١٠. عبد الله الفياض، الاجازات العلمية عند المسلمين، (بغداد: مطبعة الارشاد،١٩٦٧م).
١١. عبد الستار شنين الجنابي، تاريخ النجف الاجتماعي ١٩٣٢-١٩٦٨، (بغداد: مكتبة الذاكرة، ٢٠١٠م).
١٢. علي الفياض، تاريخ السادة الفياض، (النجف الاشرف: مطبعة المارد للطباعة والنشر، ٢٠١١م).
١٣. علي هادي دخيل الفياض (أحد أعمدة السادة ال فياض في الرفاعي)، مقابلة علمية معه، مدينة النجف الاشرف، بتاريخ ٢ نيسان ٢٠١٩.
١٤. كوركيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠ – ١٩٦٩م، (بغداد: مطبعة الارشاد،١٩٦٩م)، مجلد ٣.
١٥. نبيلة عبد المنعم داوود، مكالمة هاتفية، بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني عام ٢٠١٨م.
١٦. نجاة عبد الله دخيل، (الابنة الكبرى للفيّاض) مقابلة علمية معها، بغداد، ٢٧ آب ٢٠١٨م.
١٧. متي عقراوي، رسالة دار المعلمين العالية، " الأستاذ"، (مجلة)، بغداد، مجلد٦، سنة ١٩٥٨.
١٨. مقدام عبد الحسن الفياض، موجز عن حياة والدي وجدي، أوراق مخطوطة، محفوظة لدى المؤلف، النجف الاشرف، ٢٠١٨م.

ترتيبات الاقليمية الجديدة والتغيرات في ميزان القوى العالمي– تكتل مجموعة دول البريكس أنموذجا

أ.د وسن إحسان عبد المنعم

كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين

المقدمة:

يتجه العالم نحو ترتيبات اقليمية جديدة تسعى الى تغيير ميزان القوى للعلاقات الدولية والاقتصاد العالمي من خلال انشاء تكتلات دولية فاعلة بين المجموعات الدولية وبما يتناسب مع امكانات وقدرات الدول الاعضاء فيها. ويتجه تكتل مجموعة دول البريكس الى ان يكون له دورا رئيسيا في ذلك التغيير من خلال اعتمادها على ما تملكه من مقومات للقوة والنهوض بامكانات طبيعية وبشرية ومادية هائلة تجعلها تنحو بمسارات واتجاهات ديناميكية للحصول على المكانة السياسية والاقتصادية والاستراتيجية وتحقيق اهدافها متخذة من التعددية السياسية والاقتصادية مقدمة للتعددية القطبية في ضوء التفرد القطبي بالقرارات الدولية للولايات المتحدة الامريكية.

أهمية البحث:

تكمن في دراسة واحدة من اهم الظواهر العالمية تأثيرا وشمولية في الشؤون السياسية والاقتصادية والاستراتيجية والثقافية . الحضارية المعاصرة الا وهي ظاهرة الاقليمية الجديدة التي فرضت نفسها بقوة على الساحة الدولية والاقليمية منذ انتهاء الحرب الباردة والتي اصبحت اليوم احدى اليات العولمة والانفتاح الاقتصادي واداة مكملة لتحرير التجارة والتدفقات المالية والاستثمارية التي توظف اليوم في استراتيجيات القوى الكبرى وميزان العلاقات والتفاعلات داخل النظام الدولي ومنها نموذج تكتل مجموعة دول البريكس وتطوراته.

أهداف البحث:

يركز البحث على:

١.التعرف على ماهية الاقليمية والاقليمية الجديدة كترتيبات قائمة داخل النظام الدولي.

٢. التعرف على دور هذه الترتيبات ومديات تأثيرها على ميزان القوى العالمي من حيث مراكز القوة والنفوذ فيه.

٣. التعرف على تكتل مجموعة دول البريكس بكل تفصيلاته بدءا من نشأته وصولا الى واقعه وقدرته اليوم على التواجد في الساحة الدولية وبما يتناسب مع حجم وقدرات الدول الاعضاء فيه وانتهاءً بمستقبله والتنبؤات القائمة حول ذلك.

اشكالية البحث:

تكمن في هذه التساؤلات:

١.هل ظاهرة الاقليمية الجديدة ستؤثر في تفاعلات النظام الدولي وتوزيع مراكز القوة والنفوذ فيه كميزان للعلاقات والتفاعلات؟

٢. ما هو تكتل مجموعة دول البريكس وما مدى تأثيراته على النظام الدولي كواقع وكمستقبل؟

٣. هل ستؤدي ظاهرة الاقليمية الجديدة بنموذجها تكتل البريكس الى تغيير الية الاستقطاب الدولي من التفرد القطبي الى التعددية القطبية وتغير من البناء الهرمي للنظام الدولي القائم منذ انتهاء الحرب الباردة؟

فرضية البحث:

مع تزايد الترتيبات الاقليمية الجديدة فأن المنظومة الدولية في حالة تغير مستمر أكثر تعقيدا لتزايد الوحدات القائمة وبما يجعل من التأثير متبادلا ايجابا او سلبا يؤثران في ميزان القوة والنفوذ العالمي ومنها تكتل مجموعة دول البريكس واتجاهات تطوره وتأثيراته.

منهجية البحث:

استند البحث على المنهج التاريخي في نشأة الترتيبات الاقليمية وتكتل مجموعة دول البريكس وعلى منهج التحليل الوصفي والمقارن في تحليل تطوراتهما كواقع قائم بكل مافيه من متغيرات ومعالم واخيرا اعتمد البحث على المنهج المستقبلي في استقراء المشاهد المحتملة .

هيكلية البحث:

ركز البحث على المحاور الاتية:

١.المحور الاول/ التكتلات الاقتصادية والاقليمية الجديدة.

٢.المحور الثاني/ تكتل مجموعة دول البريكس:التعريف،النشأة،الاهداف والمؤسسات.

٣.المحور الثالث/تكتل مجموعة دول البريكس:مقومات القوة وعناصر الضعف.

٤.المحور الرابع/ الاهمية السياسية والاقتصادية لتكتل مجموعة دول البريكس والمكانة في ميزان القوى العالمي.

٥. مستقبل تكتل مجموعة دول البريكس.

٦. الخاتمة والاستنتاجات.

المحور الاول/ التكتلات الاقتصادية والاقليمية الجديدة:

اولا/ التكتلات الاقتصادية: النشأة، المفهوم والدوافع:

ان ظاهرة التكتلات الاقتصادية ليست بالظاهرة الجديدة فهي تعود الى اكثر من مائة عام عندما نشأ اول تكتل في الولايات الالمانية قبل وحدة المانيا ،ثم اعقبها تكتلات اخرى مثل تكتل المستعمرات الانكليزية مع الدولة الام التي عرفت باسم سياسة التفضيل الامبراطوري وتكتل فرنسا ومستعمراتها وغير ذلك من التكتلات[١]، إلا أن ظهورها كتجربة اقتصادية كانت بعد الحرب العالمية الثانية اتخذتها مجموعة من الدول سواء كانت متقدمة ام نامية ،رأسمالية ام اشتراكية ،وذلك لمواجهة مختلف التحولات التي شهدها العالم في تلك الفترة فظهرت هذه التكتلات كنتيجة للقيود في العلاقات الدولية وكمحاولة جزئية لتحرية التجارة بين عدد من الدول، حتى ظهرت التكتلات في صيغة مشروعات فردية قدمتها الولايات المتحدة الى الدول الاوربية ودول الشرق الاوسط، مثل مشروع مارشال الهادف آنذاك الى تقديم المساعدات الاقتصادية المصحوبة بشروط سياسية وعسكرية، وقد كانت شعوب قارة اوربا اول من ساهم في نشأة هذه التكتلات وذلك بحكم ما تعرضت اليه من ازمات اقتصادية نتيجة الحرب العالمية الثانية[٢].

لقد نشأ وتطور مفهوم التكتلات الاقتصادية اساسا في البلدان الصناعية وأصبح ينظر اليها على انها ضرورة ملحة خاصة في مرحلة تطور القوى المنتجة التي وصلت الى مرحلة من التطور بمساعدة العلم والتقنية فتزايد الانتاج والتعميق الحاصل في عملية تقسيم العمل الدولي. من هنا تكتلت دول اوربا الغربية في شكل سوق مشتركة عام ١٩٥٧ حتى اصبحت آنذاك بداية وصورة مثلى يحتذى بها للعديد من الاقتصاديين والسياسيين بين مجموعات دولية اخرى.

وفقا لذلك، يمكن تعريف التكتلات الاقتصادية بأنها تجمع عدد من الدول تجمعها روابط خاصة بالجوار الجغرافي او التماثل الكبير في الظروف الاقتصادية او الانتماء الحضاري المشترك، يعبر عن درجة معينة من درجات التكامل الاقتصادي فقد يكون اتحادا كمركيا او منطقة تجارة حرة وغيرها والتي تجمعها مجموعة من المصالح الاقتصادية المشتركة بهدف تعظيمها وزيادة التجارة البينية لتحقيق أكبر العوائد وصولا الى اقصى درجة من الرفاهية الاقتصادية لشعوبها.

وتعود نشأة التكتلات الاقتصادية الى مجموعة من الدوافع الرئيسية، اهمها:

١/ الدوافع الاقتصادية: وتتمثل بـ[٣]:

أ. تحقيق التنمية الاقتصادية من خلال البحث عن النمو الاقتصادي الجماعي والتنمية العادلة لجميع أطراف التكتل.

ب. توسيع نطاق السوق وزيادة استيعابه بما يحقق زيادة في الانتاج وتدفق أكبر للسلع والخدمات وتعظيم الارباح.

ت. تدفق الاستثمارات من خلال تهيئة بيئة استثمارية مستقرة قائمة على وجود نظم قانونية واقتصادية مشجعة على اقامة المشاريع المربحة والتي تؤدي الى زيادة التشغيل وزيادة النمو وهو ما يتيحه التكتل الاقتصادي باعتباره فضاءا حرا لانتقال عناصر الانتاج.

ث. زيادة الكفاءة الاقتصادية خاصة في القطاع الصناعي الذي يشهد منافسة متزايدة ،ومن خلال التنسيق بين السياسات الاقتصادية تزداد قوة التكتل في مواجهة التنافس الخارجي.

ج.تقوية المركز التنافسي والتفاوضي وتزداد اهمية هذا الجانب بالنسبة للدول النامية التي تعتمد على الخارج في تلبية احتياجاتها الاساسية.

٢/ الدوافع السياسية: وتتمثل بـ:

أ. التكتل من اجل درء المخاطر الخارجية، اذ يسمح التكامل الاقتصادي لمجموعة من الدول بتشكيل قوة دفاعية موحدة اتجاه العالم ويمكن ان تكون قوة عسكرية خاصة عندما تعجز الدول الاعضاء بمفردها عن الدفاع عن نفسها من التهديدات الخارجية ،سواء لقلة امكانياتها الدفاعية او لصغر مساحتها الجغرافية، في حين يصعب اختراق اي تكتل دولي وصل الى درجة الاندماج السياسي والاقتصادي.

ب. مواجهة المخاطر الامنية وفي مقدمتها التهديدات الارهابية مهما كانت طبيعتها ومسمياتها فضلا عن وضع اتفاقيات محاربة الشبكات الدولية للتهريب والمخدرات والتنسيق الامني الجماعي لذلك.

٣/ الدوافع الاجتماعية: وهي التي تركز على الدوافع الونية والقومية بهدف المحافظة على الكيانات القومية للام المتقاربة على اساس اللغة والدين والعرق، ويمثل هذا الدافع من اولويات التوجه نحو التكتلات الاقليمية.

ثانيا/ الاقليمية والاقليمية الجديدة: المفهوم ، الاشكال والخصائص:

على الرغم من الاعتراف رسميا بفكرة الاقليمية منذ عهد عصبة الامم بوصف الترتيبات الاقليمية صورة من صور العمل الجماعي في إطار مجموعة من الدول او تنظيمات دولة معينة، اذ لايزال الجدل قائما حول هذا المفهوم. بل حتى ان ميثاق الامم المتحدة لم يأت بتعريف محدد لها غيرانه اولى اهمية خاصة للمنظمات الاقليمية وخصص الفصل الثامن منه لها وفق المادة (٥١) [٤] من الميثاق. فهي ظاهرة قديمة ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ونشطت في خمسينات القرن الماضي كاتجاه للتوحيد في القارة الاوربية ثم انتشرت الى انحاء العالم[٥].

لقد فسر منظرو العلاقات الدولية نشوء التكتلات الاقليمية من منطلق اقامة التوازن مع قوة مهيمنة او عظمى تحمي الدولة الصغيرة ضد دولة كبيرة وقوية وتحافظ على علاقات سياسية سلمية وتعاونية[٦]. فقد

أدرك الباحثون في العلاقات الدولية والاقتصاد الدولي ان الاقلمة هي عبارة عن "نشاط بين الدول يتراوح بين تنسيق قوي للسياسة وان يكن اوليا كالنموذج القائم في اسيا . المحيط الهادي (الباسفيك) وبين التكامل التام في صورة سوق مشتركة على نمط الاتحاد الاوربي"[٧]. وفي نطاق القانون الدولي هي تجمع يقوم بين فريق من الدول في ظل تنظيم حكومي قانوني تؤلف بين ارافه صلات من التجاور والثقافة او المصالح المشتركة[٨].

اما مفهوم الاقليمية الجديدة فهي تلك الموجة الجديدة من العلاقات والترتيبات الهادفة للتعاون والتكامل والاندماج الاقتصادي والسياسي والامني الاقليمي، والتي اصبحت تمثل احدى اهم الظواهر الاقتصادية والسياسية منذ منتصف ثمانينات القرن الماضي على شكل تجمعات وترتيبات وتكتلات تجارية اقليمية عملاقة وسادت المجتمع الدولي في عالم ما بعد الحرب الباردة[٩].

اما الاقليمية الجديدة (The New Regionalism) فهي اتجاه جديد في التعاون ظهر ما بعد فترة الحرب الباردة بين عدد من دول اقليم ما لحل خلافاتهم وصراعاتهم. كما اريد بها تلك الموجة من العلاقات والترتيبات الهادفة للتعاون وللتكامل وللاندماج التجاري والاقتصادي والسياسي والامني الاقليمي التي اصبحت تمثل احدى اهم الظواهر السياسية والاقتصادية التي اخذت بالتبلور على نحو واضح منذ منتصف ثمانينات القرن العشرين على شكل تجمعات وترتيبات وتكتلات تجارية اقتصادية تقنية اقليمية عملاقة سادت في عالم ما بعد الحرب الباردة[١٠]. لقد اسهمت ظاهرة الاقليمية الجديدة في اعادة مأسسة النظام الدولي ولاسيما في اطاره الاقتصادي بحيث يتلاءم والمتغيرات الجديدة الامر الذي جعل من الكتل الاقليمية حلقة وسيطة بين الدول الاقليمية وبين النظام العالمي حتى أصبح ينظر للاقليمية الجديدة كعلاج للمشكلات على الصعيد الدولي ولاسيما المشكلات الاقتصادية والتحديات الامنية وغيرها[١١].

وعليه، فإلى جانب التنظيمات الاقليمية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية مثل المجموعة الاوربية ومنظمة الوحدة الافريقية (الاتحاد الافريقي حاليا) وجامعة الدول العربية ،تتطور الان مظاهر اخرى للترتيبات الاقليمية مثل الاسيان والايكو والنافتا والابيك ..الخ[١٢]. من دون ان ينفي ذلك وجود مظاهر

للاقليمية الجديدة تتجه باتجاه التفتيت والمتمثلة بالترتيبات الاقليمية الامريكية ولاسيما الشرق اوسطية الجديدة الهادفة الى بناء نظام اقليمي جديد تكون فيه الولايات المتحدة المحور الرئيس لها[١٣].

وفقا لذلك ، ميز الاقتصاديون بين شكلين من الترتيبات الاقليمية، هي:

الاول/ ويتخذ شكل تكامل ضحل والناجم عن تخفيض او إزالة الحواجز الكمركية وغير الكمركية المعيقة لتجارة سلع اعضاء التكتل، ما يعني ان هذه الترتيبات تمتاز اساسا بطبيعتها

التجارية السلعية التي تهدف الى الالغاء الكلي للحواجز بواسطة اليات بسيطة وشفافة، حتى لو كان هناك نوع من الاختلاف بينها يكمن في وتيرة واشكال التحرير لبعض الاصناف من السلع وهذا التباين يمس اساسا المرحلة الانتقالية.

الثاني/ ويتخذ شكل تكامل عميق، ويذهب الى ابعد من مجرد إزالة الحواجز امام تجارة السلع ليغطي مجالا واسعا يشمل الخدمات ، الاستثمار، تحركات العمالة. فهو يتضمن احكاما أكثر تعقيدا تشمل تنسيق السياسات الكلية بما فيها السياسات الضريبية والنقدية وسياسة سعر الصرف لتحقيق الاستقرار الاقتصادي الكلي والبيئة المناسبة للتكامل.

خصائص الاقليمية والاقليمية الجديدة[١٤]:

بعد ان ركزت ترتيبات الاقليمية القديمة على:

١. سياسة احلال الواردات.

٢. الانغلاق على الاقتصاد العالمي.

٣. تخصيص مخطط للموارد.

٤. موجهة من طرف الحكومات.

٥. تشمل اساسا المنتجات الصناعية.

٦. اتفاقيات تكامل ضحل يشمل معاملة تفضيلية محدودة.

نجد ان ترتيبات الاقليمية الجديدة تميزت بخصائص مهمة ،هي[١٥]:

١. سياسة تنمية الصادرات.
٢. الاندماج في الاقتصاد العالمي.
٣. تخصيص الموارد من طرف السوق.
٤. للقطاع الخاص دور كبير.
٥. تشمل جميع السلع والخدمات والاستثمار.
٦. اتفاقيات تكامل عميق يشمل احكام متساوية.

ان ذلك يعني، ان عملية هيكلة النظام الاقتصادي العالمي بما يتوافق مع المتغيرات العالمية الجديدة هي ابرز خصائص و سمات مفهوم الاقليمية الجديدة ،اذ انه يهدف الى جعل الكتل الاقتصادية الاقليمية حلقة ربط وسيطة بين الدول من ناحية والنظام العالمي من ناحية اخرى.

فهي تساعد على ابدال العلاقات الاقتصادية المتنافرة بالعلاقات الاقتصادية المتناغمة او المتوافقة نوعا ما عن طريق انتهاج النهج الوظيفي في هذه العلاقات. وبما يساهم في تحقيق الامن والاستقرار على المستويين الاقليمي والعالمي حتى أصبح الاتجاه الى تكوين التكتلات الاقتصادية بين مجموعة الدول التي تربطها مصالح مشتركة هي من اهم ما يميز الاقتصاد العالمي المعاصر[١٦].

المحور الثاني/ تكتل مجموعة دول البريكس (BRICS): التعريف، النشأة، الاهداف والمؤسسات

اولا/ التعريف بالمصطلح BRICS : ويشير الى الحروف الاولى لخمس دول هي البرازيل (B)، روسيا (R)، الهند (I)، الصين (C) وجنوب افريقيا (S) ،وهو مصطلح انكليزي مقابله باللغة الفرنسية ABRIC او BRICA. وقد صاغ هذا المصطلح نفسه من قبل (جيم اونيل) من بنك (جولدمان ساكس)، وهو بنك (وول ستريت) ،في ٣٠ ت٢ ٢٠٠١، ثم اعيد استخدامه في تقرير صدر عن هذه الهيأة في عام ٢٠٠٣، وبانضمام جنوب افريقيا عام ٢٠١١ اعتمد مصطلح BRICS[١٧]. وكان يسميها البعض (R-٥) اشارة الى اسماء عملات الدول الخمس التي تبدأ بحرف ال (R) وهي (الريال البرازيلي، الروبل الروسي، الروبية الهندية، الرنميني الصيني، الراند الجنوب افريقي).

ان عملية ضم جنوب افريقيا خضعت لأسباب سياسية وجيوبوليتيكية اكثر منها اقتصادية او تجارية ، اذ رأت الصين ضرورة ضم دولة افريقية مهمة الى المجموعة على اساس ان الصين الشريك التجاري الاول لها ولتكون (بريتوريا) هي بوابة (بريك) الى قارة افريقيا في ظل التسابق الامريكي . الصيني على النفوذ والتجارة في القارة[١٨]. كما ان استخدم هذا المصطلح كان يعني ايضا انتقال الثقل الاقتصادي من الغرب بعيدا عن مجموعة الدول السبع الصناعية (G7) باتجاه دول العالم النامي في ضوء تصاعد الاهمية النسبية للاقتصادات الاسيوية والافريقية ودول امريكا الجنوبية من خلال وقوع النسبة الكبرى من هذه الاقتصاديات الصاعدة داخل هذه الاقاليم[١٩].

ثانيا/ النشأة والتكوين: كان لاستخدام هذا المصطلح لأول مرة في عم ٢٠٠١ اشارة الى الدول الصاعدة ،ولكن هذه المجموعة ظلت هشة وغير رسمية حتى عام ٢٠٠٩ حين انعقدت قمتها الاولى المكونة من اربع دول صاعدة وازدادت حدة التحدي لإقامة هيكل مؤسسي وخطة عمل موحدة[٢٠]. ومع نشوئها زادت التنبؤات بأنها سوف تتفوق على اقتصاد الولايات المتحدة الامريكية في نهاية الربع الاول من القرن الحادي والعشرين، وعلى اقتصاديات الدول السبع الكبرى في منتصف القرن، وعندما اندلعت الازمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨ اكدت ذلك ، فقد تغلبت دول المجموعة على الاحداث التي عصفت بالاقتصاد العالمي ،فظهرت اصوات تتنبأ بزعامة البريكس للعالم بحلول عام ٢٠٣٠.

كان من أبرز القمم التي عقدها هذا التكتل منذ نشأته هي[٢١]:

١/ القمة الاولى في حزيران ٢٠٠٩: والتي عقدت في روسيا وشارك فيها رؤساء الاتحاد الروسي والهند والصين والبرازيل، وتم فيها الاعلان عن ضرورة تأسيس نظام عالمي ثنائي القطبية مع تحسين النظام العالمي واصلاح المؤسسات المالية وكيفية مواجهة الازمة المالية العالمية وتداعياتها خاصة عندما اعلنت دول البريك حينها عن الحاجة لعملة احتياط جديدة بدلا عن الدولار الامريكي تكون أكثر استقرارا على مستوى العالم.

٢/القمة الثانية في نيسان ٢٠١٠: وعقدت في البرازيل واكدت على استمرار التنسيق بين دول التكتل لإصلاح المؤسسات المالية والعمل على ازالة اثار الازمة المالية العالمية عاد ٢٠٠٨. وفي عام هذه القمة انضمت جنوب افريقيا الى التكتل وتغير اسم التكتل الى البريكس.

٣/ القمة الثالثة في نيسان ٢٠١١: وعقدت في الصين وركزت على اصلاح المؤسسات الاقتصادية والمالية الدولية وزيادة حق التصويت للدول الناشئة والنامية مع التعاون بين بنوك الدول الاعضاء في شتى المجالات.

٤/ القمة الرابعة في اذار ٢٠١٢: وعقدت في الهند واكدت على اقامة مجموعة عمل مشتركة لإنشاء بنك التنمية ،كما اقترح الرئيس الروسي (ديمتري مديفيد) بضم كل من البرازيل والهند وجنوب افريقيا الى مجلس الامن الدولي كأعضاء دائميين.

٥/ القمة الخامسة في اذار ٢٠١٣: وعقدت في جنوب افريقيا وتناولت القمة ملفات عدة منها الملف الايراني النووي والازمة السورية والملف الفلسطيني . وفشل فيها الاتفاق على انشاء بنك التنمية الخاص الا انه اتفق على استراتيجية تعاون طويلة الامد بين دول التكتل.

٦/ القمة السادسة في تموز ٢٠١٤: وعقدت في البرازيل واكدت على استمرار التعاون بين الاعضاء في مجال الاستثمار والتجارة والتمويل. كما اتفق على إطلاق بنك التنمية الجديد مع دعم الدول الافريقية في عملية التصنيع وتحفيز الاستثمار الاجنبي المباشر.

٧/ القمة السابعة في تموز ٢٠١٥: وعقدت في روسيا وركزت على انشاء صندوق للاحتياطات النقدية المخصص للطوارئ مع الدعوة لمواجهة جميع اشكال الحمائية التجارية وتأمين الدعم لعمل منظمة التجارة العالمية مع تنويع وتوسيع مشاركة دول البريكس في التجارة العالمية.

٨/ القمة الثامنة في ت٢ ٢٠١٦: وعقدت في الهند واكدت على محاربة الارهاب والحد من الجريمة المنظمة مع الاتفاق على تعزيز التعاون في مجالات الابحاث الزراعية واقامة شبكة السكك الحديدية بينها مع اقامة المجالس الرياضية.

٩/ القمة التاسعة في ايلول ٢٠١٧: وعقدت في الصين وركزت على دعم التنمية المستدامة والنمو الاقتصادي وتعزيز الاتصالات والتنسيق لتحسين الحوكمة الاقتصادية العالمية لبناء نظام اقتصادي دولي أكثر تعاونا وتوازنا.

ثالثا/ الاهداف:

انطلقت مجموعة البريكس من اهداف اقتصادية مشتركة تكون حافزا لتماسك هذه المجموعة (متخذين من الاتحاد الاوربي نموذجا في ذلك)، ذلك لان دول المجموعة مختلفة عن بعضها في الكثير من الجوانب السياسية والثقافية، لذلك ركزت اهدافها على:

أ.تشجيع التجارة والاستثمارات البينية لتحقيق تكاملا اقتصاديا خاصة في مجال النفط والغاز والبنى التحتية ، وقد اشار الباحث في اقتصاد التنمية بجامعة جوهانسبيرغ (ستيفن جيلد) في هذا المضمار ان هذا لن يكون الاهتمام الوحيد ،لكنه سيكون العملية الهامة في مساعدة الدول نفسها لتحقيق اغراضها الاخرى[٢٢].

ب.ضرورة اصلاح مؤسسات التمويل الدولية من اجل زيادة دور القوى الاقتصادية الصاعدة في صناعة القرار داخل مؤسسات النقد الدولية(الصندوق والبنك الدوليين) [٢٣].

ت.محاولة تغيير نظام النقد الدولي بتقليل الاعتماد على الدولار الامريكي في المدفوعات الدولية ،حيث تبلور الدول الخمس اتفاقية تقديم قروض او منح لبعضها البعض بعملاتها المحلية لتدويل تلك العملات وتأسيس اليات جديدة[٢٤].

ث.في القمة الرابعة للمجموعة التي عقدت في الهند عام ٢٠١٢ ،اضيفت اهداف جديدة تعكس متطلبات الوضع الاقتصادي العالمي وذلك لان الدول الخمسة هي اعضاء في نفس الوقت في G 20.

ج.تهتم المجموعة بشكل خاص بالتعاون التكنلوجي خاصة في مجالات الطاقة المتجددة وتحسين استخدامها لاسيما وان البرازيل تعد الدولة الرائدة في هذا المجال[٢٥].

ح.الاتفاق على هوية موحدة وتعاون مؤسسي بما يجعلهم مجموعة جيوسياسية وجيو اقتصادية لها وزنها قادرة على الثبات ودرء المخاطر مع خلق نظام للنسيق الامني فيما بينهم.

خ.العمل على تأسيس نظام عالمي جديد بعيد عن الهيمنة الامريكية مع العمل على اصلاح المنظمات السياسية الدولية وتحديدا الامم المتحدة ومجلس الامن[٢٦].

د.السعي لسحب دول صاعدة وناجحة تشارك هذه المجموعة في تطلعاتها ،اذ يمكن الانفتاح على العالم الاسلامي لاسيما الدول الرئيسية فيه مثل ايران، تركيا، ماليزيا.

رابعا/ المؤسسات:

هناك عدد من المؤسسات المالية والاقتصادية في البنية المالية لتكتل البريكس، ابرزها هو بنك التنمية الجديد ويشار اليه كذلك باسم بنك تنمية البريكس مع صندوق احتياطي نقدي بقيمة (٥٠ و١٠٠) مليار تم انشاءهما على التوالي وذلك اثناء القمة في شنغهاي في تموز عام٢٠١٤ . وتأتي اهمية ترتيبات الاحتياطي الاحتمالي لتوفير الحماية ضد ضغوط السيولة العالمية ، والتي تشمل قضايا العملة حيث تتأثر العملات الوطنية للأعضاء سلبا بسبب الضغوط المالية العالمية.

كما وجد ان الاقتصادات الناشئة التي شهدت التحرير الاقتصادي السريع مرت بزيادة التقلبات الاقتصادية مما جعل البيئة الاقتصادية غير مستقرة وبحاجة الى هذه الاحتياطيات الاحتمالية التي أصبح ينظر اليها كمنافس لصندوق النقد الدولي وينظر لبنك التنمية كمثال على زيادة التعاون بين الجنوب والجنوب. ويتكون الاساس القانوني للاحتياطي من معاهدة انشاء ترتيب الاحتياطي في البريكس عام ٢٠١٤ ودخلت حيز التنفيذ بعد مصادقة جميع الاعضاء وتم الاعلان عنها في قمة البريكس السابعة في تموز ٢٠١٥[٢٧].

المحور الثالث/ تكتل مجموعة دول البريكس (BRICS): مقومات القوة وعناصر الضعف:

اولا/ مقومات القوة لدول تكتل البريكس:

تشترك دول البريكس كونها اقتصادات ناشئة يزداد وزنها الاقتصادي في العالم مع مرور الوقت، الا انها تمتاز عن بعضها بمقومات جعلت منا الانطلاقة الاساسية ازاء توجهها نحو العالم بالرغم من التفاوت فيما بينها في مقومات القوة ، ويمكن ادراج ابرزها حسب كل دولة بالاتي:

١/ البرازيل/ وتعد من اهم القوى الصاعدة في امريكا الجنوبية والقوة الاولى بكافة المعايير الجغرافية والبشرية والاقتصادية والعسكرية وتفصلها فجوة كبيرة عن بقية دول القارة وتحديدا الارجنتين وتشيلي وفنزويلا[٢٨]. ويعتبر اقتصادها من اهم الاقتصادات التي تم تحريرها بالتوازي مع تحرير الاقتصاد العالمي ، والبرازيل عضو في منظمة التجارة العالمية، كما ويمتلك شركات متعددة الجنسية في الزراعة والطاقة فضلا عن الصناعات المصنعة خاصة صناعة الطائرات، فهو يمتلك اقتصادا متطورا وطلبا محليا كبيرا من خلال اتساع حجم سوقه. كما تحتل الموارد الطبيعية لديه اهمية كبيرة جعلته شبه مستقل عن العالم الخارجي في مجال توريد مصادر الطاقة، فضلا عن ذلك، تمتلك البرازيل اوسع غابة استوائية في العالم وهي غابة نهر الأمازون وتشكل أكبر مولد ومخزون للأوكسجين فوق الكرة الارضية[٢٩]. وللبرازيل نظام بنكي متحرر وشبكة اتصالات متطورة واهتمام كبير بمستوى التعليم والبحث والتطوير. وقد أكد مركز ابحاث الاقتصاد والاعمال (CEBR) ان البرازيل احتلت المرتبة (السادسة) في الاقتصادات العالمية بعد الولايات المتحدة (الاولى)، الصين (الثانية)، اليابان (الثالثة)، المانيا (الرابعة) وفرنسا (الخامسة). وقد جاء ذلك بفضل نسبة النمو المتحققة بدءا من عام ٢٠١٠ والبالغة حوالي (٧,٥%). كما وتحتل المرتبة الخامسة عالميا من حيث تعداد السكان الذي تجاوز حاليا (٢٠٧,٨٤٧,٥٣) مليون نسمة. فلى جانب سكانه الاصليين فإن المهاجرين من ايطاليا واسبانيا والبرتغال واليابان والصين وكوريا جعلوا من البرازيل بلدا متعدد الاقاليم والثقافات[٣٠].

٢/ روسيا الاتحادية/ وتقع في الجهة الشمالية من الكرة الارضية وتمتد عبر شرق اوروبا والذي يمثل ربع مساحتها اما الثلاثة ارباع المساحة فتقع في الجزء الاسيوي الذي تمتد فيه وتحديدا شمال آسيا[٣١]. ترتكز مقومات القوة الاقتصادية فيها على المقومات الزراعية والصناعية والمساحة الهائلة التي تعد الاكبر على مستوى العالم، فضلا عن الامكانيات الهائلة والتنوع الكبير في مصادر الطاقة مثل الغاز والنفط والفحم والكهرباء والطاقة النووية، كما وتمتلك ثروة ضخمة من الطاقة الطبيعية المتجددة. اذ تعد روسيا الدولة الاولى في العالم من حيث احتياطي الغاز الطبيعي والذي تجاوز (٣٠%) من الاحتياطي العالمي، اي ما

يزيد على ربع الاحتياطي العالمي[٣٢]. كما وتحتوي على عدد متنوع ومختلف من التضاريس متمثلة بالجبال والانهار والاقاليم الجغرافية. وحسب الاحصائيات الاخيرة في عام ٢٠١٦ وصل عدد سكان روسيا نحو (١٤٤,٠٩٦,٨١) مليون نسمة[٣٣]. وقد ساعد ارتفاع اسعار النفط لفترات متباينة على تكديس الثروة لديها والذي جعل منها أحد مفاتيح القرار الدولي، حتى باتت الولايات المتحدة تفكر كثيرا في الموقف الروسي قبل الاقدام على التوجه نحو مجلس الامن عند البحث في اصدار اي قرار دولي قد يكون لروسيا فيه وجهة نظر مغايرة يمكن ان تقف عائقا امام صدوره[٣٤]. لقد بدأت السياسة الخارجية الروسية تتأثر بمصالحها الوطنية، فقد وضع (بوتين) برنامجه على اساس التحديث الداخلي والبرغماتية من خلال ربط روسيا اقتصادها باقتصاد السوق الذي يهدف الى ضمان التنافسية والابتكار التكنلوجي، حتى أصبح ذلك سبيلا لكي تستعيد روسيا مكانتها كدولة عظمى وهو ما يتطلب التحول الاقتصادي والانفتاح الاقتصادي امام الخارج.

فضلا عن ذلك، تمتلك روسيا قوة عسكرية وترسانة نووية هائلة تعد الاهم بعد الولايات المتحدة الامريكية ، اذ يوجد لديها حوالي (٥٠٠٠) رأس حربي نووي نشط بالرغم من تواصلها بموجب معاهدة (SORT) نحو تقليص قواها النووية الاستراتيجية باعتباره جزءا من التحول الاستراتيجي بعيدا عن وضع الردع (الفائض الكبير) الى (الردع المكافيء الادنى) وفق المخطط الروسي للمدة ٢٠١٥.٢٠٢٠ ضمن تفوق القوى التي حددت في معاهدة (STAART2) [٣٥].

٣/الهند/ هي من الدول التي تقع في الجزء الجنوبي من قارة اسيا تحتوي على نحو (٧٧%) من سكان جنوب اسيا اذ بلغ عددهم حسب تقديرات احصاء ٢٠١٥ نحو (١,٣١١,٠٥٠,٥٣) نسمة وهو ما يعني ان الهند ستتجاوز الصين من حيث عدد السكان في حدود عام ٢٠٢٥(١)، كما وتحتوي على (٧٢%) من المساحة ونحو (٨٤%) من الاراضي القابلة للزراعة فضلا عن (٨١%) من الغابات[٣٦]. وتمتلك الهند سوقا واسعه ونظاما ماليا متطورا وعددا كبيرا من الشركات ذات الكفاءة العالية خاصة في مجال صناعة البرمجيات. ويمثل القطاع الزراعي المركز الرئيس في الاقتصاد الهندي لكونه يستوعب حوالي (٧٠%)

من مجموع القوى العاملة ويسهم بأكثر من (٤٠%) من مجموع الناتج المحلي الصافي والزراعة هي الحرفة الرئيسية التي تمد الملايين بالغذاء كما انها مصدرا للعديد من المواد الاولية التي تقوم عليها الصناعات الهندية، ويشكل تحسين المستوى المعيشي للسكان تحديا كبيرا لها، على اعتبار ان غالبيتهم من سكان الارياف، غير ان ذلك لا ينفي وجود تجمعات سكانية حضرية متطورة ومتخصصة في الصناعات والخدمات الموجهة للتصدير.

٤/ الصين/ وتقع في الجزء الشمالي من نصف الكرة الشرقي من قارة اسيا وتتمتع بخصائص جغرافية جعلتها تتميز بعمق استراتيجي كبير والاشراف على طرق مهمة للمواصلات والتجارة مع العالم سواء البرية منها بإشرافها على طريق الحرير الذي مارس دور كبير في تنشي التجارة عبر محور الشرق الاقصى والشرق الاوسط واوروبا مرورا بآسيا الوسطى وجنوب اسيا او طرق المواصلات البحرية بإطلالها على المحيط الهادي وبحر الصين الجنوبي وغيرها لتحقيق تنمية اقتصادية تمكنها من تحسين مستوى سكانها البالغ حسب احصائيات مجموعة البنك الدولي لعام ٢٠١٤ نحو (١,٣٦٩,٨١١,٠٠٠) نسمة اي حوالي (٢٠%) من سكان العالم [٣٧].

وتعد الصين المنافس القوي والمحتمل للولايات المتحدة على الصعيد الدولي، ففي اقل من ثلاثين عام اصبحت الصين القوة الاقتصادية الثانية في العالم بعدما سجلت معدلات نمو فاقت (١٠%)، ويعود ذلك اساسا الى ارتفاع حجم صادراتها من السلع ذات الاستهلاك الواسع فضلا عن الاستثمارات الضخمة في التعليم والبحث والتطوير والتي ادت الى تخفيض معدلات الامية وتحسين مستوى تكوين العمالة الصينية ، وهي كذلك عضو في منظمة التجارة العالمية. ويتوقع تقرير مجلس الاستخبارات الوطنية الامريكي المعنون بـ (الاتجاهات العالمية لعام ٢٠٢٥: تحول العالم)، أن تكون الصين أكبر دول العالم اقتصادا فضلا عن ذلك، فهي تفرض نفسها بمرور الوقت كقوة مالية وعسكرية وثقافية[٣٨]، اذ اصبحت الصين واحدة من اكبر المراكز المالية في العالم فقد راكمت لديها عملات اجنبية كثيرة تقدر بأكثر من تريليون دولار امريكي خلال العقد الاول من القرن ٢١، كما وتعتبر واحدة من اكبر مراكز الصناعة في العالم

وتستهلك ما يقرب من ثلث التجهيز العالمي من الحديد والفولاذ والفحم. وازداد حجم الانفاق على الجيش الوطني بمقدار (٢٠%) سنويا في الاعوام الاخيرة وامتدت دبلوماسيتها لتشمل كل قارات العالم وهو ما يؤكد ان الاقتصاد العالمي بصدد تغير جذري لصالح صعود الصين[٣٩].

٥/ جنوب افريقيا/ وتقع في اقصى الطرف الجنوبي لقارة افريقيا وتحتل المركز الخامس والعشرين من حيث المساحة في العالم[٤٠]، وتعتبر من الدول الغنية بالموارد الطبيعية والمعادن حيث تمثل وحدها أكثر من (٢٠%) من الناتج الاقتصادي للقارة الافريقية، ويقوم اقتصادها على ثلاثة محاور رئيسة هي الصناعة والتعدين والتجارة، ويعد القطاع الصناعي هو المولد الرئيس للنمو الاقتصادي في البلاد والذي يشهد تطورا تكنلوجيا خاصة في مجالات الطاقة والتعدين وكذلك في قطاعات خدمية تحديدا الاتصالات وتكنلوجيا المعلومات. ويعد الذهب اهم صادراتها الى الخارج فهي ثاني أكبر منتج للذهب على مستوى العالم بعد الصين[٤١]. وتعد الدولة الوحيدة التي تحقق فائضا غذائيا باستثناء العجز في سلعة الذرة، حتى بلغ حجم اقتصادها ثلاث اضعاف اقتصاد مصر، ويأتي ترتيبها (٢٩) على مستوى العالم من حيث التقدم الاقتصادي وبتعداد سكاني تجاوز الخمسين مليون نسمة، وعند مستوى نمو يقل او يزيد على (٣,٥%)، وناتج محلي يقل بحوالي (١٦) مرة عن نظيره في الصين، لذلك بحسب Jim O,neill ورغم هذه المقومات الا انه لا يشكل انضمامها لدول البريكس الا تمثيلا للقارة الافريقية وفقا للمقومات التي تتميز بها هذه الدول قياسا بجنوب افريقيا.

ثانيا/ عناصر الضعف لدول تكتل البريكس:

تواجه هذه الدول عدد من مواطن الضعف التي قد تكون كوابح بوجه تحقيق اهداف هذا التكتل، واهمها:

١/ تعاني دول البريكس بالعموم من مشكلة الموارد المحدودة التي تواجه اقتصادياتهم، اذ تواجه الهند والصين نقصا في المياه والطاقة والتي تتزامن مع ثبات نمو انتاج المحاصيل الزراعية وهو ما يثير المخاوف من تفاقم الوضع الغذائي في الاعوام القادمة على الرغم من ان الدولتين لديهم نوعا ما اكتفاء ذاتي في الغذاء في الوقت الحاضر[٤٢].

٢/ مازالت بعض السياسات التجارية غير منسقة بين دول المجموعة، فهناك سياسات اغراق متبعة منها اغراق السوق البرازيلية بالأحذية الصينية، وجنوب افريقيا بالملابس الصينية، حيث واجهت صناعة النسيج ضربة كبيرة في جنوب افريقيا بسبب المنتوجات الصينية، كما فرضت الهند رسوما على بعض السلع الصينية ، وحصل خلاف بين بكين وموسكو حول تسعير النفط الروسي[٤٣].

٣/ من المشاكل التي تواجهها المجموعة انها تجمع او تحالف يختلف بشكل كبير عن بقية التجمعات التي شهدتها الساحة الدولية، حيث لا يوجد رابط سياسي او ثقافي واضح، كما انها لا يربطها رابط جغرافي او اقليمي بل انها تنتمي الى أربع قارات مختلفة.

٤/ تعتبر هذه المجموعة غير متوازنة اقتصاديا، فالتباين واضح لصالح الصين سواء في الانتاج او التجارة الخارجية او الاستثمار، بينما في الجانب السياسي فهو لصالح روسيا الاتحادية. لذلك يصنف البعض البريكس بجسد رأسه روسيا، وجسده الصين، والدول الاخرى الاطراف. وان روسيا تحاول الهيمنة على هذه المجموعة وتوجهها حسب مصالحها وتطلعاتها على الساحة الدولية[٤٤].

المحور الرابع/ الاهمية السياسية والاقتصادية لتكتل مجموعة دول البريكس والمكانة في ميزان القوى العالمي:

اولا/ الاهمية السياسية لتكتل دول البريكس:

ان السياسة تتبع التجارة حيثما ذهبت، فعملية ضم جنوب افريقيا مثلا قد خضعت لاعتبارات سياسية وجيوبوليتكية أكثر منها اقتصادية او تجارية. فبعد انضمامها للمجموعة اوائل عام ٢٠١١ أبدى (جيم اونيل) ملاحظة ساخرة قال فيها "عندما وضعت مصطلح بريك لم اتوقع ان يتكون تكتل سياسي من الدول الاربع نتيجة لذلك". اذ كان اونيل واثقا من ان بريك لن تتطور حتى الى مجرد تكتل اقتصادي او تجاري على شاكلة الاتحاد الاوربي وتجمع الاسيان كخطوة نحو التعاون التجاري والاقتصادي بين الدول الخمس.

ان الصين رأت ضرورة ضم دولة افريقية الى المجموعة باعتبار ان الصين هي الشريك التجاري الاول لجنوب افريقيا ولتكون (بريتوريا) [٤٥] هي بوابة بريك الى قارة افريقيا في ظل السباق الامريكي الصيني

المحموم على النفوذ والتجارة في القارة. علاوة على ان جنوب افريقيا تتمتع بأهمية استراتيجية كبيرة فهي تشرف على المحيطين الاطلسي غربا والهندي شرقا من ناحية الجنوب عبر طريق رأس الرجاء الصالح. ولم تغب الاعتبارات السياسية والاستراتيجية عن اجتماعات القمة للمجموعة، فقد حرصت على اظهار وحدة صفها بشأن القضايا الدولية الكبرى واثبات وزنها المتزايد في العالم خاصة ما يجري في المنطقة العربية. اذ توافق قادة بريكس على ضرورة تفادي استخدام القوة معربين عن قلقهم الكبير أزاء ما يحدث من اضطرابات في الشرق الاوسط وشمال وغرب افريقيا وتحديدا سوريا وليبيا مع دعواتها الى اصلاح الامم المتحدة ومجلس الامن لجعله أكثر فاعلية وتمثيلا.

وتسعى دول البريكس الى اقامة نظام عالمي متعدد الاقطاب بعيدا عن الاحادية القطبية التي يعيشها العالم منذ انتهاء الحرب الباردة، حيث تنفرد الولايات المتحدة بعناصر القوة والنفوذ نتيجة التمركز الشديد للموارد والامكانيات المتاحة على نحو يجعل منها وحدة دولية متفوقة بكل المقاييس على بقية الوحدات الاخرى الي يتألف منها النظام الدولي.

ثانيا/ اهمية دول البريكس في الاقتصاد العالمي:

تمثل دول البريكس أكبر الاقتصادات خارج منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وهي نادي الاغنياء بالنسبة للاقتصادات الناشئة. وبالرغم من انها مجموعة لا تتمتع بالتماسك القانوني والتاريخي والجيو سياسي مثل الاتحاد الاوربي الا انها تملك من المؤشرات الاقتصادية ما يجعل لها دور ومكانة في الاقتصاد العالمي، وهي:

١/ الوزن الديمغرافي ومستوى تطور التنمية البشرية: اذ يقدر عدد سكان دول البريكس حاليا حوالي (٣) مليار نسمة وهو ما يعادل تقريبا (٤٥%) من سكان العالم فهي قوة بشرية هائلة، ويرجع ذلك اساسا الى التعداد السكاني الكبير جدا للصين والهند اللتين يصل عدد السكان فيهما على الترتيب (١,٣٦٩) و(١,٣١١) مليار نسمة، في حين يقدر في البرازيل وروسيا بنحو (٢٠٧) و(١٤٤) مليون نسمة على الترتيب، ويقدر في جنوب افريقيا حوالي (٥٠) مليون نسمة.

٢/نصيب دول البريكس من الناتج المحلي الاجمالي العالمي: على الرغم من انخفاض مستوى نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي في دول البريكس مقارنة بالاقتصادات الغنية، الا ان نسبة مساهمتها من GDP العالمي قد ارتفعت من (٧%) عام ١٩٩٥ الى (١٤%) عام ٢٠٠٨ متجاوزة اليوم (٢٠%) مقارنة بتراجع حصة الاقتصادات الغنية خاصة في اليابان والاتحاد الأوربي، فهي كتكتل تعتبر قوة اقتصادية كبيرة وهامة على الصعيد العالمي.

٣/ نصيبها من التجارة الدولية: تمتلك دول البريكس علاقات تجارية متميزة مع جميع دول العالم من جهة، وفيما بينها من جهة اخرى، فتجارة البرازيل هي الاكثر انتشارا من بين دول البريكس عبر كل القارات ولكنه في الوقت نفسه يعد الاقتصاد البرازيلي الاكثر انغلاقا من حيث التحرر التجاري خاصة في العقدين الاخيرين من القرن العشرين، ويعد كل من الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي والصين الشركاء الرئيسيين للبرازيل، كما وتعد المعادن والوقود والسلع الزراعية اهم ما يصدره الاقتصاد البرازيلي.

اما الاقتصاد الروسي فعلى العكس يعد الاقل تنوعا من حيث الشراكات التجارية بين دول البريكس، فاتجاه تجارته بشكل اساس هي نحو الاتحاد الاوربي حيث تجاوزت النسبة (٥٠%)، كما تجدر الاشارة الى ان روسيا هي البلد الوحيد غير منتمي الى منظمة التجارة العالمية وتعد المصادر الطبيعية والوقود المصادر الاساسية لتجارتها الخارجية.

كما يعد الاتحاد الاوربي الشريك الرئيس للهند والصين وبالنسبة للهند تعد الصين الشريك الثاني اذ تستورد منها حوالي (٥٠) مليار دولار سنويا، بينما تعد الولايات المتحدة الشريك الثاني للصين[٤٦].

ان دول البريكس يشكلون كتلة تجارية ضخمة اذ تجاوزت التجارة البينية الحالية (٣١٠) مليار دولار ومن المقرر ان تصل الى (٥٠٠) مليار دولار مع نهاية العقد الثاني من القرن الحالي. والصين هي الدولة المهيمنة اذ تصدر حوالي (١٥٠) مليار دولار من السلع والخدمات سنويا لشركائها. ان ذلك انما يدل على ان هذه الدول تتجه الى تغيير التوازن الموجود في التجارة الدولية ولتمثل أكبر نسبة من التجارة الدولية.

٤/ حصتها من الاستثمار الاجنبي المباشر: فقد عرفت هذه الدول زيادة هامة على صعيد استقطاب الاستثمارات الاجنبية المباشرة، واستمرت دول البريكس في احتلال مركز الريادة بين الدول المستثمرة الناشئة ،فقد تجاوزت استثماراتها (٢٥٠) مليار دولار وهو ما زاد من حصتها من الاستثمار الوارد عالميا الى حوالي (٥%) .وقد برزت الصين بقوة محققة الاستقطاب بقيمة (١١٠) مليار دولار تتبعها البرازيل وروسيا على التوالي .كما ان هذه الدول اصبحت مصدرا لرأس المال الى الخارج اذ ارتفعت نسبة التدفقات الصادرة عالميا حتى وصلت اليوم (١٥%) مع تباين حصة كل دولة بدءا بالصين وانتهاءً بجنوب افريقيا.

المحور الخامس/ مستقبل تكتل مجموعة دول البريكس:

عند تناول مستقبل تكتل البريكس فإن هناك اربعة تصورات ممكنة في تطور البريكس والاكثر احتمالا ،هي[٤٧]:

١. الحفاظ على وضع "منتدى الدول الناشئة" الموجود لمناقشة اجندة عالمية صاغتها دول اخرى وتحالفات فوق الوطنية.

٢. زيادة قدرتها على التأثير على جدول الاعمال العالمي باستخدام ادوات التكامل السياسي مثل توسيع عضويتها وبناء تحالف سياسي.

٣. زيادة النمو الاقتصادي والتجارة بين دول البريكس عن طريق تكثيف تكاملها الاقتصادي وبناء اتحاد اقتصادي كامل، وبفضل قوتها الاقتصادية المتنامية سيكون هذا الاتحاد قادرا على ايجاد اجابات للتحديات التي تواجهها هذه الدول.

٤. السعي ليس فقط للتكامل الاقتصادي ولكن ايضا السياسي والثقافي، فان التكامل الاقتصادي إذا ما عزز الى حد كبير سيمكن الاعضاء من تحقيق قدرة تنافسية عالية كافية لمعالجة المشاكل العالمية التي تواجه البشرية جمعاء.

لقد مثل تكتل البريكس نهجا متعدد الاقطاب واستراتيجية للتعايش السلمي باعتماده على اربعة مبادئ اساسية لديمومته، هي[٤٨]:

١. الاحترام المتبادل لسيادة الدول واراضيها.

٢. عدم التدخل في شؤون الدول الاخرى الا وفق قواعد ومعايير متفق عليها وفي إطار متعدد الاطراف.

٣. تعزيز المساواة القانونية بين كل دول العالم.

٤. تعزيز المنافع المتبادلة بين الدول ودعم مسارات التنمية الوطنية.

ان تحقيق هذه التصورات ممكن ان يكون من خلال خلق المبادرات التكاملية والعمل على تنفيذها وعلى كافة الجوانب منها على سبيل المثال، ادخال خطوات السفر بدون تأشيرة بين هذه الدول، وانشاء هيئات فوق وطنية تكون لها الاسبقية على الهيئات الوطنية، ووضع حلول مشتركة للمسائل الامنية مع السعي الى سياسة خارجية منسقة وانشاء قوات عسكرية مشتركة للاستجابة السريعة وادماج المناطق المتاخمة وضمان زيادة التوافق بين السلع الاساسية والعمل والاسواق الرأسمالية مع انشاء مناطق تجارة حرة مع دول اخرى.

الخاتمة:

لقد مثلت الاقليمية الجديدة احدى الاتجاهات المهمة في العلاقات الدولية المعاصرة والتي ارتبطت بعدد من التغيرات غلى الصعيد العالمي أبرزها نهاية الحرب الباردة وزيادة الترابط الاقتصادي بين الدول وما قابلها من تزايد في الازمات الاقتصادية والمالية العالمية التي غيرت من اتجاهات التعامل وفق ضوابط جديدة تحكم العلاقات على جميع الصعد ولتحقيق أكبر قدر من الاستقرار والمنافع السياسية والاقتصادية.

ويعد تكتل دول البريكس أحد النماذج كقوة اقتصادية وكتكتل سياسي عالمي تجتمع فيه خمسة قوى اقتصادية ذات نمو سريع من اربعة قارات في العالم، استطاع بأدواته ومرجعياته الاقتصادية والسياسية والثقافية المختلفة ان يشكل قوة دولية لا يستهان بها وتتجه لان تكون ذات وزن سياسي في كافة الهيئات الدولية وتقف بامكانياتها المتوفرة ضد فكرة القطب الواحد في التحكم في القضايا الدولية.

ومن ذلك يستنتج الاتي:

١.من أبرز أهداف البريكس هو الحصول على دور في ادارة الاقتصاد العالمي الى جانب مجموعة العشرين والصناديق المالية الدولية الكبرى.

٢.يعمل على توحيد المواقف تجاه القضايا الدولية مع الحفاظ على سيادة الدول وتبنيها موقف موحد في محاربة الفقر والتوجه نحو التنمية المستدامة.

٣.من اهم انجازاته اعتماد العملات المحلية للدول الاعضاء فيما بينها ورفع مستوى التبادل التجاري فيما بينهم ومع العالم الخارجي.

٤.تعمل جميع الدول الاعضاء فيها على تعزيز مواقفها التفاوضية في عملية تشكيل نظام عالمي جديد وتعتبر كل الدول المكونة لهذا التكتل اقطابا رئيسية في النظام العالمي متعدد الاقطاب.

٥.لا تزال البريكس تحافظ على نموها الاقتصادي وصعودها الاقتصادي والسياسي وقدرتها على تطبيق الحوكمة والتنمية الاقتصادية العالمية وتحديدا التزامها بمبدأ التنمية المستدامة والحد من الفقر. دول البريكس متنوعة ومتعددة في مصادرها الاقتصادية والثقافية والفكرية والاجتماعية والحضارية.

الهوامش:

---

١ حسين زكي احمد،وهبي غبريال، افريقيا والتكتلات الرأسمالية الاوربية، الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة، بون سنة نشر،ص١١.

٢ زينب حسين عوض الله ،الاقتصاد الدولي:نظرة على بعض القضايا الاقتصادية المعاصرة ، الجامعة الجديدة للنشر،الاسكندرية، ١٩٩٩، ص ٣١٠.

٣ حنيش الحاج، التقارب الاقتصادي العربي بين الفكر النظري والعائق الميداني، مجلة الباحث، عدد (١٠)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،الجزائر، ٢٠١٢، ص ٣٣.٣٤.

٤ أشارت المادة (٥١) من ميثاق الامم المتحدة الى "امكانية انشاء تنظيمات اقليمية تعالج امور حفظ السلم والامن الدوليين بما يتلاءم ومقاصد الامم المتحدة".انظر الى:مروان سالم العلي،الاقليمية الجديدة والنظام الدولي :دراسة في التأثير والتأثر،دار السنهوري للنشر،بيروت، ٢٠١٧،ص ٢٨

5 Richard Rosecrance, International Relation :Pease And War, Hill Book Company, New york,1973,p.304.

٦ جون بيليس وستيف سميث ،عولمة السياسة العالمية ،ط١، ترجمة ونشر مركز الخليج للابحاث ،دبي، ٢٠٠٤، ص ٨٥٧.

٧ ريتشاردهيجوت، العولمة والاقلمة :اتجاهان جديدان في السياسة العالمية ،ط١، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ،ابو ظبي،١٩٩٨،ص ٥.

٨ حسن الجلبي، الفكرة الاقليمية في المنظمات الاوربية والامريكية ،مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٧، ص ٣.

٩ مروان سالم العلي، مكانة الاقليمية الجديدة في الاستراتيجية الامريكية الشاملة: العراق انموذجا،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة النهرين،كلية العلوم السياسية،٢٠١٠،ص ٢٥.

١٠ محمد السعيد ادريس، الاقليمية الجديدة ومستقبل النظم الاقليمية،مجلة السياسة الدولية،العدد (١٣٨)، مؤسسة الاهرام،القاهرة، ت١ ١٩٩٩،ص ٣٤.

١١ محمود محي الدين ورشا عبد الحكيم،الاقليمية الجديدة والعمل العربي المشترك،مجلة السياسة الدولية،العدد (١٣١)، مؤسسة الاهرام، القاهرة، ك٢ ١٩٩٨، ص ٢٨٩.

١٢ سعيد محمد احمد، الوجيز في قانون المنظمات الدولية والاقليمية،ط١، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٩٨٥، ص ١٢٣.

١٣ Havvy M.Sapolsky,America the Strategy of Restraint in the Fase of Temptation, New York,٢٠٠١,p.٥٧.

١٤Robert.Z.Lawrence,preferential,trading arrangement the traditional And the new,working paper n06.eces.december,1996,p.08.

١٥ مروان سالم العلي، مصدر سبق ذكره، ص ص٦٦. ٧٤.

١٦مجدي محمود شهاب وسوزي عدلي ناشد،اسس العلاقات الاقتصادية الدولية،ط١،منشورات الحلبي،بيروت،٢٠٠٦، ص ٤١.٤٢.

١٧ Marina Larionova and John Kirton, co-directors,BRICS Research Group, From reform to crisis response :addressing the key global issues,BRICS: Stability,security and prosperity,NEWDelhi,٢٠١٢.p.

١٨ ماهر بن ابراهيم القصير ،تكتل دول البريكس:نشأته . اقتصادياته . اهدافه، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٤،ص ٢٤٨.

١٩براهما تشلاني ،بريكس: البحث عن هوية موحدة وتعاون مؤسسي ،مركز الجزيرة للدراسات، ٧ ايار ٢٠١٢،ص١.

٢٠ سالي موفق عبد الحميد حبيب، التكتلات الاقتصادية الدولية ودورها في الاقتصاد العالمي: بريكس انموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النهرين،كلية العلوم السياسية ،٢٠١٧،ص ٦١. ٦٤.وايضا: جعفر بهلول جابر الحسيناوي،التحديات السياسية والاقتصادية للهيمنة الامريكية تكتلا البريكس وشنغهاي انموذجا، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٧، ص ٨٤.نقلا عن: البيانات الختامية لمجموع القمم المنعقدة لدول التكتل بريكس، منارة دمشق،١٦/١٠/٢٠١٦، متاح على الرابط: https://www.babonej.com/١١٦٢ .

21 phil thorntonm,BRICS BANK : Building purpose, EMERGING MARKET, Euromony Institutional Investor,4-5-2012.

٢٢ احمد دياب، البريكس تكتل القوى الصاعدة ،ملف الاهرام الاستراتيجي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ،مؤسسة الاهرام الدولية، القاهرة، ايار ٢٠١١،ص١.

٢٣ آفاق التعاون البرغماتي بين دول مجموعة البريكس ،صحيفة الشعب اليومية،٢٨ اذار ٢٠١٢،ص١

٢٥ براهما تشيلاني، مصدر سبق ذكره، ص٢٤.٢ General Leonid ,BRICS and the mission of reconfiguring the world, strategic culture foundation (Russia),15 june 2011.

٢٦ ويكيبديا الموسوعة الحرة،بريكس،متاح على الرابط الالكتروني:ar.m.wikipedia.org.

٢٧ محمد صلاح الدين،رائد النهضة البرازيلية لولا دي سيلفا،من سلسلة كتب مشاهير العالم،ط١،دار الفاروق للنشر، عمان، ٢٠١٢، ص ١٤.

٢٨ محمد عبد العاطي (محرر)، البرازيل القوة الصاعدة من امريكا اللاتينية ، سلسلة ملفات القوى الصاعدة(٣)،مركز الجزيرة للدراسات،قطر،٢٠١٠، ص ١٦.

٢٩ سالي موفق عبد الحميد، التكتلات الاقتصادية الدولية ودورها في الاقتصاد العالمي :بريكس انموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة النهرين ،كلية العلوم السياسية،٢٠١٧،ص ٨٠.

٣٠ حميد ياسر واحمد حامد خليوي،الموقع الروسي في المنظور الجيوبولتيكي الغربي، مجلة لارك للفلسفة والعلوم الاجتماعية،العدد (١٤)،جامعة واسط،كلية التربية،٢٠١٤،ص١٠.

٣١ اسامة مخيمر، الطاقة والعلاقات الروسية مع اسيا ،مجلة السياسة الدولية، العدد(١٧٠)،مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية،الاهرام، ٢٠٠٧،ص٩٢.

٣٢ سالي موفق عبد الحميد،مصدر سبق ذكره،ص ٨٣.

٣٣ رنا الشجيري،روسيا وامريكا: رؤية استراتيجية، سلسلة الملف السياسي،العدد(٤٤)، مركز الدراسات الدولية،بغداد، ٢٠٠٨، ص١١.

٣٤ شانون كايل واخرون،القوى النووية في العالم،في: التسلح ونزع السلاح والامن الدولي (الكتاب السنوي)،تعريب: عمر الايوبي واخرون، مركزدراسات الوحدة العربية،بيروت، ٢٠٠٩،ص ٥٣١.

٣٥سالي موفق عبد الحميد،مصدر سبق ذكره،ص ٨٤،٨٥.

٣٦ محمد السيد سليم، "العرب والتطورات الاستراتيجية في جنوب اسيا" في:افاق التحولات المعاصرة،تحرير:وليد عبد الحي، ط١، دار الشروق ،عمان، ٢٠٠٢،ص ٦٧.

٣٧ سالي موفق عبد الحميد، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧،٨٨.

٣٨ Global Trends 2025:Transformed World, National Intelligence Council,November 2008,p.12.

٣٩ دانييل بورشتاين، التنين الاكبر، تعريب: شوقي جلال،مطابع الوطن، الكويت ،٢٠٠١، ص ٤٢٠.

٤٠ فيروز داولتلي، تجارب التنمية (٣)...جنوب افريقيا انموذجا"،مركز البديل للتخطيط والدراسات الاستراتيجية ،شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، تاريخ النشر: ٢٠١٦/٥/١٨ على الرابط: http://pss.elbadil.com

٤١سالي موفق عبد الحميد،مصدر سبق ذكره،ص ٩٣.

٤٢ براهما تشلاني، مصدر سبق ذكره، ص ٣.

٤٣ احمد دياب ،مصدر سبق ذكره،ص٢.

(44)IMF,World Economic OutLook, database,2012

٤٥ مدينة بريتوريا وتقع في الجزء الشمالي من مقاطعة غوتنغ في جنوب افريقيا وتعتبر من العواصم الثلاثة الرئيسية للدولة حيث تعتبر مركز الادارة التنفيذية والتشريعية والقضائية.

٤٦ علاء الدين محمد الجعبري،واقع ومستقبل مجموعة البريكس على النظام الدولي، رسالة ماجستير منشورة،جامعة الازهر. غزة،كلية الاقتصاد والعلوم الادارية،٢٠١٨، ص ١٢٢.١٢٣.

٤٧ علاء الدين محمد الجعبري،واقع ومستقبل مجموعة البريكس على النظام الدولي، رسالة ماجستير منشورة،جامعة الازهر. غزة،كلية الاقتصاد والعلوم الادارية،٢٠١٨، ص ١٢٢.١٢٣.

٤٨ Cedric De Coning,Thomas Mandrup and Liselotte Odgaard,The BRICS and coexistence:analternative Vision Of World Order Routledge,Newyork,2015,p.220.

الخطاب السردي عند ابن شهيد الأندلسي (ت٤٢٦هـ)
دراسة في ضوء النقد الثقافي- الجملة الثقافية مثالاً

أ.م.د. حسين عبيد الشمري
الباحثة رحاب سالم حنوف
كلية الآداب/ جامعة القادسية

المقدمة:

تناول البحث الجملة الثقافية في الخطاب السردي عند ابن شهيد الأندلسي التي اخذت شكل التناوب في الخطاب السردي القرآن والشعر والامثال والأقوال الحكمية. وقد قسم البحث الى تمهيد وثلاثة مباحث .

فكان التمهيد بعنوان (دراسة في تأصيل المصطلحات) اشتمل على قسمين ، بحث القسم الأول في مفهوم الخطاب السردي ، واشتمل القسم الثاني من التمهيد على النقد الثقافي ومقولاته .

فجاء المبحث الأول بعنوان (الجملة الثقافية القرآن الكريم)

في حين جاء المبحث الثاني باسم (الجملة الثقافية الشعر)

وجاء المبحث الثالث بعنوان (الجملة الثقافية الأمثال والأقوال الحكمية)

التمهيد: دراسة في تأصيل المصطلحات:

أولاً / مفهوم الخطاب السردي:

لعله من المجدي أن نقف أولاً عند مفهوم الخطاب السردي في إطاره العام ، إذ تعددت دلالات السرد وتنوعت مفاهيمه انطلاقاً من أصله اللغوي " تقدمه شيء إلى شيء تأتي به متسقاً بعضه في إثر بعض متتابعاً ، ويقال : سَرَدَ الحديث ونحوه يسرده سرداً إذا تابعه ، وفلان يسرد الحديث سرداً إذا تابعه ، وفلان يسرد الحديث سرداً إذا كان جيد السياق له "[1]،أي انك تجعل رواية الحديث متتابعة مترابطة ومتسقة وهذا هو أحد شروط السرد الجيد، فالسرد يعني التتابع والحبكة والاتساق.

والسرد هو فعل يقوم به الراوي الذي ينتج القصة ، وهو فعل حقيقي أو خيالي ثمرته الخطاب ، ويشمل السرد، على سبيل التوسع، مجمل الظروف المكانية والزمنية، الواقعية والخيالية ، التي تحيط به. فالسرد عملية انتاج يمثل فيها الراوي دور المنتج ، والمروي له دور المستهلك ، والخطاب دور السلعة المنتجة ، فتنعقد العلاقة بين الراوي والمروي له في السرد من خلال الاسئلة المباشرة أو غير المباشرة ، فالسرد هو الخيارات التقنية (والابداعية) التي يتم من خلالها تحويل الحكاية إلى قصة فنية ، وهو يشمل الراوي والمنظور الروائي وترتيب الأحداث[٢] ، فإنه يركز ضمناً على الخطاب السردي وكيفية عرض المسرود وبنائه أكثر مما يركز على مادته فيكون المهم هو الصناعة السردية شروطها وأدواتها و المبنى أكثر مما هو المسرود في حد ذاته ، فيجعل الصناعة السردية هي الركيزة الأساسية في الخطاب.[٣]

والسرد هو خطاب لفظي يعمل على نقل الوقائع والحوادث ويخبرنا عنها ، أي أنه عملية سردية يعتمد على ثنائية القصة / الخطاب، أي المعنى/ المبنى . وفي التمييز بين القصة والخطاب ، وقد حدد تودروف ثلاثة جوانب مركزية لمستوى التحليل وهي :

١-الجانب الدلالي .

٢- الجانب اللفظي .

٣- الجانب التركيبي.[٤]

لقد عرف الخطاب في السردية على أنه نصّ الرواية ، وهو يتحدد بمادته (كلام أو كتابة) وشكله جمل متلاحقة ذات ترتيب مقصود تعرض حالات ومواقف وأحداثاً ، وهذا العرض محكوم بوجهة نظر الراوي وبسرعة السرد والخطاب كنص روائي يتأثر بمستويات السرد : فهناك خطاب الراوي ، وخطاب الشخصيات ، فالراوي يمكن أن يكون حاضراً في النص كجزء من الحكاية أي مجرد راوٍ لها يعمل الراوي على نقل كلام الشخصيات بأشكال مختلفة المتمثلة بالخطاب المباشر والخطاب غير المباشر ، والخطاب المسرود ، والخطاب غير المباشر الحر[٥]، والخطاب السردي هو الشكل الأمثل لتجسيد عملية السرد ولا بد من التفريق فيه بين الخطاب الحقيقي والخطاب التخيلي وتحديد مكونات كل منهما :

فمكونات الخطاب الحقيقي هي: كاتب ـــ نص ـــ قارئ.

أمّا مكونات الخطاب التخيلي : سارد ـــ مسرود ـــ مسرود له .

ترتبط مكونات كل من هذين الخطابين بعلاقات متشابكة يتآمر عليها الكاتب والراوي لتشييد البنية السردية ، وصناعة الخطاب السردي المعتمد على المنظومة اللغوية كما يجسد عملية السرد في نص روائي هو إنتاج ابداعي فني لحكاية المتن ".(٦)

تبحث السردية في مكونات البنية السردية للخطاب من راوٍ ومروي و مروي له ، ولما كانت بنية الخطاب السردي نسيجاً قوامه تفاعل تلك المكونات ، أمكن التأكيد على أن السردية هي المبحث النقدي الذي يُعنى بمظاهر الخطاب السردي أسلوباً ، وبناء ودلالة .(٧)

وقد عرف سعيد يقطين السرد : " بأنه فعل لا حدود له ، يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية ، يبدعه الإنسان اينما وجد وحيثما كان".(٨)

والخطاب السردي هو خطاب مكون من لحظات سردية ووصفية وحوارية ، حيث يمزج الواقعي بالمتخيل والحقيقي بالمتخيل ، ولكن الاسلوب يختلف باختلاف البنية الخطابية المستعملة فقد تكون جملة بسيطة أو نصاً معقداً باعتبار النص عبارة عن وحدة بنيوية من وحدات الخطاب تحتل أعلى مرتبة في سلمية التعقيد باعتبارها مجموعة جمل.(٩)

نستنتج من أن السرد يعني التتابع والترابط والاتساق وهذه شروط السرد الجيد ، والخطاب السردي يتكون من لحظات سردية و وصفية وحوارية يعمل على مزج الواقعي بالمتخيل وكذلك الحقيقي بالمتوهم .

ثانيا / النقد الثقافي ومقولاته:

يرتبط مفهوم النقد الثقافي بمفهوم الثقافة وذلك لوجود علاقة وثيقة بينهما ومصطلح الثقافة عام وواسع في دلالاته اللغوية والاصطلاحية ويختلف من حقل معرفي إلى آخر، ومفهوم الثقافة هو من المفاهيم الغامضة في الثقافتين الغربية والعربية على حد سواء ووفقاً لتعدد مفاهيم المصطلح الثقافة انعكس ذلك على النقد الثقافي.(١٠)

ومن هنا تعددت مفاهيم الثقافة بين العلماء، كل حسب رؤيته لها من خلال الفكر الذي يبحث فيه، وفيما يأتي آراء العلماء :

لقد عرف تايلور الثقافة في كتابه (الثقافة البدائية) على أنها :" ذلك الكل المركب الذي يضم المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والعادات الأخرى التي يكتسبها الأنسان باعتباره عضواً في المجتمع ".[١١]

أي ان الثقافة تعني مجموع الحقائق الاجتماعية التي يكتسبها الأنسان عن طريق المعرفة أو المعتقد أو العادات وغيرها.

وعرف (ت- س- اليوت) الثقافة إذ يقول : " إنها تختلف ارتباطات كلمة الثقافة بحسب ما نعنيه من نمو فرد ، أو نمو فئة أو طبقة ، أو نمو مجتمع بأسره وجزء من دعوا ، أي ان ثقافة الفرد تتوقف على الفئة أو الطبقة ، وبناء على ذلك فإن ثقافة المجتمع هي الأساسية"[١٢].

أمّا مالك بن نبي فقد عرّف الثقافة بأنها: " مجموعة من الصفات الخلقية ، والقيم الاجتماعية ، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته ، تصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه ".[١٣]

وترى الباحثة من خلال عرضها لتلك الآراء السابقة عن مفهوم الثقافة لدى كل من تايلور و ت- س- اليوت ومالك بن نبي فالثقافة تعني بهذا الصفات الخلقية أي بمعنى كيف تؤثر أخلاق الفرد في المعرفة الانسانية و المعتقدات والفنون الاعراف والعادات والقدرات الخاصة .

فالدراسات الثقافية والنقد الثقافي مصطلحان متداخلان يدلان تحديدا على الدراسات التي تشتغل بصورة مركزة على تفكيك البنى الثقافية وتحييث علاقاتها والإحاطة بأنساقها ومهيمنات إنتاج المعاني الايديولوجية وتشريح الايديولوجي /المؤسساتي وكشف السياقات الثقافية والسياسية والاجتماعية ومعرفة مرجعيات الخطاب الثقافي ، فالفرق بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي هو كالفرق ما بين الدراسات الأدبية والنقد الأدبي ، فمصطلح الدراسات الثقافية يطلق احياناً على مجمل الدراسات الوظيفية والتحليلية والنظرية

والنقدية ، أمّا مصطلح النقد الثقافي فهو يشير إلى هوية المنهج الذي يتعامل مع النصوص والخطابات الأدبية والجمالية والفنية فيحاول استكشاف أنساقها المضمرة غير الواعية.(١٤)

ثم يهدف النقد الثقافي إلى كشف العيوب النسقية التي توجد في الثقافة والسلوك بعيداً عن الخصائص الجمالية والفنية ، ويعمل النقد الثقافي على كشف الانساق وتعرية الخطابات المؤسساتية، والتعرف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها، وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة".(١٥)

ويدرس النقد الثقافي الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة ، بمعنى انه يعمل على ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن ، ومن ثم لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية ومجازات شكلية موحية، بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والقيم الحضارية ، فالنقد الثقافي لا يتعامل مع الأدب الجمالي باعتباره نصاً جمالياً بل على اعتباره نسقاً ثقافياً يؤدي وظيفة نسقية مضمرة أكثر مما هي معلنة.(١٦)

لقد حظيت الدراسات الثقافية بمساحة عريضة من الاهتمام إذ شكلت خلفية معرفية لكثير من الدراسات والعلوم الانسانية كعلم الاجتماع ، والانثروبولوجيا ، وعلم النفس والتاريخ والفلسفة وغيرها ، غير أنها ابتدأت منذ عام ١٩٦٤م ، وذلك منذ تأسيس مجموعة برمنغهام في انكلترا تحت مسمى مركز برمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة(١٧)، اشار مؤسسها (هوغارت) وهو أول رئيس لمركز برمنغهام بوضوح إلى مصادرهم النظرية محدداً اياها بثلاثة مصادر هي تاريخية وفلسفية اولاً وإلى حدّما سوسيولوجية ، وأخيراً أدبية نقدية.(١٨)

يرتبط تاريخ النقد الثقافي بمدرسة فرانكفورت والذي ميز المشروع النقدي عن المدارس المنافسة المعاصرة. والذي كان حجز الزاوية له ربط الخيال الأدبي بالوجود الاجتماعي عن طريق النقد الثقافي، وقد كانت الرابطة الوثيقة بين النقد والثقافة ممكنة وجوهرية عند كتاب نيويورك ، لأن الأدب يعكس التجربة وقد تظافرت علوم مختلفة كعلم الاجتماع والتاريخ والأخلاق والسياسة ليجعل من الممارسة مثقفي نيويورك

طريقة مميزة خلال الفترة المبكرة لما بعد الحرب"[١٩]، واتسمت مدرسة فرانكفورت بالنقد الثقافي والذي يوصف باسم النقد الاجتماعي وقد استعملت مفهومي المجتمع والثقافة كمفهومين مترادفين.[٢٠]

أمّا النقد الثقافي في فرنسا فقد ظهرت مدرسة جديدة في فرنسا في النصف الثاني من القرن العشرين والتي استخدم أصحابها مناهج العلوم المختلفة مثل التحليل النفسي والاجتماعي والدراسات الانثروبولوجيات من أجل تغير وتحليل النص الأدبي أو العمل الفني وربطه بالظواهر والظروف التاريخية . ومن ابرز النقاد الذين ظهروا في فرنسا: رولان بارت، كلود ليفي شتراوس، ميشيل فوكو، لويس التوسير، جاك لاكان، بيير بورديو ، جاك دريدا، أ. خ . غريماس.[٢١]

لقد عدّ الناقد الامريكي (فنسنت ليتش) من ابرز النقاد الغربيين الذين حددوا مصطلح النقد الثقافي في مرحلة ما بعد البنيوية ".[٢٢]

يعمل النقد الثقافي على بيان الابعاد الاجتماعية والتاريخية لنص معين ، ومدى تفاعله مع الثقافة، كما يربط بين البنية اللفظية والوضع الاجتماعي والفكري ويعتبر النقد الثقافي بحسب آثرابرجر ... " نشاطاً وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته وأن نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة بأن نقاد الثقافة يأتون مجالات مختلفة ويستخدمون افكاراً ومفاهيم متنوعة ".[٢٣]

عرفّ عبد الله الغذامي النقد الثقافي بأنه: " فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معنيّ بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء، من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي الجمعي، وهو لذا معني بكشف لا الجمالي ، كما هو شأن النقد الأدبي، وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي / الجمالي ".[٢٤]

تتمثل مميزات النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي بأن النقد الثقافي أحد علوم اللغة، واستبدل النقد الثقافي محل النقد الأدبي والبلاغي ما هو رسمي. تركيزه على أنظمة الخطاب الثقافي ونقده للأنساق المضمرة .

ولا يجوز القول بأن النقد الثقافي معني بدراسة الانساق المضمرة فقط و إنما هو على العكس من ذلك فإن النقد الثقافي يدرس الانساق المضمرة وكذلك الظاهرة وتعتبر الانساق الظاهرة وسيلة للكشف عن الانساق الظاهرة.

يطرح فنسنت ليتش مصطلح النقد الثقافي مسمياً مشروعه النقدي بهذا الاسم تحديدا، حيث جعله رديفاً لمصطلحي ما بعد الحداثة أو ما بعد البنيوية. (٢٥)

وتتمثل خصائص النقد الثقافي عند ليتش بما يلي:

١ـ لا يؤطر النقد الثقافي فعَله تحت أطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة، وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة سواء كان خطاباً أم ظاهرة .

٢ـ من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل العرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية ، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي.

٣. إن الذي يميز النقد الثقافي ما بعد البنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الافصاح النصوصي، كما هي لدى بارت ودريدا وفوكو خاصة في مقولة يصفها ليس ما بعد البنيوي ومعها مفاتيح تشريح النصوص عند بارت ، وحفريات فوكو.(٢٦)

أمّا النقد الثقافي عند محسن جاسم فهو يرى بأن النقد الثقافي: " عبارة عن فاعلية تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظم المعرفية لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية لمحض من المساس به أو الحوض فيه إذ كيف يتسنى للناقد الأدبي أن يخوض في المبتذل والعادي والوضيع واليومي والسوقي بعدما تمهر كثيراً في قراءة النصوص المنتقاة والمنتجة التي يتناقلها نقاد الأدب على مر العصور ".(٢٧)

يتناول النقد الثقافي النص الأدبي " كجزء من سياق تاريخي يتفاعل من مكونات الثقافة الأخرى من مؤسسات ومعتقدات "(٢٨)، فيتجه مشروع النقد الثقافي إلى كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة البلاغي الجمالي وسائل خافية".(٢٩)

وفي ضوء الانتقال إلى الوعي العربي يدخل الابداع دائرة الثقافة بوصفه صناعة فقد حمل المصطلح عند ابن سلام الجمحي معنى الاتقان إذ يقول " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ".(٣٠)

ومن النقاد العرب الذي اهتموا بالنقد الثقافي الدكتور عبد النبي اصطيف في كتاب (نقد ثقافي أم نقد أدبي) والذي احتوى سجالاً نقدياً كشف عن التباعد بينه وبين الغذامي واختلاف وجهة نظريهما في النقد الثقافي وأهم تلك الاختلافات هي التي دارت حول موقف النقد الثقافي من النقد الأدبي وقد أعلن الغذامي موت النقد الأدبي وحلول النقد الثقافي مكانه ، بينما يرى اصطيف إن النقد الأدبي لا يمكن أن يموت(٣١)، فالخطاب الثقافي" لا يتحقق وجوده بانفصامه عن جماليات اللغة والمعنى في النصوص الشعرية ، وإنما يكتسب صفته الثقافية بفعل السياقات الجمالية والقيم الاجتماعية المنصهرة فيه".(٣٢)

وايضاً من العرب المهتمين في النقد الثقافي" الدكتور حفناوي بعلي في كتابه (مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن) و الدكتور صلاح قنصوه في كتابه (تمارين في النقد الثقافي) والدكتور محسن جاسم الموسوي في كتابه (النظرية والنقد الثقافي) الذي يتحدث عن اثر فعل الثقافة في المجتمع ،و يوسف عليمات في كتابه (جماليات التحليل الثقافي) ".(٣٣)

وفقاً لما تقدم يعد النقد الثقافي نشاطاً وليس مجالاً معرفياً معني بنظرية الانساق المضمرة. ومن هنا تعددت التعريفات حول مفهوم الثقافة كل حسب رؤيته والفكر الذي يبحث فيه.

مثلت الدراسات الثقافية المفهوم الأوسع والأشمل والتي يندرج تحت مظلتها كل من النقد الثقافي والأنساق الثقافية فالفرق بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي هو أن مصطلح الدراسات الثقافية يطلق على مجمل الوظيفة التحليلية والنقدية وغيرها اما مصطلح النقد الثقافي فهو يشير الى هوية المنهج الذي يتعامل مع النصوص.

مدخل:

ذهب الدكتور عبد الله الغذامي إلى أن الجملة على ضربين: نحوية حاملة للدلالة الصريحة ، وأدبية حاملة للدلالة الضمنية، وعليه فالدلالة النسقية بحاجة إلى جملة ثقافية يكون قوامها التشكيل الثقافي المنتج للصيغ التعبيرية المختلفة .[٣٤]

فإن كل نوع من أنواع الدلالات السالفة يرتبط بمعين من الجمل ، فالدلالة الصريحة ترتبط بالجملة النحوية ومثيلتها الضمنية فإنها ترتبط بالجملة الثقافية، من حيث انها تمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي والثقافة هنا بمعناها الانثروبولوجي آليات الهيمنة والسيطرة وسبل تحققها كما عند غيرتز Geertz وليس مجموع العلاقات والتقاليد[٣٥]، فالدلالة النسقية هي من اللازم أن نستعين بمفهوم خاص للجملة، فإذا كانت الدلالة الصريحة تستند إلى الجملة النحوية، والدلالة الضمنية تنشأ عن الجملة الأدبية، فلا بد لنا من تصور خاص يسمح للدلالة النسقية بأن تتولد، وهذا ما يسمى بالجملة الثقافية، و" الجملة الثقافية هي المقابل النوعي للجملتين النحوية والأدبية بحيث نميز تميزاً جوهرياً بين هذه الأنواع ، من حيث إن الجملة الثقافية هي مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي الذي يفرز صيغه التعبيرية المختلفة".[٣٦]

والجملة تأتي على ثلاثة أنواع :[٣٧]

١. الجملة النحوية ، المرتبطة بالدلالة الصريحة .

٢. الجملة الأدبية ذات القيم البلاغية والجمالية المعروفة .

٣. الجملة الثقافية المتولدة عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة.

وبناء على مقولة الدكتور عبد الله الغذامي في أن " الجملة الثقافية هي القول الذي يمتلك طاقة تعبيرية كاشفة للمضمر الثقافي وموجهة له".[٣٨]

والجملة الثقافية ليست " عدداً كمياً إذ قد نجد جملة ثقافية واحدة في مقابل الف جملة نحوية أي ان الجملة الثقافية هي دلالة اكتنازية وتعبير مكثف"[٣٩]، تقوم بمهمة "التحكم بالسلوك".[٤٠]

يتضح لنا من خلال كلام الناقدينِ عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف بأن الكشف عن المضمرات النسقية والتعبير عنها وهذه الجملة قد تطول لتصبح مقطعاً شعرياً ، ولكن في مقابل ذلك قد تكون قصيرة

أي شبه جملة، بمعنى أن الثقافة التي تكشف عن سر النص، تمتلك دلالة مضمرة غير صريحة وكذلك ليست ضمنية ، فالدلالة المضمرة تكون متوارية عن الأنظار قادرة على الاختفاء.

وعندما جاء د. سمير الخليل اقترح تسمية اخرى لاتجاه الجملة الثقافية وهي (التهريب النسقي) " وهو مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي الذي تفرز صيغه التعبيرية المختلفة وبهذا تكون (الجملة الثقافية) متولدة عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي الوظيفية النسقية في اللغة".(٤١)

فالتهريب النسقي " يخرج في وعي الكاتب حين يكتب في كثير من الأحيان يمكن أن نصطلح عليها (الموروث الثقافي) أو (التراكم المعرفي)، كما تنبه بارسونز لموضوعات والعناصر التي تنتمي للزمن الحاضر ، بل يمتد للماضي أيضاً: حيث يتجاوز حدود المرئي والمعاش ، إلى نطاق المسموع والمنقول والمتخيل فالاستدماج يجعل من السمات والنماذج المكتسبة جزءاً ملازماً لسلوك الشخص والأداء المتطابق مع هذه النماذج ، بالإضافة إلى الحساسية المرهفة من جانب الفاعل حيال كل ما هو مستدمج ".(٤٢)

كما ذهب علماء النص ومحللو الخطاب إلى أن الخطاب لديهم من وجهة لسانية " نص محكوم بوحدة كلية واضحة ، بحيث يتألف من صيغ وجمل متراصة منسجمة ومتوالية ، تصدر عن المخاطب الذي يود تبليغ الخطاب وإيصاله إلى المخاطب".(٤٣)

يعتمد النقد الثقافي على التمييز المنهجي بين ثلاث جمل رئيسة، وهي: الجملة النحوية ذات المدلول التداولي، والجملة الأدبية ذات المدلول الضمني والمجازي والايحائي، والجملة الثقافية التي هي حصيلة الناتج الدلالي للمعطى النسقي وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة ،ثم عبر التصور مقولة الدلالة النسقية وهذه الدلالة سوف تتجلى وتتمثل عبر الجملة الثقافية ، والجملة الثقافية هي الهدف والمرمى انها تعني باستكشاف المنطوق الثقافي ، وتحصيل المعنى السياقي الذي يحيل على المرجع الثقافي الخارجي.(٤٤)

المبحث الأول: الجملة الثقافية/ القرآن الكريم:

تمثل الآيات القرآنية خطاباً دينياً بصورة خاصة والمجتمع بصورة عامة، وهي أكبر دليل وحجة ومصداقية متبعة .

وقد جاءت الآيات القرآنية في الخطاب السردي عند ابن شهيد الأندلسي بأساليب متنوعة:

أ . منها ما جاء بصورتها الحقيقية في الرسم القرآني بنفس اللفظ والمعنى فأنها تأتي مع النص وكأنها من جنسه:

والآيات القرآنية الكريمة التي جاءت مناسبة مع الموضوع والسياق النصّي، الواردة في (خطابه السردي)، كما في قول الباري جلت قدرته :﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناهم نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين﴾ (٤٥).

جاءت هذه الآية في سياق تعرض فيه ابن شهيد الأندلسي من لدن أحدهم لأمور كانوا يقومون بها مع الوزير فأتى بهذا النص القرآني المقدس في هذا الموقف.

كما قال ابن شهيد: " ولم يزل يسعى لإفساد تلك النيات حتى فسدتْ وانتقضتْ ، وزادَ في إفساد الضمائر، ورامَ التدبيرَ من غيرُ طرُق الأكابر ، حتى تلفَ، وكانت العاقبة ما عاينت، والمغبة ما شاهدتَ ، ولقد سألني أبو جعفر ، أن ينفرد ذاتَ يوم بأكبر وزيريْن عندنا ، ووجّهني فيها وحضرا ، فنفث هذا الساحر فانصرَفا، فخاطبته بأبيات أقول فيها :

هلاَّ سَتَرتَ الشّيْنَ بالزيْن من قبل إحضار الوزيرين ؟

وما كان هذا القردُ أهلاً لأنْ يُحْملَ عليه حرّ كلَام ، ولا ليرمى بفضْل بيان . وبالحرا أنْ يرْقم على عَتَبةِ دُكان، أو يُصوَّر على باب حمّام، وقد غُرِسَ في وجعائه رأسُ نخلة ، وحي في سَعَفها عُش نحلة ؛ أو يُنقشَ في خاتم قيمار، وقد علاه خنزير ، وعُطس مُستنجاه بإبرةِ زُنبُور، فإنه بقيةٌ من بني إسرائيل الذين استحلوا الحرام، واجترحوا السيئات والأنام؛ فلما عتوا عما نهوا عنه، قيل لهم كونوا قردة خاسئين ، فجعلتْ نكالاً لما بين يديْها وما خَلفها وموعظة للمتقين".(٤٦)

هذا خطاب ديني موجه لليهود الذين ما زالوا يسعون إلى افساد النفوس والضمائر ويعملون السوء فوجه لهم خطاباً دينياً فيه تحذير فقد قيل لهم كونوا قردة صاغرين مبعدين عن مجتمعكم ذليلين بتنكيس خلقتكم ، وهذه عقوبة كبيرة مناسبة لخبث نفوسهم وسوء طريقتهم الملتوية واستخفافهم بحساب الله سبحانه وتعالى ، وموعظة يتعضون بها فلا يعملون بمثلها خوفاً من يصبهم ما أصابها هؤلاء .(٤٧)

لقد وظف الكاتب النص القرآني في خطابه السردي امتداداً للجملة الثقافية وتقوية للمعنى.

ب ـ احياناً نجد اللفظ والمعنى متعاقبينِ اي اننا نجد لفظاً يوحي أو يحيل معناه على آيات ، ومرة اخرى نجد الآية دون لفظها اي من خلال الاشارة أو الايحاء ، وذلك ما ورد في خطابه السردي اذ يقول :

" ولما استطرد طيبْ هذا المساق ، وارفضَّ كلمه كالماء المهراق ، وخفق جناح العشق المذكور، وتدحرج وصفه كاللؤلؤ المنثور، تحركت لي أطراب ".(٤٨)

نلاحظ توظيف الكاتب للفظ (اللؤلؤ المنثور) يمثل جملة ثقافية فيها اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً ﴾.(٤٩)

لقد عمل الكاتب على تحوير التعبير القرآني ليجعله مناسباً لخطابه السردي وكان هذا التوظيف مقصوداً فهو يريد ان يبين قدرته وموهبته في تحوير التعبير القرآني حيث يقع خلف تحوير الخطاب القرآني وظيفة نسقية هي خدمة خطابه السردي ودعمه بالحجج القرآنية واظهار قدرته وموهبته .

وظف ابن شهيد عبارة اللؤلؤ المنثور فكان متحدث شاعراً أو ناثراً كان كلامه جميل ضمر في ابن شهيد العشق فأطرب والنسق المضمر هو الطرب والارتياح.

ج ـ احياناً يتناول الكاتب / السارد قصة قرآنية أو تأتي الآيات القرآنية في شكل استشهاد بطرق متعددة تتجاوز الدلالات والمعاني القرآنية ، حيث لجأ ابن شهيد الى استحضار مواقف قصصية، قائلاً : "قلتُ : ليس هو من شأنهم، إنما هو من تعليم الله تعالى حيث قال: ﴿الرَّحْمنُ عَلَم القرآن خَلَق الإنسان عَلمهُ البيان ﴾(٥٠). ليس من شِعرٍ يُفسرَّ ، ولا أرض تكَسر. هيهات، حتى يكون المسك من أنفاسك".(٥١)

قام الكاتب بتوظيف معاني قرآنية ، اكتسبها من الموروث الثقافي فجاءت الجملة الثقافية بدلالات نسقية تعارف عليها المجتمع لما لها من أهمية في النسق، إذ سلط الضوء من خلال جملة (انما هو من تعليم الله تعالى) كونها تشكل محوراً مركزياً عند الكاتب فهي تعد عموداً فتنفعه ولذلك قام الكاتب برصف الكثير من النصوص والمعاني والالفاظ القرآنية، و وظف الكاتب النص القرآني في خطابه السردي امتداداً لجملة ثقافية وتدعيماً لرأيه ولكي يثبت بأن البيان هبة من الله ، يعلمه لمن يشاء من عباده .

تداخلت نصوص قرآنية مختارة، عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم مع خطابه السردي ... بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً، فالشعراء والمبدعون ينهلون من القرآن الكريم ليعيدوا كتاباتهم في نصوصهم لأن النصوص القرآنية نصوص عالقة في ذاكرة المبدعين لأنها نصوص متميزة إضافة الى القصص التي استحضرها الكاتب فيوظفها في خطابه السردي بعد أن يعيد تشكيلها وفق ما يلاءم تجربته[٥٢].

وقال ابن شهيد الأندلسي في موضع اخر :

" قالت: أقسم أن الله ما علمك الجدل في كتابه ، قلت محمول عنك أم خفيف ، لا يلزم الإوز حفظ أدب القرآن ، قال الله عز وجل في محكم كتابه حاكياً عن نبيه إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ربي الذي يحي ويميت قال أنا احي واميت﴾[٥٣]، فكان لهذا الكلام من الكافر جواب ، وعلى جوابه مقال ، ولكن النبي (عليه السلام) لما لاحت له الواضحة القاطعة ، وأخرب عن الكلام الأول، قال: ﴿فأن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾ [٥٤]، فأهتزت من جانبها وهمت بالطيران ".[٥٥]

جاء الكاتب بالنص القرآني (ربي الذي يحي ويميت قال أنا احيي وأميت) لكي يثبت للإوزة بأن الجدل وارد في كتاب الله ، كما اراد أن يثبت مرة أخرى قدرته على المناظرة والنص القصصي الذي وظفه ابن شهيد الأندلسي هو قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) وهذه النصوص امتداداً لجمل ثقافية ورُقياً بالأسلوب وتدعيماً لرأيه ولتقوية المعنى فقام بتوظيف النص القصصي للنبي ابراهيم (عليه السلام) مع النمرود ، والغاية من توظيف تلك النصوص القرآنية لكي يساعد في التعبير عما يريد تحقيقه ولكي يبن قدرته

وموهبته الأدبية والثقافية وقد شكل هذا نسقاً ثقافياً استمد منه ابن شهيد الأندلسي ثقافته ، فالكاتب وظف النصوص القرآنية امتداداً لجملة ثقافية ورُقياً بالأسلوب وتدعيماً للرأي.

قال ابن شهيد الأندلسي في رسالته التي خاطب بها صديقه أبا بكر بن حزم قائلاً :

"حيث لمحت صاحبك الذي تكسبته ورأيته قد أخذ بأطراف السماء ، فألق بين قمريها ونظم فرقديها فقلت : كيف أوتي الحكم صبياً ، وهز بجذع نخلة الكلام فاسقط عليها رطباً جنياً ".(٥٦)

لقد وظف ابن شهيد الأندلسي نصاً قصصياً في خطابه السردي فوظفه توظيفاً جديداً غير المتعارف عليه في قوله (وهزّي اليك بجذع ...) ومعنى الجذع في هذه الآية هو ساق النخلة وهو الشجر المعروف ، وكان ميتاً بلا رأس يابساً في أيام الشتاء لا يثمر وكلمة (هزّي) في الآية القرآنية بمعنى حرّكي ذلك الجذع ، وهذا النص القصصي مستمد من قوله تعالى :﴿وهزّي إليك بجذع نخلة تساقط عليك رطباً جنياً﴾ (٥٧) ، ولكن ابن شهيد استعمل توظيفاً آخر غير المتعارف عليه ، اي انه استعمل توظيفاً ثقافياً يحمل نسقاً مضمراً فجعل ابن شهيد الأندلسي النخلة نخلة كلام من حيث انه اظهر طاقاته وموهبته وقدرته البلاغية وبراعته في تطويع الصورة القرآنية والتي اختفت خلف الصورة البلاغية التي وظفها ابن شهيد الأندلسي لكي تسهم تلك المخيلة في الكشف عن صور التوظيف والربط بينهما .

وخلاصة القول الى إنّ ابن شهيد الأندلسي رصف الكثير من النصوص القرآنية في خطابه السردي امتداداً لجملة ثقافية ورُقياً بالأسلوب وتدعيماً لرأي كما انها تعد دليلاً وشاهداً على قدرته وتفوقه الأدبي وابداعه .

وقد كان الشاهد القرآني حاضراً في الخطاب السردي عند ابن شهيد الأندلسي ولا سيما الجملة الثقافية .

لقد جاءت هذه النصوص مع نصوص أوسع نثراً ، مسبوكة بتناغمها الايقاعي والموسيقي النصّي ، تحسسك بالشعور القرآني ، فالخطاب الديني يتميز " بنظام توصيلي لفظي وغير لفظي جاء به مراعاة لطبيعة الذات أو خصوصيتها البيانية التي شكلت جزءاً من تركيبتها الفكرية ، إذ إنَّ التعالي الأسلوبي حتم مباغتتها بنظام في القول يتعالى على خطابها ويسمو جمالياً ".(٥٨)

لقد ابدع ابن شهيد الأندلسي في توظيف الجملة الثقافية وتكثيف المعنى فيها ، ليثبت من خلالها ابداعه وعبقريته وطاقاته وكذلك لتحقيق مكانته ودعمه بالأدلة القرآنية وتقوية المعنى .

المبحث الثاني: الجملة الثقافية/ الشعر:

يمثل الشعر "مرجعاً ثقافياً كما له من أهمية كبيرة، فهو قبل ان يكون شاعراً لا بد وأن يكون قرأ وحفظ أشعاراً لسابقيه ومعاصريه، هذا ما يجعل بعضا من تلك الأشعار عالقة في ذاكرته واحياناً تخرج في غير وعي الكاتب"(٥٩).

فالشعر جملة أدبية ثقافية، شكلت طابعاً فكرياً لدى متلقيها، بأن تلقى عليهم بلا تضمينها وإدخالها مع بعض متلقيها، ولكن هذا لا ينفي أنها تتناص جملاً ثقافية ودينية واجتماعية فلسفية وهذه الأشعار لا يأتي بها من أجل أشغال فراغات بل هناك وظيفة نسقية مضمرة حيث استحضر الأشعار لتكون حجة مؤكدة على كلام ابن شهيد ولكي تجذب انتباه المتلقي وتثيره .

نلحظ أن الكاتب/ السارد جاء بالأمثلة الشعرية الواردة في ثنايا خطابه السردي وذلك من اجل دعم خطابه بالحجج الأدبية الشعرية الأكثر تداولاً لغرض أثارة عنصر التشويق والدهشة والأعجاب في المتلقي ومنها ما ورد في خطابه السردي عندما التقى (بصاحب ابي الطيب) قائلاً:

" فقال لي زهير: ومن تريد بعد؟ قلت له: خاتمة القوم صاحب ابي الطيب ، فقال : اشددْ له حيازيمك، وعطرْ له نسيمك، وانثر عليه نجومك. وأمال عنانَ الأدهم إلى طريق فجعل يركضُ بنا، وزهير يتأمل آثار؟ قال: هي آثار فرس حارثة بن المغلس صاحب أبي الطيب، وهو صاحبُ قنص . فلم يزل يتقراها حتى دفعنا إلى فارس على فرسٍ بيضاء كأنه قضيب على كثيب، و بيده قناةٌ قد أسندها إلى عنقه، وعلى رأسه عمامةٌ حمراء، قد أرخى لها عذبة صفراء. فحياه زهير، فأحسن الرَّد ناظراً من مقلةٍ شوساء، قد ملئت تيهاً وعجباً. فعرفه زهير قصدي وألقى إليه رغبتي. فقال: بلغني أنه يتناول، قلت : للضرورة .الدافعة وإلا فالقريحة غير صادعة، والشفرة غير قاطعة، قال : فأنشدني، فأنشدته قصيدتي التي أولها.

أبرق بدا أم لمعُ أبيض قاصِل

حتى انتهيت فيها إلى قولي :

تـــردَّدَ فيهـــا البـــرقُ حتـــى حَســـبتُهُ يشـــير إلـــى نجـــم الرُّبـــى بالأنامـــلِ
رُبـــى نسَـــجَتْ أيـــدي الغمـــام للبْســـها غلائـــل صـــغراً فـــوق بـــيض غلائـــل
سَـــهْرتُ بهـــا أرعـــى النجـــومَ وأنجمـــاً طوالـــعَ للـــراعينَ عيـــرَ أوافـــل
وقد فقرت فاهاً بها كل زهرةٍ إلى كل خرْعٍ للغمامةِ حافل ومرَّتْ جيوشُ
المـــزْنِ رَهـــواً كأنهـــا عســـاكُرُ زنْـــجَ مـــذهَبات المناصـــل
وحَلّقتِ الخضراء في غرشهبها كلجّةِ بحرٍ كللتْ باليعالِل(٦٠)

اتى الكاتب بالأبيات الشعرية السابقة مناسبة للموقف الذي هو عليه من المساجلة فضلاً عن البيت الذي جيء به وهذه السمة الادهاشية التشويقية تتجلى كثيراً في نصوص ابن شهيد الأندلسي ، لكي يثبت للمتلقي قدرته

وهذه السمة الادهاشية التشويقية تتجلى كثيراً في نصوص ابن شهيد الأندلسي ومن ذلك ما جاء في مقابلته (صاحب امرئ القيس) إذ يقول :

"قال فبمن تريد أن نبدأ؟ قلت: الخطباء أولى بالتقديم ولكني إلى الشعراء ، ...، فقال حياك الله يا زهير، وحيّا صاحبك ! أهذا فتاهم ؟ قلت: هو هذا، وأي جمرةٍ يا عتيبة! فقال لي: أنشد، فقلت: السيد أولى بالإنشاد . فتطامحَ طرفُه، واهتز عطفه، وقبض عنان الشقراء، وضربها بالسوط ، فسمت تحضر طولاً عنا، وكرَّ فاستقبلنا بالصَّعدة هازاً لها، ثم جعل ينشد:

سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرا

حتى أكملها ثم قال: أنشد . فهمت بالحيصة ، ثم اشتدت قوى نفسي وأنشدت :

شجته مغان من سليمى وأدورُ

حتى انتهيت:

ومن قبةٍ لا يدرك الطرفُ رأسها تـزلُّ بـها ريحُ الصَّـبا فَتَحـدَّر
تكلفتها والليلُ قد جاش بحرهُ وقد جعلت امـواجهُ تتكسـر
ومن تحت حضني أبيضٌ ذو سفاسقٍ وفي الكفّ عن عسالة الخط
هُما صاحباي من لدنْ كنت يافعاً مقيلان من جدِ الفتى حين يعثر
فذا جدولٌ في الغمد تسقى به المنى وذا غصنٌ في الكفّ يجنى فيثمر

فلما انتهيت تأملني عتيبة ثم قال : أذهب فقد اجزتك وغاب عنا "(٦١).

فقد قام الكاتب بتوظيف الأبيات الشعرية في ثنايا نصوصه النثرية فالاستدعاء الشعري عند ابن شهيد الأندلسي كان له غايتان الأولى رغبته الأدبية وكذلك له غاية شخصية كما له غاية فنية وتقنية نسقية لتجل السياق النصي والتشويق للأحداث من خلال البؤرة ، والغرض من هذا الاستدعاء أنباء عن ما يطمح الوصول إليه الكاتب في الحصول على نيل الاجازة والقدرة على قول الشعر ، ولكي يثبت لنا ان المغرب العربي لا تقل شأناً عن المشرق العربي .

فالكاتب أشغل نصوصه النثرية بالحجج الشعرية محاولاً استثمارها .

٢ـ احياناً نجد في خطابه السردي الفاظاً او معاني تشير أو انها تحيل إلى بيت شعري ومن ذلك ما ورد في خطابه قائلاً :

" وقلت: ايستنوق الجمل(*)، ويتضع الكوكب، وتخف حصاة العلم ويتضعضع جبل العمل والعلم، ويكبوا جواد الهمم، وتزلّ نعل الكرم، وتغلب الدنيا الدين، ويسطو الشك باليقين ؟ ثم تذكرت علمي بك ".(٦٢)

فاستنوق الجمل ــ يمثل جملة ثقافية وهنا استفهام أي ان الكاتب يستدرك قضية معينة، وهذا مثلاً عربياً فقام المتحدث بأطلاق صفة ما على الجمل وكانت هذه الصفة التي اطلقها تخص الناقة وحدها وليس الجمل .

هذه الجملة الثقافية تشير أو انها تحيل إلى قول المسيب بن علس قائلاً:(٦٣)

وقد أتناس الهمَّ عِنْدَ احْتضَارِهِ بناج علَيهِ الصيّعْرية(**) مُكْدمِ(***)

الصيعرية هي سمة توسمت بها النوق دون الفحول ،فقال طرفة : استنوق الجمل ، أي جعلت بقولك هذا الجمل ناقة ، فضحك الناس منه وهزئوا به ، فقال الكميت مدحتكم فأفرطت في مدحكم حتى جعلت المؤنث مذكرا، وصار قول طرفة مثلاً ، فقد ذكر الفاظاً ومعاني تحيل على أبيات شعر يريد الكاتب أن يظهر طاقاته وابداعاته وهنا ضمن الكاتب خطابه السردي بعض الالفاظ والمعاني الشعرية لكي يظهر طاقاته وقدرته الابداعية ، فاستنوق الجمل تمثل تهريب نسقي خرج في غير وعي الكاتب لكي يوصل للمتلقي ما أراده .

وقال في موضع آخر :

"والذي استقبله من ذلك أكثر منّي: عليّ أن أهدي من ذلك لطيمة إلى جارتك القيروان، واخرى إلى حبيبتك قلة بيت الرّحمن، بكلم عذب، ومساق رَطب، يبكي الحجيج ويقدح نار العجيج، تحنَّ له الرباب، وترق له الأعراب "(٦٤).

فقد وظف الكاتب بعض الالفاظ والمعاني الشعرية في خطابه السردي، فاللطيمة هي قطعة مسّك ، يقال فارةُ مِسْك، قال الشاعر في لطيمة المسك:

فقلتُ: أعصاراً ترى في رحالنا ؟ وما إنْ يمو ماةٍ تباع اللطائم

اصبح تعبير الأديب واختياره لتلك الألفاظ فيه دلالة على عبقريته ونبوغه الشعري فهو يريد ان يظهر كل طاقاته الابداعية بقصد نيل الاجازة كما يريد ان يصل لطموحاته الادبية كل هذه الرغبات والطموحات

التي يعمل الكاتب على تحقيقها من اجل نيل الاجازة ، فقام الكاتب بربط النص الشعري بقوى غيبية حاول من خلالها تفسير القدرة الابداعية .

لقد استفاد ابن شهيد الأندلسي من الشعر العربي القديم فوظفه في خطابه السردي كذلك استفاد من ذائقته الشعرية مما جعل الشعر يقاسم نثره والشعر الذي جاء في ثنايا نصوصه النثرية يمثل نسق ثقافي (تهريب نسقي / جملة ثقافية) .

المبحث الثالث: الجملة الثقافية/ الأمثال والأقوال الحكمية:

والمثل عبارة قصة قصيرة موجزة يتداولها ما تدل على مغزى أخلاقي والمثل عبارة موجزة يتداولها الناس تتضمن فكرة حكمية مجال الحياة البشرية وتقلباتها، وتصاغ عادة بأسلوب مجازي يستميل الخيال ويسهل حفظه ، كما قيل إنّه باب دقيق الصفة لطيف المغزى، فالعرب تأتي بـ(المثل) توكيداً للكلام وتثبيتاً لأمره".[٦٤]

كما قال ابن الأثير: " إنّ العرب لم تضع الأمثال إلا لأسباب أوجبتها وحوادث اقتضتها فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء، وليس في كلامهم أوجز منها ولا أشدّ اختصار"[٦٥]، أما العسكري فقد عرف (المثل) في كتابه (جمهرة الأمثال) : الأمثال: " عندما عرفت العرب ان الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في اساليب القول أخرجوا في أقواها من الالفاظ ليخفف استعمالها ، ويسهل تداولها ؛ فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله ؛ لقلة الفاظها ، وكثرة معانيها ويسير مؤونتها على المتكلم ، مع كبير عنايتها ".[٦٦]

وأغلب الأمثلة التي أستشهد بها ابن شهيد الأندلسي وضمنها ضمن نصوصه النثرية السردية ،هي من النوع الموجز .

فالمثل " قول موجز، ورد في حادثة ما، وذاع على ألسنة الناس، فأصبح يضرب في كل حالة شبه الحالة التي ورد فيها ... وقد يرتبط بقصة حقيقية أو خيالية أو حكايات رمزية على ألسنة الحيوان و الطير".[٦٧]

ومن هنا ضربت الأمثال كثيرا في الخطاب السردي عند ابن شهيد الأندلسي :

ـ (البطنة تذهب الفطنة)[٦٨]، ورد هذا المثل في موضع النصح والارشاد إذ يقول: "فأمرتُ الغلام بابتياع أرطال منها تجمَعُ أنواعها التي أنطقته وتحتوي على ضروبها التي أضرعته، وجاء بها وسرنا إلى مكانٍ خالٍ طيّب ، كوصف المهلبي:

خانٌ تطيبُ لباغي النسكِ خلوَتهُ وفيه سَترٌ على القتلاك إنْ فتكوا

فصَّبها رَطْبةَ الوقوع، كراديسَ كقِطع الجذوع ؛ فجعلَ يقطعُ ويبلعُ، ويدحُو فاه ويدفَع، وعيناه تبِصَّا كأنهما جمْرتان، وقد برزتا على وجهِه كأنهما خُصيتان، وأنا أقول له: على رِسْلِكَ أبا فلان ! البطنة تذهبُ الفطنة ".[٦٩]

ضرب هذا المثل في ذم المكثر من الطعام ووجه هذا المثل للفقيه الذي التهم . فالكاتب حافظ على معنى السياق الذي ورد فيه المثل ولكن أخضعهُ لموقفه الذي هو عليه ، البطنة لها تأثير معنوي وتأثير مادي فأنها تؤثر على الجسم ولذلك ضرب المثل (البطنة تذهب الفطنة) في ذم المكثر من الطعام الشره الذي يشتد عليه واشتهاؤه له ولا يهمهُ إلا بطنه ، لكي يملأها بصنوف الطعام ومن جانب آخر تكون استهجاناً عن طريق السخرية والتندر بالمكثر الشره فالوظيفة النسقية المضمرة في هذا الخطاب هي وظيفة اجتماعية وهذا وجه آخر على ما غير ما تعارف عليه من وجوه تصوير الفقيه ، اذا جاء هذا التصور لإظهار بعض الصفات المذمومة والتي تخفى على العامة لقصور فهمهم .

وفي موضع آخر قال :

.(وافق شن العلم طبقه)[٧٠] ضرب هذا المثل في سياق ضرب العلم قائلاً :

" كنت أيام كتاب الهجاء، أحِنَّ إلى الأدباء، وأصبوا إلى تأليف الكلام؛ فاتبعت الدَّواوين، وجلستُ إلى الأساتيذ، فنبض لي عرق الفهْم، ودَرَّ لي شريان العِلم، بموادَّ روحانية؛ وقليل الالتماح من النظر يزيدني، ويسيرُ المطالعة من الكتبِ يفيدني ، إذ صادف شنَّ العلم طبقه ".[٧١]

جاء المثل جزءاً من بنية النص ودلالاته أي هو جزء لا يتجزأ، و ابن شهيد الأندلسي وظف المثل لخدمة فكرته ورغبته .

وأصبح توظيف المثل عند الكاتب لازمة من لوازم النص السردي، فهو مثل يضرب للشيئين المتوافقين، حيث اخضع المثل لموقفه الخاص والذي يريد أن يشرح من خلاله اسباب تفوقه وعبقريته لصديقه ابن حزم .

أصل المثل وافق شن العلم طبقه وعندما أضاف ابن شهيد الأندلسي كلمة (العلم) غير في مسار اتجاه حكاية المثل فهنا كسر النسق ووضع كلمة العلم من اجل قضية معينة ، ويقصد بالعلم المجهود العلمي الذي يهدف إلى فائدة العلم والمتعلمين. وهذه الاضافة هي من إضافات ابن شهيد الأندلسي ويضرب هذا المثل فيمن يجمع بينهما توافق وتشابه .

وضرب هذا المثل في سياق الحديث عن نفسه دون أن يشعر القارئ أن ثمة تكلفاً ومعاناة في استقباله الفطري لمواد العلم ، فهو يعتقد أنه والعلم صنوان لا يفترقان " فاللغة هي المحور الرئيسي لخلق المعاني المركبة داخل النصوص وهي وسيلة فعالة في نقل الأفكار الراسخة اجتماعياً"[٧٢].

ب . وهناك نمط آخر للمثل ترد لفظة واحدة ويريد بها الالماح إذ يقول :

ويح الكتابة من شيخ هبنقة ... يلقى العيون برأس

ومنتن الريح إنْ ناحيتهُ أبداً ... كأنما مات في خيشومه فارُ [٧٣]

لم يستخدم الكاتب المثل كاملاً بل ورد لفظة ويريد الالماح لها ، فالكاتب حافظ على معنى المثل وأبقى كلمة دالة عليه ألا وهي (هبنقة) فهو مثل يضرب في الحمق وشدة الغباء، و أصلهُ (أحمق من هبنقة).[٧٤]

وظف ابن شهيد الأندلسي هذا المثل عند لقاء الكاتب لبغلة من حيوان الجن والتي تسمى (بغلة أبي عيسى) وهي رمز للحمق والغباء والبلادة ، شبههم الكاتب بهذه البغلة في حمقهم وقلة فهمهم وغباءهم فتقول العرب في أمثالها : فلان أحمق من هبنقة؛ وذلك عندما يبلغ بها حال مراتب متقدمة لوصف سوء التصرف والعاقبة . ويضرب هذا المثل لمن يلبس شيئاً دون قدره وعمره ، أو من كبر عن شيء .

وقال ابن شهيد الأندلسي :

"وقال عليّ رضي الله عنه: قيمة كلّ امرئ ما يحسن، وقال: المرء مخبوء تحت لسانه، ولذلك كانت الملوك تعدل بينها عن التنعم إلى شظف العيش ".[٧٥]

لقد وظف الكاتب في خطابه السردي قولاً للأمام علي عليه السلام : (المرء مخبوء تحت لسانه) يمثل جملة ثقافية بمعنى اذا تكلم ظهر فإذا اضمر احد شيئاً إلا وظهر في فلتات لسانه وكذلك وظف الكاتب حكمة في خطابه السردي بقوله (قيمة كل امرئ ما يحسن) لغرض تجميل السياق في الخطاب السردي وهذه حكمة تشير على وزن العالم ، وتكشف عن سمو مقامه وهذه جملة ثقافية مفعمة بالحكمة والكرامة والتنوع .

وخلاصة القول تُعدّ الأمثال والاقوال الحكمية من الروافد التراثية والثقافية التي هيمنت في الخطاب السردي عند ابن شهيد الأندلسي التي غذت النسيج السردي لابن شهيد الأندلسي وأثرتْهُ إياه ، فراحت تلك الأمثال والأقوال الحكمية تتسلل إليه تلقائياً وقد أوحى بها الطبع مرة ، ومرة اخرى كانت مقصودة ضمنها لتلبية مقام أو لبيان سعة رصيده الثقافي الذي امتاز به الخطاب السردي في مستوياته المعرفية والامثال التي وظفها الكاتب في خطابه السردي جاءت مناسبة للسياق والموقف الذي عليه .

الخاتمة:

نستطيع ان نسجل اهم النتائج التي توصل اليها البحث بما يلي :

١ـ يكمن الفرق بين (الدراسات الثقافية والنقد الثقافي) فالمصطلح الأول يطلق مجمل الدراسات الوظيفية والتحليلية والنظرية والنقدية بينما يشير مصطلح النقد الثقافي الى هوية المنهج فتكون الدراسات الثقافية اعم واشمل من النقد الثقافي اذ يندرج تحت مظلتها الأنساق الثقافية والنقد الثقافي .

٢- للكاتب مرجعيات ثقافية عدة منها القرآن الكريم والشعر والأمثال والأقوال الحكمية.

٣- لقد هيمنت الجملة الثقافية في الخطاب السردي عند ابن شهيد الأندلسي اذ شكلت حيزا كبير واخذت شكل التناوب في الخطاب السردي .

٤- مثلت الجملة الثقافية في القرآن الكريم خطاباً دينياً وبلاغياً .

٥- جاء توظيف ابن شهيد الأندلسي لنصوص القرآنية في خطابه السردي بأشكال مختلفة منها ما جاء في شكل استشهاد واخرى في شكل قصة قرآنية وذلك امتدادا لجملة ثقافية ورقياً بالأسلوب وتدعيماً لرأي وهذا يمثل جملة ثقافية .

٦- هيمن الشعر في الخطاب السردي عند ابن شهيد الأندلسي أذ يعد خطاباً ثقافياً و يمثل الشعر جملة ثقافية فوظفه ابن شهيد الأندلسي في ثنايا نصوصه النثرية كونه يعد امتدادا لجملة ثقافية ولغرض تمتين خطابه السردي وتقوية المعنى ونيل الاجازة وبيان مقدرته الشعرية .

٧- شكلت الجملة الثقافية المتمثلة بالأمثال والأقوال الحكمية خطاباً ثقافياً حيث وظفها الكاتب بأشكال مختلفة فمرة يأتي بالمثل كما هو ومرة أخرى يرد لفظة واحدة ويريد بها الالماح واخرى يغير في مسار اتجاه الحكاية وذلك لغرض خدمة خطابه السردي .

الهوامش:

١. لسان العرب: مادة :سرد :٧/١٦٥.

٢- ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية : ١٠٥ .

٣- ينظر: السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات :٣٢.

٤- ينظر: معجم السرديات:٤٥٧.

٥- ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية :٩٠ .

٦- البنية السردية والخطاب السردي في الرواية ٣٤-٣٥.

٧- ينظر: موسوعة السرد العربي :١١٨.

٨- الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي :١٩.

٩- ينظر: تداولية الخطاب السردي :٢٢.

١٠- ينظر: المرجعيات المعرفية للنقد الثقافي عند عبد الله الغذامي: ٢٠.

١١- النظرية الثقافية :٩ ، وينظر: معالم عن طريق تحديث الفكر :٣٣.

١٢- ملاحظات نحو تعريف الثقافة :٢٩.

١٣- مشكلة الثقافة :٧٤.

١٤- ينظر: مشروع الحداثة الشعرية – العراق :٩.

١٥- ينظر: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان : www.diwanalarab.com/spip2article.

١٦- ينظر: نفسه .

١٧- ينظر مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن :٣٣.

١٨- ينظر: نفسه: ٣٤.

١٩- ينظر : النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينيات الأمريكي :١٠٥.

٢٠- ينظر : نفسه :١٠٤.

٢١- ينظر: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن: ١١، ينظر : المرجعيات المعرفية : ٢٥.

٢٢- السرد العربي القديم الأنساق الثقافية واشكاليات التأويل :٥١٨-٥١٩.

٢٣- النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الأساسية :٤.

٢٤- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية: ٨٣-٨٤.

٢٥- ينظر: النقد قراءة في الأنساق الثقافية: ٣١، ينظر: مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة :١٤٩.

٢٦- نفسه:٣٢.

٢٧- النظرية والنقد الثقافي: ١٢.

٢٨- دليل الناقد الأدبي:٣٠٥.

٢٩- ينظر : النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية : ٣٢.

٣٠- طبقات فحولة الشعراء:٥.

٣١- ينظر: نقد ثقافي ام نقد أدبي: ١٦٧، وينظر: النقد الثقافي من النص الى الخطاب :٣٤.

٣٢- جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا: ٣٥.

٣٣- النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب :٣٤-٣٥.

٣٤- ينظر: المطابقة والاختلاف : ٥٤٠.

٣٥- النقد الثقافي من النسق الثقافي إلى الرؤيا الثقافية: ٣٤.

٣٦- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية :٧٣.

٣٧- نفسه:٧٤.

٣٨- مرأى وشرفة دراسات في النقد الروائي: ٥٨.

٣٩- نقد ثقافي ام نقد ادبي: ٢٨.

٤٠- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية: ٧٤.

٤١- فضاءات النقد الثقافي: ٣٧.

٤٢ـ علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز :٨٦.

٤٣- الجملة والخطاب قراءة في علوم القرآن : مقال/ نت.

٤٤- ينظر: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان : مقال/ نت.

٤٥- سورة البقرة : ٦٥-٦٦ .

٤٦- ديوان ابن شهيد الأندلسي :١٦٧.

٤٧- ينظر: مجمع البيان: ٢٦٢/١.

٤٨- الذخيرة: ١٢٩/١.

٤٩- سورة الأنسان : ١٩.

٥٠- سورة الرحمن:١-٤.

٥١- ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله:٢١٢.

٥٢-ينظر: المرجعيات الثقافية: ٤٧-٤٨.

٥٣- سورة البقرة:٢٥٨.

٥٤- سورة البقرة:٢٥٨.

٥٥- ديوان ابن شهيد الأندلسي : ٢٢٥.

٥٦- رسالة التوابع والزوابع:

٥٧- سورة مريم:٢٥.

٥٨- الأنساق الثقافية في ادب الوهراني :١٦٢.

٥٩- رسالة التوابع والزوابع:١١١-١١٢.

٦٠- نفسه:٨٨.

٦١- ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله:١٦٦.

٦٢- ديوان ابن علس:١٢٧.

(*) الصيعرية : من سمات النوق دون الجمال . وجمل منوق : ذلول حتى قيل انه صُير كالناقة : انظر: لسان العرب : نوق : ١٤ / ٣٨٨ .

(***) مكدم : غليظ شديد : نفسه : (كدم) : المعجم الوسيط : ٧٨٠.

٦٣- رسالة التوابع والزوابع:

٦٤- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب :٣٣٢.

٦٥- المثل السائر : ٤١/١ .

٦٦- جمهرة الامثال : ٩/١ .

٦٧- نفسه: ٢/ ٣٢١.

٦٨- مجمع الأمثال: ١١٢/١.

٦٩- الذخيرة:١٥٢/١، التوابع والزوابع:١١٧.

٧٠- مجمع الأمثال:٣٢١/٢.

٧١- رسالة التوابع والزوابع: ٨٨.

٧٢- المفارقة في رسالة التوابع والزوابع: ١١٢.

٧٣- مجمع الامثال: ٢٢١.

٧٤- نفسه: ٢٢٧/١.

٧٥- ديوان ابن شهيد الاندلسي ورسائله: ١٧٤.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء بيروت ، ط١، ١٩٩٧م .
- المثل السائر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع بمطبعة مصطفى بابي الحلبي
- النظرية والنقد الثقافي – الكتابة في عالم متغير – واقعها سياقاتها وبناها الشعورية – محسن جاسم الموسوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت –لبنان ، ط١، ٢٠٠٥م.
- النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات : تأليف فنسنت ليتش محمد يحيى ، مراجعة وتقديم : ماهر شفيق فريد المجلس الأعلى للثقافة : ٢٠٠٠.

ـ النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ، آرثر ايزابرجر ترجمة : وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي ، القاهرة – مصر ط١ ،٢٠٠٣م.

ـ النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي – العراق انموذجاً ، عبد الرحمن عبدالله ، دار الشؤون الثقافية –بغداد ،ط١، ٢٠١٣م.

ـ النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب : د . سمير الخليل ، دار الجواهري، لبنان – بيروت ، ط١، ٢٠١٢.

ـ جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي انموذجا : د. يوسف عليمات ، دار الفارس للنشر والتوزيع ،الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.

ـ

جمهرة الأمثال : أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، ضبط هوامشه : أحمد عبد السلام ، خرج أحاديثه : أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،ط١٩٨٨,١م.

ـ دليل الناقد الأدبي : د. ميجان الرويلي د. سعد البازعي ، الدار البيضاء – المغرب ، بيروت – لبنان ، ط٣، ٢٠٠٣.

ـ ديوان ابن شهيد الأندلسي : جمعه وحققه يعقوب زكى ، راجعه الدكتور محمود على مكى ، دار الكاتب العربي ، القاهرة

ـ ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله : جمعه وحققه وشرحه الدكتور محي الدين ديب ، المكتبة العصرية ،دار البنود جية ، صيدا – بيروت ٢٠٠٢م .

ـ ديوان المسيب بن علس : جمع وتحقيق د. عبد الرحمن محمد الوصيفى ، مكتبة الآداب ، القاهرة ،ط١ ،٢٠٠٣م .

ـ رسالة التوابع والزوابع : لأبن شهيد الأندلسي ، صححها وحقق ما فيها : بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

ـ فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب : د. سمير الخليل ،دمشق،ط١ ،٢٠١٤.

ـ لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر ، بيروت ، ط٧، ١٩٩٧م .

ـ مجمع الأمثال : لأبي الفضل احمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني (ت٥١٨هـ)، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٥م.

ـ مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، أ. د. حفناوي بعلي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ط٢٠٠٧,١م.

ـ مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب: أ.د. حفناوي بعلي رشيد بعلي :عمان – وسط البلد ، ط١ ،٢٠١١م.

ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ،مجدي وهبة وكامل المهندس ، مكتبة لبنان للطبع ،ط١٩٨٤,٢م.

ـ المعجم الوسيط : ، أخرجه : إبراهيم أنيس وآخرون ، أشرف عليه : حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين ، دار المعارف

(مجمع اللغة العربية).مصر ، ط٢، ١٩٧٢م.
ـ ملاحظات نحو تعريف الثقافة ،ت . س . إليوت ، ترجمة وتقديم ، د. شكرى محمد عياد ، مراجعة : عثمان نوية ، د. ط
ـ موسوعة السرد العربي ، د. عبدالله إبراهيم ،دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ،د.ط ،٢٠٠٨م.
ـ نقد ثقافي ام نقد أدبي ، د. عبدالله الغذامى و د. عبدالنبي اصطيف ،دار الفكر ، دمشق ، د. ط ، ٢٠٠٤م.
ـ النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ،– المغرب ،ط٥، ٢٠١٢م .
ـ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة : تأليف أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢هـ ، تحقيق : سالم مصطفى البدري ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
ـ السرد العربي القديم الانساق الثقافية واشكاليات التاويل ، د.ضياء الكعبي ، دار الفارس، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٥م.
ـ السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات ، إبراهيم الصحراوي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط١ ، ٢٠٠٨م.
ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تأليف أبى على الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ –٤٦٣هـ) ط١ ، بيروت .

الرسائل والأطاريح :

ـ المرجعيات المعرفية للنقد الثقافي عند عبدالله الغذامي ، رسالة ماجستير، اعداد الطالبة : نعيمة اقرين، بإشراف : د. علي بخوش ، جامعة محمد خيضر – بسكرة – كلية الآداب ،٢٠١٥م/ ٢٠١٦م.
ـ تداولية الخطاب السردي بين القديم والحديث ،أطروحة دكتوراه ، اعداد الطالبة : دحمون كاهنة ، بأشراف :آمنة بلعلى، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ،٢٣/١٠/٢٠١٤م.
ـ مشروع الحداثة الشعرية في العراق في اطار النقد الثقافي (اطروحة دكتوراه) كريم شغيدل مطرود ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٨م .

المجلات والدوريات :

ـ البنية السردية والخطاب السردي في الرواية ،د .سحر شبيب ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، فصلية محكّمة ، العدد الرابع عشر ، صيف ١٣٩٢هـ /٢٠١٣م.
ـ المفارقة في رسالة التوابع والزوابع دراسة نصية :د. هاشم العزام ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ،مجلد ١٦، عدد ٢٨، شوال ١٤٢٤هـ .
ـ النقد الثقافي بين المطرقة والسندان ، بقلم جميل حمداوي : www.diwanalarab. com spip.php?article31174

النقد الاجتماعي في نثر العتابي

أ.م.د. عدنان كاظم مهدي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

المقدمة:

اتجهت الدرسات الحديثة إلى دراسة الأدب وفق معطيات المناهج النقدية الحديثة والدراسات الأكاديمية الجديدة ، وبما أن تراثنا العربي القديم حلقة مهمة وأساسية في فهم تطور الأدب العربي ، ومعرفة الجوانب الحداثية فيه ؛ لذلك اتجهنا صوب هذا الأدب لفهم مكنوناته ، وبيان الجوانب الاجتماعية فيه . ومن هذا المنطلق حاولنا دراسة النقد الاجتماعي في أدب كاتب عباسي عاش في عصر جمع ثقافات مختلفة وفئات اجتماعية متعددة، فكان للعتابي رؤية خاصة للمجتمع آنذاك، وقد سخر العتابي إمكاناته النثرية بما فيها من جوانب بلاغية لنقد أهم الظواهر الاجتماعية. ولكي تكون هذه الدراسة مستوفية لجوانب البحث كافة كان من الضروري دراسة سيرة العتابي؛ لأنها المدخل لفهم رؤيته ونظرته اتجاه تلك الظواهر. وقد أفدنا في هذه الدراسة من الكتب الحديثة التي تناولت الصلة بين الأدب والمجمتع للتمهيد لمفهوم النقد الاجتماعي، وقد استقصينا المصادر القديمة في دراسة حياة العتابي وأخذ النصوص النثرية من مصادرها على الرغم من الدراسات التي جمعت نثره ومنها (العتابي أديب تغلب) للدكتور أحمد محمد النجار و(العتابي حياته وأدبه) لمسعد بن عيد بن مسعد العطوي. وهذه الدراسات درست نثره دراسة وصفية تقليدية دون اعتماد منهج نقدي معين. وسنتناول في هذا البحث نثر العتابي في دراسة وصفية تحليلية فنية لاستجلاء أهم مظاهر النقد الذي وجّهه للمجتمع .

تمهيد: مفهوم النقد الاجتماعي ونبذة عن حياة العتابي:

اتجهت الدراسات النقدية الحديثة إلى فهم العلاقات المتبادلة بين الأدب والمجتمع على اعتبار أن المجتمع منبع الأدب متخطية الحدود الفردية في فهم العمل الأدبي، وعابرةً لحدود الأنا والذات الفردية مركزةً جهودها في اتجاه العقلية الجماعية. وقد أكد لوسيان غولدمان[١] أن أي عمل سواء كان ((فلسفياً أم أدبيا

لايمكن الوقوف على دلالته الموضوعية إلا بوضعه في سياق التطور التاريخي والحياة الاجتماعية))[٢].
وأن دراسة تاريخ الفن تؤكد على أن نشأة الفن الأولى قد ارتبطت بالطابع الجماعي للأمم ، وأن الفنان لم يكن معبراً عن ذاته الفردية فحسب ؛ بل كان على صلة وثيقة بالشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها .[٣]
وفي هذا الاتجاه ظهرت دراسات تناولت الأثر بين النص الأدبي والبيئة الاجتماعية على اعتبار أن العمل الأدبي ((ظاهرة اجتماعية لايمكن فهمها وشرحها إلا في علاقاتها الاجتماعية))[٤]. ومن هنا شهدنا التقاء في وجهات النظر بين الناقد ومؤرخ الأدب وعالم الاجتماع فكل منهم يسعى جاهدا للوصول إلى فهم مشترك لتفسير الظاهرة الأدبية في جميع نواحيها وأبعادها المختلفة.[٥]
وهذا اللقاء ساعد في توحيد الأدوات والوسائل لدراسة الظاهرة الأدبية؛ وقد مهد لظهور ما يعرف بعلم اجتماع الأدب ((وهو محاولة استقصاء مجموعة كبيرة من من التساؤلات المفتوحة عن الأدب والمجتمع، على أمل إضاءة الأدب في علاقته بالبيئة الاجتماعية من ناحية، وتحقيق بعض من الفهم للمجتمع والتاريخ من ناحية أخرى)).[٦]
لقد أصبح النقد حلقة الوصل لفهم النصوص الأدبية من خلال سياقها الاجتماعي؛ لذا كان لزاماً على النقاد أن يدرسوا ((الصلة بين الأفكار السياسية والفلسفية، أو الجمالية وبين المجتمع الذي أوجدها))[٧] .
وهذا النقد قد مهد لظهور ما يعرف بعلم اجتماع النص والذي يهتم ((بمسألة معرفة كيف تتجسد القضايا الاجتماعية والمصالح الجماعية في المستويات الدلالية والتركيبية والسردية للنص)).[٨]
وخلاصة القول: إنّ النقد الاجتماعي قد ولد في أحضان المنهج التأريخي عن طريق النقاد الذين درسوا تأريخ الأدب وتطور المجتمعات واختلاف البيئات والعصور وهو ((يرتبط بطبيعة المستويات المتعددة للمجتمع، ويرتبط كذلك بفكرة الطبقات، وبفكرة تمثيل الأدب وتصويره للحياة الاجتماعية وليس للحياة الذاتية الفردية)).[٩]

حياة العتابي وسيرته: هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي صاحب المعلقة المشهورة بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب[١٠] ، فالعتابي نسبةً إلى جده (عتاب) ،

ولد العتابي في رأس العين قرب الخابور[١١] في بلاد الشام وقيل: إنه نزل قنسرين في الشام[١٢] ، وهذه المدينة كما هو معلوم كانت مركز الثقافة في الكنيسة الغربية (اليعقوبية)[١٣]. ولم تذكر لنا المصادر سنة ولادته إلا أن أحد الباحثين استنتج أنّ سنة ودلاته مابين عام ١٢٥- ١٣٠هـ معتمدا على رواية لقائه ببشار وهو حدث.[١٤] أما وفاته فكانت سنة (٢٠٨هـ)[١٥]. لقد وفد العتابي على أهم مراكز الثقافة في عصره ، فقد تردد على بغداد والرقة ، واختلف على خزائن الكتب في مرو ونقل عنها كتب العجم كما قدم نيسابور[١٦]. وللعتابي صلة بالمعتزلة وفق ما ورد في المصادر، فقد ذكر الجهشياري ((أن العتابي كان يقول بالاعتزال)) [١٧] وقد عدّه بعض الباحثين من شعراء الاعتزال[١٨]. وعلى الرغم مما عرف عن العتابي من ابتعاده واعتزاله عن أصحاب السلطة إلا أنه كانت له علاقات مع الرشيد والمأمون . وكانت علاقته مع الرشيد متذبذبة فقد ساءت بعد أن علم الرشيد بميله نحو المعتزلة فهرب منه إلى اليمن ؛ لكنه عفا عنه بتدخل من البرامكة وقد أصبح معلما لابنيه الأمين والمأمون . وقد مدح الرشيد في مناسبات عدة [١٩]. وكانت صلته بالمأمون أوثق من أبيه الرشيد ؛لأن كل منهما كان يؤمن بالاعتزال فكان يميل إليه .[٢٠] وبمرور الوقت حظي بمكانة مهمة عند المأمون[٢١]،

المبحث الأول: مضامين النقد الاجتماعي في نثر العتابي:

١- نقد العتابي للعلاقة بين أفراد المجتمع والحاكم:

انتقد العتابي طرفي العلاقة التي تربط بين أفراد المجتمع والحاكم فمرة يوجه العتابي نقدا اجتماعيا للمجتمع ومرة أخرى ينقد الحاكم. فبالنسبة لعلاقة المجتمع مع الحاكم يرسل العتابي خطاباً لاذعاً لأخلاق المجتمع اتجاه الحاكم وبصورة غير مباشرة ويقصد بذلك الطبقة الاجتماعية المتملقة للحاكم والمتزلفة فهناك فئة

اجتماعية مستعدة لفعل أي شيء في سبيل أن تنال رضا الحاكم وتحصل على ماتريده من مال أو منصب من السلطة وإن كان ذلك على حساب كرامة الفرد .

والعتابي هنا ينطلق من ثوابت اجتماعية في نقده لهذا الوضع الاجتماعي، وفي نقده يعبر عن طبيعة الإنسان البدوي الذي يأنف من التملق والتزلف لصاحب السلطة لأنه يرى في نفسه نداً للطرف الآخر صاحب السلطة ، فقد وَرِثَ العتابي هذه الأنفة البدوية التي أسهمت في تعاظم الأنا لديه وجعلته يختار العزلة ، على الرغم من العلاقات التي كانت تربط بين العتابي من جهة والسلطة والحكم العباسي والخلفاء والبرامكة من جهة أخرى فنجد بعض الروايات تذكر لنا أنه ((يتجنب غشيان السلطان قناعة وصيانة وتنزها وتعززا))[٢٢]ويرى الراحة في الخلوة وقد أكمل عزلته عن السلطان وأهله بعزلة ثانية عن المجتمع والاختلاط به ؛ لذا يقول ((ما رأيتُ الراحةَ إلا مع الخَلْوَة، ولا الأُنسَ إلا مع الوَحشة)) [٢٣] وقد بلغ من عزلته من الناس أنه آثر معاشرة الكلب على الإنسان فقد ((رأى محمد بن حرب العتابي ينادم كلبا يشرب كأسا ويولغه كأسا فقيل له في ذلك، فقال إنه يكف عني أذاه ويمنعني أذى سواه ، ويستكثر قليلي ويحفظ مبيتي ومقيلي ، وهو من بين الحيوان خليلي ، فقال ابن حرب فتمنيت أن أكون كلبا له لأحوز هذا النعت منه)).[٢٤] وهذا الموقف دليل على كرهه للاختلاط بالناس وإيثاره العزلة ؛ ولذلك كان يرى من الأسلم الابتعاد عن السعي نحو المناصب والمال فيقول: ((لما رأيت الأمور العالية مشوبة بالمتالف ، اخترت الخمول ضناً مني بالعافية))[٢٥] وقداقترن هنا (الخمول) وهو دليل الضعف مع (الضنّ) وهو الحرص على الشيء ليدل على شدة الأمر المتروك الذي يخاف منه العتابي ، فكان التعبير هنا أكثر وضوحا في تصوير مشهد الخوف والقلق . ونتيجة لذلك كان العتابي يدعو إلى عدم الإلحاح في طلب الحاجة من السلطان فيقول: ((إن طلبت حاجة إلى ذي سلطان فأجمل في الطلب إليه، وإياك والإلحاح عليه، فإن إلحاحك يُكْلِمُ عرضك، ويريق ماء وجهك، فلا تأخذ منه عوضاً لما يأخذ منك؛ ولعل الإلحاح يجمع عليك إخلاق ماء الوجه وحرمان النجاح؛ فإنه ربما ملّ المطلوب إليه حتى يستخف بالطالب)).[٢٦] هذا النص بدأه بجملة طلبية (إن الشرطية)، ومن ثم تواردت الجمل الطلبية (فأجمل)، والجملة التحذيرية (إياك)

والرجوع إلى الشرط . وكل ذلك لإيصال رسالة تبيّن للمتلقي فداحة وخسارة فعل (الإلحاح) في الطلب من السلطان وبذل ماء الوجه أمامه ؛لأن التذلل يجعله صغيراً وحقيراً في عين السلطان ، وفي الوقت نفسه فإنّ العتابي في مواضع أخرى من كلامه ينصح من كان ذا ثقة عند الحاكم أن يتجنب الملق والإكثار من الدعاء فيقول: ((إذا نزلت من الوالي بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق، ولا تكثر له من الدعاء في كل كلمة، فإن ذلك يشبه الوحشة، وعظّمه ووقّره عند الناس))،[٢٧]. وكلام العتابي هنا يشير إلى مسألة مهمة وهي ثقة الفرد في المجتمع بالسلطة (الوالي) هذه الثقة هل هي ممكنة في مجتمع تضع الحجب أمامه في الوصول إلى السلطة؟ ومن ثم فإنّ رفع التملق مشروط بتحقق الثقة ، وهذه الثقة بين الحاكم والمحكوم تجعل من المواطن وسيلة دعائية للحاكم ، وهذا يدل على نظرة سياسية فاحصة لدى العتابي فكأنما يدعو لتحقيق ديمقراطية من خلال التواصل الاجتماعي بين الفرد والسلطة .

وفي الوقت نفسه نجد العتابي يوجه النصح للحاكم فقد ذكرت الروايات أن العتابي دخل على ((المأمون فكلّمه بكلام أحسن فيه وأوجز...فقال له المأمون: يا عتابي تكلَّم، فقال: يا أمير المؤمنين الإيناس قبل الإبساس إنَّ المرء لا يحمد أول أمره على صواب، ولا يذم على خطأ، لأنه بين حالين: من كلام قد سواه أو حصر تعناه، ولكن يبسط بالمؤانسة، ويبحث بالمناقشة. فأعجب المأمون بكلامه))[٢٨]. فهنا العتابي يدعو إلى إطلاق الجدل والحوار بين السلطة والشعب وأن يكون الحاكم أكثر انفتاحا في تقبل الرأي من الرعية .

وكان العتابي يستشعر ظلم السلطة؛ لذاك كان يتوجس خيفة من الاقتراب منها فقد قيل له: ((لم لا تقصد الأمير فتخدمه؟ فقال: لأني أراه يعطي الواحد لغير حسنةٍ ولا يدٍ، ويقتل الآخر بلا سيئةٍ ولا ذنبٍ، ولست أدري أي الرجلين أكون، ولست أرجو منه مقدار ما أخاطر به))[٢٩].

وهذا نقد صريح للسلطة ورجالاتها واتهام واضح لها بالظلم والجور وغياب العدالة الاجتماعية ؛ لذا فإنه لايرتضي التقرب منهم لأنّ هذا سيجعله أما ناصرا للظالم أو أن يكون تحت مظلة المظلومية. وفي هذا

الخطاب تحريض واضح ضد السلطة؛ لأن الأدب يحمل رسالة إبلاغية تواصلية.[٣٠] هدفها حث الجماهير وتثويرها ضد الواقع الفاسد، وخلق مجتمع جديد خال من الظلم.

ومن جهة أخرى يوجه العتابي نقده للحاكم والذي يجب أن تتحقق فيه معايير (العدالة) وهي أمر مهم كي يقيم الحاكم (العدالة الاجتماعية) فيقول العتابي: ((مما يُعينُ على العَدْل اصطناعُ مَنْ يُؤْثِرُ التُّقى، واطِّراحُ من يَقبلُ الرُّشا، واستكفاء مَنْ يَعْدِلُ في القضية، واستخلافُ مَنْ يُشْفقُ على الرعية))[٣١]. فالعدالة الاجتماعية في هذا النص يحددها العتابي في أربع نقاط مهمة هي: التقوى ، ورفض الرشوة ، : والعدالة ، والرفق بالرعية. والعتابي في هذا النص ينطلق من أسس إسلامية في تحديد اختيار الحاكم إذ إنّ التقوى هي المعيار الأول فهي الضابط في ردع الشهوات والنزوات فقد ورد في الحديث الشريف ((لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم))[٣٢] أما العدل فإنه أساس لابد منه يقول تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمتُم بَينَ ٱلنَّاسِ أَن تَحكُمُواْ بِٱلعَدلِ ﴾[٣٣] وفي الحديث الشريف :((ما كرهته لنفسك فأكره لغيرك، وما أحببته لنفسك فأحببه لأخيك، تكن عادلا في حكمك، مقسطا في عدلك، محبا في أهل السماء، مودودا في صدور أهل الأرض))[٣٤] أما الإشفاق على الرعية فخير مثال على ذلك وصية الإمام علي (عليه السلام) لعامله مالك الأشتر ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))[٣٥] وفي موضع آخر يحذر الامام (عليه السلام) من الحاكم المرتشي فيقول ((وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله...، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع))[٣٦]. وبالرجوع إلى نص العتابي نجد تزامنا منطقيا في تحقيق العدالة فالتقوى تؤدي إلى رفض الرشوة ومن ثم تحقق لنا العدل، والعدل يستلزم الشفقة بالرعية . فالعتابي قد اختزل صفات الحاكم العادل في هذه الجمل المكثفة الموجزة .

٢- نقد العتابي لأخلاق المجتمع:

تناول العتابي قضايا اجتماعية مهمة كالأخوة وقضية الزواج والعلم والجهل وتناول سلوكيات اجتماعية منها ما كان إيجابيا ومنها ماكان سلبيا .

١- نقده لظواهر اجتماعية عامة

من أهم القضايا الاجتماعية التي تحدث عنها العتابي قضية (الأخوة الاجتماعية) فالأخوة عند العتابي لها مفهوم خاص يكاد يقترب من مفهوم الصداقة إلّا أنه لم يذكره بصريح العبارة ، وهذه الأخوة الاجتماعية كان العتابي في أشد الحاجة إليها؛ لأنها تلبي مطلبا نفسيا لديه وحاجة معنوية له ، وقد وضع مفهوم الأخوة في بوتقة اجتماعية نفسية وقد جاءت في إطار فلسفي وعظي فيقول لأحد أصحابه: ((ما أحوجك إلى أخ كريم الأخوة، كامل المروءة،، وإذا غبت خلفك، وإذا حضرت كنفك، وإذا نكرت عرفك، وإذا جفوت لاطفك، وإذا بررت كافأك، وإذا لقي صديقك استزاده لك، وإن لقي عدوك كف عنك غرب العادية، وإذا رأيته ابتهجت، وإذا باثثته استرحت)).[٣٧] النص يبتدأ هنا بأسلوب التعجب وهو يحمل دلالات عدة فالأخوة التي ينشدها العتابي وفق هذه الصورة تعد ضربا من عالم المثل في خياله ، فهو يريد التأكيد على هذه القيم وترسيخيها في أذهان المجتمع ، فالأخوة عنده هي العطاء والمروءة وحفظ غيبة المرء في السر والعلانية والملاطفة والمصارحة. وفي هذا الخطاب يدعو العتابي لمنظومة اجتماعية متكاملة تضمن للفرد استمرارية وجوده في الحياة وإلّا فإن وجوده وعيشه سيكون بلا معنى. وهذا التأسيس الاجتماعي هو في الحقيقة دعوة لإصلاح المجتمع ، وتخليصه من النفاق والمصالح الأنانية الضيّقة ؛ وإلا فإنّ كثيراً ممن يعدون إخوانا لاخير فيهم فيقول: ((لا تستكثرن من الإخوان إلا إنْ كانوا أخيارًا فإن الإخوان غير الأخيار بمنزلة النار قليلها متاع وكثيرها بوار)).[٣٨] وهذه الصورة البيانية ترسم مشهدا ذا مغزى كبير فالأخوان من غير الأخيار نفعهم قليل قياسا بالشر العظيم الذي يأتي منهم ، ولعل التشبيه بالنار تفيد في بيان الشر المصاحب لتك الأخوة فالخاطر الكامن في النار يمكن أن يحرق من يقترب منها وكذلك تلك الأخوة يكون شرها كبير على المرء . وهو تعبير بليغ عن واقع اجتماعي مرير قد يكون العتابي قد عانى ماعانى فيه ، لذا تجده يهرب من هذا المجتمع تحت وطأة فَقْد مقومات الأخوة الاجتماعية .

وقد لخص العتابي نظرته الاجتماعية في عبارة سجعية مكثفة الدلالة يصف فيها السمات السيئة في الأخ المداهن: ((شر الإخوان مَنْ إذا وجد مادحاً مدح، وإن وجد قادحاً قدح وإن استودع سرّاً فضح))[٣٩]. نلحظ التتابع والترادف في السجع والجناس في هذه الجمل القصيرة الذي يعطي المعنى زخما شعوريا بالنفور من هذه الخلق السيء المنبوذ .

ولعل هذا الامر يفسر لنا سبب عزلة العتابي عن المجتمع، فهو لايطمئن ولايصاحب من كانت تلك الصفات مجتمعة فيه ؛ ولذا اتخذ من الكلب خليلاً ونديماً له .[٤٠]

ومن القضايا الاجتماعية التي تحدث عنها العتابي قضية (الزواج) إذ كان له موقف سلبي اتجاه ،وقد سُئِلَ لماذا لم تتزوج؟ فأجاب قائلاً: ((إني وجدت مكابدة العفة أيسر علي من الاحتيال لمصلحة العيال)).[٤١] تحس وأنت تقرأ هذا النص بمقدار المشقة التي يتعرض لها بسبب الإعراض عن الزواج بقوله (مكابدة) ؛ ولكنها تهون مقابل طلب الرزق للعيال ؛ لأن طلب الرزق أشق عليه من المكابدة . فهل ياترى أن العتابي ترك الزواج لعدم قدرته على الإنفاق على العيال أو لأمر آخر؟ ؛ وإذا ما عرفنا طبيعته في العزلة عن المجتمع وابتعاده وزهده وخوفه من طلب الحاجة من الآخرين لا نستغرب موقفه هذا . وهذا النص يدل على فقره فلو كان ميسور الحال لم يَخفْ نفقة العيال وهو يشير ضمنا في ذلك إلى غلاء المعيشة وعدم التمكن من تحمل مسؤولية الزواج والأطفال.

٢- نقده للظواهر الاجتماعية الإيجابية

للعتابي نقود اجتماعية تعبر عن رؤيته الذاتية تجاه القيم الاجتماعية والأخلاقية الفاضلة التي يجب أن تسود المجتمع، منها (المودة وصلة القربى) فيقول العتابي رداً على كتاب كتبه إليه طوق بن مالك التغلبي ويدعوه إلى أَنْ يصل القرابة بينه وبينه فردّ عليه: ((إنّ قريبك من قرب منك خيره ، وإنّ عمك من عمّك نفعه ، وإن عشيرتك من أحسن عشرتك، وإن أحب الناس إليك أجداهم بالمنفعة عليك ولذلك أقول ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم وخبرت ما وصلوا من الأسباب فإذا القرابة لا تقرب قاطعا وإذا المودة أكبر الأنساب))[٤٢]. إنّ كلام العتابي هنا ينطلق من تجربة شخصية ومعاناة فردية مع أقربائه جعلته يصدر

هذا الحكم بدليل قوله (بلوت ، سبرت ، خبرت) ، فيبدو من النص أن هناك جفوة بينه وبين قريبه طوق بن مالك دعته لمثل هذا القول ، فهو يرى أن رابطة النسب وحدها لاتكفي للمودة والتواصل ؛ بل هناك روابط أعمق من النسب وهي تقوم على حب الخير والمودة والتفاني من أجل الآخر.

وفي هذا الخطاب دعوة إصلاحية تتعدى حدود العشيرة والقبيلة وتتخطى الحدود الضيّقة للعلاقات الانسانية المرتبطة بالقربى وتستبدلها بنطاق أوسع وأشمل إلا وهي ((المودة)) والمودة تعني الرحمة والمحبة، والمودة مصدر الفعل ودّ ((والودّ: الحب يكون في جميع مداخل الخير))[٤٣] فالعتابي يدعو لمجتمع انساني تذوب فيه العصبية القبلية وتحلُّ محلها المحبة الإنسانية . ودعوة العتابي هذه تنطلق من رؤية فكرية متحضرة تنبذ العقلية البدوية القبلية القائمة على النسب والدم الذي يجمع أبناء القبيلة الواحدة .

ومن الظواهر الاجتماعية الإيجابية التي دعا إليها العتابي وسلّط عليها الأضواء قضية (احترام العلماء) فقد دعا العتابي إلى الاقتداء بالعلماء واستشارتهم وعدم ازدرائهم فيقول: ((من أعظم مكايد الشيطان ازدراؤك من علماء دهرِكَ مَنْ عنده المخرجُ ممَا أشكلَ عليك، وتُهْمَتُكَ مَنْ يلزمك الاقتباسُ منه))[٤٤]. وهنا إشادة واضحة بدور العلماء في حماية المجتمع من الجهل والضلالات؛ لأن المجتمع الإسلامي المتحضر قد قطع شوطا كبيراً في العلم والمعرفة وأصبح لكل علم من العلوم مرجع من العلماء، وهذه القضية من الأمور المهمة التي ينبغي على أي مجتمع الالتزام بها وإلا سوف ينزلق المجتمع في متاهات وضلال.

وفي الموروث الإسلامي شواهد كثيرة في بيان مكانة العلماء ومنزلتهم عند الله تعالى والمجتمع فقد وردت عدة آيات تبين مكانتهم عند الله تعالى إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[٤٥] ويقول تعالى : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٤٦] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤٧] ففي هذه الآيات يرفع الله من مكانة العلماء ويفضلهم على باقي طبقات المجتمع لما يحملونه من علم ينفعون الناس به، وورد أيضا في الحديث الشريف قول الرسول (ص): ((من سلَكَ طريقًا يبتغي فيهِ علمًا ، سلَكَ اللَّهُ بِهِ طريقًا من طرق الجنَّةِ ، وإنَّ الملائِكةَ لتضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رضاً بما يصنع ، وإنَّ العالمَ ليستغفرُ لَهُ من في السَّمواتِ ومن في الأرضِ ، والحيتانُ في

جوف الماءِ ، وإنّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ ، وإنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درْهمًا ، إنَّما ورَّثوا العِلمَ فمَن أخذَ بِهِ فقد أخذَ بحظٍّ وافرٍ))[٤٨]. فالرسول (ص) لى يشيد بمكانة العلماء ويفضلّهم على باقي البشرية إذ جعلهم بعد منزلة الأنبياء ومن ورثتهم ، وهذه المكانة للعلماء في المجتمع أوجبتها قوانين الحياة ومتطلباتها إذ إنّ الناس في حاجة إليهم في كل عصر وزمان لتنوير عقولهم وتبصرتهم في أمور دينهم ودنياهم ؛ ولذا فإن المجتمع الذي يحترم علماءه ويقدرهم هو المجتمع السليم المتحضر الراقي؛ ولكن إذا فشا الجهل في المجتمع وابتعد الناس عن طلب العلم رأيت الناس يزدرون العلماء ولا يحترمونهم وقد قرن العتابي هنا قضية ازدراء العلماء بالعامل الديني وهو الشيطان فهو يعده السبب الأساس في ابتعاد الناس عن العلماء.

وفيما يتعلق بقضية احترام العلم والعلماء في المجتمع نجده يدعو إلى (عدم مجالسة الجهلاء) في مجتمعه إذ يعد العتابي الجهل مرضاً فيقول: ((مجالسة الجاهل مرض العقل))[٤٩] هذه هي نتيجة حتمية واستدلال منطقي لمعاشرة الإنسان الجاهل ، وبما أن العتابي رجل من أصحاب علم الكلام ؛لذا فهو يحكّم العقل ، ويرى أن الجهل آفة العقل ؛ فيوجه نصيحة لأبناء جيله يدعوهم فيها إلى ترك مجالسة الجاهل لأنه لاينفع جليسه بل ينقل إليه عدوى الجهل فيصبح جاهلا مثله ؛ فالأسلم ترك مجالسته والابتعاد عنه . وفي حديثه عن الجهل يعقد مقارنة بين الجاهل وبين الجاحد فيقول: ((وأصل اختلاف العباد في جميع الأمور من علتين: إما جهل بما يدعون، وإما جحد لما يعرفون، والجاهل بما يدعي أرجى رجعة من الجاحد لما يعرف، وإن كان لا عذر له في ترك علم ما يجهل، كما لا عذر لأحد في جحد معروف)).[٥٠] في هذا النص يتناول العتابي قضية الجهل بأسلوب منطقي يقوم على التقسيم والتفريع والاستدلال، فالجاهل إذا ما تعلم قد يعود إلى جادة الصواب ويترك العناد. والمصيبة الكبرى فيمن يكون متعلما وينكر ويكابر فخطره على المجتمع أكبر وأعظم من الجاهل غير المتعلم .

ومن الظواهر الاجتماعية الايجابية دعوته في (قبول العذر والتسامح) بين أفراد المجتمع يقول العتابي لرجل اعتذر إليه: ((إني إن لم أقبل عذرك لكنت ألأم منك وقد قبلت عذرك فَدم على لوم نفسك في

جنايتك نزد في قبول عذرك والتجافي عن هفوتك))[٥١] ، ولاريب أن عدم قبول العذر يعد لؤماً ، فالتسامح وقبول العذر من الخصال الحميدة التي تسهمُ في رقي المجتمع واستقراره ؛لأن البغض واللؤم لايجلبان للمجتمع غير الدمار والشتات .

وللعتابي مواقف اجتماعية طريفة في كسب الآخر ورفع الضغائن بين النفوس وذلك عن طريق اللين والتسامح مع الآخرين ومن مظاهره :(البِشر)، والبشر هنا يحمل معانٍ عدة منها : طلاقة الوجة وبشاشته والسرور والابتسامة والفرح،[٥٢]وكلها تدخل في باب حسن المعاشرة والتعامل بلين ولطف مع الآخرين ، فقد لقي أحمد بن يحيى العتابى فقال له: ((إنك تلقى العامة ببشر وتقريب فقال رفع ضغينه بأيسر مؤنة واكتساب أخوان بأهون مبذول)).[٥٣] واللين والتسامح من الأخلاق الحسنة التي حث عليها الإسلام وهي لاتكلف الإنسان شيئاً ، يقول تعالى:﴿ وَلَو كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلقَلبِ لَٱنفَضُّواْ مِن حَولِكَ ﴾[٥٤]. وقد قيل ((البشر دال على السخاء كما يدل النوى على التمر))[٥٥] فالبشر هو باب من أبواب الكرم المعنوي يغدقه المرء عند ملاقاة الناس ؛ لذا فقد انتقد العتابي من يبخل بهذا الكرم فيقول : ((من ضن ببشره كان بمعروفه أضن))[٥٦] .

٣- نقده للظواهر الاجتماعية السلبية:

من الظواهر الاجتماعية السلبية التي انتقدها العتابي (النميمة) ، وهي من الأمراض الاجتماعية الخطيرة يقول العتابي ((لا أحب رجلاً نقل إلي ما كرهت عن صديقي فغيَّرني له، ولا عن عدوٍّ فحملني على طلب الانتصار منه، ومع ذلك فلم يستحِ بأن واجهني بما ساءني سماعه))[٥٧]مع أن العتابي يتحدث عن نفسه ومع ذاته ؛ لكنه في الحقيقة يوجه رسالة لأبناء مجتمعه من خلال هذا الحوار النفسي ليحثهم على أن يغلقوا أسماعهم اتجاه النميمة . ولاريب أن النميمة أم الفتن ورأس البلاء في المجتمع ولخطرها الكبير؛ فإن المجتمع ملزم بأخذ الحذر الحيطة والحذر منها .

أما عن (الخصومات والخلافات) فيقول: ((إذا تشاجرت الخصوم طاشت الحلوم، ونُسيت العلوم)).[٥٨] ولاريب أن الخلافات والخصومات تحدث بسبب غياب العقل والحكمة . في هذا النص نجد الفعل طاشَ

بمعنى مال واضطرب وانحرف وتشتت[٥٩] ، وجميع هذه المعاني تدل على فقدان الاتزان والنزق والوقوع في دائرة الانحراف والخطأ. وفي إسناد الفعل (طاش) إلى الحلم تتكون لدينا صورة مجازية تبين خطورة الموقف وتبعاته إذا ما احتدمت الخصومات بين أبناء المجتمع، فهي دعوة صريحة من العتابي لإقامة السلم الاجتماعي حفاظاً عليه وإلا نسيت العلوم أي (الحقائق وهي منطق العقل والتفاهم) .

وعن قضية (العجب والتكبر) يرى العتابي أن العجب ضربان محمود ومذموم فيقول: ((العجب ضربان مفترض ومطرح، فأما المفترض فأن يعلم الإنسان نعم الله سبحانه عليه، ويفرح بإحسانه إليه؛ وأما المطرح فعجب الإستطالة الذي نهى الله عنه. ألا ترى إلى النبي (ص) حين يقول: أنا سيد ولد آدم ولا فخر. فجهر بعجب الشكر. وأسقط استطالة الكبر))[٦٠]. وهذا الخطاب الموجه نحو المجتمع فيه نقد للذين أصابهم الغرور والعظمة والكبر بما لديهم من أموال وجاه فهو يذكرهم بتعاليم الدين الإسلامي وسيرة الرسول الكريم (ص) المليئة بالعبر والدوروس. وهذا الخطاب التقريري الإخباري يحاول فيه العتابي اعتماد الحجج والبراهين الدينية عن طريق المدونات الحديثية لانتقاد هذا الفعل الاجتماعي المعيب (العجب) .

وأيضاً تناول العتابي قضية (ازدراء الفقير ومحاباة الغني) وهي قضية اجتماعية خطيرة للغاية فقد وصف حال الفقير والغني وتعامل الناس معهما في جمل قصيرة متتابعة تنم عن خبرة واسعة بأمور مجتمعه فيقول : ((الناس لصاحب المال ألزمُ من الشعاع للشمس ، وهو عندهم أرفع من السماء ، وأعذب من الماء ، وأحلى من الشهد ، وأزكى من الوَرْد ، خطؤه صواب ، وسيئته حسنة ، وقوله مقبول ، يُغْشى مجلسه ، ولا يُملّ حديثُه ، والمفلس عندهم أكذب من لمعان السراب ، ومن رؤيا الكِظّة ، ومن مرآه اللّقوة ، ومن سحاب تموز ، لا يسأل عنه إن غاب ، ولا يسلّم عليه إذا قدم ، إن غاب شتموه ، وإن حضر طردوه ؛ مصافحته تنقض الوضوء ، وقراءته تقطع الصلاة ، أثقل من الأمانة ، وأبغض من السائل المبرم))[٦١] . وهذه الصورة التي ينقلها العتابي تمثل التناقض الاجتماعي الأزلي بين طبقتين متصارعتين إلى يومنا هذا. وهنا يقارن العتابي بين مشهدين الأول تودد المجتمع للغني والثاني نفور وإعراض المجتمع عن الفقير ، ففي المشهد الأول جمع عدد كبير من صفات التي تظهر محبة المجتمع للغني ، وقد عمد

إلى صيغ اسم التفضيل (أرفع ، أعذب ، أحلى ، أزكى) واسم التفضيل كما هو معلوم يدل على المشاركة في صفة ما وزيادة أحدهما على الآخر في تلك الصفة[٦٢]، وأراد العتابي المبالغة في الوصف من خلال اسم التفضيل وهذه المبالغة ابتدأها من الصفات المحالة(الشمس، السماء) ثم انحدر بعد ذلك إلى الأرض (الماء، الشهد، الورد) ، ثم تابع المشهد بجمل خبرية مرسلة خالية من السجع وهي تصب في باب المدح.

أما المشهد الثاني المتعلق بصورة الفقير فابتدأها مستعيرا صورة المفلس وهي شخصية اجتماعية منبوذة فاقدة لكل شي وهي مهمشة مكروهة لدى المجتمع (رؤيتها كظة) لايصدقها أحد ولا أحد يسأل عنها ولاأحد يسلّم عليها وهي على العموم مطرودة والكل يبغضها. والملاحظ هنا أن العتابي استعمل لفظ (المفلس) ولم يستعمل لفظ (الفقير) لأن المفلس في الأصل لم يكن فقيرا ؛ بل كان ذا مال ولكن لأسباب ولظروف معينة فقد أمواله وصار فقيراً فالمفلس لغة هو من ((صار مفلسا، كأنما صارت دراهمه فلوسا وزيوفا .))[٦٣] ويقال: ((أفلس الرجل إذا لم يبق له مال، يراد به أنه صار إلى حال يقال فيها ليس معه فلس))[٦٤]. وقد وضع هذا المفلس في صورة يرثى لها فساق الجملة المنفية (لايسأل عنه، لايسلم عليه) ، والشرطية (إن غاب ، إن حضر) لبيان كراهة المجتمع له ، ولم يكتف بذلك بل أردفها بجمل تحمل معنى السخرية والتهكم (مصافحته تنقص الوضوء ، وقراءته تقطع الصلاة)، ثم ختمها بالعودة إلى اسم التفضيل (أثقل ، وأبغض) ليعيد لنا انتاج الصورة من جديد من خلال العودة للمبالغة .

والعتابي في نقده لهذه الظاهرة الاجتماعية يريد القول: إن الناس تتعامل فيما بينها وفق المصالح المادية فمتى ما كان غنيا كان تعاملهم معه وفق المشهد الأول ومتى ما فقد المرء ماله وأفلس انطبق عليه المشهد الثاني. وبتعبير آخر فإنّ الناس عبيد المال فالحب والاحترام والكره والبغض بين أبناء المجتمع الواحد يرتبط بحب المال وأصحابه. وهذا الأمر دليل على فساد المجتمع وانحطاطه وابتعاده عن روح الإسلام وتعاليمه الحنيفة.

ومما تقدم نجد أن العتابي قد اتجه نحو الواقع الاجتماعي ناقدا لعيوبه ومحاسنه ناظرا إليه بعين الأديب المرهفة الحساسة.

المبحث الثاني: دراسة الظواهر الفنية:

لم يكن الغرض من الكتابة الأدبية مجرد إبراز الحقائق وبث الأفكار؛ بل الهدف الأساس هو قوة التأثير وأثرها في نفس القارئ أو السامع لتنفعل جميع حواسه وتثار كل عواطفه ومتى استطاع الكاتب فعل ذلك فقد بلغ المراد وهو الإفادة والتأثير.[٦٥]

١-المعجم اللغوي:

امتاز أدب العتابي بالثراء اللغوي فقد كان له معجم لغوي مليء بالألفاظ الموحية العذبة التي تنساب على السامع كالماء العذب لحلاوتها وطرواتها. ويمكننا أن نجعل تلك الألفاظ التي وردت في نقده الاجتماعي في حقلين: الأول : الألفاظ السياسية والثاني الألفاظ الاجتماعية . فمن الالفاظ المتعلقة بالسياسة (السلطان[٦٦]، الوالي[٦٧]، أمير المؤمنين[٦٨]، العدل[٦٩]، الاستخلاف[٧٠]، الرعية[٧١]، الإمامة[٧٢]) وأما الالفاظ الاجتماعية فمنها: (الأخوة[٧٣] ، المرؤة[٧٤] ، الأخيار[٧٥] ، العشيرة[٧٦]، القرابة[٧٧] ، المودة[٧٨] ، العذر[٧٩] ، التجافي[٨٠] ، البشر[٨١] ، الخصوم[٨٢] ، الحلوم[٨٣]) . وقد تمكن العتابي من تطويعها في سياق أدبي أقرب مايكون إلى الشعر من النثر.

٢-الإيقاع الموسيقي :

لاريب أن الايقاع الموسيقي سمة مهمة وضرورية في الشعر حتى أن النقاد جعلوا من الايقاع الموسيقي حدا فاصلا بين الشعر والنثر ، وإذا ما حاول الكاتب ((أن يخرج عن هذا الحد ، ويتجاوز هذه المعادلة ، طمعاً في ابتكار وإبداع ، وأملًا في تميز يرجوه على الأنداد ، وقع في المحظور)).[٨٤]

وفي العصر العباسي تزاحم الكتاب في مذهبين مختلفين في النثر العربي، مذهب اتجه فيه الكتاب نحو الايقاع الموسيقي باي ثمن، فتكلفوا الألفاظ في غير موقعها وتمسكوا بالسجع والازواج فجاروا على المعاني، فيما اتجه آخرون نحو الترسل، ويقوم هذا المذهب على الترسل الطبيعي وهو الإيجاز والإرسال وعدم الإكثار من السجع والازدواج إلا ما جاء عفو الخاطر وفي الحكم والأمثال. وهذا الأسلوب يقوم على

((إرسال الكلام دون تقيد بازدواج أو توازن فلا يخرج بذلك عن الأسلوب العام في القرن الأول)).[٨٥]وهناك صنف آخر وهو الشعراء المترسلين أمثال العتابي اختاروا الوسطية بين هذين المذهبين.[٨٦]

ومن الأمثلة على ترسل العتابي قوله: ((لما رأيت الأمور العالية مشوبة بالمتالف، اخترت الخمول ضناً مني بالعافية))[٨٧]فقد تخلص من قيود السجع واسترسل في الكلام على سجيته وهي دليل تمكنه وقدرته البلاغية . والعتابي حتى وإن جاء بالسجع في كلامه فإنه يأتي بلا تكلف والمعنى هو الذي يقتضيه وليس العكس فيقول: ((ما رأيتُ الراحةَ إلا مع الخَلْوَة، ولا الأُنسَ إلا مع الوَحشة)) [٨٨] وترى العتابي كيف يجمع بين السجع والإزداج والتوازن بأسلوب حكيم رائع كقوله: ((إنّ قريبك من قرب منك خيره ، وإنّ عمك من عمّك نفعه ، وإن عشيرتك من أحسن عشرتك ، وإن أحب الناس إليك أجداهم بالمنفعة عليك ولذلك أقول ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم وخبرت ما وصلوا من الأسباب فإذا القرابة لا تقرب قاطعا وإذا المودة أكبر الأنساب))[٨٩]. فقد وازن هنا بين الفقرات مع تنويع السجعات وعدم الخضوع لسيطرة الوزن على مفاصل الفقرات .

٣-الجناس والطباق :

لقد أبدع العتابي في استعمال المحسنات البديعية من الجناس ففي قوله مخاطبا المأمون: ((ياأمير المؤمنين الإيناس قبل الإبساس إنَّ المرء لا يحمد أول أمره على صواب، ولا يذم على خطأ))[٩٠] جانس بين اسم وآخر وهو (الإيناس والإبساس) وقابل بين جملتي (يُحمد على صواب ، ويُذم على خطأ). ومرة يجانس بين الاسم والفعل كقوله ((شر الإخوان مَنْ إذا وجد مادحاً مدح، وإن وجد قادحاً قدح))[٩١]. فجانس بين (مادح) و(مدح) وبين (قدح) و(قادح). وفي قوله: ((إنّ قريبك من قرب منك خيره، وإنّ عمك من عمّك نفعه))[٩٢] جانس بين الأسماء والأفعال (قريبك –قَرُبَ) و(عَمّكَ – عَمّك).

ومن الطباق الخفي قوله :((ما أحوجك إلى أخ كريم الأخوة، .... وإذا نكرت عرفك، وإذا جفوت لاطفك، وإذا بررت كافأك،)).[٩٣] فالنكران والتعريف والجفوة والملاطفة كلها معان متضادة قد أحسن العتابي في الجمع بينها .

٤- التكرار:

والتكرار في النثر يخلق ايقاعًا موسيقيا يتناغم مع الفواصل السجعية، وقد يكون بالكلمات أو بالحروف فمن أمثلة التكرار قوله :((ماأحوجك إلى أخ كريم الأخوة، كامل المروءة،، وإذا غبت خلفك، وإذا حضرت كنفك، وإذا نكرت عرفك، وإذا جفوت لاطفك، وإذا بررت كافأك، وإذا لقي صديقك استزاده لك)) [٩٤] فقد أسهب العتابي في تكرار (إذا) الشرطية في هذه الجمل المتلاحقة (إذا غبت ، إذا حضرت ، إذا نكرت) فلو لم يكرر أداة الشرط لفقد الكلام رونقهُ وأصابَ المعنى السقم .

وهناك التكرار الحرفي للتقسيم ويعتمد على تكرار بعض حروف الشائعة في التقسيم مثل : (إما ، الواو ، إن وغيرها) وتبرز أهمية هذا التكرار من ((خلال استيفاء المعنى، وإشباع الفكرة ، ولا يتأتى ذلك إلا بالتفصيل ، وهذا النوع بخاصيته هذه أقرب إلى طبيعة النثر منه إلى الشعر ، فهو من السمات الأصيلة في المنثور ، ولعله انتقل منه –بعد ذلك – إلى الشعر))[٩٥] ومن ذلك قوله ((العجب ضربان مفترض ومطرح، فأما المفترض فأن يعلم الإنسان نعم الله سبحانه عليه ، ويفرح بإحسانه إليه؛ وأما المطرح فعجب الاستطالة الذي نهى الله عنه))[٩٦].

٥-التأثر بعلم الكلام:

كان العتابي كما ذكرنا سابقا على صلة بالمعتزلة[٩٧]، وهناك أشعار له نستشف منها ميلاً نحو الاعتزال

إني لأخفى من علي جواهره كي لايرى العلم ذو جهل فيفتتنا[٩٨]

ورب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي انت يعبد الوثنا

ولاستحل رجال دينون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وقد تقدم في هذا أبوحسن أوصى حسينا بماقد خبّر الحسنا

فـ (الجوهر) و(الحسن) من ألفاظ علم الكلام. وفي نثره نجده هذا التأثر جليا في استعمال الألفاظ وفي الأسلوب فيقول: ((وأصل اختلاف العباد في جميع الأمور من علتين: إما جهل بما يدعون، وإما جحد لما يعرفون، والجاهل بما يدعي أرجى رجعة من الجاحد لما يعرف، وإن كان لا عذر له في ترك علم ما

يجهل، كما لا عذر لأحد في جحد معروف)).[٩٩] فهنا نجد ألفاظ (العلة) و(الأصل) و(العلم) و(الجهل) وكلها من الألفاظ التي تدور على لسان المتكلمين. كذلك أسلوبه في عرض الفكرة وتدرّجه في بيان أجزائها وتسلسلها .

٦-الصور البيانية:

في نثر العتابي صور بيانية رائعة تسجد بلاغته التي كانت أشبه بالأمثال والحكم التي تصور عظمة ثقافته وطول باعه في الأدب فلو طالعنا قوله: ((إني وجدت مكابدة العفة أيسر علي من الاحتيال لمصلحة العيال)).[١٠٠] تجد صور كنائية رائعة في بيان طلب الحاجة والمسألة والسعي من أجل تربية الأبناء فقد اختزل هذا المعنى في ثلاث كلمات فقط (الاحتيال لمصلحة العيال) وهذا هو لب البلاغة التي تسعى نحو الإيجاز والاختصار. وفي موضع آخر يقول: ((مجالسة الجاهل مرض العقل))[١٠١] فيصور لنا مقدار الضرر الذي يلحق بالانسان بسبب مصاحبة الجاهل بما يؤدي إلى أن يمرض العقل ، والعقل أمر معنوي فقد أسند إليه مجازا المرض وهذه الصورة المجازية تعطيك انطباعا تحذيرا عن اتخاذ الجاهل صاحبا أو صديقا .

النتائج:

في نهاية البحث توصل الباحث إلى النتائج المهمة الآتية :

١- إنّ نمطاً من نقد العتابي كان مبطنا وغير مباشر وأتى على شكل نصائح وحكم اجتماعية ولاسيما نقده للحاكم .

٢- اتضح لنا في نقد العتابي للسلطة أنه يمتلك عقلية سياسية في التعامل بين الراعي والرعية .

٣- كان العتابي قد سلك المنهج الملتزم في أدبه إذ إنه سخّر فنه الأدبي في خدمة قضايا مجتمعه.

٤- لم يكن نقد العتابي مقتصرا على الظواهر السلبية في المجتمع ؛ بل نقد الظواهر الاجتماعية الايجابية وحثّ على التمسك بها.

٥- إنّ النقد الاجتماعي في نثر العتابي ينطلق من مبادىء وتوجهات إسلامية وهي تنسجم مع تعاليم القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة.

٦- ان نقد العتابي بدت عليه ملامح التأثر بعلم الكلام بسبب صلته بالمعتزلة .

٧- كان نقده الاجتماعي في قسم منه يحمل نظرة متشائمة ؛ لذا وجدناه يتجه نحو العزلة الاجتماعية.

٨- سخر العتابي إمكاناته البلاغية من محسنات بديعية وتكرار وغيرها لإيصال الخطاب إلى المتلقي وحثه بصورة مباشرة وغير مباشرة نحو الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة .

٩- دعا العتابي إلى قيم اجتماعية متحضرة جديدة بحكم كونه من أبناء الحاضرة العباسية.

١٠-تبين للباحث أن العتابي يمتلك خزينا لغويا وثروة من المفردات في مختلف المجالات والسبل .

الهوامش:

---

١ وهو من أهم نقاد سوسيولوجيا الأدب في فرنسا ، وهو مؤلف كتابي (الإله المستتر)عام ١٩٥٥ و(لأجل سوسيولوجيا الرواية) ١٩٦٤م .ينظر : النقد الأدبي المعاصر ، أن موريل ، ترجمة : محمد الزكراوي : ٦٤.

٢ المصدر نفسه : ٦٤.

٣ ينظر : الحضور والمثاقفة (المثقف العربي وتحديات العولمة) ، محمد محفوظ : ٤٦.

٤ النقد الاجتماعي ، بيير زيما : ١٩.

٥الأدب والمجتمع ، صبري حافظ : ٩٥ ، مقالة في مجلة فصول ، المجلد ٤٤/ العدد ٢.

٦ المصدر نفسه : ٧٥.

٧النص والمجتمع ، بيير زيما : ١٧.

٨ النقد الاجتماعي ، بيير زيما : ١٢.

٩ مناهج النقد الأدبي المناهج الكلاسيكية ، محمد دحروج : ٢٨٩

١٠ ينظر: الأغاني ، الأصبهاني : ٧٤/١٣، وزهر الآداب ، الحصري القيرواني : ٥١/٣ ومابعدها ، تاريخ مدينة السلام ، الخطيب البغدادي : ١٤/ ٥١٥ ومابعدها.

١١ ينظر : النجوم الزاهرة ، الأتابكي : ١٨٦/٢.

١٢ ينظر : معجم الشعراء ، المرزباني : ٢٩١ ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان : ١٢٢/٤.

١٣ ينظر : تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ت.ج.دي بور : ٢١.

١٤ ينظر : العتابي حياته وأدبه ، مسعد بن عيد بن مسعدة العطوي : ٢١.

١٥ ينظر : النجوم الزاهرة : ٢/ ١٨٦.

١٦ ينظر: بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، ابن طيفور : ٨٧.

١٧ أمالي ابن المزرع ، يموت ابن المزرع : ٥١. وينظر : العتابي حياته وما تبقى من شعره : ٤١١.

١٨ ينظر : تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، شوقي ضيف : ٤١٩

١٩ ينظر : وفيات الاعيان : ١٢٢/٤، تاريخ مدينة السلام : ٥١٦/١٤.

٢٠ينظر : زهر الآداب : ٦٢١.

٢١ ينظر : معجم الشعراء : ٢٤٤.

٢٢ وفيات الأعيان : ١٢٢/٤، تاريخ مدينة السلام : ٥١٥/١٤-٥١٦، النجوم الزاهرة : ٢٠٦/١.

٢٣العقد الفريد : ١٦٥/٣.

٢٤ جمهرة الأمثال، العسكري :٤٦٢/١.

٢٥ البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي : ٧/ ٢٦.

٢٦ العقد الفريد : ٢١٢/١.

٢٧ البصائر والذخائر : ٤/ ٢٠٠.

٢٨ طبقات الشعراء ، ابن المعتز :٢٦١.

٢٩كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري : ١٦١.

٣٠ ينظر : التداوليات وتحليل الخطاب ، د جميل حمداوي : ١٢.

٣١ لباب الآداب ، أسامة بن منقذ : ٥٥.

٣٢ الكافي ، الكليني : ١/ ٤٠٧.

٣٣سورة النساء : ٥٨.

٣٤ ميزان الحكمة ، محمد الريشهري : ١٨٤١/٣.

٣٥ شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١٧/ ٣٢.

٣٦ المصدر نفسه : ٨/ ٢٦٣.

٣٧ الصداقة والصديق ، أبو حيان التوحيدي : ٤٤ .

٣٨ غرر الخصائص الواضحة ، الوطواط : ٥٣٦.

٣٩ المصدر نفسه : ٥٩٨-٥٩٩ .

٤٠ ينظر : جمهرة الأمثال : ٥٦٤/١.

٤١ الأغاني : ٧٩/١٣.

٤٢ تاريخ مدينة السلام : ٤٨٨/١٢ . ٤٩١.

٤٣ لسان العرب ، ابن منظور : مج ٤٧٩٣/٦، مادة (ودد)

٤٤ البصائر والذخائر : ١٦٢/٥.

٤٥ سورة فاطر : ٢٨.

٤٦ سورة المجادلة : ١١

٤٧ سورة الزمر : ٩

٤٨صحيح الجامع الصغير ، الألباني : ١٠٧٩.

٤٩ ربيع الأبرار/الزمخشري :٢٥/٢ .

٥٠ الصداقة والصديق ، أبو حيان التوحيدي : ٣٤.

٥١ الأغاني : ٧٩/١٣.

٥٢ ينظر : لسان العرب : مادة (بشر) ، ٣/ ٢٨٦-٢٨٧.

٥٣ تاريخ مدينة السلام : ٥١٦/١٤.

٥٤ سورة آل عمران : ١٥٩.

٥٥ربيع الأبرار ، الزمخشري: ١/ ٤٢٨.

٥٦ المصدر نفسه : ٤٢٩/٢.

٥٧ الصداقة والصديق : ١١٠.

٥٨ نثر الدر، الآبي : ٧/ ٨١.

٥٩ينظر : لسان العرب مادة (طيش)، ٢٧٣٨/٣١_٢٧٣٩.

٦٠ ربيع الابرار، : ١٧٦/٤ .

٦١ شرح نهج البلاغة: ٢٢٩/١٩.

٦٢ ينظر دقائق التصريف ، ابن سعيد المؤدب : ٢٣٣.

٦٣ الصحاح ، الجوهري : مادة (فلس) ٨٩٩.

٦٤ لسان العرب :مج ٥ / ٣٤٦٠ (مادة فلس) .

---

٦٥ ينظر : بلاغة الكتاب في العصر العباسي : ٩٠.

٦٦ينظر : العقد الفريد : ٢١٢/١.

٦٧ينظر: البصائر والذخائر : ٤/ ٢٠٠.

٦٨ طبقات الشعراء ، ابن المعتز :٢٦١.

٦٩ لباب الآداب ، أسامة بن منقذ : ٥٥.

٧٠المصدر نفسه : ٥٥.

٧١لباب الآداب ، أسامة بن منقذ : ٥٥.

٧٢ الكافي ، الكليني : ١/ ٤٠٧.

٧٣ الصداقة والصديق ، أبو حيان التوحيدي : ٤٤ .

٧٤ المصدر نفسه : ٤٤ .

٧٥ غرر الخصائص الواضحة ، الوطواط : ٥٣٦.

٧٦ تاريخ مدينة السلام : ٤٨٨/١٢ . ٤٩١.

٧٧ المصدر نفسه: ٤٨٨/١٢ . ٤٩١.

٧٨ المصدر نفسه: ٤٨٨/١٢ . ٤٩١.

٧٩ الأغاني : ٧٩/١٣.

٨٠ المصدر نفسه : ٧٩/١٣.

٨١ تاريخ مدينة السلام : ٥١٦/١٤.

٨٢ نثر الدر، الآبي : ٧/ ٨١.

٨٣ المصدر نفسه: ٧/ ٨١.

٨٤ النثر الفني عند الشعراء المترسلين : ٢٢٦.

٨٥ تطور الاساليب النثرية : ١٥٦.

٨٦ ينظر : النثر الفني عند الشعراء المترسلين : ٢٢٦.

٨٧ البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي : ٧/ ٢٦.

٨٨العقد الفريد : ١٦٥/٣.

٨٩ تاريخ مدينة السلام : ٤٨٨/١٢ . ٤٩١.

٩٠طبقات الشعراء ، ابن المعتز :٢٦١.

٩١ المصدر نفسه : ٥٩٨-٥٩٩ .

٩٢ تاريخ مدينة السلام : ٤٨٨/١٢ . ٤٩١.

٩٣ الصداقة والصديق ، أبو حيان التوحيدي : ٤٤ .

٩٤الصداقة والصديق ، أبو حيان التوحيدي : ٤٤ .

٩٥ النثر الفني عند الشعراء المترسلين :٢٦٣.

٩٦ ربيع الابرار، : ١٧٦/٤ .

٩٧ ينظر : التمهيد : ٣.

٩٨ تارخ بغداد ، الخطيب البغدادي : ٤٨٩/١٢.

٩٩(الصداقة والصديق ، أبو حيان التوحيدي : ٣٤.

١٠٠الأغاني : ٧٩/١٣.

١٠١(ربيع الأبرار/الزمخشري :٢٥/٢ .

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. الأغاني ، الأصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسين ت٣٥٦هـ) ، تحقيق : د إحسان عباس ، د ابراهيم السعافين ، بكر عباس ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

٣. الأدب والمجتمع ، صبري حافظ ، مقالة في مجلة فصول ، المجلد ٤٤/ العدد ٢.

٤. الأدب والفن في ضوء الواقعية ، جون فريفل ، ترجمة : محمد مفيد الشوباشي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت
٥. أمالي ابن المزرع ، (أبو بكر يموت بن المزرع العبدي ت٣٠٤هـ) ، تحقيق : ابراهيم صالح ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق – سوريا ، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٦. البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس ت ٤١٤هـ) ، تحقيق : د. وداد القاضي : دار صادر ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
٧. البخلاء ، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ) ، تحقيق : طه الحاجري ، طبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٨م.
٨. بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب المعروف بابن طيفور (٢٨٠هـ) ، مكتبة المثنى –بغداد ، مكتبة المعارف – بغداد ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
٩. بلاغة الكتاب في العصر العباسي (دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب) ، د محمد نبيه حجاب ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
١١– تاريخ مدينة السلام ، الخطيب البغدادي (أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق : د بشار عواد معروف ، مطبعة دار الغرب الإسلامي ، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٢– تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، شوقي ضيف ، طبعة دار المعارف ، مصر ط٦. د.ت.
١٣– تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ت.ج. دي بور ، ترجمة : د.محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، د.ت.
١٤– التداوليات وتحليل الخطاب ، د جميل حمداوي ، مكتبة المثقف ، ط١ ، ٢٠١٥م.
١٥–تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٧، ١٩٨٢م.
١٦– جمهرة الأمثال ، أبو هلال(الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش ، الناشر : دار الفكر ، ط٢ ، ١٩٨٨م.
١٧–الحضور والمثاقفة (المثقف العربي وتحديات العولمة) ، محمد محفوظ ، المركز الثقافي ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٠م.
١٨–دقائق التصريف ، أبو القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (ت٣٢٨هـ)، تحقيق صالح الضامن ، مطبعة دار الشام للطباعة ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

١٩-ربيع الابرار، الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق : عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٢٠- زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني (أبو اسحاق ابراهيم بن علي ت٤٥٣هـ)، تقديم وشرح : د صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢١- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد(ت ٦٥٦هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الجيل ، بيروت –لبنان ، ط٢ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٢٢- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)– الجوهري (أبو نصر اسماعيل بن حماد ت ٣٩٨هـ) راجعه واعتنى به د. محمد محمد تامر ، أنس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة – مصر ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٢٣- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ،محمد ناصر الدين الألباني(ت ١٩٩٩م.) ، المكتب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢٤- الصداقة والصديق ، أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس ت ٤١٤هـ) ، تحقيق : د ابراهيم الكيلاني المطبعة العلمية ، الناشر : دار الفكر ، دمشق – سوريا ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢٥- طبقات الشعراء ، عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (ت ٢٩٦هـ) ، عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ، مصر ، ط٤، د.ت.

٢٦- العتابي أديب تغلب في العصر العباسي ، د أحمد محمد النجار ، دار الفكر العربي للطبع والنشر ، القاهرة – مصر، ط١، ١٩٧٥م.

٢٧- العتابي حياته وما تبقى من شعره ، د ناصر حلاوي ، مجلة المربد ، العدد ٢-٣ ، السنة الثانية ، ١٣٩٨هـ-١٩٦٩م.

٢٨- العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي (أحمد بن محمد ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق : د مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

٢٩- غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائض الفاضحة ، الوطواط (أبو اسحاق جمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى الكتبي ت٧١٨هـ) ، ضبطه وصححه وعلق عليه : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠٨م.

٣٠- الكافي ، ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (ت٣٢٩هـ) ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، مطبعة حيدري ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ، تهران ، ط٥ ، ١٣٦٣هـ . ش .

٣١- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر،أبو هلال(الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٢- لباب الآداب، أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار السنة السلفية للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٣- لسان العرب ، ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت٧١١) ، تحقيق : الاساتذة عبد علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، طبعة دار المعارف ، د.ت .

٣٤- معجم الشعراء ، المرزباني (أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى ت٣٨٤هـ) ، تحقيق : د . فاروق اسليم ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.

٣٥- مناهج النقد الأدبي المناهج الكلاسيكية ، محمد دحروج ، دار البداية ناشرون ومزوعون ، عمان – الأردن ، ط١ ، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

٣٦- ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، مطبعة دار الحديث ، ط١ ، ١٣٧٥هـ . ش .

٣٧- نثر الدر في المحاضرات ، الآبي (أبو سعيد منصور بن الحسين ت٤٢١هـ) ، تحقيق : خالد عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ت.

٣٨- النثر الفني عند المترسلين من الشعراء في القرن الثالث الهجري ، أحمد سعيد أحمد الزهراني ، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٧هـ .

٣٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الأتابكي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والترجمة والنشر ، د.ت.

٤٠- النص والمجتمع (آفاق علم اجتماع النقد)، بيير زيما ، ترجمة : انطوان أبو زيد ، ، المنظمة العربية للترجمة ، الناشر : مركز الوحدة العربية ، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

٤١- النقد الأدبي المعاصر (مناهج اتجاهات قضايا) ، أن موريل ، ترجمة : ابراهيم أولحيان ، محمد الزكراوي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة – مصر ، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٢- النقد الاجتماعي ، بيير زيما ، ترجمة : عايدة لطفي ، مراجعة : د أمينة رشيد ، د سيد البحرواي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ط١، ١٩٩١م.

٤٣- وفيات الأعيان ، ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكرت ٦٨١هـ) ، تحقيق : د إحسان عباس ، دار صادر بيروت – لبنان ، ١٩٧٢.

مشكلات فهم المصطلح التداولي عند طلاب الدراسات العليا في العراق

أ.م.د. خالد توفيق مزعل
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

المقدمة:

لعلَّ من الثوابت التي لا يكاد يختلف عليها اثنان من الباحثين في شتى العلوم أنَّ المسار الأظهر في المعرفة هو المسار التراكمي. فكلما تقدمنا خطوة الى الأمام مع الزمن نجد دينامية المعرفة عند الانسان تتفتق في صورة اتجاهات ونظريات يضطلع بها أعلام، فيسكُّون لها مصطلحات تختزل المفاهيم، وتغدو متداولة بين أرباب الاختصاص، تنتقل من جيل الى آخر. وهذه هي حال الدراسات اللغوية؛ فبعد مرور أكثر من نصف قرن هيمنت فيه النظريات البنيوية على مسار الدرس اللغوي الى جانب التوليدية التحويلية، أدرك اللغويون بتأثير من فلاسفة تيار أكسفورد في الفلسفة التحليلية، فتجنشتاين، أوستن، سيرل، وغيرهم ضرورة الالتفات نحو المتكلم والكلام الذي أهملته البنيوية ونظيراتها، فوجدوا في التداولية سبيلا الى ذلك؛ بوصفها واحدة من الاتجاهات الرئيسة في مجال (تحليل الخطاب). فعرفوا أنواعها، وتبنوا نظرياتها، وعملوا بمصطلحاتها وأدواتها التحليلية، حتى أصبحت تلك النظريات والمصطلحات جزءًا من الدرس اللساني واتجاهًا له أعلامه وسياقاته في التنظير والتطبيق؛ ومن ثم غدت فرعًا من فروع اللسانيات تُعرَف بـ(اللسانيات التداولية).

وصلت إلينا هذه النظريات بما تحمله من أدوات ومصطلحات عن طريق الترجمة، فطفق الباحثون العرب– ومنهم طلاب الدراسات العليا– يسعون الى تحصيل المعرفة وممارستها في هذا الفرع اللساني الجديد، فأصاب بعضهم في فهمها وممارستها تنظيرًا وتطبيقًا، وأخفق بعضهم الآخر. فكان لهذا الإخفاق أثره في الأجيال التالية؛ وظهرت آثاره عند طلابنا في الدراسات العليا في صورة من الممكن أن نصفها بأنها سوء فهم للمصطلح التداولي ناتج عن أسباب كثيرة، منها الأخذ عن الآخر من دون تمحيص، والوهم في استبدال المصطلح التداولي بآخر من الموروث العربي أو معادلته به، والترجمة السيئة لكثير من المصطلحات التداولية، وتحميل المصطلح التداولي أكثر مما يحتمله، وغير ذلك من الأسباب التي قد يطول بها المقام

هنا. ولكن ما يهمنا أنَّ هذه الأسباب ولَّدت عند الطلاب مشكلات أخذت تتواتر من جيل الى آخر وما زالت مستمرة، ولا بد للباحثين من التنبيه عليها؛ كي لا يتفاقم أمرها أكثر، فيعسر حلها إذا ما نشأ جيل واهم بأسره. وبناءً على ذلك تجلت مشكلة البحث من الناحية العلمية في عنوانه (مشكلات فهم المصطلح التداولي عند طلاب الدراسات العليا في العراق). واعتمد البحث على تقصي نماذج من تلك المشكلات؛ لأنَّها كثيرة ومتشعبة قد تصل الى مؤلف ضخم؛ ومن ثم لا يسعها هذا البحث.

اعتمد البحث منهجًا وصفيًا وإحصائيًا في الوقت نفسه؛ فقسمت المادة على مدخل وثلاثة مباحث، تلتها خاتمة بأهم النتائج التي خلص إليها البحث. أما المدخل فقد سلط الضوء على المشكلة الرئيسة عند طلاب الدراسات العليا، وهي عدم تفريقهم بين أنواع التداولية وخلطهم فيما بينها. وفي المبحث الأول وقف البحث على نماذج من مشكلات فهم المصطلح في التداولية الخطية. أما المبحث الثاني فقد عُنيَ بمشكلات فهم المصطلح في التداولية المعرفية (الادراكية)، ثم عني المبحث الثالث بمشكلات فهم المصطلح في التداولية المدمجة. تلا ذلك خاتمة بأهم النتائج.

مدخل: مشكلة أنواع التداولية عند طلاب الدراسات العليا:

كان من أبرز الملاحظ التي عنَّت لي في أثناء مناقشاتي رسائل الماجستير والدكتوراه في مجال التداولية، أنَّ طلابنا في الجامعات العراقية تبدأ مشكلات فهم المصطلح التداولي عندهم إما من جهلهم بأنواع التداولية، وإما بالخلط بين تلك الأنواع في خصوصياتها ومصطلحاتها؛ فكثير من الطلاب يتفاجأ إذا ما سُؤل عن أنواع التداولية، وإلى أيِّها ينتمي بحثه. ولعل هذا الأمر لم يكن محض صدفة؛ بل هو نسق متواتر في الفهم على صعيد التنظير التداولي والتطبيق، يكاد يطغى على كثير من الرسائل والبحوث؛ لأنَّ هذه الرسائل بعضها يعتمد على بعضها الآخر ويأخذ عنه من غير تفكر وتمحيص. والشيء نفسه يقال عن بحوثهم في مجال التداولية.

فالتداولية إحدى مقاربات (تحليل الخطاب) من زاوية الاستعمال اللغوي عند المتكلم، وفهم مقاصد الاستعمال اللغوي من جانب المتلقي. لذا هي أربعة أنواع[1] صُنِّفت على أساس نظرياتها:

١- التداولية الخطية.

٢- التداولية المعرفية (الادراكية).

٣- التداولية المدمجة.

٤- التداولية العابرة للثقافات.

والمشكلة أنَّ كثيرا من طلاب الدراسات العليا في العراق يجهلون هذه الأنواع، وإذا كانوا قد عرفوها فإنهم يجهلون السمات الفارقة بينها؛ إذ إنَّ لكل نوع من هذه الأنواع سمات فارقة عن الأخرى التي قد تصل الى حد التناقض والرفض فيما بينها على صعيد المصطلح، والأدوات التطبيقية، والمنهج المتبع في التحليل التداولي؛ فهي تختلف من نظرية الى أخرى، ومن جيل الى جيل آخر من أعلامها.

وقبل الشروع بالوقوف عند المشكلات الأخر، لا بد من القول بأنَّ مشكلات فهم المصطلح التداولي قد ظهرت في الأنواع الثلاثة الأولى؛ فالنوع الرابع ما يزال حديث العهد في الوطن العربي؛ إذ لم تُنجز فيه رسالة أو كتاب مؤلف أو مترجم سوى رسالة تلميذي (ذو الفقار حسن هادي) بعنوان (إشكالية التواصل في اللسانيات التداولية العابرة للثقافات)، وقد أشرفت عليها، وحصل بها الطالب على درجة الماجستير من كلية الآداب في جامعة الكوفة سنة ٢٠١٩م. لذا سأقف على مشكلات فهم المصطلح التداولي في نماذج من هذه الأنواع عند الطلاب على النحو الآتي:

المبحث الأول: مشكلات فهم المصطلح في التداولية الخطية:

يعود هذا النوع من التداولية في جذوره الى الفلسفة التحليلية والوضعية المنطقية عند كارناب وفريجه وبيرس ومورس. وقد سميت بهذا الاسم؛ لأنَّ تحليل الخطاب فيها يسير في مراحل تراتبية ثلاث يتلو كل منها الآخر؛ فالتحليل التركيبي يسبق التحليل الدلالي، والتحليل الدلالي يسبق التحليل التداولي. وكل النتائج التي تتمخض عن التحليل التركيبي تعد مدخلا للتحليل الدلالي، وتمثل نتائج التحليل الدلالي مدخلا للتحليل التداولي. أما نتائج التحليل التداولي، فمن غاياتها أن تصف ما ينجزه القول من عمل[٢].

ويضم هذا النوع من التداولية نظريتين رئيستين هما: نظرية الأفعال الكلامية، ونظرية المشيرات التداولية.

أولا: مشكلة ادخال النداء في التوجيهيات من الأفعال الكلامية

ظهرت هذه المشكلة عند طلاب الدراسات العليا في أنهم جعلوا النداء من الأفعال الانجازية التوجيهية[٣]، في حين أنه أحد المشيرات الشخصية personal deixis في التداولية.

ولو بحثنا عن سبب هذا الخلط نجده يكمن في توهم بعض الطلاب في فهم حدود أفعال الكلام نفسها؛ فلا يخفى على المحيط بالأفعال الكلامية أنَّ هناك صنفًا منها هو (التوجيهيات) أو الموجهات directives، وهذه الأفعال يسعى بها المتكلم الى حث المتلقي على إنجاز أمر معين؛ لأنَّ نجاحها يتوقف على ذلك، فيحاول المتكلم أن يجعل العالم ملائما للكلمات عن طريق المتلقي[٤]، وأبرزها في النظرية الانجازية: الأمر، والنهي، والاستفهام. وهي بعضٌ ممَّا يُعرف عند علماء العربية بأساليب الطلب، فضلا عن أساليب أخر منها (النداء)[٥]. ولما كان الأمر كذلك، لم يلتفت الطلاب الى الفرق بين النداء وأساليب الطلب الأخر من حيث (المحتوى القضوي، والغرض الانجازي)، وظنوا أنَّه من الانجازيات. بيد أنَّ الأمر ليس كذلك؛ فقد التفتت الدكتورة نرجس باديس الى اختلاف النداء على صعيد الاستعمال التداولي عما هي عليه أساليب الطلب في العربية؛ فوضعته في المشيرات التداولية[٦]. ولعلَّ ذلك الأمر لم يغب عن أذهان علماء العربية قديمًا وحديثًا؛ قد أشار الى خصوصية النداء من قبل الدكتور الأوسي حينما ذكر ما ذهب إليه سيبويه ومن تبعه من علماء العربية بأنَّ النداء ((ليس مقصودًا بالذات، بل هو لتنبيه المخاطب ليصغي الى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له، فأنت تلجأ الى النداء لتنبيه المخاطب وعطفه عليك؛ حتى تختصه من بين الناس بأمرك، أو نهيك، أو استفهامك، أو خبرك))[٧]. نفهم من هذا أن وظيفة النداء ليست الإنجاز، بل افتتاح الكلام؛ لتوجيه المتلقي كي ينجز أمرًا معينًا سيأتي بعد النداء، ومن ثم هو غير مقصود، بل ما يأتي بعده هو المقصود على صعيد الأفعال الكلامية (الانجازية). ولا يخفى أمر اطراد هذا الأسلوب في كلام العرب، وعلى وجه أدق في الخطاب القرآني (كتاب العربية الأكبر) من حيث مجيء الأمر أو النهي أو الاستفهام يحمل المحتوى القضوي والغرض المراد إنجازه بعد النداء، ومنه قوله تعالى في الأمر ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة))[٨]، وقوله في النهي بعد النداء ((يا أيها الذين آمنوا لا

ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي))[٩]. وقوله تعالى في الاستفهام ((يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم))[١٠].

من هنا شبَّه النحاة العرب القدماء المنادى باسم الإشارة، معللين ذلك بقول بعضهم ((إنّ تعريفَ الإشارة إيماءٌ، وقصدٌ إلى حاضرٍ لِتُعَرِّفَه لحاسّةِ النَّظَر، وتعريفُ النداء خطابٌ لحاضر، وقصدٌ لواحد بعينه، فلتقارُبِ معنى التعريفَيْن صارا كالتعريف الواحد، ولذلك شبّه الخليلُ تعريفَ النداء بالإشارة في نحوِ "هذا "وشِبْهِه، لأنّه في الموضعَيْن قصدٌ وإيماءٌ إلى حاضر))[١١]. وقد يكون المائز الأظهر بينهما هو أنَّ النداء إشارة الى شخص حاضر في المقام وليس في الخطاب، فينبه من غفلته قصد إشراكه في الخطاب، في حين أنَّ اسم الإشارة يشير الى غائب عن المقام[١٢].

من هنا يُستعمل النداء تداوليًا بوصفه مشيرًا شخصيًا، واستعماله هنا يتحكم به معيار الجانب النفسي عند المتكلم من حيث علاقته بالمخاطب قربًا وبعدًا نفسيًا، أو (ضعفًا وقوة)[١٣]، فقد يجعل المتكلم المخاطب بعيدًا عنه نفسيًا وليس مكانيًا؛ فيقول للحاضر: يا هذا. أو يا أنت، انكارًا واستهجانًا له. ويجوز أن تقول: أنت، ألا تسمعني؟ من دون أداة نداء. وقد تقول: يا صديقي، إشارة الى قرب الصلة ومتانة العلاقة بينكما، ويظهر قرب الصلة في هذا النمط من المشيرات الشخصية (النداء) على أتم وجه في العلاقات الأسرية، ولاسيما في خطاب الأب والابن، ومنه قوله تعالى ((يا بُنيَّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين))[١٤]، وقوله ((يا أبتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك سراطا سويا))[١٥]. في حين تقول: يا فلان أو قد تقول: فلان، مباشرة، وتريد بها استقطابه نحوك، ومنه قوله تعالى ((يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون))[١٦]، وقوله ((يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك))[١٧]. أو قد تريد بيان بعد المسافة النفسية بينكما عن طريق ازدرائه والتقليل من شأنه بأن تناديه باسمه وليس بلقبه المعروف أو صفته، ومنه قوله تعالى حكاية على لسان آزر عم إبراهيم ((أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنتهِ لأرجمنك))[١٨]، وقوله ((يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد))[١٩].

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أنَّ المشيرات التداولية لا تقتصر على أسماء الإشارة، بل تتعداها الى الضمائر الشخصية (أنا، أنت، هو، هي، هم، هن، أنتم، نحن)، فهذه هي الأخرى تُستعمل تداوليًا على أساس معيار الجانب النفسي عند المتكلم، وهي تشبه النداء في استعمالهِ مشيرًا تداوليًا؛ لذا خلصت الدكتورة باديس الى ((أنَّ أقوى درجات الاتصال بين المتكلم والمخاطَب تتجلى في حال حذف النداء والاستغناء عنه... فالعلاقة (أنا وأنت) تدل على أنَّ ما بين المتكلم والمخاطب علاقة قديمة تُتوَّج بالتخاطب... فعمل التلفظ بالنداء يعرِّف المخاطِب المتكلم والمخاطَب، فلا يلتبس عليه استعمال (أنا أو أنت))[٢٠].

نخلص مما تقدم الى أنَّ النداء لا يمكن أن يصنف في التوجيهيات من أفعال الكلام، فهو لا يتضمن محتوى قضويًا، ولا ينجز غرضًا مقصودًا على غرار الأمر والنهي والاستفهام؛ وإذا كان كذلك فهو يخلو من القوة الانجازية والغرض الانجازي التي يُراد بها إحداث تغيير في العالم عن طريق ما ينجزه المتلقي كما هي الأفعال التوجيهية. بل هو صوت أو عبارة تُستعمل في اللغة تداوليًا في بعض سياقات التواصل؛ لتشير إشارة الى نمط العلاقة بين أطراف الخطاب من جهة، وحال المتكلم من الناحية النفسية من جهة أخرى.

ثانيا: مشكلة الخلط بين مصطلحات (الجملة/القول) و (الدلالة/المعنى)

من المصطلحات التداولية التي يقع الخلط فيها عند طلاب الدراسات العليا هو (القول)، فهم يخلطون في أثناء تحليلهم بين مصطلح القول utterance ومصطلح الجملة sentence؛ فيستعملون الجملة ويريدون بها (القول). وثمة فرق بينهما على صعيد الدرس التداولي[٢١]؛ ذلك بأنَّ الجملة مصطلح ينتمي الى النظام اللغوي، في حين ينتمي (القول) الى نظام الخطاب. فالجملة في علم اللغة الحديث من مصطلحات اللسانيات البنيوية والتوليدية التحويلية ((تُحدد أساسًا ببنيتها التركيبية وبدلالتها التي تُحتسب على أساس دلالة الكلمات المكوِّنة لها، وضمن هذا الفهم فإن الجملة كيان مجرد، وهي نتاج نظرية. إلا أنَّ المتخاطبين عند التواصل لا يتبادلون جملًا، بل يتبادلون أقوالًا، وبالفعل، فقول ما يوافق جملة تتممها المعلومات التي نستخرجها من المقام الذي تلقى فيه....فإذا كانت الجملة موضوع اللسانيات، فإن القول موضوع التداولية))[٢٢].

وهذا يجعل من الجملة مادة مكتفية بعناصرها اللغوية فقط على صعيد التحليل اللساني. أما القول فهو كلام يخضع لمسارات الاستعمال العرفي لعناصر اللغة في المجتمع بحسب مقاصد المتكلم من جهة وتفسير المتلقي من جهة أخرى. ومن ثم يحتاج القول دائما الى سياقات ملائمة لإنجاز عمل ما به.

ومن تتمة عدم تفريقهم بين الجملة والقول، فهم يخلطون ولا يفرقون بين مصطلحي (الدلالة والمعنى)، فالدلالة أمر مرتبط بالجملة، فهو حصيلة اجتماع الدوال والمدلولات في ألفاظ متعالقة مع بعضها في كيان لغوي أكبر هو (الجملة) على وفق نسق لغوي ثابت منطقيًا. أما المعنى فهو قرين القول؛ لأنَّ ((معنى القول هو دلالة الجملة تضاف إليها الارشادات السياقية أو المقامية))[٢٣]. وهذا يجعل الدلالة حاصل عملية التلفظ فقط، أي هي ما قيل فحسب. في حين يكون المعنى في التداولية هو ما يتم تبليغه[٢٤]. ولا ريب في أن ما قيل يختلف عمَّا تم تبليغه؛ لأنَّ هذا الأخير تقوم عملية فهمه على ملكة الاستدلال عند المتلقي عن طريق عملية التأويل، وبخلافه يفشل القول في إنجاز مقاصد المتكلم.

المبحث الثاني: مشكلات فهم المصطلح في التداولية المعرفية (الادراكية):

تُسمى هذه التداولية بـ(المعرفية: cognitive)؛ لأنها تعتمد على الملكة الاستدلالية عند متلقي الخطاب، وهذه الملكة تعتمد على إمكاناته العقلية من الناحية الإدراكية لمقاصد الخطابات التي ترد في سياقات مختلفة، والكشف عما تحمله في طياتها من غاياتٍ متضمنة فيها. وقد عُرفت هذه التداولية عند رائدها الفيلسوف الأمريكي بول غرايس في نظريته المسماة (الاستلزام الحواري)[٢٥]. ثم تطورت بعد ذلك، وأخذت منحى آخر عند سبيربر وولسون في كتابهما المشترك (نظرية الصلة أو المناسبة).

إنَّ المشكلة الرئيسة التي يقع فيها طلاب الدراسات العليا في هذا الضرب من التداولية أنَّهم لا يدركون أو يتغافلون عن أنَّ مصطلح (الاستلزام الحواري: conversational implicature) هو مصطلح خاص بالمعاني المتضمنة في (الحوارات) المحادثات، ولا يصلح إلا لدراسة النصوص الحوارية مرتبطة بسياقها التواصلي؛ لذا صاغه غرايس بطريقة (فريدة) تختلف عما هو عليه اللفظ الإنكليزي implication الذي يعني التضمين؛ ليشير به حصرًا الى المصطلح التداولي implicature الذي خلص إليه بعد ما يقارب

العشرين سنة قضاها يبحث في المعنى. وقد خلص فيه إلى أربعة أنواع[٢٦] بدءًا بالمعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي[٢٧]. ومن المعنى غير الطبيعي (اللغوي) يتولد عنده المعنى غير الزماني، ومن المعنى غير الزماني يأتي المعنى غير الزماني لقولة كاملة حينما تحتمل أكثر من معنى. والمعنى غير الزماني لقولة غير كاملة، ويعني بها (الكلمة) التي تحتمل أكثر من معنى ضمن قولة كاملة. والمعنى غير الزماني التطبيقي لقولة كاملة، ويعني به (الجملة) حينما ترتبط بإحدى دلالاتها الحرفية في اللغة، وتقتصر عليه، ولا تحتمل سواه. وهكذا يكون قد تكلم على معنى الكلمة، ومعنى الجملة أو القولة.

وعلى صعيد المناسبة التي يقال فيها الكلام يقسم غرايس المعنى على النحو الآتي: معنى القولة في مناسبة معينة. ثم يتحول من القولة الى المتكلم، فيتحدث عن معنى المتكلم في مناسبة معينة. فيكون هنا قد قدم معنيين آخرين عمادهما المناسبة.

فقولنا: هذا حاتم القرن العشرين.

من الممكن أن تُستعمل الجملة بمعنى أنَّ الشخص المشار إليه اسمه (حاتم)، وهو يعيش في القرن العشرين. وهذا هو المعنى غير الزماني (الحرفي) للجملة.

أما إذا استعملت هذه الجملة في مناسبة معينة إيماءً الى الشخص المشار إليه؛ فإنَّها ستتحول الى قولة يراد بها أنَّ هذا الشخص كريم جدًا. وحينئذ سيكون معناها مألوفًا في العرف المستند الى السياق التاريخ للكرم عند العرب وارتباطه بشخص حاتم الطائي.

في حين قد يستعملها المتكلم في مناسبة معينة ويقصد بها أن يصف هذا الشخص بالبخل؛ فتكون حينئذ مبنية على استراتيجية المفارقة التي قصد بها المتكلم التهكم والسخرية من الشخص المعني[٢٨].

والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها قولنا: هذا نابغة المدرسة.

ولا بد من الإشارة هنا الى أنَّ التدرج في أحوال المعنى الذي ذكره غرايس تتابعًا كان المقصود منه لفت انتباهنا الى ضرورة التفريق بين المعنى التداولي وغير التداولي؛ لأنَّنا في حال وصولنا الى المعنى الذي قصده المتكلم في مناسبة معينة، فإنَّ الكلام يكون قد بلغ مرحلة الاستعمال التداولي. وإذا ما استعمل المتكلم

مثل هذا المعنى الضمني في محادثة مع الآخرين يكون قد بلغ مرحلة الاستلزام الحواري؛ وفي هذه الحال فقط ينبغي لنا أن نحلل مقاصده في حواره على وفق نظرية الاستلزام الحواري؛ وهذا يعني أنَّ الاستلزام الحواري عند غرايس استراتيجية خطابية يُستَدَل عليها في الحوار فقط حينما يخرق المتكلم قاعدة من قواعد (مبدأ التعاون) المباشرة والواضحة في التواصل، وهي (الكم، الكيف، الصلة، الأسلوب)[٢٩]، فيستدل المتلقي من هذا الخرق على المعنى المتضمن في القول؛ فيتعرف على مقاصد المتكلم، ويصبح شريكًا له فيها بعدما يأخذ محلَّه في الحوار، ويصبح في موضع المتكلم، فيتبادلان الأدوار، وهكذا دواليك.

أما طلاب الدراسات العليا، فكثير منهم لا يلتفت الى أنَّ هذا المصطلح مركب من كلمتين (استلزام، حواري) تُكمِّل بعضهما بعضًا، فيغفل بعضهم عن نصف المصطلح وهو (الحواري)، ويدرس الجمل والكلمات والعبارات المجردة من سياقها التحادثي (الحواري) في مبحث (الاستلزام الحواري)[٣٠]، وهذا لا يجوز؛ لأنَّها تفتقر الى عناصرها المؤهلة لها كي تُدرس في هذا المبحث، ولاسيما أطراف الخطاب، والوحدات الحوارية المتكافئة بين المرسل والمتلقي.

وبناءً على ما تقدم ينبغي أن يدرك طلابنا أنَّ الاستلزام الحواري مصطلح تداولي يكون سياق عمله (المحادثات) فقط، ولا يجوز لهم اقتطاع الشاهد من سياقه التواصلي، أو أن يأتوا بجمل معزولة عن سياقها. ولاسيما حينما يدرسون الاستلزام الحواري في آيات القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مشكلات فهم المصطلح في التداولية المدمجة:

تُسمى النظريات التي تنتمي الى هذا الضرب من التداولية (النظريات ذات الشكلY)[٣١]. لأنها تقوم على الجمع بين مكونين: أحدهما لغوي والآخر مقامي. أما اللغوي فيقوم على المعلومات التي تأتي عن طريق التحليل اللغوي للجملة (التركيب)، وهذا التحليل من شأنه أن يقود الى ناتج دلالي يمثل مخرجات التحليل اللغوي. في حين يضطلع المكون الآخر بتحليل المعلومات غير اللغوية التي تأتي من السياقات الخارجية والظروف المحيطة بالخطاب. ومن التقاء النتيجة الدلالية التي هي مخرجات التحليل اللغوي، مع النتيجة المقامية ودمجهما معا يتولد معنى القول[٣٢]. فتسمية التداولية المدمجة إذًا معناها دمج الدلالة بالتداولية.

ويتم ذلك على صعيد التحليل بأن يبدأ التحليل بالتركيب اللغوي لاستحصال دلالته، ومن ثم يضاف إليها ويدمج معها المكون الآخر (المقامي)، وهو السياقات الخارجية والظروف المحيطة بالخطاب في وقت إنجازه من زمانية ومكانية وشخصية.

ولا يخفى على المتخصص أنَّ التداولية المدمجة هي أساس نظرية ديكرو و آنسكومبر في الحجاج اللغوي (التداولي)؛ فكانت الغاية من إيراد الحديث في التداولية المدمجة هو رصد المشكلة الرئيسة التي ظهرت عند طلاب الدراسات العليا بسبب إدخالهم (الحجاج البرهاني: المنطقي) بشتى نظرياته في دراساتهم التداولية، على الرغم من أنَّه ليس من التداولية عمومًا ولا من التداولية المدمجة على وجه الخصوص[٣٣]. فهو ينتمي الى اتجاهات أخرَ في الحجاج[٣٤]، ولعلَّ أظهرها اختلاطًا عند طلاب الدراسات العليا ما يُعرَف عند الفلاسفة والمناطقة الغربيين بـ(الحجاج البلاغي) الذي هو تطور عن نظرية أرسطوطاليس في الخطابة. وهي تعتمد الجدل الذي يقوم على الحجج المنطقية، أي البرهان الخارجي الذي يستند الى الثوابت في الوجود الخارجي بوصفها أدلةً قاطعة على صواب حججه؛ ومن ثم هو لا ينتمي الى سياقات الحجاج في اللغة الطبيعية. بخلاف الحجاج في التداولية المدمجة الذي يستمد أدواته من عالم الخطاب الذي تُستَعمل فيه اللغات الطبيعية. من هنا كان حريًا بنا أن نوضح مسار الفرق بينهما؛ كي تتضح مشكلة الخلط بين الاتجاهين عند طلاب الدراسات العليا.

وقد ذكرنا سابقًا أنَّ التداولية المدمجة ظهرت عند اللغويَيْن الفرنسيَيْن ديكرو و آنسكومبر، وبنيت نظريتهما في الحجاج اللغوي على أساسها حينما ذهبا الى أنَّ الوظيفة اللغوية الأساس هي الوظيفة الحجاجية؛ لأنهم وجدوا في نظرية الأفعال الكلامية عند أوستن وسيرل ضالتهم المنشودة في المقولات الأدائية؛ فقالوا إنَّ الملفوظات اللغوية عامة والملفوظ الحجاجي منها على وجه الخصوص ما هو إلا فعل من الأفعال الانجازية المتداولة في لغة التواصل اليومي[٣٥]. وهذا يجعل من الحجاج الوظيفة المركزية في بنية اللغة الطبيعية المتداولة في كلامنا، ومن المعلوم أنَّ آثار هذه البنية ستتجلى في وظيفتها، وهذه الوظيفة من شأنها أن توجِّه سلوكنا التخاطبي مع الآخر.

وبهذا أدخلا دراسة الحجاج: Argumentation ضمن الدرس اللغوي من الناحية التداولية. خلافًا لنظريات الحجاج التي تعتمد البرهان المنطقي القائم على القياس والتمثيل أساسًا في دراسة الحجاج. كما هي الحال عند بيرلمان وزميلته تتيكاه[٣٦]، في كتابهما (مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة) ومن حذا حذوهم. فهذه النظريات تسعى الى تجديد فكرة الجدل الارسطي، ولاسيما في كتابه (الخطابة)، ووضعها بحلة جديدة تحت تسمية (الحجاج: Argumentation). ولا يخفى أنَّ سبب التسمية بالخطابة الجديدة أنَّ الحجاج عند بيرلمان وزميلته يستند إلى صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية أخرى، بطريقة تجعل الحجاج شيئًا ثالثًا، لا هو بالجدل ولا هو بالخطابة، ولكنه (خطابة جديدة). وفيه حاول بيرلمان وتيتيكاه المزج بين الخطابة الأرسطية والجدل الأرسطي في سبيل بناء (الخطابة الجديدة). وهي تُعنى بأساليب توظيف الحجج المنطقية، والتمثيل الاستعاري، والبرهان الخارجي، والقياس، وسواه. ولا ريب في أنَّ جميعها تسعى الى الإقناع عن طريق إقناع الخصم، وحمله على الإذعان للحجج، ومن ثم اقصائه من سياق الخطاب؛ وهذا يجعلها ذات طرف واحد (أحادية التواصل). في حين تُعنى نظرية الحجاج اللغوي التداولي بمظاهر الحجاج في اللغة الطبيعية من جوانب لغوية يضاف إليها السياقات المحيطة بالخطاب. وهي جديرة بإقامة التواصل وعدم الانقطاع بين أطراف الخطاب؛ لأنَّها تسعى الى تداول الحجج مع الآخر بطريقة تفضي الى إقامة سياقات من المعرفة المشتركة بين أطراف الخطاب، وليس فرضها من أجل الغلبة والظفر في الجدال على أساس أنَّ الآخر عاجز عن مجاراتها.

أما مظاهر الحجاج اللغوي التداولي في اللغة فقد حددها ديكرو وآنسكومبر بالآتي[٣٧]:

١- مواطن الحجاجية داخل اللغة.

٢- العوامل والروابط الحجاجية.

٣- السلالم الحجاجية.

٤- الحجاج وتعدد الأصوات.

ويبدو لي بعد هذا التفريق بين الاتجاهين الحجاجيين (الحجاج البرهاني، والحجاج اللغوي التداولي) أنَّ المصطلح (Argumentation) المستعمل في كلا الاتجاهين حمل الدارسين العرب على ترجمته بمفهوم واحد هو (الحجاج)؛ ولاسيما أنَّ الغاية من ضربي الحجاج هي السعي الى (إقناع واقتناع)[٣٨] المتلقي، مع ملاحظة الفارق بينهما. ولم يلتفت الطلاب– بوصف أغلبهم غير متمرسين في الدرس التداولي– الى الفرق بين مفهوم الحجاج اللغوي (التداولي)، ومفهوم الحجاج البرهاني (المنطقي)، واختلاف الغاية في كل واحد منهما. فضلا عن عدم توافر أغلبهم على لغة أجنبية، كالانجليزية والفرنسية؛ كي يتاح لهم الاطلاع بأنفسهم على النظريات الحجاجية في مظانِّها الأصلية؛ لذا اعتمدوا على المترجمات. ولمّا كانت المترجمات هي نفسها تحمل في طياتها هذا الخلط وعدم التمييز، فقد تسرَّب هذا الى طلاب الدراسات العليا[٣٩].

والمشكلة الكبرى أنَّ أغلب طلابنا في العراق يعتمدون في رسائلهم وبحوثهم مرجعًا عربيًا أوقعهم في هذا الخلط، وهو مؤلف الدكتور عبد الهادي بن ظافر الشهري الموسوم (استراتيجيات الخطاب– مقاربة لغوية تداولية). فهذا الكتاب في أصله رسالة حصل بها صاحبها على درجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة الملك سعود في الرياض سنة ٢٠٠٢م، ثم طبعت في دار الكتاب الجديد المتحدة في بيروت سنة ٢٠٠٤م، فانتشرت بين الباحثين في الوطن العربي؛ فظن كثير من الباحثين المبتدئين– ولاسيما من ليست عنده لغة أجنبية– أنَّ هذا الكتاب مقتصر على الدراسة التداولية، وهم لا يدركون الخلط الذي ضمه بين دفتيه بين الحجاج البرهاني والحجاج اللغوي التداولي؛ لسببن: الأول أنَّ الشهري وضع قيدًا لموضوعه (مقاربة لغوية تداولية)؛ فظنوا أنه دراسة تداولية خالصة، واغفلوا العنوان الرئيس (استراتيجيات الخطاب)، والثاني جهل الطلاب بمفهوم التداولية المدمجة عند ديكرو و آنسكومبر اللَّذين أدخلا الحجاج في التداولية.

بيد أنَّ الموضوعية تقتضي هنا أن أنصف الدكتور الشهري في هذا الموضع، فأقول: إنَّ الرجل يبحث في (استراتيجيات الخطاب) وكلا النمطين من الحجاج (البرهاني، والتداولي) يدخل في هذا العنوان، وإن كان ذلك بنسب مختلفة ضيقًا واتساعًا. بيد أننا نأخذ عليه خلطه مظاهر الحجاج اللغوي (التداولي) عند ديكرو وآنسكومبر بالآليات البلاغية التي أخذها من نظريات الحجاج البرهاني متمثلة بآلية (تقسيم الكل الى أجزاء،

الاستعارة، التمثيل، البديع)[٤٠]. وهي ليست من الحجاج اللغوي (التداولي) عند ديكرو وآنسكومبر. ولاسيما أنَّ الشهري حينما تكلم في مبحث ضوابط التداول الحجاجي، كان الضابط الأول منها هو: أن يكون الحجاج ضمن إطار الثوابت، ثم حدد هذه الثوابت بأنَّها المسلمات التي هي غير قابلة للنقاش[٤١]. ولا يخفى ما في هذا الضابط من نزعة منطقية تستند الى البرهان الخارجي الثابت في الوجود، الذي تنتمي فيه الحجج الى وقائع العالم الثابتة التي تعتمد على ملكة المتكلم الاستدلالية في المقام الأول لإثبات حججه والظفر بالجدال. بخلاف الحجاج اللغوي التداولي الذي يستند الى وقائع اللغة الطبيعية المتداولة بما فيها من مرونة وعدم الجزم؛ اعتمادًا على ملكة المتلقي الاستدلالية على مقاصد المتكلم. أما الضابط الثاني فهو: أن تكون دلالة الألفاظ محددة في الحجاج، والمرجع الذي يحيل عليه الخطاب محدد[٤٢]. والمشكلة هنا أنَّ هذا يتناقض مع المنحى التداولي، ولاسيما في المعاني المتضمنة في الأقوال في أثناء التداول، ومنها الحجج والنتائج (المضمرة) التي تُترك للمتلقي أن يصوغها ويستنتجها عن طريق ملكته الاستدلالية. ومن ثم هي استراتيجية خطابية تستقطبه وتشركه في الحجاج ولا تقصيه.

وما يلفت الانتباه بعد ذلك أنَّ الشهري حينما تكلم على (أصناف الحجاج)[٤٣]، قبل خوضه في تقنيات الحجاج. كنا نتوقع أنه سيفرق في هذه الأصناف بين صنفين رئيسين هما الحجاج البرهاني (المنطقي)، والحجاج اللغوي (التداولي). بيد أنَّه ساق لنا مصطلحي (الحجاج التوجيهي، والحجاج التقويمي)، ولم يعد الى الدراسات التداولية، بل عاد الى الدكتور طه عبد الرحمن الفيلسوف والمنطقي المغاربي المعروف، وأخذ هذين الصنفين من كتابه (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي)، وهذا الأخير يأخذ عن كتاب (معيار العلم في المنطق) للفيلسوف العربي أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، وعلى الرغم من علو كعبهما في الدراسات الفلسفية والمنطقية، فهما ليسا تداوليَّيْن.

وعلى الصعيد نفسه نجد أنَّ الشهري قد اعتمد جانبًا من نظرية ديكرو وآنسكومبر في الحجاج اللغوي (التداولي) ولاسيما (السلم الحجاجي) ضمن ما سماه بـ(تقنيات الحجاج)[٤٤]؛ بيد أنَّ من المفارقات التي رصدناها عنده أنَّ الشهري قد نشر في حسابه في (تويتر) يوم ١٩/ ٢/ ٢٠١٩م قوله ((هناك لبس عند

بعض الباحثين في العلاقة بين التداوليات والحجاج؛ فمن الباحثين من يدرج الحجاج في التداوليات، بل من يجعله ضمن الأفعال الكلامية، والحق أنهما يختلفان في خصائص كثيرة. حبذا تعميق القراءة وإعمال الفكر لتتضح حدود كل منهما ومفهومه، وبالتالي تتبين علاقة كل منهما بالآخر))[٤٥].

ثم نشر يوم ١٥/ ٣/ ٢٠١٩م في حسابه نفسه قائلا ((يعتقد بعض الباحثين أن للحجاج، عند ديكرو وغيره من العلماء، مفهوما واحدًا، وهذا فهم غير سليم .هنا، يحسن بنا التنبه إلى أنَّ وحدة مصطلح الحجاج، لا تعني وحدة مفهومه عندهم، وينبغي البحث في اختلاف الأسس عند كل منهم وافتراق المنطلقات التي أدت إلى تعدد المعالجات وتفاوت النتائج))[٤٦].

ويبدو لي أن الشهري قد أدرك الفرق بينهما في مرحلة متأخرة حينما عمد الى إكمال دراسته في الدكتوراه، وقدم أطروحة الى جامعة الملك سعود بعنوان (الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية- مقاربة تداولية) سنة ٢٠١٢م.

ومهما يكن الأمر فإنَّ ما قدمه الدكتور الشهري هو جهد كبير يحمد له، خلا بعض المواضع التي شابها الخلط؛ فأفضت بطلابنا الى السير على منواله. وما ذكرته هنا إنما هو بعض ما عنَّ لي من ملاحظ عند طلاب الدراسات العليا في رسائلهم التي وضعت في المجال التداولي، ولا أقصد به بيان النقص عند أحد من الباحثين بقدر لفت انتباههم الى مشكلات الفهم عندهم.

الخاتمة:

١- يبدو أنَّ عدم معرفة بعض من طلاب الدراسات العليا بأنواع التداولية وما تنطوي عليه من نظريات لها خصوصيتها واختلافها عند الآخر على صعيد المصطلح وسياقات تطبيقه، قد ولد مشكلات فهم المصطلح التداولي عندهم، فجاء المصطلح في رسائلهم وبحوثهم هجينًا لا ينتمي الى هذه النظرية التداولية أو تلك في تطبيقاته.

٢- يقع كثير من طلاب الدراسات العليا ضحية لأمرين: الأول اعتمادهم الترجمات السيئة للمصطلح التداولي عند بعض المترجمين، والثاني أخذهم عن الآخر من دون تمحيص وإعمال الفكر في تطبيقات المصطلح عند كثير ممن توهم في فهم المصطلح التداولي؛ فأوهم معه جبلًا كثيرًا من الطلاب.

٣- يحاول بعض الطلاب أن يعمد الى مقاربة المصطلح التداولي مع مصطلحات الموروث العربي في جانبي اللغة والبلاغة؛ فيفيض فهم المصطلح عند بعضهم عن حدوده، ويقصر عنها عند بعضهم الآخر.

٤- يبدو أنَّ ضياع الوقت وضيقه عند بعض الطلاب حملهم على اعتماد ما يتسنى لهم من المعلومات القريبة والمتاحة عن المصطلح التداولي؛ فبعض الرسائل والبحوث يتضح فيها التناقض والخلط في استعمال المصطلحات التداولية بصورة واضحة، ولا أحسب أنَّ الطالب كان مدركًا لخطورة ذلك الأمر، بل قدمها على علّاتها.

٥- لم يتنبه بعض الطلاب الى أنَّ بعض المصطلحات تمثل ظواهر مقتصرة على بعض اللغات الطبيعية، ولا تصدق على لغتنا العربية، حتى وإن بدت كذلك في التنظير؛ لأنَّها في التطبيق ستواجه فشلًا. كما هي الحال في توهم بعض الطلاب بأنَّ أسلوب النداء يعد من الأفعال الكلامية التوجيهية؛ لأنه واحد من أساليب الطلب في العربية، في حين أن المحتوى القضوي والغرض الانجازي هما الفيصل في الأفعال التوجيهية.

٦- يخدع كثير من الطلاب أنفسهم في أثناء التحليل باستعمال عبارات وجمل تنطوي على مصطلحات مثل: التداولية، الخطاب، القول، الحجاج، الأفعال الكلامية، السياق التواصلي، وغيرها، وهم يظنون بذكرها أن تحليلهم يسير بالاتجاه الصحيح، في حين أنَّه مفرغ من محتواه التداولي، وليس له سوى جعجعة المصطلحات.

٧- يهيمن المنحى التجزيئي في دراسة الظاهرة التداولية عند بعض الطلاب، على الرغم من أنَّ الظاهرة ينبغي أن تُدرس في سياقها الكلي، ولاسيما ظاهرة الاستلزام الحواري التي تقتضي الوقوف على الحوار برمته؛ لمعرفة القاعدة أو القواعد التعاونية التي خرقت في أثناء التواصل في ظل أسبابها السياقية.

٨- ينهمك بعض الطلاب في التنظير للمصطلح التداولي، حتى كأنَّه أول من يكتب عنه، فيجمع الغث والسمين، ويغفل عن التناقض الذي قد وقع فيه، فيقدم هذا التنظير بوصفه نتيجة قارة يحاول إثباتها طيلة البحث؛ فيكون قد وقع في خلل منهجي يقصر عنه التطبيق؛ لأنه يحمِّله ما لا يحتمل.

الهوامش:

(١) ينظر: موشلر وريبول: القاموس الموسوعي للتداولية:١/٤٠-٤٥.

(٢) ينظر: م.ن:١/٤٠-٤١.

(٣) ظهر هذا الأمر في رسالة الماجستير الموسومة (حوار الأديان في القرآن الكريم- دراسة تداولية) للطالبة رغد عبد أبو جاسم، وقد حصلت الطالبة بها على درجة الماجستير من كلية التربية للبنات في جامعة الكوفة سنة ٢٠١٦م. ثم تابعها على ذلك نفر من طلاب الدراسات العليا في الجامعات العراقية، وكذلك ظهر هذا الأمر عند الطالب صفاء جواد فرج من جامعة البصرة في أطروحته للدكتوراه الموسومة (التماسك النصي في سور قصار المفصل المكي وأواسطه)، حصل بها الطالب على درجة الدكتوراه سنة ٢٠١٧م، وكنت مناقشًا لها.

(٤) ينظر: التداولية: جورج يوول:٩٠.

(٥) ينظر: قيس إسماعيل الأوسي: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين:٢١٧ وما بعدها.

(٦) ينظر: نرجس باديس: المشيرات المقامية في اللغة العربية:٢٦٦-٢٦٩.

(٧) الأوسي: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين:٢١٨.

(٨) النساء: من الآية:١.

(٩) الحجرات: من الآية:٢.

(١٠) الصف:١٠.

(١١) ابن يعيش: شرح المفصل:٢/٩.

(١٢) ينظر: نرجس باديس: المشيرات المقامية في اللغة العربية:٢٦٦.

(١٣) ينظر: جورج يوول: التدولية:٢٨، ٣٣، ٣٧.

(١٤) هود: من الآية:٤٢.

(١٥) مريم:٤٥.

(١٦) النمل: من الآية:١٠.

(١٧) يوسف: من الآية٢٩.

(١٨) مريم: من الآية:٤٦.

(١٩) هود:٨٧.

(٢٠) نرجس باديس: المشيرات المقامية في اللغة العربية:٢٧٢.

(٢١) ينظر: روبول وموشلر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل:٥٥

(٢٢) القاموس الموسوعي للتداولية:١/٢٦-٢٧.

(٢٣) م. ن:١/٢٧.

(٢٤) ينظر: روبول وموشلر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل:٥٦.

(٢٥) ينظر: م. ن:١/٩٩.

(٢٦) ينظر: هشام الخليفة: نظرية التلويح الحواري:١٧-٢٣.

(٢٧) ينظر: روبول و موشلر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل:٥٣.

(٢٨) ينظر: هشام الخليفة: نظرية التلويح الحواري:٢٤-٢٥.

(٢٩) ينظر: العياشي أدواري: الاستلزام الحواري في التداول اللساني:٩٩-١٠٠.

(٣٠) من الرسائل التي ظهرت فيها هذه المشكلة: جوابات الامام علي في نهج البلاغة- دراسة تداولية، للطالب مهند بديع. وقد حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة الكوفة- كلية الآداب، سنة ٢٠١٨م، وكنت أنا أحد المناقشين لها. والآليات التداولية عند ابن ميثم البحراني في شرحه لنهج البلاغة، للطالبة سهير قايد مايع. وقد حصل الطالبة بها على درجة الماجستير من جامعة المثنى- كلية التربية للعلوم الإنسانية سنة ٢٠٢٠م. وكنت أحد المناقشين لها.

(٣١) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية:١/٤٢. أطلق اللغوي الفرنسي آلين بروندونر هذه التسمية على التداولية المدمجة سنة ١٩٨١م؛ لأنها لا تسير على وفق تراتبية خطية متعاقبة على غرار التداولية الخطية، بل هي حصيلة التقاء ناتج المكونين الدلالي والمقامي في نقطة واحدة غير خطية، تثمر عن معنى القول في مناسبة أو سياق معين.

(٣٢) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية:١/٤٢.

(٣٣) ينظر: رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج:٧٩.

(٣٤) من الجدير بالذكر هنا أنَّ الباحثين يفرقون بين نظريات كثيرة في الحجاج، بيد أنَّ طلابنا في الدراسات العليا لم يفرقوا غالبا بينها. ومنها: الحجاج الجدلي، الحجاج البلاغي، الحجاج اللغوي (التداولي)، الحجاج الخطابي، الحجاج البرهاني (المنطقي). ينظر في ذلك الدكتور جميل حمداوي: من الحجاج الى البلاغة الجديدة:١١-٥٩.

(٣٥) ينظر: م. ن:٢٨.

(٣٦) من المفارقات الطريفة التي وجدتها عند الباحثين في مجال الحجاج التي تابعهم فيها طلاب الدراسات العليا، هي أن أغلب الباحثين يقولون (بيرلمان وزميله تتيكا) أو (بيرلمان وزميله) باستعمال الضمير الهاء الذي يعود على المذكر؛ ظنا منهم أن تتيكاه ذكر، ولم يعلموا أن (لوسي أولبراخت تتيكاه) هي امرأة، وهي لسانية بلجيكية.

(٣٧) ينظر: رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج:٨٩ وما بعدها.

(٣٨) الاقناع والاقتناع من المصطلحات المستعملة في مجال الحجاج، بيد أن الاقناع ينتمي الى مجال الحجاج البرهاني؛ بوصف الأول نتيجة حتمية للثاني ناتجة عن التغلب في الجدال على الآخر وحمله على الاقناع. أما الاقتناع فهو بخلاف الاقناع ينتمي الى مجال الحجاج التداولي؛ بوصفه نتيجة المشاركة فيه بين أطراف الخطاب بالتساوي. فيحصل اقتناع الآخر من إرادته هو لا من إرادة الآخر المفروضة عليه قسرًا.

(٣٩) من الرسائل التي وقعت في هذا الخلط، مقام المتكلم في القرآن الكريم- دراسة تداولية، للطالب هادي سعدون هنون، وقد حصل بها الطالب على درجة الدكتوراه من جامعة الكوفة سنة ٢٠٢٠م. وكنت أحد المناقشين لها. وجوابات الامام علي في نهج البلاغة- دراسة تداولية، للطالب مهند بديع. وقد ذكرتها في المبحث السابق. ورسالة الطالبة سهير قايد مايع الموسومة الآليات التداولية عند ابن ميثم البحراني في شرحه لنهج البلاغة. وقد ذكرتها في المبحث السابق. وغير ذلك كثير من الطلاب في العراق الذين يطول المقام بذكرهم.

(٤٠) ينظر: الشهري: استراتيجيات الخطاب:٤٩٤-٤٩٩.

(٤١) ينظر: م. ن:٤٦٥.

(٤٢) ينظر: م. ن:٤٦٥.

(٤٣) ينظر: م. ن:٤٧٠-٤٧٦.

(٤٤) ينظر: م. ن:٤٩٩ وما بعدها.

(٤٥) https://twitter.com/dr_abdulhadi_sh?lang=ar

(٤٦) م.ن.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

١- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس إسماعيل الأوسي، جامعة بغداد- بيت الحكمة، ١٩٨٨م، د.ط.

٢- استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٣- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدواري، دار الأمان- الرباط، ط١، ٢٠١١م.

٤- التداولية، جورج يوول، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

٥- التداولية اليوم علم جديد في التواصل: آن روبول، و جاك موشلر، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني. المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٦- شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، إدارة الطباعة المنيرية- مصر، د.ت، د.ط.

٧- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر و آن ريبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة الباحثين، بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا- المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

٨- المظاهر اللغوية للحجاج- مدخل الى الحجاجيات اللسانية، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠١٤م.

٩- من الحجاج الى البلاغة الجديدة، حميد حمداوي، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٤م، د.ط.

١٠-نظرية التلويح الحواري، هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

١١- المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس، مركز النشر الجامعي- منوبة، ٢٠٠٩م.

شبكة الانترنت:

https://twitter.com/dr_abdulhadi_sh?lang=ar

الاقطاعات في العصر الفاطمي
دراسة تاريخية (٣٥٨-٥٦٧ هـ /٩٦٨-١١٧١م)

أ.م.د. محمود شاكر مشعان
الكلية التربوية المفتوحة/ بابل

المقدمة:

إنَّ الأنشطة الاقتصادية تعدّ من الموضوعات المهمة والتي تتفاعل وتتشابك فيها الفعاليات السياسية بالحياة الاقتصادية لها الأثر البالغ في الحياة الاجتماعية ومن أبرز معالم هذه الانشطة الاقتصادية هو الاقطاع، وما تصبوا إليه الدراسة الحالية هو معرفة حيثيات هذا النشاط الاقتصادي الهام في العصر الفاطمي.

فالإقطاع في العصر الفاطمي استحدث في ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية معينة فرضت نفسها على الدولة، ثم أتخذ أنماطاً في المفاهيم والمدلولات المختلفة، فعند دخول الفاطميين مصر سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م) ، كانت هناك أراضي للدولة وأراضي الأملاك الخاصة، وقد أمن الفاطميون المصريين على أموالهم وأهليهم وأراضيهم وضياعهم، وبذلك ثبتت في عهد الأمان، الذي اعطته الخلافة للمصريين، أما الأراضي التي تملكها الدولة فهي الأراضي الخاصة بالغنيمة، وقد قاموا بإقطاعها لأعوانهم، وذلك لاهتمام الفاطميين بالأموال التي هي عماد حتى جاءت الدولة الفاطمية فأدخلت عليه كثيرًا من التعديل، وعدّوه نظاماً فريدًا ولاسيما في مجال التنظيم والإدارة، فعملوا على تقدم وتطور النظم الإدارية، فطوروا الدواوين الموجودة فيها واستحدثوا أخرى لحاجة البلد، ونفذت هذه السياسة تدريجياً حتى لا تثير شعور القلق والخوف عند المصريين، حتى أصبحت مصر أثناء الحكم الفاطمي دولة ذات هيبة مستقلة ذات موارد مالية متعددة ولجودة تنظيمها بقي نظامها نموذجا للتنظيم بعد الفاطميين.

واستطاع الفاطميون أن يحققوا التوازن بين موارد الاقطاعات ومواردها ومصاريفها، ولذلك اتبعت مختلف

الوسائل الاقتصادية حتى تحقق موارد كبيرة ولاسيما أن أمامهم مهام كبيرة في بناء دولة منافسة للدولة العباسية في بغداد.

ولعل أساس دعوتهم كانت تقوم على توحيد العالم الإسلامي تحت سلطانهم من غير مراعاة عصبية دينية، فكانوا يخاطبون كل قوم بما يقربهم إليهم في سبيل قيام دولة قوية مستندة إلى اقتصاد متنوع لتحقيق هذه الأهداف.

إنَّ الهدف من البحث تسليط الضوء على نظام الاقطاع وآثاره في النظام المالي وأبرز التطورات التي مر بها عند الفاطميين.

وقد انتظم البحث على مقدمة ومبحثين، وخاتمة فيها أهم النتائج، ثم تلتها قائمة فيها أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث وكما يلي:

المبحث الأول: الاقطاع مفهومه ونشأته وأبرز دواوينه:

أولاً: الإقطاع لغة واصطلاحاً:

١- الاقطاع في اللغة: لقد اوردت المعاجم اللغوية معناه، وقد جاء بصيغ إقطاع أو قطيعة.

قال ابن منظور (قَطَع قطعاً، مقطعاً، تقاطعاً وقطعية الشيء فصله وأنابه)[١]، وقطع له قطعة من المال أفرزها له[٢].

والقطيعة الطائفة من أرض الخراج يقال اقطعت الرجل إقطاعاً كأنه طائفة قد قطعت من بلد[٣].

وقال الزمخشري (أقطعه قطيعة أي طائفة من أرض الخراج)[٤].

فيما يقول الطرازي (والمقصود بها المواضع التي أقطعها الإمام من الموات قوماً فيتملكوها)[٥].

٢- الاقطاع اصطلاحاً:

الاقطاع اصطلاحاً يفسره ابن حجر العسقلاني (المقصود به أن يقطع الإمام لمن يراه إمّا بأن يملكه إياه

فيعمره، ويجعل له غلتها مدة وهو الذي يسمى إقطاعاً)[٦].

وهناك قطائع تقطع للخاصة الذين يصرفون من غلتها مرتبات الجند ثم يحمل ما يبقى منها إلى بيت المال، وبما أن الخليفة أو السلطان هو مصدر الإقطاع فهو أيضاً من حقه أن يسترد ما أقطعه[٧].

والإقطاع مختص بأمر الإمام وهو المصدر الأول ((وإقطاع السلطان مختص بما جاز فيه تصرفه ونفذت منه أوامره))[٨].

ويقول البلوي، هي ما أقطعه الخلفاء لقوم فعمروه[٩]، والاقطاع هو (أن يقطع السلطان رجلاً ارضا فتصير رقبتها له)[١٠].

كما قال رسول الله (ص): ((من غرس شجراً بدا أو حفر وادياً لم يسبقه إليه أحد، أو أحيا أرضاً ميتة فهي له قضاء من الله عز وجل ورسوله)) [١١].

ثانياً: الإقطاع وتطوره في العصر الفاطمي:

لقد أصبحت سياسة الرسول محمد (ص) في منح الإقطاع منهجاً للدولة العربية الإسلامية استناداً إلى قوله (ص): ((عادي الأرض لله ورسوله ثم لكم))[١٢]، ثم أوجد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ما عرف بديوان الجند[*] أو العسكر[١٣]، وبذلك عُدَّ أول ديوان في الإسلام ، فكان خراج[*] البلاد المفتوحة هو للذي يصرف على الجند أو ما يعرف بالعطاء أو الرزق[١٤].

أما في عهد عثمان بن عفان (رض) أقطع الاقطاعات لأنه رأى اقطاعها أوفر لغلتها من أن يعطيها وشرط على أقطعها إياه أن يأخذ منه حق الفئ فكان ذلك منه إقطاع إجازة، لا إقطاع تملك، فتوفرت غلتها حتى بلغت على ما قيل: خمسين الف ألف درهم، فكان منها صلاته وعطاياه، ثم تناقلها الخلاف من بعده) [١٥].

أما العهد الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م): كثرة الاقطاعات وازدادت لاسيما في عام (٨٢هـ/٧٠١م) فأخذ كل قوم ما يليهم من الاقطاعات، بعد أن كانت ملكاً للدولة منذ أيام الفتح، فصارت هذه الأراضي

إذن أراضي عشر، وملكاً للأفراد والأسر وكانت أسرة بني امية نفسها على رأس المجتهدين في تكون الضياع[١٦].

وبانقسام وحدة المسلمين السياسية تعددت الدواوين، ولاسيما أن النفقة لم تقف عند المال، ولكنها أصبحت أرضاً وهو ما عرف بالإقطاع[١٧]، واتخذ اتجاهات متعددة ومفاهيم مختلفة خلال حقب زمنية متتالية من التاريخ العربي الإسلامي، ويعود ذلك إلى الأحداث السياسية التي مرت بها الدول العربية الإسلامية والتطورات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة من اختلاف الأنظمة السياسية، فضلاً عن حاجة الدولة الى موارد مالية من خلال إحياء الأرض الزراعية[١٨].

عرف الفاطميون نظام الاقطاع بعد انتقالهم إلى مصر سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، وهو تنظيم لجأ إليه بعض الخلفاء الفاطميين على شكل هبات وعطايا ومنح لموظفي الدولة وقادة الجند والوزراء، لكسب ودهم ومساندتهم أو حتى رواتب لهم في قيام دولة قوية، أما في العصر الفاطمي الثاني الذي بدأ سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م) فكانت نقطة التحول، حيث لجأ إليه الخلفاء عندما وجدوا نقصاً في الموارد المالية وشحاً في خزينة الدولة مع وجود مطالبة من الجند برواتبهم ومستحقاتهم، فعمدوا إلى توزيع اقطاعات على الوزراء بسبب الازمات الاقتصادية والحروب الأهلية والأمراء والإجناد مقابل التزاماتهم الحربية والمدنية لتنظيم شؤون الدولة، فاصبح اقطاعاً شبه عسكري، ثم تطور الأمر فظهر ديوان الاقطاع[١٩].

الظاهر أن السياسة المالية التي رسمها الفاطميون في مبادئها الأساسية وغاياتها الرئيسة في أن يكون المال في خدمة رعاياهم، والراجح أنه كان لديهم إيماناً كبيرًا بأن الدولة التي تعمل على ابتزاز أموال رعاياها وافقارهم يكون مآلها الافلاس والفشل[٢٠].

أما نقطة التحول في طبيعة نظام الاقطاع في الدولة الفاطمية، فكانت في خلافة المستنصر بالله[*] سنة (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م)، إذ شهدت أزمات اقتصادية وحروب أهلية مما أدى إلى إمكانية تحويل الإقطاع عسكرياً[٢١]، فضلاً عن حدوث تطور آخر نتيجة لتسلط العناصر العسكرية (ابتداء من سنة

٤٦٦هـ/١٠٧٣م) عندما أستلم الوزارة بدر الجمالي(*) بعد أن استعان به المستنصر بالله الفاطمي (٤٤٦هـ/١٠٥٤م) بعد تدهور البلاد اقتصادياً، فمنذ وصول بدر الجمالي إلى السلطة أخذ العسكريون يَحلّون تدريجياً محل أرباب القلم في جباية الخراج وجعلت لكل أولئك الجباة العسكريين جهات قيمة ضرائبية يؤدونها للدولة أطلق عليها "اقطاع" عبارة عن منطقة زراعية مؤجّرة مقابل إتفاق يطلق عليه (قبالة(*))، ويسمى المزارع المقيم في البلد (فلاحاً اقراراً)، فيصبح عبداً لمن أقطع تلك الناحية[٢٢].

ولم يكن هذا الاقطاع الذي أدخله بدر الجمالي بحال من الأحوال اقطاعاً عسكرياً بل وسيلة مالية لإعادة زيادة انتاجية الأرض الزراعية بعد سنوات الجفاف التي صاحبت الأزمة الاقتصادية[٢٣]، وكان معمولاً به منذ دخول الفاطميين إلى مصر، ويبدو أن هذا الإجراء عمل به عند تأخر الرواتب أو عدم صرفها بسبب الأزمات والكوارث التي حلت بالبلاد[٢٤].

لكن بعض الأمراء تصرف بالأرض وكأنها ملكه كما أن بعضهم تجاوز على أملاك الديوان وأضافها إلى أملاكه مما أدى إلى حل الاقطاع سنة (٥٠١هـ/١١٠٧م)، وأعيد وضعها بالمزايدة بين العسكريين ولكن مدة الاقطاع جعلت ثلاثين سنة[٢٥].

إلا أن أهم حدث فيما يتعلق بنظام الاقطاع، كان في عهد الآمر بأحكام الله ابو علي (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٢٩م) ووزيره الأفضل بن بدر الجمالي(*)، الذي قام بحل جميع الاقطاعات وإعادة روكها(*) في سنة (٥٠١هـ/١١٠٧م) للمحافظة على قيمة العائد والخدمات، وذلك لأن عدد منهم قد تضرر كثيراً وخاصة من العسكريين كون أن اقطاعاتهم قد قل ارتفاعها فساءت أحوالهم المعيشية وتدهورت؛ لقلة المتحصل منها، إضافة إلى أن اقطاعات الأمراء قد تضاعف ارتفاعها وزادت عبرتها بحيث صار في كل ناحية للديوان جملة تجبى بالتعسف[٢٦]، ولابد من الإشارة إلى التطور الذي حدث عندما جاء الصالح طلائع بن رزيك(*) سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م) لنجدة الخلافة من الأشمونيين(*) والبهنسا(*) فانه استعان في ذلك بـ((العربان والاجناد مقطعي البلاد))[٢٧].

ولا شك أنه حدث تطور تدريجي لنظام الاقطاع الفاطمي قبل زوال الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية، فعندما اصبح شاور(*) سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) وزير للخليفة العاضد لدين الله الفاطمي بمعاونة جيوش نور الدين محمود(*)، استقر جماعة من عسكر اسد الدين شيركوه(*) الذي قاد جيوش نور الدين لنجدة شاور في مصر، واقطع لهم الأراضي، ومنها بلدة شطنوف في الغربية، وأقطعت لخشترين الكردي(٢٨).

ثالثاً: الدواوين المتولية شؤون الإقطاع:

كان للدواوين(*) أهمية كبيرة في تنظيم شؤون البلاد والعباد في الدولة العربية الإسلامية، ولاسيما بعد أن توسعت رقعة البلاد وازدادت الموارد التي تصل إلى بيت المال من البلاد المفتوحة وكذلك زيادة عدد العاملين والموظفين في الدولة، فكان لابد من تنظيم شؤون الأموال والجند والقضاة وأصحاب الوظائف الإدارية الكبرى وحتى الفنانين وذلك لاسترضائهم وكسب ولائهم للدولة، وحفظ حقوق الناس والدولة وهي ما تشبه الوزارة في الوقت الحاضر كُلاً ضمن اختصاصه ولخدمة للدولة، وسوف نتناول أبرز الدواوين التي لها علاقة بأصل الموضوع في العصر الفاطمي وهي كما يأتي:(٢٩).

١. ديوان المجلس:

يعدُّ (ديوان المجلس) هو الديوان الرئيس بين الدواوين الإدارية وأصل الدواوين، ويقال لمتوليه (صاحب ديوان المجلس) هو المتحدث في الاقطاعات، ويشرف على إدارته عدد من الكتّاب لكل واحد منهم مجلس مفرد، وصاحب هذا الديوان هو المتحدث في الاقطاعات وأهم كتّابه: (صاحب دفتر المجلس)، وهو عادة ما يكون من الاستاذين المحنكين، فالوزير إذا أراد أن يطلع على موارد الدولة ونفقاتها، أرسل إلى أصحاب الدواوين بأن يجهز كل منهم كشفاً خاصاً بإيرادات ديوانه ونفقاته، ويعلمه لرئيس ديوان المجلس الذي يعرضه كل على الوزير، ولهذا حفظت الدولة الفاطمية جميع سجلاتها في ذلك الديوان(٣٠).

٢. ديوان الاقطاع:

انفرد ابن الطوير بذكر دواوين كانت قائمة في العصر الفاطمي بمصر وهو الذي كان أحد أقسام الجيش،

إذ أعد ليختص بشؤون الاقطاعات التي يمنحها من الأرض للمتميزين بأفعالهم لخدمتهم رعيته[٣١]، وقد أقتصر عمل الديوان على حفظ السجلات المتعلقة بالاقطاع، دون التدخل في تغير الاقطاعات الممنوحة، فضلاً عن أهميته في تحديد ما يتم أقطاعه لكل جندي من أراضي، ففيه حفظ للحقوق وفيه تأكيد على وجود التنظيم[٣٢].

وقد نشأ هذا الديوان بعد سيطرة المعز لدين الله[*] (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م) على مصر، وضم أملاك الأخشيد[*] إلى أراضي الدولة العامة، وأصبح له الحق في إقطاع الأراضي لبعض اتباعه سواء من المغاربة أو من المصريين[٣٣]، فلا يعمل فيه إلا ما يقطع للإجناد، وليس لهم تنزيل حلية جندي[٣٤].

يبدو أن عمل هذا الديوان نشأ لحفظ ما يتعلق بحقوق الدولة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيش والعمال[٣٥]، وأورد الماوردي نوعين فقال: ((وهو ضربان)):

أ_ إقطاع تمليك: يتملك بمقتضاه الأرض تمليكاً كاملاً للشخص ولورثته من بعده، بمقتضى سجل فتنقسم فيه الأرض المقطعة ثلاث أقسام، موات، وعام، ومعادن[٣٦]، ولكل قسم حالته الخاصة به حسب ما ورد في المذاهب المختلفة[٣٧].

ب_ إقطاع استغلال: يمنح للشخص لينتفع به لمدة محددة أو مدى حياته فقط أي لا يورث، فهو إقطاع يستغله لمنفعته الشخصية ثم يعود للدولة بعد انتهاء المدة المحددة أو بعد وفاته أو في حالة إخلال المنتفع بالشروط المنصوص عليها في سجل الاقطاع الذي أصدره الخليفة، إنّ الخلفاء الفاطميين لم يتبعوا سياسة منح الاقطاعات للأجناد مقابل الرواتب بل هبات وعطايا من أجل تثبيت سلطانهم، يذكر المقريزي نصاً هاماً حول هذا الأمر: ((لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من دول أمراء مصر لعساكر البلاد اقطاعات بمعنى ما عليه الحال اليوم في أجناد الدولة التركية، وإنما كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة لمن شاء من الأمراء والأجناد والوجوه وأهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم))[٣٨].

لكن هناك إشارة توضح منح الأجناد مقابل الخدمة العسكرية، قد بدأ بالفعل في أواخر الدولة الفاطمية، إذ يذكر لنا المقريزي بقوله: ((كانت في العهد الفاطمي قليلة (ونعني الإقطاع) إلا أنها تضاعفت في أواخر أيامها بسبب زيادة سلطة الجيش))[٣٩].

ويذكر ناصر خسرو عند وصفه للجيش الفاطمي أن (نفقه هذا الجيش كله من مال السلطان، ولكل جندي منه مرتب شهري على قدر درجته)[٤٠].

ثم أنهار نظام القبالات في الدولة الفاطمية وحل نظام الاقطاع بدلاً عنه.

المبحث الثاني: الخلفاء الفاطميون وأبرز الاقطاعات:

إنَّ الخليفة المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م)، عندما بدأ يفكر في فتح مصر، عمل على جمع الأموال الكثيرة، وخزنها لانفاقها على الجيش[٤١]، ولذلك يذكر بأن القائد جوهر الصقلي[*] عندما سار لفتح مصر نقل جميع الذخائر والنفائس والأموال التي جمعت في بلاد المغرب طيلة ما يقرب أحدى وستون عاماً [٤٢]، من هذا يعد الثراء الذي تمتع به خلفاء الدولة الفاطمية من أهم مظاهر ازدهار الاقتصاد[٤٣]، وعندما وصل المعز لدين الله إلى مصر سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) استولى على أملاك الدولة الاخشيدية وضمها إلى الدولة وفيما بعد أقطعها إلى خواصه وأسرته، ولاسيما أولئك الذين أثبتوا كفاءة عالية وولاء للدولة الفاطمية، يبدو أن الفاطميين أرادوا التفوق على الدولة العباسية في بغداد، فضلا عن الأسباب السياسية والعقائدية التي تدل على مدى الترف والبذخ وارتقاء النشاط الاقتصادي لخدمة الدولة الفاطمية فيما أهدى المعز أول إقطاع إلى الاستاذ جوذر وهو اقطاع المهدى إليه بالجزيرة[*] [٤٤].

أما في خلافة العزيز بالله[*] (٣٦٥هـ/٩٧٥م)، إذ تجلت مظاهر ازدهار الحياة المالية للفاطميين والانفاق الكبير والواسع[٤٥]، بأنه أمر بتقدير الخراج المفروض على الأرض المقطعة دون المقطعين مما تبيّن استمرار ولاية الدولة المركزية على الملكية حتى في شكل الاقطاع، واقطع العزيز وزيره يعقوب بن كلس[*]، بعض أراضي مصر والشام بلغت قيمتها ٨ آلاف دينارًا[٤٦]، ولم يكن ذلك الا تقديراً لما قدمه من

خدمات كبير الذي قدمه في سبيل قيام دولة قوية في مختلف الشؤون، ولاسيما في الجوانب الاقتصادية[٤٧].

وزاد الحاكم بأمر الله[*](٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)، عدد من يمنحون أقطاعاً لتشمل القضاة وأصحاب الوظائف الإدارية، فكان مبلغ اقطاع قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي[*] في السنة ١٥ ألف دينار[٤٨]، فضلاً عن منحه ناحية برنشت[*][٤٩].

وفي سنة (٣٨٩هـ/٩٩٩م) استدعى برجوان[*] الحسين بن علي بن النعمان[*] إلى حضرة الخليفة الحاكم الفاطمي وأضاف له أرزاق وإقطاعات، وقال له: ((قد أزحت علتك، فلا توجدني سبيلاً إليك بتعرضك إلى درهم من أموال المسلمين، فقد أغنيتك عنها))[٥٠].

وفي سنة (٣٨٩هـ/٩٩٨م) أقطعت سيدة الملك[*] على عبرة[*] الخراجية أقطاعاً مبلغه ١٠٠ ألف ديناراً فيها ضياع في الصعيد ثمانية وستون ألفاً وأربعة وخمسون دينارًا[٥١]، وفي سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م)، أعطى الحاكم الفاطمي بني كلاب[*] نصف بلاد حلب اقطاعاً[٥٢]، ((وفي السنة نفسها خرج عن المعهود في كثرة العطاء والاقطاعات حتى أقطع النواتيه يجذفون العشاري[*] واقطع كثيرًا من الوجوه والاقارب، وبني قره[*] فكان مما اقطع الاسكندرية والجيزة ونواحيها لبني قرة، وكثرت صلات الحاكم وهباته واقطاعاته للناس حتى خرج في ذلك عن الحد))[٥٣].

كما كان للكتاميين[*] في عهد الحاكم الفاطمي اقطاعات إلى جانب رواتبهم، ولكن لا نعلم على وجه التدقيق إلى أي حد كان هذا النظام منتشرًا بينهم، وأن حقيقة منح الاقطاع إلى كبار رجال الدولة يوضحه الوعد الذي قطعته، سيدة الملك إلى الحسين بن دواس[*] بان يكون صاحب الجيش وشيخ الدولة والقائم بها ووقعت له بولاية (مصر، والفسطاط، والقاهرة) [٥٤] عندما تأمر لقتل الحاكم الفاطمي[٥٥].

ثم تولى الخلافة الظاهر لاعزاز لدين الله[*](٤١١هـ/١٠٢٠م)، وكان في حوالي السادسة عشر من عمره، فدبرت عمته ست الملك الأمور للدولة وأرجعت كثيرًا مما وهبه أخيها الحاكم بأمر الله[٥٦]، من الإقطاعات

التي كانت تمنح إلى الموظفين المدنيين كمنحة من الخليفة، فعندما تولى القائد عز الدولة معضاد نظر (ديوان الكتاميين سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م) عوضاً عن الأمير مسعود بن طاهر الوزان، كتب[*] الأخير إلى الخليفة ليسأله في تسليم إقطاعه فأجابه الخليفة: بأنه (نعمة) من أمير المؤمنين عليه وعلى أمثاله لا تنتزع منهم[٥٧].

وفي السنة نفسها (٤١٥هـ/١٠٢٤م) أرسل حسان بن الجراح الطائي[*] متولي حرب فلسطين إلى الخليفة الظاهر الفاطمي يطلب إضافة بيت المقدس ونابلس إلى اقطاعه، ليكف عن القتال، فأجابه الخليفة بإضافة إقطاع نابلس فقط[٥٨].

أما في خلافة المستنصر بالله (٤٢٧هـ/١٠٣٥م) لم تنعم البلاد بالاستقرار والرخاء طويلاً، رغم ذلك يذكر ابن خلكان[٥٩]، أن أبو الحارث البساسيري[*] لما أقام الخطبة للخليفة المستنصر في بغداد سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، إشار إلى أحدى المغنيات بهذه الحادثة وغنت في حضرة الخليفة هذين البيتين:

يا بني العباس صَدّوا ملك الأمر مُعِدُ
ملككم كان معار والعواري تستردُ

فطرب الخليفة وأقطعها أرضاً لا تزال إلى اليوم في القاهرة باسم (أرض الطبالة) وبعد ذلك شهدت البلاد أزمات اقتصادية وكوارث طبيعية وحروب أهلية وصراعات بين الجيش والوزراء على السلطة، إضافة تحكم أم المستنصر (الجارية السودانية) بمقدرات ولدها الصغير، كما تعرضت البلاد لنكبتين أولاهما سنة (٤٤٦-٤٥٤) حين اجتاح البلاد الطاعون والثانية (٤٥٧هـ/٤٦٥هـ) بسبب انخفاض منسوب نهر النيل، كذلك قلة مخزون القمح لدى الدولة، فارتفعت الاسعار وتلاعب التجار بأسعار الغلال، وقد حاول اصلاح الأمور فغير الوزارة أربعين مرة في تسع سنوات ثم استدعى والي عكا (بدر الجمالي) الذي نجح في القضاء على الفوضى والاضطراب[٦٠]، فمنذ وصول بدر الجمالي سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م) أخذ العسكريون يحلون تدريجياً محل أرباب القلم في جباية الخراج، وجعلت لكل أولئك الجباة العسكريين جهات قيمة

ضرائبية يؤدونها للدولة أطلق عليها (أقطاع)[٦١].

واستخدام الفاطميون الإقطاع كوسيلة مالية لزيادة الانتاجية الزراعية، إذ قام بدر الجمالي بتوزيع الاقطاعات على أولاده حتى قيل أنها تكفيهم مدى الحياة، لتحميهم من عائلة الدهر ولو لم يقوموا بأي عمل[٦٢].

ولم يكن هذا الاقطاع الذي أدخله بدر الجمالي بحال من الأحوال اقطاعاً عسكرياً بل وسيلة مالية لإعادة زيادة انتاجية وغلة الأرض الزراعية بعد سنوات العجاف التي صاحبت الأزمة الاقتصادية[٦٣].

أما الأفضل بن بدر الجمالي، سمح في عام (٥٠١هـ/١١٠٧م) لأصحاب الاقطاع بحق استغلال إقطاعاتهم مدة ثلاثين سنة، وكان المقطع يدفع ضريبة سنوية على كل فدان من أرضه مقدارها ديناران وخمسة قراريط[*][٦٤].

وفي خلافة الأمر بأحكام الله[*] (٤٩٥هـ/١١٠١م)، وفي سنة (٥٠١/١١٠٧م)، كثرت شكاوى الأجناد وطوائف العساكر المصرية بسبب إقطاعاتهم وأنها ضربت وحصل للديوان ضياع مفردة عبرتها خمسون ألف دينارًا في كل سنة ونقلت السنة الشمسية الخراجية إلى الهلالية[٦٥].

وقد ادخل تعديل كبير على الاقطاعات في عهد الأفضل بن بدر الجمالي[٦٦]، وكثيرًا ما لجأ الخلفاء الفاطميون إلى مصادرة الاقطاعات وحلها إذ أثار المقطعون سخطاً عليهم، ولا تحدثنا أن كانت الحكومة صادرت إقطاعات التملك أو الاستغلال ويظهر أنها لم تكن تراعي التمييز بين الحالتين[٦٧].

رأى القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي من اختلال أحوال الرجال العسكرية والمقطعين وتضررهم من كون إقطاعاتهم قد خسَّ ارتفاعها وساءت احوالهم لغلة المتحصل منها، وإن اقطاعات الأمراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت عن غيرها فخاطب الأفضل بن بدر أمير الجيوش في أن يحل جميع الاقطاعات التي بيد الأمراء وغيرهم، وأحضر الأمراء والاجناد في دار الوزارة، فقال الأمراء لما في أقطاعاتنا املاك وبساتين ومعاصر وغيرها، فقال الأفضل بن بدر الإملاك لمالكيها على حالها يتصرفون

فيها بالبيع والايجار، ثم حل الاقطاعات ووقعت المزايدة عليها[٦٨].

وكان أكثر المقطعين في ذلك الوقت من الاجناد وقد سمح لهم الأفضل بن بدر الجمالي بأن يستغلوا إقطاعاتهم مدة ثلاثين سنة[٦٩]، وذلك وفقاً لما اورده المقريزي ((وكتب السجلات بأنّها باقية في أيديهم إلى مدة ثلاثين سنة لا يقبل فيها زائد))[٧٠].

وفي عهد العاضد لدين الله[*] (٥٥٥/١١٦٠م)، كان المقطع في أواخر العصر الفاطمي يدفع ضريبة منتظمة عن كل فدان مقدارها دينار وخمسة قراريط، أن يرد الأرض المقطعة كما تسلّمها ولا ينقل شيئاً من المنشأة التي أقيمت عليها[٧١].

وعندما تولى صلاح الدين الوزارة للخليفة العاضد، سنة (٥٦٣هـ/١١٦٧م): ((شرع في نقض أقطاع المصريين، من أجل من معه من العسكر))[٧٢]، وأبعد أهل مصر واضعفهم[٧٣]، فاقطع أخاه الأمير شمس الدولة توران شاه سنة (٥٦٥هـ/١١٦٩م)، قوص[*] وأسوان[*] وعيذاب[*]، وكانت عبرة ذلك الاقطاع هذا العام (٢٦٦) الف دينار، وفي العالم التالي سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) أضاف صلاح الدين إلى أقطاع أخيه توران شاه مدينة بوش[*] وأعمال الجيزة وغيرها[٧٤].

وأصبحت أراضي مصر كلها تقطع للسلطان واقربائه وأجناده[٧٥]، ويبدو أن انتشار هذه الاقطاعات بسبب ضعف شخصية الخليفة فمنذ أن ضعف الخليفة أصبح من حق الوزراء منح الاقطاعات[٧٦].

أما أهم عيوب الإقطاع كان للنظام بعض المساوئ، إذ أن المقطع أو الملتزم، كان يعمل على الإثراء وجمع المال، ولا يتردد في إرهاق الأهلين واثقالهم بالضرائب المختلفة حتى يستطيع أن يؤدي للحكومة ما عليه من مال الخراج ويحتفظ بما زاد على ذلك[٧٧].

وكانت الاقطاعات تمنح في العصر الفاطمي عن طريق مناشير[*] (مفردها منشور) أما في نهاية العصر الفاطمي، فكانت تمنح عن طريق السجلات[*] وقد أورد سنة (٤٣٧هـ/١٠٤٥هـ)، صاحب كتاب (مواد البيان) نص المنشور بمنح إقطاع لأفراد غير عسكريين[٧٨].

نتائج البحث:

وفي الختام توصل البحث إلى جملة من النتائج أهمها:

١. عَرَفَ الفاطميون نظام الاقطاع بعد انتقالهم إلى مصر، وهو تنظيم لجأ إليه بعض الخلفاء الفاطميون على شكل هبات وعطايا ومنح للوزراء وقادة الجند وموظفي الدولة لكسب ودهم ومساندتهم؛ لاسيما في العصر الفاطمي الأول كون الاقطاع نشاط اقتصادي هام في الدولة الفاطمية، واستطاع الفاطميون أن يحققوا التوازن بين الاقطاعات ومواردها ومصاريفها.

٢. أما الاقطاع في العصر الفاطمي الثاني لجأ إليه الخلفاء عندما وجدوا نقصاً في الموارد المالية وشحة في خزينة الدولة مع وجود مطالبة برواتب ومستحقات العاملين في خدمة الدولة.

٣. أما نقطة التحول في طبيعة نظام الاقطاع في الدولة الفاطمية فكانت في خلافة المستنصر بالله الفاطمي ، إذ شهدت الدولة أزمات اقتصادية حادة، لذلك عدّت وسيلة مالية لإعادة زيادة إنتاجية الأرض الزراعية بعد سنوات الجفاف عُمل به عند تأخر الرواتب أو عدم صرفها بسبب الأزمات الاقتصادية.

٤. تضاعفت الاقطاعات في أواخر أيام الدولة الفاطمية بسبب زيادة سلطة الجيش لاسيما بعد أن ضعف الخليفة وأصبح من حق الوزراء منح الاقطاعات.

٥. تحول الاقطاع من كونه مكافئة يمنح مقابل إحياء الأرض وتعميرها إلى إقطاع مكافئة مقابل الخدمات الشخصية المقدمة من القادة العسكريين وموظفين الدولة، ولم تعد الأرض الميتة والتي ليست ملك لأحد هو النمط السائد في الاقطاع، وإنّما شمل كافة أصناف الأراضي الأخرى.

هوامش البحث:

(١) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري الأنصاري (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، (القاهرة-لات): ١٤٩/١٠.

(٢) الأزدي، ابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/٩٣٣م)، جمهرة اللغة (بيروت-لات): ١٠٥/٣.

(٣) ابن فارس ، ابو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (بيروت-لات): ١٠١/٥.

(٤) الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمد بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، أساس البلاغة، (القاهرة-١٩٢٣م)، ص٢٦٣.

(٥) أبو الفتح ناصر بن عبد السيد (ت٦١٦هـ/ ١٢١٨م)، كتاب المغرب في ترتيب المعرب، (بيروت-لات)، ص٣٨٧، المقريزي، تقي الدين بن عبد القادر بن محمد (٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٨م): ٢٧٥/١.

(٦) أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٥١م)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن بان، (بيروت- ١٩٨٩م): ٦٠/٥؛ الدليمي، محمد حسن سهيل، الاقطاع في الدولة العباسية (٤٤٧هـ/٦٥٦هـ)، ديوان الوقف السني، العراق، (١٤٣٢هـ/٢٠٠١م): ص٢١.

(٧) السرخسي، شمس الدين محمد بن أبي السهل (ت٤٨٣هـ/١٠٩١م)، المبسوط، ط٣، (بيروت- لات): ١٠/٢٣.

(٨) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (٤٥٨هـ/١٠٦٥م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي ، (مصر-١٤٠٦هـ): ٢٢٩، الدليمي، الاقطاع: ص٢١.

(٩) البلوي، أبو محمد عبد الله محمد بن عمير بن محفوظ المديني(من علماء القرن ٤هـ/١٠م)، سيرة أحمد بن طولون، حققه وعلق عليه، محمد كرد علي (دمشق-١٣٥٨هـ/١٩٣٩م): ص ٥٣-٥٤؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو علي عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تحقيق، فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، (بيروت-لات): ٣٧١/٤.

(١٠) الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكتاب (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، مطبعة الشرق، مصر، (د.ت): ص٤٠.

(١١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، كتاب من لا يحضره الفقيه، صححه وعلّق عليه: علي اكبر الغفاري، ط٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ت١٤٠٤هـ: ٣/٢٤٠.

(١٢) ابن ماجه، الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن ابن ماجه، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة، (بيروت): ٢/١٥٨؛ الدوري، عبد العزيز، نشأة الاقطاع في المجتمعات الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٢٠)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد-١٣٩٠هـ/١٩٧٠م): ص١٤-٢٠.

(*) ديوان الجند، هو أول ديوان وضع في الإسلام ، وكان يسمى ديوان الجيش، كان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) هو أول من جعل للجند ديواناً للإشراف عليهم، وفيه أسماءهم وأوصافهم ومقدار أرزاقهم وإحصاء أعمالهم ليسهل استدعاءهم وتوزيع الاعطيات عليهم ومعرفة ما يتعلق بشؤونهم، ينظر: البلاذري، ابو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، وضع حواشيه: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م): ص٢٦٧؛ قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن جعفر بن زياد الكتاب البغدادي (ت٣٣٧هـ/٩٤٨م)، الخراج وصناعة الكتاب، شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة، (بغداد-١٤٠٢هـ/١٩٨١م): ص٢١-٣٢؛ الخيرو، رمزية عبد الوهاب، إدارة العراق في صدر الإسلام، (بغداد-١٣٩٨هـ/١٩٧٨م): ص١٤٦-١٤٩.

(١٣) ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (القاهرة-١٣٢٢م): ١/١٩٢-١٩٣.

(*) الخراج: وهي ضريبة الأرض ويتفاوت مقدارها باختلاف نوع الأرض الذي يحدد المقدار المفروض عليها، فخرج الوجه القبلي كان عيناً مما يؤخذ من غلة الأرض، أما خراج الوجه البحري فكان نقداً، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (١٨٤هـ/٧٩٨م)، الخراج ، المطبعة السلفية، (القاهرة-١٣٤٦هـ/١٩٢٧م): ص٦٩.

(١٤) البلاذري، فتوح البلدان: ص٢٦٧.

(١٥) الماوردي، الاحكام السلطانية: ١٨٣، الريس، محمد ضياء الدين، الخراج في الدولة الإسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري او التاريخ المالي للدولة الإسلامية مع مقدمة عن دولتي الروم والفرس، مكتبة النهضة، مصر، (القاهرة-١٩٥٧م): ١٤٤.

(١٦) الماوردي، الاحكام السلطانية: ١٨٣، الريس، محمد ضياء الدين، الخراج في الدولة الإسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري او التاريخ المالي للدولة الإسلامية مع مقدمة عن دولتي الروم والفرس، مكتبة النهضة، مصر، (القاهرة-١٩٥٧م): ١٤٤.

(١٧) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، عني بمراجعته، أصوله، والتعليق عليه: نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م): ٣٥٢/٢.

(١٨) ينظر: ابو يوسف، الخراج: ص٦٩؛ ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٣م: ص٦٤-٦٥.

(١٩) ابن الأثير، الكامل: ٣٥٢/٢، ماجد، تاريخ الحضارة: ص٦٤-٦٥.

(٢٠) مشعان، محمود شاكر، أهل الذمة في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١١٧م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد (١٤٣١هـ/٢٠١٠م): ص١٨٣.

(*) هو ابو تميم معد بن الظاهر الاعزاز دين الله، ولد في القاهرة سنة (٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، من أم نوبية سوداء أشتراها (الظاهر)، من تاجر نخاسة يهودي بويع بولاية العهد وعمره ثمانية أشهر في سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م)، ثم افضت الخلافة إليه وهو صبي دون الثماني سنوات بعد وفاة أبيه في سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٦م)، حكم ستين سنة حفلت بكثير من الأحداث والتطورات السياسية، توفى سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، ابن الأثير، الكامل: ١٧٢/٨-١٧٣؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر احمد عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م): ٤٥/٢.

(٢١) المناوي، محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، (القاهرة -لات): ص١٤٨.

(*) بدر الجمالي، هو أبو النجم بدر بن عبد الله (٤٠٥-٤٨٧هـ/١٠١٤-١٠٩٤م)، أمير الجيوش، أصله من أرمينا اشتراه جمال الدولة بن عمار غلاماً، فتربى عنده ونسب إليه، وتقدم في الخدمة حتى ولي إمارة دمشق للمستنصر الفاطمي سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٣م)، ثم استدعاه إلى مصر وقلده السيف والقلم وأصبح الحاكم في الدولة والمرجوع إليه توفى سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، ابن الصيرفي، ابو القاسم علي بن منجب بن سلمان (٥٤٢هـ/١١٤٧م): الإشارة إلى من نال الوزارة، عني بتحقيقه والتعليق عليه، عبدالله مخلص، مطبعة المعهد الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، (القاهرة-١٩٢٤م): ص٥٦-٥٧؛ ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر، (٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه احسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٧٠م):٤٤٨/٥.

(*) الضمان أو القبالة: هي العقود التي يلتزم بموجبها الضامن للإراضي الزراعية برفع مبالغ مقطوعة للدولة لقاء استيفائه للخراج من المزارعين برغبته مستفيداً من الارباح، ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م):أخبار مصر، نشر هنري ماسيه، مطبعة المعهد الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، (القاهرة-١٩١٩م): ص ١٥٦؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا:١٣٧/٢؛ البراوي، راشد: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة- ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م):ص٣٢.

(٢٢) المقريزي، الخطط: ٢٤٨/١؛ واتعاظ: ١٣٦/٢، الحدراوي، وسيم عبود عطيه، أثر الازمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى كلية التربية، جامعة القادسية، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م): ص ٢١٥.

(٢٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا: ١٤٨/٢؛ سيد، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، تفسير جديد، مكتبة الأسرة، (مصر-٢٠٠٧م): ص٧١١.

(٢٤) المسبحي، الأمير المختار عز المُلك محمد بن عبيد الله بن أحمد (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، أخبار مصر ٤١٤-٤١٥هـ، قابله بأصوله وأعده للنشر: أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة-١٤٣٦هـ/٢٠١٤م): ص٥٠.

(٢٥) المقريزي، الخطط: ٢٤٧/١، الدوري، عبد العزيز:مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، (بيروت-١٩٨٠م): ص١٠٣.

(*) هو أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الجمالي، احد وزراء التفويض في الدولة الفاطمية تدرج الأفضل في المناصب الإدارية، فلقد شارك والده في اعباء الوزارة منذ سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) وبعد وفاة والده في سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) تولى منصب الوزارة وتلقب (السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش، سيف الاسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين، وقد انتهت حياته بالقتل حيث تم اغتياله من قبل مجموعة من الاسماعيلية النزارية في سنة (٥١٥هـ/١١٢١م). ابن الصيرفي، الاشارة لمن نال الوزارة: ص٥٧-٥٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤٤٨/٢-٤٥٢، المناوي، الوزارة والوزراء: ص٢٧-٢٨.

(*) الروك: كلمة قبطية استمد منها الفعل العربي راك- يروك، ونعني في مصر اجراء زراعي يتم خلاله القيام بعملية قياس الأرض وحصرها في سجلات وتثمينها، والغرض من هذا الإجراء هو تعديل ما هو مفروض على البلاد من الأموال الخراجية نتيجة لما يطرأ على حال الأرض من تغيير بنقص أو زيادة في مساحتها بين وقت وآخر، ينظر: المقريزي، الخطط: ٢٤١/١؛ الحدراوي، أثر الازمات الاقتصادية: ص٢١٥.

(٢٦) المقريزي، الخطط: ٢٤١/١، الحدراوي، أثر الأزمات: ص٢١٠؛ محمد، جمال سرور: الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية، ومظاهر الحضارة في عهدها، دار الفكر العربي، (القاهرة-١٩٧٠م): ص١٣٨.

(*) طلائع بن رزيك (٥٤٩-٥٥٦هـ/١١٥٤-١١٦١م)، هو الملك الصالح ابو الغارات طلائع بن رزيك الأرميني المصري، وزير لكل من الخليفة الفائز بنصر الله والعاضد لدين الله، كان أديباً شاعراً جواداً، وكان له الحل والعقد في الدولة، قتل سنة (٥٥٦هـ/١١٦١م) بتدبير من أخت الخليفة العاضد وكانت مدة وزارته سبع سنوات، للمزيد ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٧٥/٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٥٢/٢؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا: ٢٧٥/٢؛ الخطط: ٣٢/٢.

(*) الاشمونيين: وهي مدينة قديمة حيث كانت من مدن الصعيد، أما الآن فهي قرية من قرى مركز ملوى بمحافظة المينا. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي الموصلي البغدادي(ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، مطبعة فؤاد بيان وشركاؤه، بيروت، (د.ت)، ص١٤٨؛ القلقشندي، صبح الأعشا: ٣٩٤/٣-٣٩٥.

(*) البهنسا: مدينة قديمة بالصعيد الأدنى بالبر الغربي من النيل، أما في الوقت الحالي فأصبحت البهنسا قرية من قرى مصر تابعة لمركز بني مزار بمحافظة المينا. ينظر: الإدريسي، محمد بن عبد العزيز، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس-مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: رينهارت دوزي-ودي خوية (ليدن: ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م):٥٠.

(٢٧) ابن ظافر، جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي ظاهر الأزدي(ت٦١٣هـ/١٢١٦م): أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة-١٤٢٢هـ/٢٠٠١م): ص١٧٧؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٢٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى فواز وحكمت كشلي، فواز، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م): ٣١٩/٢٨؛ الحدراوي، أثر الأزمات: ص٢١٧.

(*) شاور، بن مجير بن نزار بن عشائر بن شاس بن حبيب بن الحارثة بن أبي دوايب وهو والد حليمة السعدية مرضعة الرسول (ص) والي الصعيد الأعلى في أيام العاضد فيه نجابة وفروسية يلقب بأمير الجيوش، ابتدأ أمره في خدمة الصالح بن رزيك، ولاه الصعيد وقوص سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، وقد عزله العادل بن زريك بن طلائع بعد توليه الوزارة بعد أبيه، فجمع شاور جموعاً وقتل العادل واستولى على أمواله وجلس محله على كرسي الوزارة، للمزيد ينظر: ابن الأُثير، الكامل في التاريخ: ١٨١/٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٣٦/٢، ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن بن الأتابكي

(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدمه وعلق عليه محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤١٣هـ/١٩٩٢م): ٣٢٢/٥.

(*)نور الدين محمود (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١١٣م)، هو ابو القاسم محمود بن عماد زنكي صاحب حلب الملقب الملك العادل والشهيد ولد سنة (٥١١هـ/١١١٧م) كان ملكاً عادل زاهد عابداً توفى سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م). سبط بن الجوزي، شمس الدين بن المظفر، يوسف بن قراوغلي التركي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد-١٣٧٥هـ/١٩٥١م): ٨٣/٥، ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر احمد طليمات، دار الكتب العلمية الحديثة (القاهرة-١٩٦٣م): ص١٦١، الكامل في التاريخ: ١٢٤/٩.

(*) هو ابن شادي الملك المنصور أبو البركان عم صلاح الدين الأيوبي، توف سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) للمزيد ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١٧٣/٢-١٧٦، المقريزي، اتعاظ الحنفا: ٣٢٢/٢.

(٢٨) ابو شامه، شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٢٢هـ/٢٠٠٢م): ٦٣/٢، الحدراوي، اثر الازمات: ص٢١٧.

(*) الديوان، وهو اسم لموضع يجلس فيه الكتاب، وقد اختلف الناس في أصله وتسميته، فقال بعضهم أنه عربي بمعنى (الأصل الذي يرجع إليه ويعمل بما فيه)، وقال البعض الآخر أنه أصله اعجمي ومعناه بالفارسية سجل أو دفتر، وكما اختلف الناس في أصله أهو عربي أو عجمي كذلك اختلف في سبب تسميته، أن لهذه التسمية وجهان أحدهما أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرأهم يحسبون مع أنفسهم فقال (ديوانه) أي مجانين ومن هنا سمي موضعهم بهذا الاسم ثانيهما: أن الكتاب كانوا مهرة يقفون على الظاهر والخفي من الأمور لذلك سموا لحذقهم في الأمور التي تعرض عليهم بـ(ديوان) ومعناها بالفارسية الشياطين ثم اطلق اسم الديوان من باب المجاز على المكان الذي يحفظ فيه، للمزيد ينظر: ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، عيون الأخبار، (القاهرة-١٣٤٣هـ/١٩٢٥م): ٢٥٠/١، الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد (٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أدب الكاتب، نسخه وعني بتصحيحه وتعليق حواشيه، محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، (القاهرة، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م): ١٨٧/٢.

(٢٩) الماوردي، الاحكام السلطانية: ٣١٧، ابن طوير، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين: ٢٦٢/٢.

(٣٠) ابن الطوير، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن الفهري (٦١٧هـ/١٢٢٠م): نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، أعاد بناءه وحققه وقدم له، أيمن فؤاد السيد، دار صدار، بيروت، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م): ص٨٦، المقريزي،

المخطط: ٢٦٢/٢، الحدراوي، وسيم عبود عطية، الحاكم بامر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)، دراسة في سياسته الداخلية والخارجية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب/ جامعة الكوفة، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م): ص١٢٦.

(٣١) ابن طوير، نزهة المقلتين: ١٥، القلقشندي، أحمد بن علي (٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الأنشا، شرحه وعلّق وقابل نصوصه، نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، (بيروت-لات):٣١٨/١، المقريزي، الخطط:٢٧٥/١، سعد، أحمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، مصر الفرعونية الهلينية الامبراطورية الإسلامية الفاطمية في المغرب إلى مصر، المماليك، دار ابن خلدون، (بيروت-١٩٧٩م): ص٢٦٩.

(٣٢) ابن طوير، نزهة المقلتين: ص٨٦، القلقشندي، صبح الأعشا: ٤٨٩/٣، سرور، الدولة الفاطمية: ص١٤٩.

(*) أبو تميم معد بن إسماعيل بويع له بولاية العهد في حياة أبيه (٣٤١هـ/٩٥٢م)، وهو أول الخلفاء الفاطميين في مصر عمره خمس وستون سنة ولد في خلافته ثلاث وعشرون سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام توفى سنة (٣٦٥هـ/٩٥٦م)، الانطاكي، تاريخ: ص١٤٦، ابن الأثير: ٤٥/٧، المقريزي، اتعاظ الحنفا: ١٧٢/١، مشعان، أهل الذمة في مصر: ص٩١.

(*) هو أبو محمد بن أبي محمد طغج المعروف بالأخشيد صاحب مصر والشام والحجاز، ولد في بغداد سنة (٢٦٨هـ/٨٨١م)، وتوفى سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م)، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٥٦/٥-٦٣، كاشف، سيدة إسماعيل، مصر في عصر الأخشيدين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، (القاهرة- ١٩٥٠م): ص١١١-١٢٤، الحدراوي، الحاكم بأمر الله: ص٧١.

(٣٣) المقريزي، الخطط: ٨٥/١، البراوي، حالة مصر الاقتصادية: ص٢٧٩.

(٣٤) ابن طوير، نزهة المقلتين: ص٨٦، حسن إبراهيم حسن، وعلي إبراهيم حسن:النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة الإسلامية ، (القاهرة- ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م): ص١٩٧-١٩٨.

(٣٥) الماوردي، الأحكام السلطانية: ١٩٩/٢، حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة العربية، (القاهرة،١٩٦٧م): ٤٤٤/١.

(٣٦) الماوردي، الأحكام السلطانية: ٢٢٨/١، المقريزي، الخطط: ٢٨١/١، لينبول، ستانلي، سيرة القاهرة، ترجمة: حسن إبراهيم وعلي إبراهيم، ادوارد حليم ، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة-لات): ١٨٣-١٩١.

(٣٧) لمزيد من المعلومات ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية: ٢٢٨/١، هامش : ١-٢-٣-٤.

(٣٨) الخطط: ٨٥/١.

(٣٩) الخطط: ٢٨١/١، سيد، الدولة الفاطمية: ص٣٢١، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي: ص٣٩، الساعدي، ثامر لفته حسن، النظام المالي في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية، ابن رشد-جامعة بغداد، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م): ص١٥٢.

(٤٠) ناصر خسرو: أبو معين حميد الدين ناصر خسرو بن حارث القبدياني المروزي(ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، (قام برحلته بين سنتي (٤٣٧-٤٤٤هـ/١٠٤٥-١٠٥٢م)، سفرنامة، رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري نقلها إلى العربية، يحيى الخشاب، ط٢، مطابع دار القلم، (بيروت-١٩٧٠م): ص٩٥.

(٤١) ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة الخاص بالقاهرة من كاتب المغرب في حلى المغرب، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م): ٥١/٢.

(*) هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله الصقلي الكاتب مولى المعز لدين الله ولد سنة (٣١٢هـ)، وتوفى سنة (٣٨١هـ/) للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٧٥/١-٣٨٠؛ المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت-١٩١٩م): ٨٣/٣-١١١.

(٤٢) الرشيد بن الزبير، رشيد الدين أبو الحسين أحمد بن علي بن إبراهيم الأسواني (ت٥٦٣هـ/١١٦٧م)، الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، مطبعة حكومة الكويت، (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م): ص٢٣٢، المقريزي، الخطط: ٣٥٣/١.

(٤٣) دياب، صابر محمد ، الدولة الفاطمية نشأتها، سياستها الداخلية، سياستها الخارجية، دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م: ص٤٨.

(*) الجزيرة: المراد بها جزيرة الروضة، وقد عرفت في أوائل العصر الإسلامي باسم (الجزيرة) لوقوعها في مجرى نهر النيل وجزيرة مصر وجزيرة الفسطاط لوقوعها مقابل مدينة الفسطاط وعرفت هذه الجزيرة باسم (جزيرة المقياس) حيث يوجد فيها مقياس النيل. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد الشافعي(٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاءه، القاهرة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م: ٣٧٧/٢-٣٨٦.

(٤٤) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي (٣٨٦هـ/٩٩٦م)، سيرة الاستاذ جوذر، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين، محمد عبد الهادي شعيره، دار الفكر، (القاهرة- لات): ص٩٩.

(*) أبو منصور بن المعز لدين الله بن تميم بن منصور، أمه أم ولد واسمها (درزان) ولد في المهدية سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م)، وولي العهد بمصر وبويع سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م)، وكانت خلافته أحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً توفي سنة (٣٨٦هـ/٩٩٦م)، ابن ميسر، أخبار مصر: ص١٥٧، المقريزي، اتعاظ الحنفا: ٢٨٣/١.

(٤٥) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، تعليق: حسين مؤنس، دار الهلال للطباعة، (القاهرة- لات): ١١٦/٥.

(*) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس اول وزراء الدولة الفاطمية، أصله يهودي من أهل بغداد انتقلت به الأحوال بين العراق وبلاد الشام حتى وصل مصر حيث دخل في خدمة (كافور الإخشيدي)، حتى وفاته سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٤٦/٧، المناوي، الوزارة والوزراء: ص٢٤١.

(٤٦) ابن ظافر، أخبار الدولة المنقطعة: ص١١٥؛ النويري، نهاية الأرب: ١٦٥/٢٨.

(٤٧) ينظر: النويري، نهاية الأرب: ١٠٣/٢٨-١٠٤، المقريزي، اتعاظ الحنفا: ٣٠٢/١.

(*) أبو علي منصور بن العزيز مولده سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م) في القاهرة عين في أول الأمر كولي عهد لأبيه العزيز في شعبان (٣٨٣هـ/٩٩٣م)، وعمره ثمان سنوات وتولى الخلافة وهو يومئذ لأحد عشرة سنة ومدة خلافته خمس وعشرون وقيل وشهر قتل سنة (٤١١هـ/١٠١٠م)، المزيد ينظر، ابن ميسر، أخبار مصر، ص٥٢، ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٩م)، الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، (بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٤٦-٤٧، الحسن، الموصلي، أبو محمد حسن، بحر الأنساب في أنساب العلويين والهاشميين وساير قبائل العرب عن طريق التشجير، باهتمام محمود الحسني المرعشي، (طهران، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م): ص٣٠-٣١.

(*) ابن مالك الفارقي يكنى أبا الحسن، ولي القضاة سنة (٣٩٨هـ/١٠٠٧م)، ونزل الجامع وقرئ سجله بتقلده القضاء، فلم يزل إلى أن قتل سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م)، المزيد ينظر: الكندي، أبو بحر محمد بن يوسف الكندي المصري(٣٥٠هـ/٩١٦م)، الولاة وكتاب القضاة، تهذيب رفن كست، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت-١٩٠٨م): ص٦٠٣-٦٠٤، ابن ظافر، أخبار الدولة: ص١١٥، النويري، نهاية الأرب: ١٦٥/٢٨.

(٤٨) ابن ظافر، أخبار الدولة المنقطعة، دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدمة وتعقيب، أندريه فريه، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة-١٩٧٢م)، ص .

(*) برنشت: هي من أعمال الجيزة ، وتبلغ مساحتها (٢٩٦٠) فدان، وعبرتها (١٤٠٠) فدان للمزيد ينظر: ابن مماتي، أسعد (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، جمعة عزيز سوريال عطية، (مصر-١٩٤٣م): ص١١٧، ابن الجيعان، شرف

الدين يحيى بن علم الدين شاكر بن المعز (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، التحفة السنية باسماء البلاد المصرية، مطبعة بولاق الأميرية (القاهرة-١٣١٦هـ/١٨٩٨م): ص١٤٢.

(٤٩) المقريزي، اتعاظ الحنفا: ٣٧٢/١.

(*) برجوان: هو ابو الفتوح صقلي تربى ونشأ في دار العزيز بالله، إذ ولاه القصور ثم جعله أحد الأوصياء على ابنه الحاكم وكان يلقب الاستاذ وفي خلافة الحاكم ولي الأمور سنة (٣٨٦هـ/٣٨٧هـ) وقد انتهت حياته بقتله سنة (٣٩٠-٣٩٩هـ) للمزيد ينظر: ابن القلانسي، ابو يعلي حمزة ابن اسد بن علي بن محمد التميمي (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق، أمد روز مطبعة الآبا اليسوعيين، (بيروت، ١٩٠٨م): ص٥٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٧٠/١، المقريزي، اتعاظ الحنفا: ٣٣١/١.

(*) الحسين بن النعمان بن علي بن النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيوان، ولد سنة (٣٥٣هـ/٩٦٤م)، بالمهدية وقدم مع أبيه إلى القاهرة سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م)، ومهر في علوم الفقه حتى أصبح أحد علماء المذهب الإسماعيلي، قتل من قبل الحاكم سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، الكندي، الولاة: ص٥٩٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢٠٩/٣، السيوطي، حسن المحاضر: ١٤٧/٢.

(٥٠) ينظر: المقريزي، المقفى الكبير: ٦٢١/٣.

(*) بنت العزيز الفاطمي، أميرة من الفضليات الحازمات المدبرات وهي أخت الحاكم الفاطمي كان يستشيرها في معضلاته ثم تغير عليها وهم بقتلها، توفيت سنة (٤١٥هـ/١٠٢٢م)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٣١/٨، المقريزي، اتعاظ الحنفا: ٣٣٢/١، هـ(٢).

(*) كلمة اصطلاحية تعني المربوط بالضريبة المالية على كل اقطاع من الأرض وما يحصل من قرية من عين ونحلة وصنف، ويكون حسابها باعتبار السنة الأقل ريعاً والسنة الأكثر ريعاً ويجمعان ويؤخذ نصفهما، الخوارزمي، مفاتح العلوم: ص٤، ابن مماتي، قوانين الدواوين: ص٣٦.

(٥١) ابن الأثير، الكامل: ١٠١/٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٠١/٩، المقريزي، الخطط: ٨٩/٢.

(*) اعراب يقطنون بمنطقة الفيوم غرب النيل، المسبحي، أخبار مصر، ص٢٣ هـ(٣)، المقريزي، البيان والاعراب عما في أرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المجيد عابدين، (الاسكندرية- ١٤١٠هـ/١٩٨٩م): ص٢٢.

(٥٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا: ٣٤٥/١.

(*) العشاري، نوع من السفن الصغيرة التي تلحق بالأسطول أو المراكب الكبيرة وكان هذا النوع من السفن يكاد أن يكون موقوفاً في استعماله على الخلفاء والوزراء وولاة الأعمال إضافة إلى استعماله في نقل البضائع، للمزيد ينظر: ابن طوير، نزهة المقلتين، ص١٩٢-١٩٤، ماهر، سعاد، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية (القاهرة-١٣٨٧هـ/١٩٦٧م): ص٣٥٦-٣٥٧، النخيلي، درويش، السفن الإسلامية على حروف المعجم، (الاسكندرية-١٣٩٤هـ/١٩٧٤م): ص٩٥.

(*) هم بني مرة قرة بن عمر بن ربيعة بن عبد مناف بن هلال بن عمر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان ويرجع أصلهم إلى جذام، ومكان إقامتهم أراضي البحيرة، وفي نواحي الاسكندرية، ينظر: المقريزي، البيان والإعراب، ص٢٢، ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، التاريخ السياسي، دار المعارف القاهرة، (الاسكندرية-١٩٦٨م): ص٣٧٤، الحدراوي، الحاكم بأمر الله: ص٦٤.

(٥٣) ابن سعيد، النجوم: ٦٦/٢، عنان، محمد عبد الله، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية (القاهرة-١٩٣٧م): ص٢١٣، المقريزي، الخطط: ٢٥٠/٣.

(*) هي قبيلة كبيرة من البربر البرانس ينتسبون إلى كتم بن برنس ويقمون فيما يعرف ببلد كتامة، وتعتبر كتامه من أشد قبائل البربر بأساً وتمتد حدود عمارة بلدهم من حدود جبل أوراس في الجنوب إلى سيق البحر ما بين بجابه وبونه، المزيد ينظر: القاضي النعمان، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ/٩٧٣م)، رسالة افتتاح الدعوة، ظهور الدعوة العبيدية (الفاطمية) تحقيق: وداد القاضي، دار الثقافة، (بيروت- ١٩٧٠م): ص٥٧، ابن خلدون، العبر: ٣١/٤-٣٢.

(*) الحسين بن دواس، هو سيف الدين الحسين بن علي بن دواس الكتامي أحد شيوخ قبيلة كتامه المغربية، وكان هذا يعيش بعيداً عن القصر ويقاطع الحفلات والمواكب الرسمية خوفاً من الحاكم وعمد لتدبير لمؤامرة التخلص من الحاكم عملت (سيدة الملك) على التخلص منه فاعطت الأوامر في قتله سنة (٤١١هـ/١٠٢٠م)، للمزيد ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٠٦/٧-٣٠٧، ابن عذارى، ابو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، البيان المغرب في أخبار المغرب، قسم المغرب، مطبعة المناهل، (بيروت-١٩٥٠م): ٣٩١/١، الحدراوي، الحاكم: ص٦٢.

(٥٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٢٩/٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٨٦/٤.

(٥٥) سيد، الدولة الفاطمية، ص١٢٢؛ الحدراوي، أثر الازمات الاقتصادية، ص٢١٤.

(*) هو الحسن علي بن الخليفة الحاكم بأمر الله سادس الخلفاء الفاطميين ولد سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، تولى الحكم سنة (٤١١هـ/١٠١٠م)، توفى سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٦٦/١، الزركلي، خير الدين (٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، الاعلام، (بيروت-لات): ٢٥/٥.

(٥٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا: ١٤/٢، دياب، الدولة الفاطمية: ص١٠.

(*) الأمير شمس الملك الأمين أبو الفرج خلع عليه سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م)، وجعل واسطة فنقل جميع الدواوين إلى داره وجعل يوماً يركب فيه إلى القصر للمطالعة لما يحتاج إليه واستمر على ذلك إلى حين توفى. ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص٨٠، المقريزي، أتعاظ الحنفا: ٣٩٦/١.

(٥٧) المسبحي، أخبار مصر، ص٢٨-٢٩، المقريزي، الخطط: ٤٠/٢، الحدراوي، أثرت الأزمات: ص٢١٥.

(*) حسان بن الجراح الطائي ولآل الجراح تاريخ طويل بفلسطين، وذلك أنشأوا أمارة في البقاع وباديتها في جواد القدس ثم امتد نفوذهم إلى الرملة وناحيتها، يحيى بن سعيد، تاريخ الانطاكي: ص٣٩١، ابن خلدون، العبر:٧/٦، المقريزي، اتعاظ الحنفا: ٨/٢، الحدراوي، أثر الأزمات: ص٢١٦.

(٥٨) المقريزي، أتعاظ الحنفا: ٨/٢ ، ٢١٦، الحدراوي، أثرت الأزمات الاقتصادية: ص٢١٥.

(٥٩) وفيات الأعيان: ١٢٧/٢.

(*) أبو الحارث هو مملوك تركي من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة واسمه أرسلان وهو منسوب إلى مدينة بسا بفارس وكان سيد هذا المملوك في بسا فعرف بالبساسيري لذلك تمكن بإقامة الخطبة للمستنصر الفاطمي مدة أربعين أسبوعاً في بغداد قتل ٨ ذي الحجة في (٤٥١هـ/١٠٥٩م)وحمل رأسه إلى طغرلبك وصلب على قبلة الباب النوبي ببغداد، المقريزي، اتعاظ الحنفا:٧٦/٢.

(٦٠) المقريزي، اتعاظ الحنفا: ٤٥/٢، ١١٤، دياب ، الدولة الفاطمية، ص١١-١٢.

(٦١) المقريزي، اتعاظ الحنفا: ١٣٦/٢، الخطط: ١٠٢/٢، سيد، الدولة الفاطمية: ص٧١١.

(٦٢) ابن ميسر، أخبار مصر:ص ٥٨.

(٦٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا: ١٣٧/٢، سيد ، الدولة الفاطمية: ص٧١١.

(*) القيراط: ويقال فيه القراط، يختلف وزنه حسب البلاد، والقيراط عند أهل هذا العصر من الجوهريين جزء من الذهب الأبريز يزن جزءاً من مجموعة الثقل المعدن، ولا يستخدم القيراط في عهدنا هذا الوزن الماس ولدَّر والقيراط قسمان، الأول شرعي ، وهو ثلاث حبات من حب الشعير المتوسط والثاني. الصيرفي في أربع أو قمحات، والقيرط هو المراد بالحمصة

التي هي الحبة والحمصة أربع جبات قمح، ينظر: المقريزي، شذور العقود في ذكر النقود الإسلامية القديمة، تحقيق: السيد علي بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، إيران، (قم- ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م): ص٩٧-٩٨، آه آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عيلة، مراجعة: غسان سباتو، دار قتيبة للطباعة ، سوريا، (دمشق-١٩٨٥م): ص٢٥٨.

(٦٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا: ٢٤٢/١.

(*) أبو علي المنصور بن المستعلي بالله أبي القاسم احمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد، ولد في سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٦م)، وبويع له بالخلافة سنة (٤٩٥هـ/١١٠١م)، وهو طفل عند وفاة أبيه ونعت بالأمر بأحكام الله، استمر في الخلافة تسع وعشرون سنة، قتل سنة (٥٢٤هـ/١١٢٩م)، ابن الصيرفي، الاشارة لمن نال الوزارة: ص٤٠-٤١، ابن خلكان، وفيات: ١٢٨/٢، المقريزي، اتعاظ الحنفا: ١٦٤/٢.

(٦٥) النويري، نهاية الأرب: ١٧٧/٢٩/٢٨-١٧٨.

(٦٦) م.ن: ١٧٧/٢٩/٢٨-١٧٨.

(٦٧) ابو يوسف، الخراج: ص١١٣، المقريزي، الخطط: ٢٨٣/١.

(٦٨) للمزيد ينظر: البطائي، الأمير جمال الملك موسى بن المأمون (٥٨٨هـ/١١٩٢م)، السيرة المأمونية، أو أخبار مصر (٥٠١-٥١٩)، أعاد بناءها وقدم لها أيمن فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة- ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م): ص١١، المقريزي، الخطط: ٢٤٢/١.

(٦٩) المصدر نفسه: ص١١، المقريزي، الخطط: ٢٤٢/١.

(٧٠) المقريزي، الخطط: ٢٤٢/١، سرور، الدول الفاطمية سياستها الداخلية: ص١٥٤.

(*) هو أبو محمد عبد الله بن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله آخر خلفاء الدولة الفاطمية، ولد سنة (٥٤٦هـ/١٠٥١م) وبويع له بالخلافة بعد موت الخليفة الفائز استمر حكمه حتى سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م)، ابن حماد، ابو عبد الله بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصناجي القلعي (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: فوندر هايدين، مطبعة كربونل، (الجزائر-١٣٤٦هـ/١٩٢٧م): ص٧٧-٧٩، المقريزي، اتعاظ الحنفا: ٢٨٨/٢، الحدراوي، أثر الأزمات: ص ٢١٥.

(٧١) ابن مماتي، قوانين الدواوين: ص٣٦٧.

(٧٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا : ٣٢٨/٢، الخطط: ٤٩/٢.

(٧٣) المقريزي، المصدر نفسه : ٣٢٨/٢، الخطط: ٤٨/٢.

(*) قوص: وهي مدينة كبيرة عظيمة في صعيد مصر، وكانت حافلة بالأسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق، أما الآن فهي تقع في محافظة قنا على الشاطئ الشرقي للنيل. ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي البلنسي الأصل الغرناطي الاستيطان (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقليه، تحقيق: حسنين نصار، دار مصر للطباعة، مصر ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م: ص٦٥.

(*) أسوان: وهي من البر مدن الصعيد من الأعمال القوصية، وكانت تعتبر من الثغور المهمة لمصر على بلاد النوبة، للمزيد ينظر: الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م): مسالك الممالك، تحقيق: دي غويه، مطبعة بريل، ليدن ١٩٧٢م: ص٥٣.

(*) وعيذاب: ميناء يقع على الساحل المصري للبحر الأحمر، وكان هذا الميناء أحد النقاط الرئيسية في طريقة تجارة الشرق، ناصر خسرو، سفر نامة: ص١١٨.

(*) بوش كورة ومدينة بمصر من نواحي الصعيد الأدنى في غرب النيل بعيدة عن الشاطئ وغير اسمها فأصبحت مدينة (ناصر)، وهي من أعمال بني سويف مصر. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٦٠٢/١.

(٧٤) ابو شامه، الروضتين في أخبار الدولتين: ١٢٠/٢، المقريزي، الخطط: ٤٤٦/٢، الحدراوي، أثر الازمات: ص٢١٧.

(٧٥) المقريزي، الخطط: ٩٧/١، عمارة محمد، نظرة جديدة إلى التراث، مطبعة المتوسط، (بيروت -١٣٩٤هـ/١٩٧٤م): ص١٧٦-١٧٧، الحدراوي، أثر الازمات: ص٢١٧.

(٧٦) الحدراوي، أثر الازمات: ص٢١٥.

(٧٧) سرور، محمد جمال الدين، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق في عهد نفوذ الاتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي- لات)، ص١١٤، حسن، النظم الإسلامية ، ص١٩٨.

(*) مناشير، مفردها منشور وهو أمر صادر عن الخليفة يتبلغ بعض قراراته إلى دواوين ، القلقشندي، صبح الأعشا: ٣١/١٣-١٣٢، سيد، الدولة الفاطمية: ص٧١٩.

(*) السجل أو سجلات كانت يطلق في عهد الفاطميين على المكاتبات التي يبعث بها من ديوان الانشاء إلى الأعمال بمصر والاقطار التابعة لابلاغ حادثة من الحوادث التي تخص بالخليفة كركوبهِ في الاعياد والمواسم، أو الإشهار أحد أوامر الخليفة كأصناف ألقاب لأحد الوزراء أو النقباء، المسبحي، أخبار مصر: ص٤، هـ(٣). المقريزي، الخطط: ٢٤٣/١.

(٧٨) القلشندي، صبح الأعشا: ١٣١/١٣-١٣٢، سيد ، الدولة الفاطمية: ص٧١٩.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):
١. التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر احمد طليميات، دار الكتب الحديثة (القاهرة-١٩٦٣م).
٢. الكامل في التاريخ، عني بمراجعته، أصوله، والتعليق عليه: نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
- الأزدي، ابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/٩٣٣م):
٣. جمهرة اللغة (بيروت-لات).
- البطائي، الأمير جمال الملك موسى بن المأمون (٥٨٨هـ/١١٩٢م):
٤. السيرة المأمونية، أو أخبار مصر (٥٠١-٥١٩)، أعاد بناءها وقدم لها أيمن فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة- ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م).
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):
٥. فتوح البلدان، وضع حواشيه: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)
- البلوي، أبو محمد عبد الله محمد بن عمير بن محفوظ المديني(ت ق٤هـ/١٠م):
٦. سيرة أحمد بن طولون، حققه وعلق عليه، محمد كرد علي (دمشق-١٣٥٨هـ/١٩٣٩م).
- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن بن الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م):
٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدمه وعلق عليه محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت-١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- الجوذري، أبو علي منصور العزيزي (٣٨٦هـ/٩٩٦م):
٨. سيرة الاستاذ جوذر، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين، محمد عبد الهادي شعيره، دار الفكر، (القاهرة- لات).
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٥١م):
٩. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن بان، (بيروت- ١٩٨٩م).
- الحسن، الموصلي، أبو محمد حسن:

١٠. بحر الأنساب في أنساب العلويين والهاشميين وساير قبائل العرب عن طريق التشجير، باهتمام محمود الحسني المرعشي، (طهران، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).
- ابن حماد، ابو عبد الله بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصناجي القلعي (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م):
١١. أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: فوندر هايدين، مطبعة كربونل، (الجزائر-١٣٤٦هـ/١٩٢٧م).
- ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م):
١٢. تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (القاهرة-١٣٢٢م).
- ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر، (٦٨١هـ/١٢٨٢م):
١٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه احسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٧٠م).
- الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م):
١٤. مفاتيح العلوم، مطبعة الشرق، (مصر، د.ت)
- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٩م):
١٥. الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين عالم الكتب، (بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- الرشيد الزبير، رشيد الدين أبو الحسين أحمد بن علي بن إبراهيم الأسواني (ت٥٦٣هـ/١١٦٧م):
١٦. الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، مطبعة حكومة الكويت، (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م).
- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمد بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م):
١٧. أساس البلاغة، (القاهرة-١٩٢٣م).
- سبط بن الجوزي، شمس الدين بن المظفر، يوسف بن قراوغلي التركي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م):
١٨. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد-١٣٧٥هـ/١٩٥١م).
- السرخسي، شمس الدين محمد بن أبي السهل (ت٤٨٣هـ/١٠٩١م):
١٩. المبسوط، ط٣، (بيروت- لات)
- ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

٢٠. النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة الجزء الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

- ابن سيدة، علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ/١٠٥٦م):

٢١. الحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق مصطفى السقا، وحسين النجار، (القاهرة-١٩٨٥م).

- أبو شامه، شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م):

٢٢. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٢٢هـ/٢٠٠٢م).

- الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد (٣٣٥هـ/٩٤٦م):

٢٣. أدب الكاتب، نسخه وعني بتصحيحه وتعليق حواشيه، محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، (القاهرة، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م).

- ابن الصيرفي، ابو القاسم علي بن منجب بن سلمان (٥٤٢هـ/١١٤٧م):

٢٤. الإشارة إلى من نال الوزارة، عني بتحقيقه والتعليق عليه، عبدالله مخلص، مطبعة المعهد الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، (القاهرة-١٩٢٤م).

- الطرازي، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد (ت٦١٦هـ/ ١٢١٨م):

٢٥. كتاب المغرب في ترتيب المعرب، (بيروت-لات).

- ابن الطوير، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن الفهري (٦١٧هـ/١٢٢٠م):

٢٦. نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، أعاد بناءه وحققه وقدم له، أيمن فؤاد السيد، دار صادر ، بيروت، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- ابن ظافر، جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي ظاهر الأزدي(ت٦١٣هـ/١٢١٦م)

٢٧. أخبار الدولة المنقطعة، دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدمة وتعقيب، أندريه فريه، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة-١٩٧٢م).

- ابن عذارى، ابو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م):

٢٨. البيان المغرب في أخبار المغرب، قسم المغرب، مطبعة المناهل، (بيروت-١٩٥٠م).

- ابن فارس، ابو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م):

٢٩. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (بيروت–لات).
– ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م):
٣٠. عيون الأخبار، (القاهرة–١٣٤٣هـ/١٩٢٥م).
– قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن جعفر بن زياد الكتاب البغدادي (ت٣٣٧هـ/٩٤٨م):
٣١. الخراج وصناعة الكتاب، شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة، (بغداد–١٤٠٢هـ/١٩٨١م)
– ابن القلانسي، ابو يعلي حمزة ابن اسد بن علي بن محمد التميمي (٥٥٥هـ/١١٦٠م):
٣٢. ذيل تاريخ دمشق، تحقيق، أمد روز مطبعة الآبا اليسوعيين، (بيروت، ١٩٠٨م).
– القلقشندي، أحمد بن علي (٨٢١هـ/١٤١٨م):
٣٣. صبح الأعشى في صناعة الأنشا، شرحه وعلّق وقابل نصوصه، نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، (بيروت–لات).
– الكندي، أبو بحر محمد بن يوسف الكندي المصري(٣٥٠هـ/٩١٦م):
٣٤. الولاة وكتاب القضاة، مهذباً بقلم رفن كَست، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت–١٩٠٨م).
– ابن ماجه، الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م):
٣٥. سنن بن ماجه، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة، (بيروت).
– الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (٤٥٨هـ/١٠٦٥م):
٣٦. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي ، (مصر–١٤٠٦هـ).
– المسبحي، الأمير المختار عز المُلك محمد بن عبيد الله بن أحمد (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م):
٣٧. أخبار مصر في سنتين ٤١٤–٤١٥هـ، قابله بأصوله وأعده للنشر: أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة–١٤٣٦هـ/٢٠١٤م).
– المقريزي، تقي الدين بن عبد القادر بن محمد (٨٤٥هـ/١٤٤١م):
٣٨. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر احمد عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت–١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٣٩. البيان والاعراب عما في أرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المجيد عابدين، (الاسكندرية– ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

٤٠. شذور العقود في ذكر النقود الإسلامية القديمة، تحقيق: السيد علي بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، إيران، (قم- ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م).
٤١. المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت-١٩١٩م).
٤٢. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٨م).
- ابن مماتي، أبو المكارم الأسعد بن مهذب الخطير ابي سعيد بن زكريا المصري(ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م):
٤٣. قوانين الدواوين، جمعة عزيز سوريا عطية، (مصر-١٩٤٣م).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري الأنصاري (ت٧١١هـ/١٣١١م):
٤٤. لسان العرب، (القاهرة-لات).
- ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن حلب راغب (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م).
٤٥. أخبار مصر، نشر هنري ماسيه، مطبعة المعهد الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، (القاهرة-١٩١٩م).
- ناصر خسرو، أبو معن حميد الدين حارث القبدياني المروزي العلوي، (قام برحلته بين سنتي (٤٣٧-٤٤٤هـ/١٠٤٥-١٠٥٢م):
٤٦. سفرنامة، رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري نقلها إلى العربية، يحيى الخشاب، ط٢، مطابع دار القلم، (بيروت-١٩٧٠م).
- القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ/٩٧٣م):
٤٧. رسالة افتتاح الدعوة، ظهور الدعوة العبيدية (الفاطمية) تحقيق: وداد القاضي، دار الثقافة، (بيروت- ١٩٧٠م).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٢٢م):
٤٨. نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى فواز وحكمت كشلي، فواز، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو علي عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):
٤٩. معجم البلدان، تحقيق، فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، (بيروت-لات).
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (١٨٤هـ/٧٩٨م):
٥٠. الخراج ، المطبعة السلفية، (القاهرة-١٣٤٦هـ/١٩٢٧م).

ثانياً: المراجع:

- ايليخو، آشتور:

٥١. التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبله، مراجعة: غسان سباتو،مطبعة خالد بن الوليد قتيبة للطباعة ، سوريا، (دمشق-١٩٨٥م).

- البراوي، راشد:

٥٢. حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة- ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م).

- حسن إبراهيم حسن، وعلي إبراهيم حسن:

٥٣. النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة الإسلامية ، (القاهرة- ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

- حسن، إبراهيم حسن:

٥٤. تاريخ الإسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة العربية، (القاهرة،١٩٦٧م).

- حميد الله، محمد:

٥٥. الوثائق السياسية في عهد النبي والخلافة الراشدة، (القاهرة- ١٩٤١م): سعد، تاريخ مصر.

- الخيرو، رمزية عبد الوهاب:

٥٦. إدارة العراق في صدر الإسلام، (بغداد-١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

- الدليمي، محمد حسن سهيل:

٥٧. الاقطاع في الدولة العباسية (٤٤٧هـ/٦٥٦هـ)، ديوان الوقف السني، العراق، (١٤٣٢هـ/٢٠٠١م).

- الدوري، عبد العزيز:

٥٨. مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، (بيروت-١٩٨٠م).

- دياب، صابر محمد:

٥٩. الدولة الفاطمية نشأتها، سياستها الداخلية، سياستها الخارجية، دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م).

- الزركلي، خير الدين (٧٩٩هـ/١٣٩٦م):

٦٠. الاعلام، (بيروت-لات).

- زيدان، جرجي:

٦١. تاريخ التمدن الإسلامي، تعليق: حسين مؤنس، دار الهلال للطباعة، (القاهرة- لات).

- سرور، محمد جمال الدين:
٦٢. تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي-لات).
٦٣. الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية، ومظاهر الحضارة في عهدها، دار الفكر العربي، (القاهرة-١٩٧٠م).
- سعد، أحمد صادق:
٦٤. تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، مصر الفرعونية الهلينية الامبراطورية الإسلامية الفاطمية في المغرب إلى مصر، المماليك، دار ابن خلدون، (بيروت-١٩٧٩م).
- سيد، أيمن فؤاد:
٦٥. الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، مكتبة الأسرة، (مصر-٢٠٠٧م)
- عمارة محمد:
٦٦. نظرة جديدة إلى التراث، مطبعة المتوسط، (بيروت -١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).
- عنان، محمد عبد الله:
٦٧. الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية (القاهرة-١٩٣٧م).
- القوصى، عطية:
٦٨. تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
- كاشف، سيدة إسماعيل:
٦٩. مصر في عصر الأخشيدين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، (القاهرة- ١٩٥٠م).
- لينبول، ستانلي:
٧٠. سيرة القاهرة، ترجمة: حسن إبراهيم وعلي إبراهيم، ادوارد حليم ، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة-لات).
- ماجد: عبد المنعم
٧١. الإمام المستنصر بالله الفاطمي، (القاهرة- ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).
٧٢. تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٣م
٧٣. ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، التاريخ السياسي، دار المعارف القاهرة، (الاسكندرية-١٩٦٨م).
- ماهر، سعاد:

٧٤. البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية (القاهرة-١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
- المناوي، محمد حمدي:
٧٥. الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، (القاهرة -لات).
- النخيلي، درويش:
٧٦. السفن الإسلامية على حروف المعجم، (الاسكندرية-١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).
ثالثاً: المجلات:
- الدوري، عبد العزيز:
٧٧. نشأة الاقطاع في المجتمعات الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٢٠)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد-١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).
رابعاً: الرسائل الجامعية:
- الحدراوي، وسيم عبود عطيه:
٧٨. أثر الازمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى كلية التربية، جامعة القادسية، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
٧٩. الحاكم بامر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م): دراسة في سياسته الداخلية والخارجية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب/ جامعة الكوفة، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- الساعدي، ثامر لفته حسن:
٨٠. النظام المالي في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية، ابن رشد-جامعة بغداد، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م).
- مشعان، محمود شاكر:
٨١. أهل الذمة في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١١٧م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

علم نسيء التقويم القمري العربي على الشمسي حتى وفاة النبي (ص)

أ.م.د. تومان غازي الخفاجي
الجامعة الإسلامية/ النجف الأشرف
أ.م.د. شكيب غازي الحلفي
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدِّمة:

إنّ علم تصحيح التقويم القمري المسمّى بـ(علم نسيء التقويم) من علوم القرآن الذي تغافل عنه القدماء والمحدثون، على الرغم من قِدَمِ نصوصه التاريخية والدينية، حتى أثار مشكلته السيد فرقد القزويني في فيديو مشهور، وسوف نتناول هذا الموضوع على وفق منهج علم الإدراك المعاصر الذي يرينا كيفية عمل نظام الإدراك، عندما تكشف ملكة القلب التدبرية عمّا هو جديد، ومختلف عمّا تدبرته قلوب القدماء، بسبب اختلاف السياق المقامي القديم عن المقام الحالي، كمستوى خامس من مستويات لغة الخطاب لا يمكن التغاضي عنه في تدبّر معاني النصّ التدبرية المخبّأة في المستوى المقامي كمستوى يسلط الضوء على الجانب النفعي والأخلاقي العام، الذي يتطوّر عبر مرور الزمن.

لذلك يُعنى هذا البحث بتقديم منهج أو طريقة بحث منطقية جديدة تكشف عن آليات اشتغال نظام الإدراك البشري المتألف من تضافر ثلاث ملكات هي: (العقل المجرد من المادة، والقلب نصف المجرد، والحس المادي التجريبي) اشتغالا سليما كنظام علائقي متناغم العمل يفيد من مجموعة علوم حديثة هي: علوم اللسان والفلسفة وعلم النفس الإدراكي وعلم الحاسوب، للإجابة على سؤال جوهري هو: كيف تشتغل اللغة مُعبِّرة عن اشتغال نظام الإدراك البشري عندما يُريد إدراك موضوع ما إدراكا سليما متطورا عبر مرور الزمن؟

يكشف هذا المنهج أيضا عن فقر البحوث الإنسانية العربية والإسلامية الحالية التي تفتقر – في الأعمِّ الأغلب – إلى الرؤى التي تفيد من الماضي وتستلهم مُعطيات الحاضر وتتطلع لاستشراف المستقبل

بالجديد الأصيل الذي يشعرنا بأهمية نقد المعارف والعلوم القديمة.

ويرجع سبب هذا إلى خطأ حضاري يكمن في تقديسنا للقديم لقِدَمهِ، كذلك سَمّيَت العلوم القديمة بـ(علوم الأوائل)، التي علينا أن نقدسها ونتذاكرها كيلا ننساه، من دون أنْ نعي أنَّ النسيان إنّما هو نعمةٌ من نِعَمِ الله التي توفِّر للعقل البشري إمكانية رؤية العالَم بأنظارٍ جديدة[1].

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في ما يثيره السؤال التدبّري الآتي: هل أنَّ ثقافة الدين الإسلامي ثقافة حياة إيجابية، خُلقنا لنعملَ وننعمَ فيها وندَّخرَ بالإنفاق مما رُزِقنا لما بعدها من حياة أُخروية، أو هي ثقافة موت سلبية زاهدة بالحياة، يستلهم جمهورها علومهم من حدوس المعتكفين في الصوامع؟!.

فرضية البحث:

إذا سلّمنا بصحة فرضية أنّ (الثقافة الإسلامية ثقافة حياة إيجابية)؛ لأنّها نتاج آخر دين سماوي يعتقد معتنقوه بأنّه يصلح لكلِّ زمان ومكان، فإنَّ حلَّ مشكلة البحث تكمن في فرضية: (وصل المنافع الدينية بالمنافع الدنيوية العامة) لفكِّ أيِّ تنافٍ تعارضي بين المنفعتين، كيما يتحررُ المتديّن من أنانيته، فيكون هذا الوصل وصلاً تكاملياً بعملية اصطلح عليها العرب فيما يخصُّ موضوع البحث بـ(نسيء التقويم القمري)، الذي رصدنا دلائل حدوثه في عصر قبل الإسلام منذ ولادة النبيّ (ص) حتى مبعثه، وفي العصر الإسلامي منذ البعثة حتى وفاة النبي (ص)، بإجراء تصحيحات في الساعة القمرية المقصّرة، التي تُصحح أيضا بزيادة شهر نسيء كشهر كبس تصحيحي للسنة القمرية يفيد في إنشاء تطابق أو تواطؤ بين التقويم (القمري/الهجري) المتّصل بالمنافع الدينية مع التقويم الشمسي المنضبط نسبيًا، والمتصل بالمنافع الدنيوية أو بالمواسم الزراعية، وما يتبعها من توازن طبيعي يربط بين حياة الإنسان والحيوان والنبات والبيئة الحاضنة كمخلوقات يكونُ الإنسانُ المتحضِّرُ أو المتديّن مسؤولاً عنها، وإلاّ أصبحت الثقافة الإسلامية ثقافة موتٍ سلبية، ولاسيما أنَّ عملية نسيء التقويم القمري، أو تصحيح التقصير في السنة القمرية على السَّنَةِ الشمسية الموسمية، هو إجراء مُعتمد في جميع أنحاء العالم؛ عند الصينيين والهندوس

واليهود والعالم المسيحي وغيرهم من الأمم المتحضِّرة[٢].

وجاهة فرضية البحث من الناحية الشرعية:

تكمن وجاهة فرضية البحث من الناحية الشرعية بأنّها تُمثل سُنّةً نبويّة أقرّها النبي (ص) من مبعثه حتى وفاته، بدليل تطابق الوقائع التاريخية المؤرخة بالأشهر القمرية ومقابلتها مع أشهر العجم الشمسية، بحسب ما أوردها اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ) في تاريخه، المدعومة بأدلة طبيعية، كالإشارة إلى حرارة الجو ونضج بعض الثمار المرافقة لتلك الحوادث، بما يُنبئ عن حلول عبادة الحجّ الكبرى في وقت شمسي ثابت هو عاشر ذي الحجّة الموافق أو المواطئ لشهر السنة الشمسية الثاني عشر؛ أول أشهر شتاء مكّة ومحيطها، وقت إدراك العشب والفواكه واعتدال الهواء ليسهل على المسافرين السفر إلى مكة[٣]، لتحجّ الناس وتتاجِر تجارة مادية وثقافية في هذا الموسم الدينيّ الاجتماعيّ.

كذلك بقي الصيام منذ فرضه الله بالمدينة موافقاً لشهر أيلول (سبتمبر)، الشهر التاسع الشمسي، وهو شهر الاعتدال الخريفي في نصف الكرة الأرضية الشمالي الذي يتساوى فيه الليلُ والنهار، وهو وقت الانقلاب الربيعي في نصف الكرة الأرضية الجنوبي، ما يجعل العقل المجرد يقرّ بوجود نسيئين مختلفين:

أولهما: نسيء التقويم القمري قبل الإسلام، الذي نقده القرآن الكريم بوصفه زيادة في الكفر، لا لأنّه يُصحح تقصير الساعة القمرية على الساعة الشمسية، وإنّما لأنّه يفكِّك كمال الأشهر الحُرُم المتصلة الثلاثة: (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم) الذي يُدرك إدراكا كيفيا كليّا بالقلب دفعة واحدة كما يُدرك الموضوع الجمالي، الذي يُعرف بقانون: (الكل> مجموع الأجزاء)، أي الثلاثة الأشهر الحُرُم المتصلة أكبر منها مفصولة بشهر يقطّع تواصلها حينا ويوصلها حينا.

ثانيهما: نسيء التقويم القمري في الإسلام من البعثة حتى وفاة النبي (ص)، وهو الذي يحافظ على اتصال الأشهر الحُرُم المتصلة الثلاثة، ويُجرى – بحسب اعتقادنا – في الشهر الثاني (صُفر) أو غيره مّما يسبق شهر (رجب) رابع الأشهر الحُرُم المنفصل، وهو الشهر السابع القمري الموافق لشهر تموز (يوليو) السابع الشمسي من حيث ترتيب شهور السنة الاثني عشر.

لهذا اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على مبحثين يسبقها مبحث تمهيدي منهجي عرضنا فيه خلاصة نظرية الإدراك السليم لنسيء التقويمين القمري والشمسي ونسيء تصحيح بعضهما على بعض، لغرض فَهْمِ معنى ريضنة العقل للواقع ومعنى التدبّر القلبي، ومعنى الواقع الحسي المعيش والعلاقة بين تلك العناصر الإدراكية الثلاثة، لنُبيّنَ أنّ كثيرا من العلوم إنّما هي أحكام صادرة من إدراك الإنسان للحقائق، فهي قد تُخطئ وقد تُصيب، وهي إذن لا تمثل حقائق موضوعية مطلقة. أما المبحثان فهُما:

المبحث الأول: نسيء أو تصحيح التقويم القمري قبل الإسلام.

المبحث الثاني: نسيء أو تصحيح التقويم القمري في الإسلام حتى وفاة النبي (ص).

آملين من الله العلي القدير أن يوفقنا لخدمة الثقافة الإسلامية التي أرساها نزول النصِّ، الذي حرّرَ الإنسان من غياهب العبودية والجهل، ومن رؤية الأديان السلبية الزاهدة السابقة التي تحتقر ثقافة الحياة، ذلك هو القرآن الكريم بوصفه نصًا سماوياً مفصَّلا أحيانا لنفسه، وأحيانا مجملاً تُفصِّله السُّنّة النبوية كتطبيق واقعي مثالي لنظر الخالق لمخلوقاته التي تقودها سنن التطور التاريخية بقوانين مغروسة فيها تضمن تطورها بحريّة لا ينبغي أنْ تصادرها قوى الشرّ؛ إلا على نحو الامتحان ليتميّز القوي المنتصر منها من الضعيف المندحر الذي يمثل مرحلة من مراحل التطور الماضية.

التمهيد: نظرية الإدراك السليم لنسيء التقويمين القمري والشمسي:

وهبَ اللهُ لمخلوقه الأثير (الإنسان) ثلاثَ ملكات إدراك هي: (العقل الرياضي المجرد من المادة، والقلب التدبري نصف المجرد من المادة، والحس المادي التجريبي)، التي تكوّن معاً نظام الإدراك البشري الذي يحصر نقطة العلم أو الحقيقة المُراد إدراكها في مثلث يسمى بـ(مثلث الإدراك) الموضّح في الأنموذج (الحسي/النظري) الآتي[٤]:

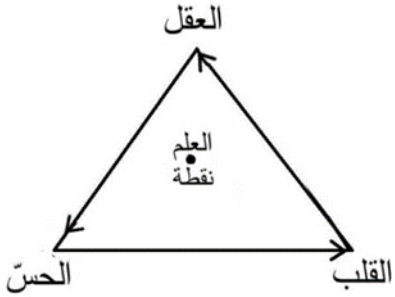

١- عمل العقل المجرد:

يعمل العقل المجرد بافتراض مبدأ عام هو: (مبدأ ثبوت هوية الأشياء وإطراد طبيعتها)، خُلقت هكذا وستبقى إلى أبد الآبدين، ويعمل هذا الافتراض على ريضنة الواقع. ولا شيء يلائمه إلا المجردات من المادة وهي: الصور الذهنية المطبوعة في المخ من دون أن تزيد في وزنه شيئا، ومن هذه الصور التعريفات الحدّية (الجامعة المانعة)، فضلا عن الأرقام والأسماء أو المصطلحات اللغوية العلمية والفكرية التي تمثل الحقيقة اللغوية مقابل الخيال المجازي؛ لذلك يرضين العقلُ الواقعَ، بمعنى أنّه يكتشف ما فيه من اطراد رياضي؛ ليسهل عملية استقراءه بدقّة متناهية وبسرعة فائقة، ويريضن العقل المجرد نفسه أيضاً، فيعمل بقوانين المنطق الأرسطي الثلاثة الآتية[٥]:

١. قانون ثبوت هوية الأشياء، الشيء = نفسه، أو (أ=أ) في وقت واحد.

٢. قانون عدم التناقض في نسبة صفات جوهرية لموضوع ما ونفيها في وقت واحد، إذ لا يمكن أن تكون (أ= ب، ولا ب)، كقولنا: (الإنسان= حيوان+ عاقل ولا عاقل) في وقت واحد.

٣. قانون الحكم بالمقياس الثنائي القيمة: القضية (ب) إما صح أو خطأ ولا ثالث بينهما في وقت واحد.

وبهذا يُثبّت العقل المجرد العالَمَ غير مبالٍ بحركة الزمن فيعمل عمل الحاسوب الصناعي بدوائر كهربائية تسمى بـ(دوائر المنطق)، أهمها دائرة (إمّا يمر تيار=+١، أو لا يمر=٠) ولا ثالث بينهما؛ لذلك لا يعرف العقل المجرد الأشياء من أسمائها اللغوية الاعتيادية، إلا إذا عرّفناها له بلغة الأرقام الثنائية (٠،١) ، وهي نفسها لغة التعريف الحدّي بـ(الجنس العام كوصل + النوع كفصل)؛ أي وصل الشيء بجنسه العام نحو:

(الإنسان = حيوان)، ويعني بلغة الحاسوب (٠) لا يمر تيار كهربائي، وفصل الإنسان عن جنسه الحيواني العام بصفة جوهرية مُمَيّزة له بالذات من سائر الحيوانات الأخرى، نحو: (الإنسان= عاقل)، ويعني بلغة الحاسوب (١) يمر تيار كهربائي.

ويُمثّل (الصفر) في رسم الصورة مركز دبوس الفرجال الثابت الذي يضع نقطة على الورقة، أمّا (الواحد) فإنّه يُمثّل حركة القلم في الطرف الآخر للفرجال، الذي يرسم خطًّا. ومن (النقطة + الخط) يتكوّن جزء من أنموذج تشكيلي يأخذ حيّزا في المكان كصورة أيقونية[٦] تشبه جزءا بسيطا من الأشياء كنماذج مخزونة في الدماغ، نحو صورة (الإنسان) مثلا، وذلك حين نلفظ لفظة (الإنسان) فيقرِّر العقل المجرد بسرعة فائقة، أنّ جزء الصورة يُراد به الكلّ، عن طريق استعمال تقنية المجاز الاستدلالي (جزء ويُراد به الكل)، فيقارن هذا الجزء مع أنموذج كامل كلّيّ صوري مطبوع على طين المخ ثابت الهوية لا يتغيّر بمرور الزمن.

ومن الحقائق التي تشير إليها الأسماء كريضنة للواقع، فيما يخصّ موضوع البحث، تسمية العقل المجرد لشهور السنة القمرية التي يجب أنْ لا تنتهك معانيها التدبرية القلبية كمضامين للشكل اللفظي، كما انتهكها نسيء التقويم القمري الجاهلي، إذ كانوا يحجّون العام والذي يليه في ذي الحجة، ويحجّون في السنة الثالثة في الشهر الأول المحرم سنتين متتاليتين، ثم يحجّون في (صُفر) بالوتيرة نفسها وهكذا، ليبقى وقت الحج ثابتًا في أشهر الخريف وبداية أول شهر شتوي من أشهر السنة الشمسية، حتى وافقت حجّة أبي بكر في (ذي القعدة)، ثم نُسيء التقويم القمري؛ أي أُخِّرَ بنقل النشاط الديني من شهر قمري إلى الذي يليه بعد مرور سنتين والدخول في الثالثة، فتحوّلت حجة الوداع إلى ذي الحجة[٧]، فتطابقتْ دلالة تسمية ذي الحجة مع النشاط المدلول عليه كمضمون مُجسَّد في الواقع المعيش، وهو المُسبِّب المنطقي لتلك التسمية.

وتظهر ريضنة الواقع جليّة في عالم الأرقام، إذ يشير واقع دوران القمر حول الأرض في اثنتي عشرة دورة كبرى ماسحة للأبراج السماوية الاثني عشر بالعود إلى نقطة البدء، ويشير أيضا إلى حساب الدورة الواحدة في وحدة العدّ، وهي الشهر، فيكون الشهر = (٢٩,٥٣٠٥٨٨) يوماً[٨]، أي ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة و ٤٤

دقيقة، و ٢,٨٠٣٢ ثانية، فتكون السنة القمرية (٣٥٤,٣٦٧٠٥) يوماً في الواقع التجريبي المحسوس، فيحذف العقل المجرد الكسور ويجعل السنة القمرية (٣٥٤) يومًا، وحين نقسِّم هذا الرقم على (١٢) شهرًا يظهر عدد أيام الشهر القمري كاسرا وحدة العدّ اليوم، كالآتي:

٣٥٤ ÷ ١٢= ٢٩,٥ يوماً.....

ولا يتعامل العقلُ المجرد مع الكسور الصعبة الإدراك التي تكسر وحدة العدّ اليوم، أو تكسر وحدة الشهر؛ لذلك يزيد نصف اليوم (٢٩,٥+٠,٥= ٣٠ يومًا) كحساب للأشهر الزوجية الستة، ويحذف نصفاً (٢٩,٥-٥=٢٩ يومًا) كحساب للأشهر الفردية الستة الأخرى من العام، وبهذا يُسهّل العقل المجرد عملية الحساب من دون الإخلال بدقته الرياضية؛ لأنّه أضاف (٣) أيام، أو ستة أنصاف اليوم، وأنقص (٣) من شيء واحد فيكون مجموع الزيادة والنقصان صِفرًا، ذلك الصفر الذي لا يعدّ لاشيءَ؛ لأنّه حلّ مشكلة عدم المساس بوحد العدّ (اليوم).

ولهذا الريضنة جذور في القرآن الكريم[٩]، استنبطها العقل الحديث وسمّاها بـ(الإعجاز العددي) نظرًا لدقّتها واطراد طبيعتها العجيبة بما يتلاءم مع مبدأ العقل المجرد وهو مبدأ ثبوت هوية الأشياء واطراد طبيعتها عبر مرور الزمن، وذلك بإحصاء وحدات العدّ الثابتة للسَّنَةِ (الشهر واليوم)، فلوحظَ أنّ عدد ورود مفردة (شهر) بصيغة المفرد في القرآن هو (١٢) مرة، وهو مساوٍ لعدد شهور السنة القمرية والشمسية كثابت عدٍّ بقطعها الأبراج السماوية الاثني عشر، ووُجِد عدد ورودات مفردة (يوم) هو (٣٦٥) مرة، وهو مساوٍ لعدد أيام السنة الشمسية البسيطة، ذلك أنَّ دوران الشمس حول الأرض الظاهري خلال اثنتي عشرة دورة قمرية في الواقع المحسوس يبلغ (٣٦٥,٢٤٢٢) يوماً، وقد ريضنها العقل المجرد، على مرحلتين:

المرحلة الأولى: السنة الشمسية البسيطة المطردة= ٣٦٥ يوماً .....

المرحلة الثانية: السنة الشمسية الكبيسة الشاذة: ٣٦٦ يوماً.....

وذلك بحذف الكسور العشرية (٠,٢٤٢٢) الأقلّ من ربع اليوم؛ لأنّها تكسر وحدة العدّ (اليوم) وتسبب إرباكاً في الإدراك العام، ثم قام العقل المجرد بتقريب هذا الكسر إلى أقرب ربع اليوم بإضافة عدد متمم

للربع كالآتي:

٠,٢٤٢٢+ ٠,٠٠٧٨= ٠,٢٥ يوم.....

وهذا التقريب بإضافة الرقم المتمم (٠,٠٠٧٨) يجعل التقويم الشمسي كريضنة للواقع متقدِّمًا على الواقع المحسوس بمدة تسعة أيام تقريبًا بعد مرور ١٢٠٠ عامٍ شمسيٍّ يعارض فيها حاسوب العقل المصالح الدنيوية والدينية بأكثر من تسعة أيام، كالآتي:

١٢٠٠× ٠,٠٠٧٨= ٩,٣٦٠٠ يومٍ .....

هكذا لحظ البابا جريجوري الثالث عشر Gregory-13 عام ١٥٨٣م، أنّ التقويم الميلادي الشمسي كرياضيات تبسيطية للواقع تتقدَّم على الواقع الحسيّ التجريبي، فأمر أن تُحذفَ عشرة أيام من تلك السنة من شهر تشرين الأول أكتوبر (العاشر)، فأعقب اليوم الرابع منه مباشرة اليوم الخامس عشر[١٠].

ولتجنب تكرار غلط عقلي رياضي آخر من هذا النوع أمر البابا أن تُكبس السنة القابل رقماها الأولان من جهة الشمالي القسمة على (٤) بلا باقٍ، فتُصبح السنة الكبيسة كبس نقصان لا كبس زيادة، وهكذا كانت سنة ١٦٠٠م كبيسة Leap year؛ لأنّ (١٦÷٤=٤)؛ كذلك سنة ٢,٠٠٠م كبيسة، وستكون سنة ٢,٤٠٠م كبيسة أيضًا، أما سنة ١٧٠٠، و١٨٠٠، و١٩٠٠ فلا تُعدّ كبيسة[١١].

كذلك يُكبس الفائض المحذوف بعد الكسر لأيام السنة القمرية التي يُبسِّطها العقل المجرد بحذف ثلث اليوم لتُصبح السنة القمرية البسيطة (٣٥٤) يوماً، و((إذا اجتمع في هذه الأجزاء أكثر من نصف، عدّوه يومًا كاملاً، وتكون السنة القمرية حينئذٍ كبيسة، وتتكون أيامها [٣٥٥] ثلاثمائة وخمسة وخمسين يومًا))[١٢]، بدلا من (٣٥٤) يوما في السنة القمرية البسيطة المطردة كريضنة للعقل المجرد، وذلك بعد مرور كلّ ثلاث سنوات قمرية.

وبهذا نحصل على نسيئين للتقويم الشمسي، والنسيء يُسمّى بالمصطلح الغربي (كبسًا)، كالآتي:

أولهما: نسيء أو كبس زيادة؛ لأنّ التقويم كريضنة للواقع يتأخّر عن الواقع المعيش بربع اليوم، فتصبحُ السنة الشمسية الكبيسة ٣٦٦ يومًا كحساب للعقل المجرد الذي يجمع أربعة أرباع اليوم فتُصبح يومًا كاملاً

يُضيفها إلى أيام السنة البسيطة المطردة الأيام ٣٦٥ يومًا، بعد مرور ثلاثة أعوام والدخول في السنة الرابعة يُضاف إلى الشهر الثاني شباط فبراير، بحسب ما تقدّم.

ثانيهما: نسيء أو كبس إنقاص (١٠) أيام بعد مرور ١٢٠٠ سنة؛ لأنّ التقويم كريضة للواقع يُصبح متقدِّمًا على الواقع التجريبي بأكثر من تسعة أيام وثلث اليوم تقريبا، فيُنقصُ عشرة أيام من التقويم بعد مرور ١٢٠٠سنة.

وإذا عالجنا كبس الانقاص بمعادلة تُطبَّق دوريا، تُصحِح خطأ النقصان الضئيل لم يبقَ إلا كبس الزيادة كاطراد رياضي عقلي مجرد في طبيعة هذا الإجراء، وهو تعبير بسيط عن ريضنة الواقع التي تُسهّل الإدراك العام؛ لذلك قيل: ((لا شيء في الوجود مستقل بذاته اسمه شعبان أو نيسان، أو يوم الاثنين والأحد، وإنّما الموجود أرض تدور حول نفسها في اليوم وليلته دورة كاملة، فجزّأ [عقل] الإنسان هذه الدورة إلى ٢٤ جزءا، واخترع الساعةَ كرمز إلى دوران الأرض بالثواني والدقائق والساعات المُشار إليها بانتقال العقرب من رقم إلى رقم، ثمّ أطلق على هذه العملية اسم الزمان الذي قسَّمه إلى أيام وشهور... بحيث نعرف منها أنّ هذا متقدِّم وذاك متأخِّر، وأنّ بينهما هو الحاضر))[١٣].

٢- عمل القلب التدبري:

إنّ عمل القلب بوصفه ملكة إدراك تتدبر عواقب الأمور وغاياتها، يكمن في شعوره بما لا يشعر به ذكاء حاسوب العقل المجرد الدقيق السريع الحساب، فيبتهج القلب ويحزن أو يطمئن ويقلق على أساس نفعي، عند شعوره بالمنافع والمضار للنتائج المحسوبة رياضيًا حسابا دقيقا، فيستعمل آليته القانونية العامة الآتية في الاستدلال الإبداعي: (القلب يقرُّ بما أقرّه العقل المجرد، وينقض النتائج الرياضية للعقل، مقدِّمًا مسوّغاتٍ منطقية أو حسيّة تجريبية أو أخلاقية تسوّغ حقَّ النقض أو النقد الفلسفي)[١٤]، تبعا لشعوره بمبدأ صيرورة الواقع الحسيّ، أي تحوّل هويته من حال إلى أخرى عبر مرور الزمن، وبهذا يجمع القلبُ بين المبدأين المتناقضين: (الثبوت× والصيرورة) جنباً إلى جنب في وقت إيقاعي شبه واحد، كما يجمع القلب البايولوجي المتناقضين: (الانبساط+ الانقباض)، بإيقاع ويكوّن منهما الحياة من جمع موت انبساطه

وحده، وموت انقباضه وحده ومجموعهما (٢موت) من منظور حاسوب العقل المجرد الذي يُحلّل الظواهر المعقدة فيقطّع أوصال الظواهر ليدرك عناصرها كلاً على انفراد.

أما عمل القلب إلى جوار العقل المجرد فإنّه يُبيّن فضيلة المنطق العلائقي الذي يُصحح من أخطاء المنطق الصوري الذي يفصل فيه العقل المجرد بعض عناصر الأشياء المتعالقة عن بعض، ويُحطم علاقاتها بوضع الحدود بينها عن طريق التعريفات الحدّيّة لتُصبح واضحة ومفهومة لديه، ثمّ يزيدها وضوحا بوضع تسميات مختلفة لعناصر الظاهرة المعزول بعضها عن بعض، وهذا العمل التحليلي الرائع يتضمّن خطأ يتفاداه القلب التدبري الذي يُركِّب ما حلّله العقل المجرد؛ لذلك قيل: ((إنّنا بقدر ما نعزل الأشياء وندرسها بشكل أُحادي بقدر ما نرتكبُ من الأخطاء))[١٥].

وإذا كانت حسابات العقل المجرد الرياضية عقيمة غير إبداعية؛ لأنّها تمثل تحصيل الحاصل، فيما يُسمّى بالقضايا التحليلية: (٨= ١+٧=٦+٢= ٥+٣... الخ)، أي أنّ النتائج موجودة ضمنًا في المقدمات الكلية، فإنَّ حسابات القلب التدبرية إبداعية نقدية، ومثال ذلك يستقرى العقل المجرد ظاهرة (فناء الإنسان) فيأتي بالمقدمة الكلية الكبرى ويقيس عليها كالآتي:

كل إنسان فإن.....

وأنت= إنسان.....

وبجمع المعادلتين وحذف العامل المتشابه (إنسان) من طرفي المعادلة الجديدة فتظهر النتيجة الدقيقة الحتمية، المتضمّنة في المقدمة الكبرى: (أنت= فان) لا محالة كتنبؤ في المستقبل لا مفرَّ منه، وباتباع قاعدة الإثبات وهي: (إثبات صفة جوهرية لشيء يعني نفي كثير من الصفات عنه)، نحصل على: (أنت فانٍ، ولا أمل في إحيائك ثانية في المستقبل)، وهذا يعني أنّ حاسوب العقل المجرد يُميتنا ولا يقدِّم لنا أيَّ عزاء حين يبرهن على موتنا الحتمي.

وباستعمال تقنية القلب التدبري الاستدلالية، يقرّ القلب بنتيجة العقل المجرد وينقضها قائلاً بإمكان إحياء الموتى، أو باحتمال ظهور إنسان لا يفنى مستقبلا، ويقدِّم مسوِّغًا حسياً تجريبياً أو منطقياً أو أخلاقيا

لإمكان إحياء الأموات، وذلك بنقد المقدمة الكليّة للاستقراء العقلي المجرد، بأنّ ذلك الاستقراء غير تامّ؛ لاستحالة استقراء العقل للمستقبل الذي يُصبح بالنقد القلبيّ مجالا لتحقق للممكنات[١٦]، التي يؤيدها منطق التعقل الحسيّ الذي يعمل بمبدأ صيرورة هوية الأشياء عبر مرور الزمن، أي لا شيء ثابت في الواقع التجريبي المحسوس؛ فضلاً عن الدليل الأخلاقي المُعزّز بالإيمان بقوى خلاّقة خيّرة يستدل عليها القلب بالاستدلال العام الذي يشير إلى (نظرية الجدل) بأنَّ نهاية الحياة إذا كانت الموت الحتميّ بلا أمل بالحياة ثانية، فإنّها تجعل الحياة ضربًا من العبث الذي لا يليق بمقام الخالق المُبدع ولا يلبّي طموح المخلوق، وهو ما يسُوّغ حقّ النقض أو النقد القلبي الفلسفي بأدلة موضوعية، تجعل التسليم بحقّ الاستدلال العقلي الخاص وحده وهو(القياس المنطقي) ضربا من الخطأ، إذ يجعلنا كـ((الدجاجة التي توقّعت أن يُطعمها صاحبُها؛ لأنّه جاء إليها بالطعام عشرات المرات من قبلُ، في حين أنّ صاحبَها قد جاء اليوم ليذبحها))[١٧].

ومَلَكَةُ القلب تُعنى بالمعاني التدبريّة الخفيّة نصف المجردة المضمرة في العلامة اللغوية، مقابل معناها العقلي المجرد المفهومي كصورة ثابتة مطبوعة على طين المخ. وتظهر المعاني التدبرية عند تدبّر عواقب الأمور وغاياتها التي ستنتهي إليها؛ لذلك يكون موضوعها: (ما ينبغي أن يكون عليه الشيء)؛ لأنّه محكوم عليه بالتحوّل من حال خيرة إلى أخرى أخْيَرَ منها عبر مرور الزمن، منبِّها إلى فكرة (التاريخ) الجوهرية وهي (التطور) عبر مرور الزمن. بمعنى أنّ القلب التدبري ليس كالعقل المجرد وليس كالتعقل الحسيّ اللذين يفكِّران في: (ما هو كائن أو موجود فعلاً) بغضّ النظر عن التفكير في تحوّل الأشياء المدروسة عبر مرور الزمن؛ لذلك يُوصل القلب ما فَصَلَه العقل المجرد، فيلغي – إلغاءً تكامليا – هذا التقسيم التعسُّفي المهم ويُعيدُ الأشياء إلى طبيعتها المتعالقة لتعمل كنظامٍ يقيس قيم العناصر بما تقدّمه من وظائف نفعية، بمقياسه الخاص: (وظيفة العنصر× موقعه داخل النظام)[١٨].

وإذا كان العقل المجرد يحكم على القضايا المجردة في مجال اللغة بمقياسه الثنائي القيمة: (أبيض× أسود) ولا ثالث بينهما، فإنّ القلب يحكم على القضايا غير من المجردة من المادة كليًّا بالاستعانة

بالمقياس العملي النفعي المئوي الذي نقيس به درجة طلبة العِلم في المدارس، ولكن يقسمه بلغته العاطفية على ثلاثة أقسام هي:

أ- منافع أنانية لذيّة: تظهر في حبِّ الذات أكثر من حبِّ الغير، وتُمثل ميلَ الكائن الحيّ نحو الغذاء والجنس، ولولا هذا الميل الأناني لماتَ كلّ كائن حيّ. ويُقيّم القلب هذه درجة من المنافع بـ(المقبول) (٥٠-٥٩%)، لكي نميّز أنفسنا من الحيوانات، التي تمثّل لها هذه المنافع اللذية درجة الامتياز.

ب - منافع اجتماعية إنسانية عامة: وتظهر بقانون: (حبّ المساواة بين الأفراد)، وذلك في حبّ الأم لأولادها بالتساوي في جميع الحيوانات والإنسان أيضا، وينفرد الإنسان في رقيّه حين يجعل من جميع أفراد المجتمع البشري بمنزلة أولاده، وذلك قول رسول الله (ص): ((لا يؤمنُ أحدكم حتى يحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسه))[١٩]، ودرجة هذه المنافع من جيد إلى جيد جدًا (٧٠-٨٩%).

ج - منافع ما وراء مبدأ اللذة: وتُعرف بحبِّ الفرد لغيره أكثر من حبِّه لنفسه، وتُسمّى هذه الظاهرة بـ(الأثرة)، وتظهر في الحيوانات والإنسان بتضحية الأم بنفسها من أجل حماية أفراخها، وينفرد الإنسان في رقيّه الأخلاقي حين يُضحي بنفسه من أجل الغرباء، ويعدّهم بمنزلة أولاده، وتلك هي درجة الامتياز (٩٠-٩٩%) وتخصّ الأنبياء والشهداء والثّوار كمُثُلٍ واقعية.

وقصارى القول إنَّ الإدراك العقليّ المجرد والقلبيّ التدبريّ النفعيّ يمثلان نظام الإدراك الداخلي للإنسان، أمّا الإدراك الحسي فيمثل الإدراك الخارجي الموضوعي المستقل عن تدخُّل نظام الإدراك الداخلي المشوب بالذاتية؛ لذلك يمثل الإدراك الحسيّ حَكَمًا أو قاضيًا يفضُّ الصراع الاستدلالي بين ملكتي نظام الإدراك الداخلي، ذلكَ النظام المتكامل الوظائف الذي يجمع بين وظيفة العقل المجرد صانع المفاهيم، والقلب التدبري صانع الثورات[٢٠].

٣- عمل التعقل الحسيّ:

أما مثال التعقل الحسيّ التجريبيّ، فيما يخصّ موضوع البحث فإنّ الحواس ترصد مدّة حركة الأرض حول الشمس خلال سنة، أو ترصد حركة الشمس الظاهرية حول الأرض التي تمسحُ فيها الشمسُ فصولَ السنة

الأربعة كلّها بأنّها تساوي ٣٦٥,٢٤٢٢ يومًا، ولا تساوي (٣٦٥,٢٥) إلا على وجه التقريب كخطأ رياضي تبسيطي مُهمٍّ؛ لأنَّ ربع اليوم في الحقيقة الحسيّة التجريبية ليس ربعاً تماماً، وإنّما هو ريضنة العقل المجرد للواقع الذي يمثل أقلّ من الربع، ولا يُصبح ربعا إلا بإضافة متمم الربع وهو (٠,٠٠٧٨)، بحسب ما أوضحناه سابقا

وهكذا يفيد القلب من دقّة الملاحظات العلمية التجريبية المحسوسة في رصد الواقع فيشعر بعد مرور زمن قصير أو طويل بأنّ التقويم الشمسي الميلادي كرياضيات للعقل، يمثل تزييفاً للحقائق التي تجعل المنافع الدنيوية متعارضة مع المنافع الدينية. وهو ما شَعَرَ به قلب البابا جريجوري الثالث عشر فقام بكبس السنة الشمسية كبس نقصان من النوع الثاني الموضّح سابقا، ليُصبح التقويم الشمسي الميلادي مرتبطًا ثانيةً بالتقويم القمري المستعمل لحساب تاريخ (عيد الفصح) الذي أُرجِعَ مرةً أخرى إلى موضعه الأول كأقرب (يوم أحدٍ) إلى البدر الذي يأتي بعد الاعتدال الربيعي Vernal Equinox، بمعنى أنّه يتضمّن عنصرين متكاملين يربطان الدين بالدنيا، وهما:

أولا: عنصر دنيوي وهو العنصر الشمسيّ، إذ يأتي عيد الفصح بعد(٢١) آذار (مارس) الشهر الثالث وقت الاعتدال الربيعي الذي تتساوى فيه ساعات الليل والنهار.

ثانيا: عنصر ديني، وهو العنصر القمري، إذ يأتي عيد الفصح في (١٤) من الشهر القمري[٢١].

بمعنى أنّ قلب البابا الإبداعي بقىَ مؤكِّدًا على أنّ عيد الفصح أو (عيد قيامة المسيح)[٢٢] كان في وقت الاعتدال الربيعي من السنة الشمسية في الواقع، ولا ينبغي أنْ يزحفَ عشرة أيام باتجاه الشتاء البارد، إذ تتفتح الزهور كعلامات طبيعية في ٢١/ ٣، أما التقويم فلم يزل يقرأ متأخرا ٣/١١.

كذلك كان عيد الأضحى العربي قبل الإسلام، وبعد البعثة حتى وفاة الرسول (ص) وعيد الفطر أيضاً بعد الهجرة حتى وفاة الرسول(ص) مرتبطين بموسم الاعتدال الخريفي والأيام القلائل من بداية شتاء المناطق الصحراوية الحارة صيفا، وهذا الظرف هو الذي يكثر فيه نشاط الكائنات الحيّة هناك، ومنها النشاط البشري الزراعي والتجاري، بما يضمن تكوين مركّب (حسيّ قلبي) تدبري تكاملي لا تتعارض فيه المنافع

الدينية مع المنافع الدنيوية عند الشعوب المتحضّرة، ذلك أنّ ((كلَّ تخلٍّ عن المعرفة (العقلانية/ الحسية التجريبية) يقود البشر إلى الموت جوعًا، وكلَّ تخلٍّ عن اعتقاداتهم [القلبية] الأساسية يؤدي إلى تفكك المجتمع))[٢٣].

ولو تَرَكَ نظامُ الإدراك الداخلي البشري (العقلي/ القلبي) التقويمين من دون إجراء النسيء أو الكبس الذي يُصحح التقويم القمري على الشمسي لربط المصالح الدينية بالدنيوية معا، فإنَّ الساعة القمرية ستوافق الساعة المنضبطة بعد مرور (٣٢) عاماً تقريبًا، إذ يتراكم النسيء بزيادة شهر كلّ (٣٢) شهرًا، فتُزاد سنة كاملة على عمر الأشياء المقاسة بها، فمن كان عمره (٣٢) عامًا شمسياً يكون عمره (٣٣) عاماً قمرياً.

وقد كانت العرب تُصحح الساعة القمرية السريعة الحساب لعمر الأشياء، على الساعة الشمسية المتفقة مع المصالح الدنيوية لانضباطها إلى حدٍّ ما، على وفق حركات النجوم البعيدة المعروفة ببنات نعش Pleiades[٢٤] والنجوم الأخرى الثابتة نسبياً التي يرسم لها العقل المجرد صورًا ثابتة في الذهن سمّاها بـ(الأبراج الاثني عشر).

وقد جعل العربُ قبل الإسلام بداية السنة القمرية بشهر (صُفر الأول) المسمّى لاحقا بالمحرّم، كيلا يُعارض ترتيبُ أرقام شهور السنة القمرية ترتيبَ أرقام شهور السنة الشمسية المتفقان مع ترتيب أرقام الأبراج الاثني عشر، وقد أبقى العقل الإسلامي المجرد شهر محرّم كنقطة بدء للسنة الهجرية، على الرغم من أنّ هجرة النبي (ص) لم تكن في هذا الشهر، إذ كانت في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، أي في الشهر الثالث من السنة الشمسية المُسمّى بـ(آذار) أو (مارس)، وهو أول أشهر فصل الربيع، وليست في الشهر السابع الشمسي تموز (يوليو) الحار، كما زعم بعض الغربيين[٢٥].

وينبغي ملاحظة أنّ تقصير الساعة القمرية بمعدل (١١) يومًا كلّ عام كرياضيات تبسيطية للعقل المجرد، لا يمكن أنْ يعدَّ مضبوطًا بالقياس إلى الواقع العملي التجريبي المحسوس؛ لذلك يكون من الضروري أن نحسب هذا التغيّر بـ(١٠) أيام أو نحسبه بـ(١٢) يومًا في حالات أخرى على وفق تبدّلات القمر ضمن السنة الشمسية، وهو ما يّولد صعوبات تخصّ المزارعين؛ لذلك يُستعمل التقويم الشمسي الآنَ في الاقطار

الإسلامية الأفريقية الشرقية[٢٦]، بسبب ترك نسيء التقويم القمري بعد وفاة الرسول (ص).

وفيما يأتي جدولٌ يُبيّن التوافق بين التقويمين القمري والشمسي، بحسب التصحيح المستمر، لربط المصالح الدينية بالدنيوية المتّفقة مع فرضية البحث، وهو ما كان معمولا به عند العرب قبل الإسلام وبعد البعثة حتى وفاة الرسول (ص):

ت	الشهر القمري	الشهر الشمسي العربي	الشهر الشمسي الانكليزي	التعريب
	مُحرَّم	كانون الثاني	January	يناير
	صُفر	شباط	February	فبراير
	ربيع الأول	آذار	March	مارس
	ربيع الآخر	نيسان	April	أبريل
	جُمادى الأولى	مايس	May	مايو
	جُمادى الآخرة	حزيران	June	يونيو
	رجب	تموز	July	يوليو
	شعبان	آب	August	أغسطس
	رمضان	أيلول	September	سبتمبر
	شوال	تشرين الأول	October	اكتوبر
	ذو القَعْدة	تشرين الثاني	November	نوفمبر
	ذو الحِجّة	كانون الأول	December	ديسمبر

وتجدر الإشارة إلى أنّ التوافق أو التواطؤ بين أشهر التقويمين غير متطابق تماماً بالأيام، وإنّما يحصل

فيه صعودٌ ونزولٌ بسبب زيادة شهر نسيء أو كبيس تصحيحي، فيتقدّم التقويم القمري على الشمسي بمدة (٧) سبعة أيام، ثم يتأخّر في العام القابل (١١) يوما، ويُعالج تقدُّم التقويم بمعادلات عقلية رياضية.

المهم هو أنّنا نلحظ نظامًا (عقلياً/قلبياً) يجعل الصيام في شهر الاعتدال الخريفي أيلول سبتمبر دائمًا، الذي تتساوى فيه ساعات النهار مع ساعات الليل، وهنا تكون لا علاقة لاسم (رمضان) بالرمض بمعنى الحرّ الشديد، بدليل هطول المطر فيه المُسمّى بـ(الرّمضيّ) قال ابن منظور (ت٧١١هـ): ((الرمضيّ من السحاب والمطر: ما كان في آخر الصيف وأول الخريف، وإنّما سُمّيَ رمضيًا..[لأنّه] يجد الأرض حارة))[٢٧].

كذلك يجعل هذا النظام العربي الإسلامي حتى وفاة النبي (ص)، موسم الحجّ الأصغر (العُمرة) يحلّ دائمًا في شهري الخريف اللاحقين لرمضان (شوال، وذو القعدة)، ويجعل الحجّ الأكبر بداية أول شهر شتوي، وهو ذو الحجة، اعتمادًا على تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾[٢٨]، أي معروفات عند الناس، وهي: ((شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة))[٢٩].

وهذا يعني أنّ شوالاً كان يمثل فترة الاستعداد النفسي الحضاري لاستقبال الأشهر الحرم الثلاثة المتصلة: (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرَّم)، التي تقابل مع شوال: شهري الخريف: العاشر والحادي عشر، وأول أشهر الشتاء: الثاني عشر، فضلا عن الأول من السنة الشمسية، وهو ثاني أشهر الشتاء؛ لذلك يمكن أنْ نؤكِّد الرؤية الحضارية للعرب قبل الإسلام التي أقرّها الإسلام كسُنّة نبوية بجعل أشهر الاعتدال الخريفي بما فيها شهر رمضان وشهرين من أشهر الشتاء: (ذو الحجّة والمحرّم) الثاني عشر والأول الشمسيان، أشهر سموٍّ روحيّ ينتشر فيها الأمن والسلام والمحبّة بين المجتمع العربي قبل الإسلام سابقا والإسلامي لاحقًا ليتفرغّ المجتمع لتنمية رقيه الديني والأخلاقي واقتصاده بالرعي والزراعة والتجارة بدلاً من اقتصاد الحرب الوحشية، فضلاً عن بسط السلام نفسه على سائر المخلوقات الأخرى ونظامها البيئي.

وتنقضي الأشهر الحُرُم المتصلة عند حلول آخر شهر شتوي، وهو (صُفر) الموافق للشهر الثاني الشمسي، شباط (فبراير)، ويحلّ بعد ذلك موسم الربيع في شهري ربيع الأول وربيع الآخِر اللذين يقابلان

شهري الربيع: آذار ونيسان (مارس وابريل)؛ الثالث والرابع من السنة الشمسية، وهما شهران تنتعش فيهما النباتات والحيوانات مرةً أخرى.

أما جُمادى الأولى وجُمادى الآخِرة، فلا علاقة لاسميهما بانجماد الماء، بحسب ما تُشير إلى ذلك عددٌ من المعاجم العربية[٣٠]؛ لأنّ المعاجم العربية الأخرى حددت ترتيبهما بالشهر الخامس مايس (مايو)، والشهر السادس حزيران (يونيو)، فَهُما: ((جُمادى خمسةٍ: الأولى، وجُمادى ستةٍ، الآخِرة))[٣١]؛ لذلك يمكن تفسير اسميهما بانجماد التربة بسبب توقف النباتات الموسمية عن النمو، أو انجماد الحبوب، أي تصلّبها ويبسها متهيأة للحصاد، بدليل أنَّ أشهر الربيع يأتي بعدها أشهرُ صيفٍ حارة تجفّف التربة والحبوب ولا يأتي بعدها أشهر شتاءً ينجمد فيها الماء!!.

هذه الأدلة الطبيعية تثبت تطابق معاني تسمية الشهور القمرية مع أسمائها المخصصة لها بدقِّة بما يطابق واقع الفصول الأربعة المتصلة بالمنافع الدنيوية. وقد حافظ العرب قبل الإسلام على هذه المعاني القلبية للأشهر: (الربيعان والجمادان) التي تتوافق عن طريق إجراء عملية النسيء التصحيحي مع معاني الأشهر الشمسية، رعاية لمصالحهم الدنيوية التي كانوا يعطونها الأولوية، حتى لو انتهكت مضمون تسمية الشهور القمرية الخاصة بعبادة الحجّ، بما يسمّى بـ(نسيء التأخير)، ويعنون به تأخير نشاط الحج من شهر قمري إلى الشهر الذي يليه في كل دورة نسيء للتقويم القمري، والغاية هي ((تثبيت الأزمنة، وجعل الحج في موسم ثابت معين، فلا يكون في شتاء مرة، وفي صيف مرة أخرى، وفي ربيع مرة، وفي خريف مرة أخرى، بجعل السنة سنة(قمرية/ شمسية)...))[٣٢]، وتثبيت الأزمنة يعني توافق الربيعان والجمادان مع واقع موسمي الإنبات والحصاد.

وحين هاجر النبي (ص) بلغت نوبة النسيء شعبانَ، فحجّ الجاهليون فيه، لكنّ حجة النبي (ص)، أي حجة الوداع[٣٣]، تطابقت فيها ممارسة الحج الدينية مع اسم ذي الحجة، وذلك بعد مرور (٣٢) عامًا قمريًا، عاصرها النبي (ص) ووعاها، وقد عاصر منها أربع دورات تصحيحية ونصف الدورة بعد الهجرة.

ويبدو أنّ نسيء الإسلام كان يُجرى في (صُفر) أي في الشهر الثاني من السنة القمرية/ الشمسية، أو في

(الربيعين أو في الجُمادين)، ولولا وجود هذا الإجراء بعد البعثة حتى وفاة النبي (ص)، لما توافقت أشهر الوقائع الإسلامية القمرية مع ما يقابلها من الأشهر الشمسية، وأمثلة ذلك مولد النبي (ص)، الذي كان يوم الأثنين ٩ أو ١٢[٣٤]، أو ١٧ من ربيع الأول عام الفيل الموافق[٣٥] – بحسب تاريخ الطبري (ت٣١٠هـ)– لشهر نيسان (أبريل)، وهو الشهر الرابع من السنة الشمسية الميلادية عام (٥٧٠م).

وشهر ربيع الأول يوافق شهر آذار (مارس) الثالث الشمسي وليس شهر نيسان (أبريل) الرابع، ما يدلّ على وجود خطأ في تقدُّم شهر قمري على التقويم الشمسي في أرخنة هذه الواقعة التي لم تكن مهمّة أيضا في حينها عند المجتمع العربي في مكّة.

ويشير اليعقوبي أيضا إلى وقت قدوم رسول الله (ص) إلى المدينة يوم الأثنين الثامن من شهر ربيع الأول، أو يوم الثاني عشر من ربيع الأول الموافق لشهور العجم الشهر الرابع الشمسي نيسان[٣٦] (ابريل)، الذي يقابل شهر ربيع الآخِر الرابع القمري، ولا يوافق (نيسان)، ما يدلّ على ظهور نفس خطأ في تقدُّم شهر قمري على التقويم الشمسي في أرخنة هذه الواقعة، بحسب نظام الجدول السابق.

ولعلّ سبب هذا التفاوت الُمكرر البسيط في حادثتي ميلاد الرسول (ص) ومقدمه إلى المدينة، يرجع إلى أخطاء تذكّر الوقائع الماضية التي لا يشعر المجتمع بأهميتها إلا لاحقًا، أو يرجع إلى تداخل الشهر القمري، ما بين شهر شمسي ما والذي يليه، ولاسيما إذا كانت الحادثة التاريخية بعد منتصف الشهر.

أما الوقائع التاريخية المؤثرة والمهمّة بعد الهجرة فإنّها تتطابق كليّاً فيما بين أشهرها القمرية والشمسية، ومثال ذلك وقت الصيام شمسيا، الذي فُرض بعد مقدم النبي إلى المدينة بـ((سنة وخمسة أشهر، وقيل بسنة ونصف [ستة أشهر]))[٣٧]، فإنّه كانَّ يحلّ في شهر أيلول (سبتمبر) شهر الاعتدال الخريفي، يُعرف ذلك من إضافة ما زاد على عدد أشهر السنة إلى رقم شهر ربيع الأول الثالث القمري الذي قدِم به النبي إلى المدينة، كما يأتي:

ربيع الأول ٣+ ٥ اشهر= ٨، أي في شهر آب الثامن الميلادي.....(١)

ربيع الأول ٣+ ٦ اشهر=٩، أي في شهر أيلول التاسع الميلادي.....(٢)

والراجح هو أنّ الصيام فُرِضَ بعد مقدم النبي (ص) بسنة وستة أشهر بحسب المعادلة(٢)، بدليل أنّ واقعة (بدر الكبرى) حدثت في شهر الصيام((يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقين من شهر رمضان بعد مقدمه (ص) بثمانية عشر شهرًا))[٣٨]، أي بعد سنة وستة أشهر أيضا، في نهاية رحلة قريش إلى الشام، المسمّاة في القرآن الكريم بـ(رحلة الصيف)، التي لابدَّ أنّها تنتهي بانتهاء أشهر الصيف وحلول الاعتدال الخريفي، وهو يوافق للشهر التاسع، وهو موسم نضج التمور ورخص أثمانها، وقد بقي هذا التوقيت الشمسي ميقاتا لصيام النبي (ص) والصحابة بعد فرض الصيام حتى وفاته، لوجود روايات كثيرة[٣٩] تشير إلى إفطار النبي على (الرطب) أو التمر الذي يكثر في هذا الموسم ويهبط سعره.

أمّا تاريخ غزوة الخندق عند اليعقوبي فإنّها حدثت بعد ((مقدم النبي (ص) إلى المدينة بخمسة وخمسين شهرًا))[٤٠]. ويوافق هذا التاريخ بالنسبة إلى مقدم الرسول إلى المدينة المؤرخ في ربيع الأول وليس في ربيع الثاني، يوافق (شوالاً= تشرين الأول أكتوبر الشهر العاشر) وهو ثاني أشهر الخريف بحسب الترجيح السابق، وهذا التاريخ معتمدٌ أيضا عند ابن هشام(ت٢١٣هـ)[٤١] في سيرته، التي بيّنت برودة الجوِّ نهاية حصار قريش للمدينة، الذي ربّما طال بسبب عزيمة القضاء المبرم على الإسلام ليمتدَّ باتجاه برودة ذي القعدة الموافق للشهر الحادي عشر الشمسي، وذلك قوله: ((فما قام رجل من القوم من شدّة الخوف وشدّة الجوع وشدّة البرد))[٤٢]. وتابعهما في وصف ذلك البرد أيضا ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)[٤٣].

وكان هناك تطابق بين ترتيب الأشهر القمرية والشمسية في وفاة الرسول (ص) ((يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، ومن شهور العجم آذار))[٤٤]، الثالث الشمسي المقابل للثالث القمري.

وتلك الوقائع التي تتطابق فيها المنافع الدينية مع المنافع الدنيوية لا تتطابق بهذهِ الوتيرة، إلا بافتراض إقرار النبي (ص) بأهمية بقاء نسيء التقويم القمري الذي ربّما كان يُؤخَّر إلى الشهر الثاني (صُفر) من السنة القمرية، بدلاً من النسيء الجاهلي الذي كان يُجرى في شهر محرّم رأس السنة القمرية، ما يفكّك الأشهر الحُرُم المتصلة عاما، ويوصلها في العامين التاليين، وهو ما سيتضح تفصيله في المبحثين القادمين.

المبحث الأول: نسيء التقويم القمري قبل الإسلام:

الساعة القمرية سريعة العدِّ لعمر الأشياء، إذ تُكمل سنتها بعد مرور وحدة العدّ (اليوم) بمقدار (٣٥٤) يوما تقريبًا، بالقياس إلى الساعة الشمسية المنضبطة نسبيا، وهي أبطأ من القمرية في قياس عمر الأشياء؛ لأنّها تُكمل سنتها بعد مرور (٣٦٥) يومًا تقريبا، ما يجعل الساعة القمرية تقصّر في قياس الأعمار كلّ عام بمقدار (١١) يومًا، أي بأكثر من ثلث ثابت العدّ الآخر وهو (الشهر). بحسب ما هو موضّح في المخطط الآتي:

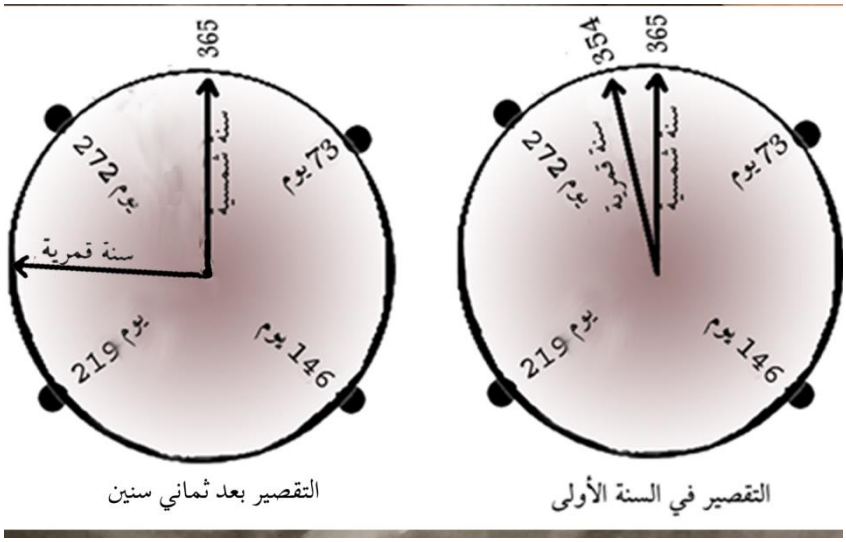

وبعد مرور عام قمريّ ثانٍ يزيد التقصير على .(٢٢) يومًا؛ أي بمقدار أكثر من ثلثي الشهر القمري البالغ معدل أيامه (٢٩,٥) يومًا؛ ولغرض التواطؤ أو التوافق بين الساعتين يُزاد شهرٌ كبيسٌ قمريٌّ لتعويض النقص في الساعة القمرية، فتكون السنة القمرية النسيئية مؤلفة من ((ثلاثة عشر شهرا [توهّما]، أوّلها المحرم المحلّل، ثم المحرّم الذي هو في الحقيقة صفر...))[٤٥]، عند مرور عامين قمريين والدخول في العام الثالث كدورة كبس تصحيحية على الساعة الشمسية.

إنّ شهر النسيء أو الكبيس المُزاد لأغراض تصحيحية لا ينتهك وحدة العدّ (السنة =١٢ شهرا) لكلا التقويمين؛ لأنّ وحدة العدّ هذه متّصلةٌ بالأبراج الاثني عشر الثابتة؛ لذلك لم تشر أكثر المصادر التاريخية العربية إلى النسيء بمعنى (الزيادة)، وإنّما أشارت إليه بمعنى (التأخير)، أي تأخير النشاط (الديني/ الاجتماعي) من شهر ما إلى الذي يليه في كلّ سنةِ تصحيحٍ للتقويم القمري على التقويم الشمسي، ما يؤدي إلى انتهاك معنى اسم (ذي الحجة) في الجاهلية، واسمي: (ذي الحجة والمحرّم) في الإسلام، فضلا عن اسم (رمضان) كشهر خُصّصَ لعبادة الصيام التي لا تقع في الشتاء ولا في الصيف، وإنّما بين بين، وذلك في الانقلاب الخريفي في الشهر التاسع الشمسي أيلول سبتمبر.

وعلى هذا الأساس يمكن وضع تعريفين لنسيء ما قبل الإسلام، اعتمادا على تحليل ابن منظور (ت٧١١هـ)[٤٦] في فَهْمِ معنى النسيء بأنّه يعني الزيادة تارة، ويعني التأخير تارة أخرى، وتابعه في ذلك أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) وذلك قوله: ((فليس النسيء مرادفًا للزيادة بل قد يكون منفردًا عنها في بعض المواضع))[٤٧]. وهذا في نظرنا يمثّل خطأً في تقدير إدراك العقل القديم؛ لأنّه لم يستطع أنْ يفكِّر في متغيرين في وقت واحد بينهما علاقة عكسية، بمعنى زيادة شيء تؤدي إلى نقصان شيء آخر، كما هو ملحوظ في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[٤٨]، أي أنّ الزيادة في مال المرابي يمثّل نقصانا في أجره، والنقصان الحاصل في مال المُتصدِّق يمثّل زيادة في أجره، كذلك النسيء في العمر في قولهم: (نسأ اللهُ أجلَكَ) أي أخّر موتك، يعني في الوقت نفسه زاد الله عمرك، وعليه نحصل على تعريفين للنسيء كالآتي:

١ـ التعريف العقلي الرياضي للنسيء: وهو نسيء الزيادة الصحيح، ويتمّ بزيادة شهر قمري بعد مرور سنتين قمريتين والدخول في السنة الثالثة؛ لتعويض النقص في السنتين القمريتين البالغ (٢٢,٥) يومًا تقريبًا، ما يجعل التقويم القمري يتقدَّم على الواقع بمقدار (٧) أيام، وعليه يجب أنْ لا يُضاف شهر النسيء كلّ ثمانِ سنين، أو كلّ أربع دورات تصحيحية.

ويبدو أنّ نسيء الزيادة هو الأقدم والأصحّ، وهو الذي تعلمته اليهود من اليونان، إذ كانت ((شهور اليهود

وهي شهور قمرية تساوي ٣٥٤ يوما وست ساعات، فهي لذلك أنقص لأحد عشر يوما عن السنة الرومانية، فأدخلوا شهرا ثالث عشر في كلّ ثلاث سنوات سموه "فيادا"، أو آذار الثاني. وبهذه الطريقة جعلوا السنة القمرية مساوية للسنة الشمسية))[٤٩].

لكنّ المؤمنين بهذا الكبس التصحيحي من العرب كانوا أقلّ وقتَ مجيء الإسلام؛ لوجود إشارات تشير إلى توارثه من ديانة إبراهيم وإسماعيل[٥٠] الموحِّدة؛ لذلك صَعُب فَهْم معظم المفسِّرين له، إذ أشار بعضهم إلى رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن (القلّمس) قاضي نسيء الزيادة، الذي كان يُحرّم الشهر الأول من السنة القمرية وهو (صُفر الأول) عامين، ويُحرِّم صُفر الثاني معه أيضا في العام الثالث، فيسميهما بـ(الصُّفرين)، لذلك إذا كان العام القابل (الثالث)، قال: ((قضينا فجعلناهما محرمين))[٥١]، فيأمر الناس بأنْ((لا تغزوا في صُفر، حرّموه مع المحرّم هما حرامان))[٥٢] وذلك في كلّ دورة نسيئية.

هذا الأمر لم يفهمه المُفسِّرون المعتمدون في تفسيرهم على تحليل لغة النصوص المروية بروايات منفصمة عن سياق واقعها التاريخي المقامي؛ لذلك استغرب فريق من المفسرين من (نسيئ زيادة شهر)، إذ جعل ابن كثير(ت٧٧٤هـ) زيادة الشهر المُعوِّض عن النقص يزيد عدد الأشهر الحرم المتصلة بين (الثلاثة والخمسة)[٥٣]، وكان عددُ شهور السنة التصحيحية الشاذة عند الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ((ثلاثة عشر أو أربعة عشر))[٥٤]، في الوقت الذي يقول فيه الله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً...﴾[٥٥]؛ لذلك اضطربوا في فَهْمِ سبب نقد القرآن للنسيء الجاهلي وهو: ﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ...﴾[٥٦]، بمعنى الحفاظ على رياضيات الأشهر الحرم المتصلة الثلاثة، ولكنّهم تغافلوا عن المعنى القلبي التدبري، وهو كمال تواصل الأشهر الحرم، إذ كان النسيء الجاهلي يُجرى في الشهر الأول من السنة القمرية، أي في ثالث الأشهر الحُرم المتصلة.

٢. التعريف القلبي التدبري للنسيء الجاهلي المغلوط: هو تأخير النشاط (الديني) من شهر قمري ما إلى الشهر الذي يليه كي تتوافق المنافع الدينية والمنافع الدنيوية في كلّ دورة تصحيحية، حتى لو عَبَثَ تأخير النشاط الديني (الحجّ) بمعنى تسمية شهر (ذي الحجة) بإفراغه من النشاط العبادي أن يحلّ فيه؛ لذلك

عُرِّفَ هذا النسيء بأنّه (نسيء التأخير)، والمعنى ((أنّهم كانوا إذا صدروا من مِنًى قام رجل من كنانة يقال له نُعيم بن ثعلبة [قاضي النسيء المغلوط]، فقال: أنا الذي... فيقولون له: أنسئنا شهرًا، أي أخّر عنّا حرمة المحرم فاجعلها في صُفر))[٥٧]، وذلك لمّا أرادوا أن يقع حجّهم في عاشر ذي الحجة بحيث يوافق وقت إدراك العشب والفواكه واعتدال الهواء ليسهل على المسافرين السفر إلى مكّة، فيخطب ابن ثعلبة خطيب النسيء المغلوط قائلا: ((إنّا جعلنا اسم الشهر الفلاني من السنة الداخلة لما بعده...))[٥٨]، وهو ربما كان تمهيدا لتجريد أسماء الأشهر القمرية من دلالتها الرمزية، لاعتماد أسماء الأشهر الشمسية أو استعمال لغة الأرقام المجردة بتسمية الشهر برقم البرج الثابت المتصل بالفصول الزراعية.

وقصارى القول أنّ النسيء الجاهلي المغلوط المنقود بالقرآن يتضمّن خطأين:

أولهما: خطأ انتهاك معني اسم (ذي الحجة) ذي المضمون الديني بوصفه صورة عقلية مألوفة مجردة مطبوعة على طين المخ، تُشير إلى أفعال كلام قلبية، فـ(ذو الحجة) يجب أن يكون فيه موسم الحجّ دائمًا، لكنّ النسيء المغلوط نقل المضمون المُخصص لاسم شهر ووضعه في اسم لا يتّفق معه بالدلالة، فكانوا ((يسمون ذلك الصُفر المحرّم، ويسمّون ربيعًا الأول صفرًا، وربيعاً الآخِر ربيعاً الأول.. وهكذا في سائر الشهور يستقبلون نسيئهم في المحرّم...))[٥٩].

وثانيهما: خطأ تفكيك كمال اتصال الأشهر الحرم الثلاثة المتصلة، وهي: (ذو القعدة، وذو الحجة، وصُفر الأول)، إذ كان عرب ما قبل الإسلام يُسمّون الشهر الأول والثاني من السنة القمرية بـ(الصُّفران): وهما ((شهران من السنة سُمّيَ أحدهما [الأول] في الإسلام المحرم))[٦٠]، كإجراء دينيّ يُراد به منع انتهاك اتصال الأشهر الحُرُم الثلاثة المتصلة.

لم يكن نسيء السنة القمرية التصحيحي سهلاً قبل الإسلام كسهولة نسيء أو كبس كلّا من السنة الشمسية أو القمرية على انفراد، بإضافة يوم للشهر الثاني الشمسي من السنة الرابعة الشاذة، وإضافة يوم للشهر الثاني عشر القمري من السنة الثالثة الشاذة أيضا في التقويم القمري، بسبب حذف العقل للكسور التي تجتمع بعد عدد من السنين البسيطة المطردة بوحدة عدّ هي (اليوم)، أما نسيء السنة القمرية، فيمثل

عملية تصحيح الساعة القمرية على الشمسية؛ لذلك كان معقّدا، وربّما كان يتمّ على مراحل كالآتي:

المرحلة الأولى: عند مرور سنتين والدخول في الثالثة يحصل تقصير في الساعة القمرية أكثر من ثلثي الشهر، وعند زيادة شهر نسيء يتقدَّم التقويم كريضة العقل للواقع، على الواقع المعيش بـ(٧) أيام.

المرحلة الثانية: إذا حصلت دورة نسيء ثانية وزدنا شهرا ثانيا، فإنّ التقويم كرياضيات للواقع يتقدَّم على الواقع بـ(١٤) يومًا، وهي تمثل أقلّ من نصف شهر قمري تقريبا، وهنا يكون قاضي النسئ الجاهلي مخيّرا بين تصحيح التقويم وعدمه.

المرحلة الثالثة:

أ – يستعمل القاضي النسيء التصحيحي الثالث فيتقدَّم التقويم على الواقع بـ(٢١) يومًا، وهو مستساغ؛ لأنّ الاضطرار للنسيء التصحيحي سببه نقصان (٢٢) يومًا في الساعة القمرية بالقياس إلى الساعة الشمسية، والتفاوت بين (٢١) و(٢٢) مسموح به سواء كان تقديما أو تأخيرا، بمعنى إذا حصل نسيء دوري ثالث متتابع، فإنّ الدورة الرابعة لا يحصل فيها نسيء، نظرا لمساواة تقدُّم التقويم كريضنة للواقع لتقصير التقويم القمري بالنسبة إلى الشمسي.

ب – لا يُصحح القاضي الساعة القمرية في الدورة الثالثة، فيطرح نقصان (٢٢) يومًا من (١٤) يومًا بسبب كبسين تصحيحيين متتاليين، فيصبح النقص (٨) ثمانية أيام، وهو مسموح به كما يُسمح بنقص (١١) يومًا نقصانًا عن الساعة الشمسية في العام الواحد.

هذا التعقيد في النسيء يحتاج إلى خطيب ذي عقلية رياضية وذاكرة قوية وإحساس قلبي تدبري مرهف يوازن بين المنافع الدينية والدنيوية، ولاسيما في المرحلة الثالثة التي فيها خياران والمرحلة الرابعة التي فيها ثلاثة خيارات، وهو ما يسوّغ افتتاح ذلك الخطيب بما يُعبِّر عن سلطته القضائية والعلمية الفلكية، بقوله: ((إنّي لا أُعاب ولا أحاب ولا مردَّ لما أقول...))[٦١]، أو ((أنا الذي لا أعابُ ولا يُردُّ لي قضاء...))[٦٢]، لصعوبة إدراك عامة الناس لهذه العملية المعقَّدة المُهمّة في حياتهم الدنيوية والدينية.

إنَّ سبب النسيء الجاهلي عند معظم المفسرين غير مقنع، إذ فسّروه برغبة بعض قبائل العرب في القتال

وعدم صبرهم ثلاثة أشهر متصلة من دونه. وقد نسبوا هذه الرغبة إلى قبيلة (كنانة)؛ لأنّهم ((فقراء محاويج))[٦٣]، ما يجعل هذه القبيلة وقاضيها أشخاصا متهورين غير متحضرين أو غير متخلقين بأخلاق دينية تمنعهم من انتهاك الحرمات العامة في شهر الحجّ؛ لذلك قال الدكتور جواد علي: ((إنّي أرى في هذا التفسير تكلُّفا ظاهرا، وهو يعارض ما ذُكِرَ من الغاية من النسيء، وإذا جاز إحداثه في سنة ما، للغايات المذكورة [تحليل القتال]، فلا يعقل إحداثه في كلّ سنة بانتظام، وإلا لم يبقَ له معنى ولا فائدة [عامة] تُرجى))[٦٤].

وعليه لابدَّ من سببٍ منطقيٍّ آخرَ أعمَّ وأشملَ من السبب الانفعالي النفسي يفسِّر هذا الإجراء المنظّم الذي يُصحح السنة القمرية على السنة الشمسية. والسبب الوجيه هو الذي يكتشفه القلب التدبري هو توسيع وقت السلام كمّيّا، وكماله اتصاله كيفيا بدافع ديني يؤمِّن حركة التجارة والزراعة والتبادل الثقافي، وفسح الوقت للهدوء النفسي الباعث على التأمل الذي يُروّض الانفعال المتصل بنتائج الحروب وأهمها الثأر، ما يحوّل الإنسان العربي من حال حضارية أدنى إلى حال أخرى أسمى بمرور الزمن ((حتى لو أنّ رجلاً لقيَ قاتلَ أبيه فيها لم يهجه لحرمتها، وإنّما جعل الله تعالى بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لِمَا عَلِمَ من المصلحة في الكفِّ عن الظلم فيها لعِظَمِ منزلتها؛ ولأنّه ربّما أدّى ذلك إلى ترك الظلم أصلاً لانطفاء النائرة وانكسار الحميّة في تلك المدة))[٦٥].

المبحث الثاني: نسيء التقويم القمري في الإسلام حتى وفاة الرسول (ص):

يظهر إقرار الإسلام بإجراء بنسيء التقويم القمري أو كبسه كبسا تصحيحيا في قبول النبي (ص) به من بعثته حتى وفاته، بالبرهان العلمي الذي لمسناه في توافق روايات الوقائع التاريخية الإسلامية حتى وفاته (ص)، مُعزَّزا بأدلة طبيعية، بحسب ما أوضحناه سابقا.

إنّ إلغاء نسيء تقويم السنة القمرية لأمر سهل قرآنيا ونبويّا، أسهل من إلغاء أمور كثيرة أخطر منه، وأشقّ على العرب قبل الإسلام وبعده، مثل إلغاء تعدد الآلهة بإله واحد، والهزء بعبادة الأصنام ومجتمع الكهنة وسلطتهم الدينية، ومخالفة أهل الكتاب وشطرا من سلوك المسلمين في التوجّه بالصلاة إلى الشام[٦٦]،

وإلغاء كثير من العادات والتقاليد المؤثرة سلبا في بناء الاقتصاد والأسرة، كالربا، وشرب الخمر، والزنا، الذي هو أخسّ من الممارسة الاجتماعية الحيوانية لعدم انضباطه بقانون طبيعي كانضباطه عند الحيوان بالقويّ، وانضباط وقته بموسم معيّن بحيث يكثُر الغذاء للمواليد الجُدد، وبعدها تكون الذكور والإناث متآلفة كالإخوة من دون ممارسة الجنس لأغراض شهوية أنانية.

ولم يلغِ الإسلام نسيء التقويم القمري؛ لأنّه يُعدّ (آية)، أي علامة علمية عجيبة اخترعها عقل الإنسان المجرد كحاسوب متطوِّر يعمل على إنشاء دوال للتعبير عمّا في نفس المخلوق العاقل يساعد في التنبيه عليها القلب التدبري الذي يتدبّر عواقب الأمور وغاياتها ويتأكد من صحتها بمقياس جلب المنافع الدينية والدنيوية وتوافقهما معا، وبهذا يكون نسيء التقويم القمري (آية) تُجدّد التقويم وتطوِّره لمواكبة تجدّد وتطوِّر حركة المحكوم عليه حركة ذاتية منضبطة على وفق القوانين الفلكية الواصفة لحركة الفلك كواقع حسيّ تجريبي عجيب، الذي يُعدّ آية أيضا، ولكنّها آية أو علامة طبيعية عجيبة مركّبة من علاقة ما يحصل عليه القمر من نور، يُحدِّد مقداره حجبُ الأرض لضوء الشمس بانضباط يشكّل ما يشبه عقرب الساعة الشريطية، الذي يحسب الزمن بالسنين اعتمادا على ثابت رياضيّ عقلّي مجرد يُسمّى بـ(اليوم)، الذي يمثل (نسخ) ضوء الشمس لسطح الكرة الأرضية بالعَوْدِ إلى نقطة بدء خلال ثابت عقلي رياضيّ مجرد هو (٢٤) ساعة، وثابت شهري قمري يُحدّده عقرب (الهلال السابق حتى الهلال اللاحق)، وثابت (السَنَة) المرتبط بثابت (الشهر) كعدد مجرد يشير إلى اثني عشر برجا تُمسحُ خلال السنة، (السنة = ١٢ شهرا).

والنسخ في اللغة هو: ((إزالة شيء بشيء يتعقّبه، كنسخ الشمسِ الظلَّ ونسخِ الظلِّ الشمسَ))[٦٧]، أي أنّ الظلَّ يُزال وتُثبّتُ مكانه إضاءة شمسية كانت ظلاً قبل مدة، والإضاءة تُزال ويُثبّت مكانها ظلّ يحجب الإضاءة التي كانت قبل مدة، بتزامن الحدثين، ما يدلّ على تجدد حركة أجزاء الساعة الطبيعية العجيبة: (القمر والأرض والشمس)، على قاعدة الأبراج السماوية الاثني عشر الثابتة الموزع عليها أرقام ثابت العدّ، وهو ١٢ شهرا لكلا الساعتين القمرية والشمسية.

كلّ ما تقدّم مُعبَّرٌ عنه بخطاب مفصّل وموجّه لمجتمع العلماء، وذلك قوله تعالى المُعبِّر عن الحقيقة

الطبيعية العجيبة المتحركة ذاتيا نحو الأخير والأحسن بمشيئة القائل سبحانه؛ لأنّه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٦٨).

أما من حيث فقه اللغة، فالنسيء التصحيحي كلفظ له دلالة تشيرُ إلى التّجدد نحو الأخْيَرِ والأحسن عبر مرور الزمن، و(النسيء)، و(النسخ)، و(النسل)، وكذلك النسيان من (نسيَ) بمعنى تجديد الذاكرة لننظر إلى الأشياء كرة ثانية بأنظار جديدة، تتفق كلّ هذه الألفاظ وملاحظة أحد المفسرين المحدثين العميقة، وهو محيي الدين الدرويش، الذي اكتشف أنّ جميع المواد اللغوية في العربية ذات النسق (نون وسين وما يثلثهما)، إنّما تدلّ على التجدد نحو الأحسن، وقد ختم كلامه بقوله: ((وهذا من أعاجيب لغتنا العربية فتأمّله، فإنّه مما ابتدعناه لأوّل مرة. ومعنى الآية [آية النسخ] عجيب أيضا))(٦٩).

فالنسيء آية علمية ابتكرها عقل الإنسان المجرد الرياضيّ تُعبِر عن الحقيقة التحليلية: (الكلّ= مجموع أجزائه)، اعتمادا على قواعد الاستنتاج المُسلَّم بصحتها كبدهيات المماثلة بالكميات: (٢+٢ =٤)(٧٠) في علم الحساب والرياضيات، يُفاد منها في إنتاج ثقافة تدلّ على تقدّم الأمم العلمي حين تواكب ريضنةُ الواقعِ الواقعَ نفسه وتصحِّح نفسها بمعادلات رياضية؛ لذلك يلزمنا أنْ نفهم فَهْماً تدبريا جيدا النصوص القرآنية الناقدة والنبوية الواصفة التي تتعلّق مباشرة بهذا الموضوع، وأهمها نصان:

١. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(٧١).

والسؤال هنا هل أنّ نقد نسيء التقويم القمري القرآني كان نقدا عامّا، أي نقدا للشيء في ذاته، كأن يقال: (النسيء عموما خطأ)، كما نقول مُسلِّمين بصحة القضية الآتية: (الشرّ خطأ)، أم هو نقد مُخصَّص كخبر يتضمّن أمرا بتصحيح بعض الخطأ في فَهْم أو تدبر الموضوع؟!.

الجواب إنّ سبب الزيادة في كفر نسيء الجاهليين؛ لأنّه يُحلِّل القتال في الشهر الأول المحرّم في السنة القمرية التصحيحية، ويُنقل تحريم القتال فيه إلى شهر صُفر الذي يليه بداية كلّ سنة قمرية ثالثة للحفاظ

على عدد الأشهر الحرم فحسب، من دون الحفاظ على المضمون القلبي التدبري لكمال الاتصال، بدليل معنى (مواطأةُ عدّة ما حرّم الله)، أي موافقة عدد الأشهر الحرم الثلاثة المتصلة بالعدد فقط من دون مراعاة كمال اتصالها، هكذا: (ذو القعدة+ ذو الحجة+....+صفر).

ومواطأة عدد الأشهر الحُرم المنقودة في القرآن تعني تحويّل موضوع الإدراك القلبي الكيفي إلى إدراك عقلي كمّيّ مجرد. وتعني المواطأة لغويا: الموافقة، وأصلها ((أنْ يطأَ الرجلُ برِجلهِ موطئ صاحبه))[٧٢]، فيكون عدد مواطئ قدَمَي الرجلين متساويًا. كذلك يبقى عدد الأشهر الحُرُم المتصلة ثلاثة أشهر كرياضيات مجردة ثابتا عند الجاهليين، سواء اتصلت جميعا أم انقطع اثنين منهما عن الثالث بالشهر التصحيحي (ن).

أما معنى: ﴿يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً﴾[٧٣]، بدلا من (عامين)؛ لأنّ الله لا يُريد وصف التفصيلات، وإنّما أراد وصف خلخلة نسق التحريم واضطراب إيقاعه المفروض أنْ يستمر ولا يُكسر بإيقاع مضاد بدايةَ كلّ سنة قمرية ثالثة، وتوضيح ذلك كما نقول لشخص: (لماذا تأكل باليد اليمنى مرة، وبالشمال مرة؟!)، وهو في الواقع التفصيلي يأكل باليد اليمنى مرتين أو ثلاثا، ثم يكسر هذا النمط مرة واحدة فيأكل باليد الشمال.

وهذه التحليل يؤكده الزمخشري بقوله: ((فإذا جاء الشهر الحرام... فيحلّونه ويحرمون مكانه شهرا آخرَ، حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحُرُم بالتحريم... "ليواطئوا عدّة ما حرّم الله"؛ أي ليوافقوا العدّة [العدد المجرد] التي هي الأربعة، ولا يخالفوها. وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين))[٧٤]؛ والواجبان هما: واجب كمّيّ بضبط عدد الأشهر الحرم: (٤= ٣ متصلة+ ١ منفصل)؛ لإرضاء العقل المجرد من جهة، وواجب ضبط التواصل الكيفيّ كمعنى قلبي تدبري نفعيّ بين الأشهر الثلاثة المتصلة: (ذو القَعدة، وذو الحجِة، والمحرم)[٧٥]، الذي يُدرك إدراكا كيفيا دفعة واحدة من جهة أخرى، لتوسيع مدّة الأمن والسلام الحضاري مدة (٩٠) يوما تقريبا في السنتين القمريتين البسيطتين، ومدة (٩٧) يوما تقريبا في السنة التي تليهما الشاذة، بدافع ديني يحترمه المجتمع.

أدّى علماء الجاهلية الواجب الأول وخالفوا الواجب الآخر، لإجرائهم نسيء التقويم في الشهر الأول من السنة القمرية الثالثة، وهو آخر الأشهر الحرم المتصلة، فكانوا يحرموّنه عامين، ويحلّلونه عاما ثالثا.

عالج المجتمع الإسلامي بإشراف النبي (ص) الخطأ الجزئي في النسيء الجاهلي بفكّ التداخل بين اسمي الشهر الأول والثاني، إذ كانا يُسميان بـ(الصُّفران)؛ صفر الأول، وصُفر الثاني، فغيَّر الإسلام اسم الأول منهما وسمّاه بـ(المحرّم)، وهو اسم يتضمّن حُكما منطقيا صارما محكوما عليه بمقياس العقل المجرد ثنائي القيمة: (حرام× حلال) ولا ثالث بينهما، فحَكَم بتحريم المحرّم، أي تحريم القتال فيه، وربّما تحريم الصيد لمنع إجراء نسيء التقويم في هذا الشهر بالذات، لينتقل إلى الشهر الذي يليه وهو (صُفر) أو ما بعده.

ويمكن أن تُفحص صحّة النسيء على أحد الأشهر المزدوجة الاسم: (ربيع الأول، وربيع الآخِر)، اعتمادا على (آية) الربيع الطبيعية كعلامة عجيبة تُشير إلى تأخُّر تفتُّح الزهور مدة (٢٢) يوما عند مرور سنتين قمريتين بسيطتين والدخول في الثالثة الشاذة.

أو تُفحص على (جُمادى الأولى، وجُمادى الآخرة)، اعتمادا على آية عجيبة أخرى تشير إلى موسم حصاد الحبوب، اللذين تتجمّد فيهما التربة وتجفّ، أو تتجمّد فيه الحبوب بمعنى تتصلب متهيّأة للحصاد؛ لذلك حصل ازدواج في تسمية الأشهر القمرية، إذ تتفتح الزهور في هذا العام في ربيع الأول بوقتها الموافق للشهر الشمسي، وفي العام التالي تتأخر فيُسمّى بربيع الثاني، فيحصل ربيعان أولهما ربيع الأول يعني السابق، وثانيهما ربيع الثاني يعني الحالي، وكذلك الجماديان، وكذلك الآذاران عند اليهود، آذار الأول وآذار الثاني المسمى بـ(فيادار)[٧٦].

وعلى هذا الأساس حقّق النسيء الإسلامي الجديد أو النسيء الإسلامي القديم (الإبراهيمي/ الإسماعيلي)[٧٧] الشروط الآتية:

أولا: شرط تواصل الأشهر الحرم المتصلة في كلّ عام لبسط الأمن والسلام ثلاثة أشهر متصلة تواصلا كيفيّا مسبوقةً بشهر الاستعداد النفسي لموسم الحجّ، وهو شهر شوال، ما يدلّ على تطوّر التحضّر العربي الإبراهيمي الإسماعيلي القديم من (الخيّر) نحو (الأخير منه) في عهد الإسلام المحمدي الحديث.

ثانيا: شرط الحفاظ على المعنى القلبي التدبري لأسماء الأشهر الحُرُم ذات الطابع الدينيّ الحضاري، ويظهر ذلك في تبديل اسم (صفر) الأول إلى (المحرم)، المعرّف بـ(ال) الكمالية من دون تعريف الأشهر الأخرى فلا يُقال: (الشعبان، ولا الرمضان، ولا الرجب...الخ)، إذ يُنقل اسم شهر المحرّم في كلّ دورة تقويمية إلى الشهر الشمسي المقابل بغضّ النظر عن شهر الزيادة التصحيحي، وهذا ما أراد فعله النبي (ص) لو بقي حيًّا، بحسب ما نفهم من قراءة نصه الآتي.

٢ـ قول رسول الله (ص) في حجة الوداع: ((ألا وأنّ الزمان قد استدار كهيئته يومَ خلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ، السنةُ اثنا عشر شهرا منها أربعة حُرُمٍ، ثلاثة متواليات: ذو القَعدة، وذو الحجةِ والمحرّم، ورجب مضر الذي بين جُمادى وشعبان))[٧٨].

يمثّل هذا الجزء من خطبة حَجّة الوداع خبرا تقريريا، وكلّ خبر في سياق التواصل يتضمّن أمرا أو مجموعة أوامر خفيّة سميناها بـ(المعاني القلبية التدبرية) التي يفهمها المخاطب من السياق المقامي، مثال ذلك عندما نقول لشخص: (جاء زيدٌ)، فإنّه يشكرنا على إخباره بمجيء زيدٍ الصديق الذي يستحقّ الاحترام والتقدير، أو قد يَفْهَمُ معنى (التحذير) من هذا العدو الشرير؛ لذلك قيل إنّ: ((المعنى الحقيقي للدلالة... تعني الإشارة إلى شيء ما لشخص ما، بالمعنى الذي أن يكون إعطائه أمرا. وللعلامات بوجه عام وظيفة تنبيهِ شخصٍ ما لإدراك شيء ما[يتدبره]))[٧٩].

وعلى هذا الأساس سنحاول استخراج عدد من المعاني التدبرية الجديدة من النصّ النبويّ السابق ونعزِّز المعاني القديمة الصحيحة، ونردُّ غير الصحيحة منها، التي لا تتفق وروح الإسلام بالآتي:

أ – المعاني التدبرية الصحيحة:

أولا: يشيرُ النصّ السابق إلينا أنْ نفهم ونتدبّر مُدة التقصير في الساعة القمرية بأنّها (سنة واحدة) لكلّ (٣٢,٥) سنة قمرية، وفيها ينطبق عقرب الساعة المقصِّرة على عقرب الساعة المضبوطة، كما كانا قبل (٣٢,٥) سنة. وعليه يجب أن تُزاد (سَنَةٌ) قمرية واحدة عند حساب عُمر الأشياء المقاسة بها بالقياس إلى عمرها بوساطة السنة الشمسية، إذا أردنا المقارنة بين حساب أعمار الأشياء بالساعتين، فمَن قِيسَ عمره

بالساعة الشمسية فكان (٣٢) سنة مثلا، سيكون عمره بالساعة القمرية (٣٣) سنة، ومن كان عمره (٣٠٠) سنة شمسية سيكون عمره (٣٠٩,٣) قمرية، ويحذف العقل المجرد الكسر بعد الفارزة. وهذا يوافق قوله تعالى في حساب مدة غفوة أهل الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾[٨٠]، تقريبا، كالآتي:

٣٠٠ سنة شمسية=٣٠٩ سنة قمرية تقريبا.....

وهذا المعنى أقرب إلى معنى جملة خطبة النبي (ص): (استدار الزمان...)، الزمان كشيء موضوعيّ محسوب بساعتين إحداهما أسرع من الأخرى، ويدلّ تطابق عقاربهما بَعْدَ مرور (٣٢,٥) عاما على وجود علاقة رياضية منضبطة بينهما، يمكن لعلماء الفلك والفيزياء حسابها بدقة متناهية لأمد مستقبلي أو ماضوي بعيد.

ثانيا: أوضح فريق من المفسرين أنّ هذا الجزء من خطبة الوداع، يؤكّد معنى تدبريا وهو أمر المخاطبين بـ (أنْ لا تنتهكوا المعاني القلبية لتسمية الأشهر القمرية الدينية بعدي)، وهو معنى وجيه؛ لذلك أمر المسلمين أن يحِجّوا في ذي الحجة ولا ينقلون الحجّ كنشاط ديني إلى الشهر الذي يليه كما كان الجاهليون يفعلون ذلك، أو لا تستعملوا النسيء الجاهلي المغلوط، وهو نسيء (التأخير)؛ لأنّ ((الأشهر الحُرُم رجعت إلى مواضعها وعاد الحجّ إلى ذي الحجة))[٨١]، بسبب نسيء (التأخير) الجاهلي؛ لأنّه ينتهك الدلالة (القلبية) لأسماء الشهور القمرية كثوابت تعبّر عن مضمون الحقيقة اللغوية، وهذا يتضمّن معنى قلبيا آخر وهو: (اعملوا بنسيء الزيادة)، لمدّ السلم الاجتماعي مدة أسبوع زيادة على عدد أيام الاشهر الحُرُم المتصلة في كلّ دورة تقويم قمرية تصحيحية.

ب- المعاني التدبرية غير الصحيحة:

أشار فريق من المفسرين[٨٢] إلى وجود معنى تدبري في كلام النبي (ص) يأمر بإبطال نسيء التقويم القمري مطلقا، وهذا يعني ترك الصيام والحج ومواقع الأشهر الحرم المتصلة والشهر المنفصل (رجب) من دون ربط توافقي ثابت مع أشهر السنة الشمسية، أو مع الأبراج الاثني عشر السماوية الثابتة، وبهذا

سينتقل الحج باتجاه أشهر الخريف بداية نمو النباتات وتزاوج الحيوانات فتُصاد وأفراخها في بطونها. وينتقل الصيام باتجاه أشهر الحرِّ الشديد ثم يتحولّ إلى الربيع، ثم تعود العبادتان إلى مواقعهما بعد مرور (٣٢,٥) سنة قمرية، كما يحصل عندما اليوم، وهو أمر غير ملائم لِلُطف وعدالة المُشرِّع بعباده، إذ تُصبح هاتان العبادتان رحمةً في وقت، ونقمةً في وقت آخر، ويُصبح الإنسان صديقا للبيئة تارة وعدوا مدمرا لها تارة أخرى.

لقد بينّا سابقا إقرار النبي (ص) لعملية النسيء من مبعثه حتى وفاته، ولو أراد هذا المعنى الخطير في خطبته، وهو ترك نسيء التقويم القمري نهائيا، لصرّح بهذا المعنى، ولم يتركه لمن يتدّبر معناه القلبي الخفيّ فيما بعده، ولاسيما أنّه (ص) كان على عِلْمٍ بوفاته بأنّها واقعة بعد حجّة الوداع بوقت قريب.

لقد تُركت عملية نسيء التقويم القمري فعلا بعد وفاة الرسول (ص)، لكنّ المصادر لم تُشر إلى هذا الحدث الخطير كمؤشر لانفصال الحياة الدينية عن الحياة الدنيوية، والحكم بأفضلية الأولى كمؤشر للزهد في الثانية تارةً، أو تفضيل الحياة الدنيوية على الأخروية تارةً أخرى بحسب تغيّر الظروف، بما لا يلائم طبيعة آخر الأديان السماوية أن يكون دينا سلبيا لا يُولي عناية بوصل الحياتين ومنافعهما معا، بحسب قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾[٨٣].

ويدلّ على ترك عملية النسيء فعلا بعد وفاة النبي (ص) اختلاف ترتيب الأشهر القمرية عن الشمسية في عدد من الوقائع التي ذكرها اليعقوبي بعد وفاة الرسول (ص)، المُوضَّحة في الجدول الآتي، الذي يُبيّن صحّة ترتيبها كنسق يحاكي ترتيبها قبل وفاة النبي (ص) في العمود الثالث، وعشوائية ترتيبها فيما بعد في العمود الرابع:

ت	الواقعة	التوافق كسُنّة نبوية	العشوائية فيما بعد السّنّة
١	وفاة أبي بكر	٢١/ جمادى الآخرة/ ١٣هـ= الشهر السادس حزيران الشمسي، أول اشهر الصيف.	٢١/جمادى الآخرة/ ١٣هـ≠ شهور العجم آب، أي الثامن الشمسي[٨٤]، ثالث أشهر الصيف.
٢	تولية عثمان الخلافة	الأول من محرّم (الشهر الأول القمري) عام ٢٤هـ= الأول من كانون الثاني (يناير) الشمسي، ثاني أشهر الشتاء.	الأول من محرّم (الشهر الأول القمري) عام ٢٤هـ ≠ الشهر الحادي عشر الشمسي تشرين الثاني من أشهر العجم[٨٥]، ثالث أشهر الخريف.
٣	تولية علي الخلافة	لسبع بقين من ذي الحجة (الثاني عشر قمري) = الثاني عشر شمسي، كانون الأول (ديسمبر)، أول أشهر الشتاء.	لسبع بقين من ذي الحجة (الثاني عشر قمري) ≠ الشهر السادس الشمسي حزيران[٨٦] (يونيو)، أول أشهر الصيف اللاهب.
٤	وفاة علي بن أبي طالب	أول ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان= التاسع الشمسي أيلول (سبتمبر)، أول اشهر الخريف.	أول ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان ≠ من شهور العجم الشهر الأول، كانون الآخِر[٨٧] يناير، أول أشهر الشتاء.

ت	الواقعة	التوافق كسُنّة نبوية	العشوائية فيما بعد السّنّة
٥	مقتل الحسين بن علي	٦١/١/١٠هـ، الشهر الأول القمري= كانون الثاني (يناير) الشمسي، ثاني أشهر الشتاء.	٦١/١/١٠هـ، الشهر الأول القمري ≠ الشهر العاشر الشمسي، تشرين الأول[٨٨] (اكتوبر)، ثاني أشهر الخريف.
٥	تولية هشام بن عبد الملك الخلافة	رمضان (التاسع القمري) = التاسع الشمسي، أيلول (سبتمبر)، أول أشهر الخريف.	رمضان (التاسع القمري)/ ١٠٥هـ ≠ كانون (الثاني أو الأول) الشمسي[٨٩]؛ أول أو ثاني أشهر الشتاء.

وهذا يعني أنّ عمل القلب التدبري الباحث عن المنافع العامة، توقّف بعد وفاة النبي (ص) وسادت أحكام العقل المجرد، فأُتخذِت قرارات حدّيّة أهمها قرار الخلافة لقريش كفصل للعقل المجرد، اعتمد على قاعدة صورية عامة هي: (الهجرة أفضل من النُّصرة)، أو (السابق في الإسلام أفضل من اللاحق)، بدلا من قاعدة العليم الخبير: ﴿أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٩٠]، ما أدّى إلى ظهور انشقاقات أدّت إلى حروب داخلية أهلية بين المسلمين سُميت بـ(حروب الردّة)، وما هي بالرِّدة عن التوحيد ولا عن الصلاة والصيام والحجّ، إلاّ الزكاة كجانب اقتصادي يجب يؤخذ بالقوة لحاجة الدولة الإسلامية إليه آنذاك، لقول أبي بكر: ((لو منعوني عِقالا، [أي عقال بعير كانوا يأتونه لرسول الله] لجاهدتهم عليه))[٩١].

جعل هذا القرار على من أدّى أركان الدين واجبات أخرى تتمثل في (التضحية بالمال تحت اسم الزكاة، والتضحية بالنفس تحت اسم الجهاد) لنشر الإسلام بالقوة. وعلى غير المسلم دفع الجزية صاغرا، كمصادر دخل لدولة اعتمدت على اقتصاد الحرب، وأهملت الاقتصاد الذي ينمّي ثروات الأرض الطبيعية

وإعادة توزيعها بالتجارة، ونسيت قريش رحلتيها المشهورتين المذكورتين في القرآن الكريم باسم: (رحلة الشتاء ورحلة الصيف)، وعاد الصراع العلوي الأموي إلى الواجهة، وقد أدّت تكاليف الحروب الباهظة وتوقّف الفتوحات إلى قتل ثلاثة خلفاء راشدين هم: (عمر، وعثمان، وعلي)، ولو عمّر أبو بكر طويلا لقُتِلَ أيضا، دلالة على تحفيز الوحشية في نفوس العرب المسلمين وعدم احترامهم للرموز العامة التي كانت من أوائل المسلمين المهاجرين، بدلا من تثقيف العرب على الرقيّ الروحي، المتمثل في ثقافة النبي (ص) بحبّه الخير الإنساني العام وإشاعة الأمن والسلام في العالم بدوافع دينية عن طريق إجراء النسيء الإسلامي الذي يمدّ السلم الاجتماعي مدة نصف سنة، ليكون الإنسان العربي المسلم صديقا للبيئة ولأخيه ولنفسه أيضا، إذ يعطيها فسحة طويلة للتأمل والتدبّر لحلّ المشكلات التي تواجهه في الواقع حلاّ علميا تجريبيا، من دون القفز على الواقع لالتماس حلول إلهية جاهزة خارقة لقوانين الطبيعة، ومن دون أن يتصوّر المسلمُ نفسه كواحد من شعبَ الله المختار، إلا بشرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليُصبح الدين الإسلامي ((دينا واقعيّا إنسانيّا يؤكّد أنّ الفعل الإلهي إذا تحقق في التاريخ [الزمان والمكان] يجري على سنن التاريخ، وهي السنن التي تمثل القوانين الكليّة التي عبّر عنها القرآن الكريم بسُنّة الله التي لن تجد عنها تبديلا))[٩٢].

الخاتمة:

يمكن إيجاز ما توصَّل اليه البحث من نتائج وتوصيات بالآتي:

أولا: النتائج:

١- إنّ نسيئ التقويم القمري بمعنى تصحيح الساعة القمرية المُقصِّرة (١١) يوما كلّ عام على الساعة الشمسية المنضبطة نسبيا، يمثل نقلة حضارية عند عرب ما قبل الإسلام تربط المنافع الدينية بالدنيوية، إذ تصبح عبادة الحج دافعا دينيا مقدسا لإشاعة الأمن والسلام ثلاثة أشهر متصلة يسبقها شهر شوال كاستعداد نفسي لاستقبال ذلك السلام في موسم الاعتدال الخريفي، الذي يكثُرُ فيه نشاط الكائنات الحيّة من نباتات وحيوانات أليفة وبريّة يكون الإنسان مسؤولا عن حفظ توازنها برعايتها والانتفاع بها.

٢- لم يُدرك العقل المجرد القديم الذي يُفكك الأشياء المعقدة إلى بسائط، وجود علاقة عكسية يُدركها القلب التدبري بين النسيء بمعنى (التأخير) أي تأخير النشاط الديني من شهر قمري إلى الذي يليه في كلّ دورة تصحيحية من جهة، والنسيء بمعنى (الزيادة)، أي زيادة شهر قمري يعوّض النقص في السنة القمرية البالغ (٢٢) يوما كلّ سنتين والدخول في السنة الثالثة من جهة أخرى، والعلاقة العكسية التي اكتشفها البحث بين النسيئين تظهر في قولنا: نسأ اللهُ أجلَكَ، بمعنى أخّرَ موتك، ويعني في الوقت نفسه: زاد اللهُ عمرَكَ، ما يدلّ على وجود نسيئين قبل مجيء الإسلام، أولهما: نسيء الزيادة، وهو نسيء متوارث من الديانة الابراهيمية والاسماعيلية، كتعويض عن النقص في الساعة القمرية كلّ عامين، ثانيهما: نسيء التأخير: وهو نسيء جاهلي وهو الشائع عند مجيء الإسلام، وسَمّيَ كذلك؛ لأنّهم كانوا يؤخِّرون نشاطَ الحجّ من شهر إلى الشهر الذي يليه بعد كلّ مرور عامين قمريين والدخول في العام الثالث، لغرض تصحيح الساعة القمرية على الشمسية فيبقى الحجّ كنشاط ديني ثابتَ التوقيت شمسيا في أشهر الخريف المعتدلة الجو والأيام العشرة الأوائل من أول شهر شتوي. وفي هذا النسيء يوجد غلطان، أولهما: انتهاك دلالة اسم ذي الحجة، إذ يحجون عامين في ذي الحجة، وعامين في المحرم، وعامين في صُفر وهكذا، حتى وافقت حجة أبي بكر في ذي العقدة، ثم انتقلت حجة الوداع إلى ذي الحجة بعد مرور (٣٢) عاما.

أما الغلط الثاني فهو تفكيك تواصل الأشهر الحرم الثلاثة المتصلة: (ذو العقدة وذو الحجة والمحرم).

٣- فَهَمَ المسلمون بعد وفاة النبي (ص) أنّ نقد القرآن للنسيء الجاهلي المغلوط بأنّه زيادة في الكفر، بمعنى تضمّنه أمرا تدبريا بترك النسيء مطلقا، وفهموا من خطبة النبي: ((ألا وأنّ الزمان قد استدار كهيئته يومَ خلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ، السنةُ اثنا عشر شهرا منها أربعة حُرُمٍ، ثلاثة متواليات...)) بأنّه يتضمّن أمرا بترك عملية النسيء، ولكنّ الصحيح أنّ القرآن انتقد الغلط الأول وهو تفكيك الأشهر الحرم الثلاثة المتصلة، أما خطبة النبيّ(ص) فانتقدت انتهاك تسمية الأشهر القمرية ولاسيما الدينية منها (المحرم، ورمضان وذو الحجة)، وهذا يعني وجوب تصحيح أخطاء النسيء الجاهلي الشائع، والعودة إلى نسيء الزيادة الابراهيمي الاسماعيلي، الذي أقرّه النبي (ص) من مبعثه حتى وفاته.

٤- أدّى ترك النسيء الإسلامي كسُنّة نبويّة، إلى تقدّم عبادة الصيام بـ(١١) يوما نحو الصيف اللاهب الطويل الساعات كلّ عام، بما لا يُطيقه المسلم في كثير من البلاد العربية والإسلامية، ما جعل العقل يُفكِّر بالتحايل على الدين بطريقة الجدل المتعالي الذي يحافظ على صورة العبادات لتستوعب ما هو منهيّ عنه قرآنا وسُنّةً من سلوكيات أخلاقية ما أنزل الله بها من سلطان.

ثانيا: التوصيات:

تمثل توصيات هذا البحث العودة إلى العمق الحضاري والثقافي للفهم التدبري للنصوص التاريخية والدينية، إذ أردنا أن نحافظ على ثقافة الإسلام الايجابية؛ لذلك يوصي البحث بما يأتي:

١- إعادة النظر بتفعيل نسيء التقويم القمري الصحيح (نسيء الزيادة)، الذي هو سُنّة نبوية قديمة أقرّها خاتم الأنبياء (ص)، ليرجع ديننا إيجابيا يوافق بين المنافع الدينية والدنيوية، ونبذ السلبية الموجودة فيه الآن، التي لا تلائم آخِر دين سماوي أن يعيش معتنقوه زاهدين بالدنيا، أو يقتاتون على اقتصاد الحرب والغنائم الباردة، مقلدين آباءنا تقليدا ببغاويا.

٢- إنّ تفعيل نسيء الزيادة يجعل عبادتي الحج والصيام متسقتين ومتوافقتين مع أعمال المسلمين الوظيفية والنفعية العامة بنظام عقلي منطقي مطرد، إذ يحلّ الصيام في شهر الاعتدال الخريفي دائما الملائم لمقدرة الإنسان على أداء تلك العبادة والعمل في وقت واحد، من دون اللجوء إلى آليات الاحتيال على الدين، أو خيانة النفس بالتظاهر بالصيام والإفطار السرّيّ.

كذلك الحج الأكبر سيكون موعده ثابتا في الأيام العشرة بداية أول شهر شتاء مكة وما حولها، ليسهل الحج على الحجيج الحجّ في أجواء لطيفة تصلح للتبادل التجاري والثقافي، ليصبح الدين الإسلامي إيجابيا جاذبا وليس سلبيا استهلاكيا طاردا مُعطّلا للناشط الدنيوي.

هوامش البحث:

(١) ظ: الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، هانز جورج غادامير: ٦٥.

(٢) ظ: التقويم الهجري كيف كان وكيف صبح؟ ، إبراهيم دادي، بحث متاح على الموقع الالكتروني: www.ahl-alquran.com

(٣) ظ: الزاهر، الأنباري: ٥٥٩/١، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ١٦٩٤/٢.

(٤) ظ: نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي، تومان غازي الخفاجي وزميله: ٧١ وما بعدها.

(٥) ظ: فلسفة فويرباخ بين المادية والإنسانية، نادية أحمد النصراوي: ٦٨.

(٦) الصورة الأيقونية: علامة سيميائية (معنوية) بين شكلها أو صورتها المختزنة في المخ كنقش، وبين مرجعها الواقعي المُستقرَأ العامّ، تشابه أو تماثل، وليس تطابقا تاما، نحو صورة الإنسان المنقوشة على طين المخ التي تشبه صورة كلّ إنسان واقعي، ولا تتطابق مع أيّ منهم لتجرّدها من مادة (الدم واللحم)؛ لهذا تتسم الصور بثبوت هوياتها كصورة تُميّز الإنسان من الحيوان، ومن صورة النبات إلى غير ذلك، لعدم تغيّرها كما يتغيّر الإنسان الواقعي عبر مرور الزمن، إذ يُولد ويشبّ ويشيخ ويموت.

(٧) ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٤٦/٥، البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي: ٢٤٧/٥، روح المعاني، الآلوسي: ٣٩٩/١٠.

(٨) ظ: التقويم قمري، بحث متاح على مواقع الموسوعة الحرة: www.wikipedia.org

(٩) ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤادي الباقي، مادة (شهر، ويوم).

(١٠) ظ: التقويمان الهجري والميلادي، فيبمان – جرنفيل: ١٥.

(١١) ظ: م.ن: ٥.

(١٢) روح المعاني، الآلوسي: ٣٦٥/١٠.

(١٣) التفسير المُبين، محمد جواد مغنية: ١٩٣.

(١٤) ظ: نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي، تومان غازي الخفاجي وزميله: ١٨٢.

(١٥) مبادئ أولية في الفلسفة، جورج بوليتزر: ١٩٤.

(١٦) ظ: نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي تومان غازي الخفاجي وزميله: ٨٣.

(١٧) فلسفة العلم في القرن العشرين، دونالد جيليز: ١١-١٢.

(١٨) نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي، تومان غازي الخفاجي وزميله: ١٢١.

(١٩) صحيح مسلم: ٦٧/١، حديث برقم (٤٥).

(٢٠) ظ: فلسفة فوريباخ بين المادية والإنسانية، نادية أحمد النصراوي، ٥ (المقدمة).

(٢١) التقويمان الهجري والميلادي، فريمان – جرنفيل: ٢٥.

(٢٢) ظ: عيد القيامة، بحث متاح على موقع الموسوعة الحرة: www.wikepedia.org

(٢٣) المنهج، معرفة المعرفة، إدغار موران: ١٠٦/٣-١٠٧.

(٢٤) ظ: التقويمان الهجري والميلادي، فريمان – جرنفيل: ٩.

(٢٥) يخالف تاريخ الهجرة المثبّت في متن البحث لما قرره فريمان وجرنفيل بأنّه يوافق ١٦/تموز، أي الشهر السابع الشمسي الساخن سنة ٦٢٢م، وهو أحرّ الشهور عندنا، وقد اعتمد الباحثان على فرضية مغلوطة لم يعرفها الأجانب لعدم فهمهم لعلم النسيء عن العرب قبل الإسلام، الذي أقرّه النبي (ص) من مبعثه حتى وفاته كسُنّة متّبعة، تُركت بعد وفاته (ص). ظ: م.ن: ٨-٩.

(٢٦) ظ: م.ن: ٩.

(٢٧) لسان العرب، ابن منظور: ٣١٥/٥ مادة (رمض)، القاموس المحيط، الفيروزأبادي: ٥٣١ (رمض).

(٢٨) سورة البقرة: ١٩٧.

(٢٩) روح المعاني، الآلوسي: ٦٥٦/٢، ظ: لسان العرب، ابن منظور: ٥٣/٣، (حجّ).

(٣٠) ظ: لسان العرب، ابن منظور: ٢٤٨/٢ (جمد).

(٣١) القاموس المحيط، الفيروزأبادي: ٢٣٤ (جمد).

(٣٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ١٢٥/١٦.

(٣٣) م.ن: ١٢٦/١٦.

(٣٤) ظ: تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ١٥٦/٢.

(٣٥) ظ: تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ١٥٦/٢.

(٣٦) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١٤٢/١.

(٣٧) م.ن: ١٤٢/١.

(٣٨) م.ن: ١٤٣/١.

(٣٩) ظ: سنن الترمذي: ١٩٥، حديث برقم (٦٩١)، وسنن أبي داود، حديث برقم (٢٣٥٦).
(٤٠) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١٤٥/١.
(٤١) ظ: السيرة النبوية، ابن هشام: ١٨٠/٢.
(٤٢) م.ن: ١٨٠/٢.
(٤٣) ظ: الكامل، ابن الأثير: ٧٤/٢.
(٤٤) تاريخ اليعقوبي: ١٥٤/١.
(٤٥) البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي: ٤٦/٥.
(٤٦) ظ: لسان العرب، ابن منظور: ١١٧/١٤، (نسأ).
(٤٧) البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي: ٤٨/٥.
(٤٨) سورة البقرة: ٢٧٦.
(٤٩) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ١٢٨/١٦.
(٥٠) ظ: روح المعاني، الآلوسي: ٣٩٦/١٠.
(٥١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٥٢١/١.
(٥٢) مجمع البيان، الطبرسي: ٤٥/٥.
(٥٣) ظ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٥٢١/٢.
(٥٤) الكشاف، الزمخشري: ٢٥٧/٢.
(٥٥) سورة التوبة:٣٦
(٥٦) سورة التوبة:٣٧.
(٥٧) الزاهر، الانباري: ٥٥٩/١.
(٥٨) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ١٦٩٤/٢.
(٥٩) البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي: ٤٦/٥.
(٦٠) لسان العرب، ابن منظور: ٣٦٠/٧ (صفر).
(٦١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٥٢١/٢.
(٦٢) الزاهر، الأنباري: ٥٥٩/١.

(٦٣) الكشاف، الزمخشري: ٢٥٨/٣.

(٦٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ١٢٩/١٦.

(٦٥) مجمع البيان، الطبرسي: ٤٢/٥-٤٣.

(٦٦) صُرفت القبلة من الشام إلى الكعبة ((يوم الاثنين للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدمه (ص) المدينة، وقيل على رأس ستة عشر شهرا، بعد صلاة الظهر، وفيها أيضا في شعبان فُرِض صوم شهر رمضان)). الكامل، ابن الأثير: ١٣/٢.

(٦٧) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٨٠١.

(٦٨) سورة يونس: ٥.

(٦٩) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش: ١٥٤/١-١٥٥.

(٧٠) ظ: في سبيل منطق للمعنى، روبير مارتان: ٣٦.

(٧١) سورة التوبة: ٣٧.

(٧٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٧٤.

(٧٣) سورة التوبة ٣٧.

(٧٤) الكشاف، الزمخشري: ٢٥٧/٢.

(٧٥) ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٤٦/٥.

(٧٦) ظ: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ١٦/ ١٢٥.

(٧٧) ظ: روح المعاني، الآلوسي: ٣٩٦/١٠.

(٧٨) صحيح مسلم: ١٣٠٥/٣، حديث برقم (١٦٧٩)، وفي سنن أبي داود، برقم (١٩٤٧)، وفي السنن الكبرى برقم (٤٢١٥).

(٧٩) الفلسفة الألمانية الحديثة، روديجر بوبنر: ٦٥.

(٨٠) سورة الكهف: ٢٥.

(٨١) مجمع البيان، الطبرسي: ٤٥/٥-٤٦، ظ: البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي: ٤٦/٥، روح المعاني، الآلوسي: ٣٩٩/١٠.

(٨٢) ظ: الكشاف، الزمخشري: ٢٥٧/٢، مجمع البيان، الطبرسي: ٤٦/٥.

(٨٣) سورة القصص:٧٧.

(٨٤) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١٨٩/١

(٨٥) ظ: م.ن: ١٩٧/١.

(٨٦) ظ: م.ن: ٢٢١/١.

(٨٧) ظ: م.ن: ٢٠٤/١.

(٨٨) ظ: م.ن: ٢٣٦/١.

(٨٩) ظ: م.ن: ٢٦٩/١.

(٩٠) سورة الحجرات: ١٣.

(٩١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ٢٥٥/٢.

(٩٢) الخطاب والتأويل سلطة السياسية وسلطة النص، د. نصر حامد أبو زيد: ٢٠٥.

المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم.

أولا: الكتب:

١. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، سوريا،ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٢. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط٢(١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٣. تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري،(ت٣١٠هـ)، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٥، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

٤. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي(ت بعد ٢٩٢هـ)، المكتبة المرتضوية في النجف، مطبعة الغري(١٣٥٨هـ/١٩٣٩م).

٥. التفسير المبين، محمد جواد مغنية، دار التيار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

٦.تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، راجعه وخرج أحاديثه أيمن محمد نصر الدين، والدكتور عبد الرحمن الهاشمي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

٧.التقويمان الهجري والميلادي، فريمان – جرنفيل، ترجمة عن الانكليزية د.حسام محيي الدين الآلوسي، دار الشؤون الثقافية العامة، مطبعة الجمهورية، بغداد (١٣٨٩هـ/١٩٧٠م).

٨.الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، هانز جورج غادامير، ترجمة د. حسن ناظم دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، ط١، ٢٠٠٧م.

٩.الخطاب والتأويل، سلطة السياسية وسلطة النص، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط٢، ٢٠٠٥م.

١٠.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمد الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)، تحقيق محمد أحمد أمين، وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان،ط١(١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

١١.الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م.

١٢.سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي(ت٢٧٥هـ)حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)

١٣.سنن الترمذي، محمد بن عيسى السلمي الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، ط٢، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

١٤.السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي(ت٤٥٨هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند . حيدر آباد، ط١، ١٣٤٤ هـ.

١٥.السيرة النبوية، ابن هشام (ت٢١٣هـ)،حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٥، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

١٦. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، طبعة بالأوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول،١٤٠١هـ.
١٧. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ)، حقق نصوصه وصححه ورقمه وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة (د.ت).
١٨. الفلسفة الألمانية الحديثة، روديجر بوبنر، ترجمة فؤاد كامل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
١٩. فلسفة العلم في القرن العشرين، دونالد جيليز، ترجمة ودراسة د. حسين علي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
٢٠. فلسفة فويرباخ بين المادية والإنسانية، نادية أحمد النصراوي، دار الرافدين، بيروت، لبنان، ط٥، ٢٠١٧م.
٢١. في سبيل منطق للمعنى، روبير مارتان، ترجمة وتقديم الطيب البكوش وزميله، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٢. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ)، رتبه ووثقه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).
٢٣. الكامل في التاريخ، ابن الأثير أبو الحسين علي أبو الكرم محمد بن محمد(ت٦٣٠هـ)، إدارة المطابع المنيرية، مصر، ١٣٥٦هـ.
٢٤. كشاف اصطلاحات الفنون، الشيخ محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي(ت بعد ١١٥٨هـ)، وضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
٢٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت٥٣٨هـ)، حققها على نسخة خطّيّة: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان،(١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
٢٦. لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ)، اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط٣، (د.ت).
٢٧. مبادئ أولية في الفلسفة، جورج بوليتزر، ترجمة د. فهيمة شرف الدين، دار الفارابي، ١٩٦٩م.

٢٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(من أعلام ق٦هـ)، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الاختصاصيين، قدم له محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٢٩. المعجم المفهرس للألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٣٠. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (توفي في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، مطبعة أميران، قم، ط٣، (د.ت).

٣١. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط٢، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

٣٢. المنهج، الأفكار، إدغار موران، ترجمة د. يوسف تيبس، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣م.

٣٣. نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي، تومان غازي الخفاجي وزميله، دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ٢٠١٨م.

ثانيا: المواقع الالكترونية:

٣٤. التقويم الهجري كيف كان وكيف أصبح؟، إبراهيم دادي، بحث متاح على الموقع الالكتروني: www.ahl-alquran.com

٣٥. التقويم قمري، بحث متاح على مواقع الموسوعة الحرة: www.wikipedia.org

٣٦. عيد القيامة، بحث متاح على موقع الموسوعة الحرة: www.wikepedia.org

التأويل بين ضرورة استدلال واستراتيجية فكر

أ.م د. طالب حسين كطافة

كلية الامام الكاظم/ النجف الأشرف

المقدمة:

في العقود الأخيرة من القرن العشرين ظهرت في الفكر العربي الإسلامي مشاريع فكرية لقراءة التراث الإسلامي ؛هدفها إعادة صياغته ؛ ولاسيما في جزئه الأساس وهو القرآن الكريم والسنة النبوية بهدف أن يتمكن العرب والمسلمون عيش الحداثة في مفاهيمها ،ومناهجها ، ونتائجها ؛ من دون أن يؤدي ذلك الى التخلي عن التراث ، ورفضه رفضا مطلقا في مادته وصورته .

ولكون هذه المشاريع قد تضمنت ما يخالف ثوابت في هذا التراث وفق الفهم التقليدي له ، فقد ظهرت ضدها حملات رفض ، بل كانت هناك مواقف هددت حياة بعض منتجيها كما حصل مع الدكتور نصر حامد أبو زيد ، وفي مقابل هذه الحملات ، كان هناك من يدافع عن شرعية هذه المشاريع على وفق معايير التراث ، إذ يرى أنها في نهاية الأمر امتداد للتفاعل المعرفي الذي قام به العلماء المسلمون مع المكون النصي المقدس في التراث ، حيث كانت عديد صور لهذا المكون كلاميا وفقهيا وتفسيريا نتيجة اعتماد المسلمين على آلية التأويل في فهمه ، ومن ثمة كانت هناك عديد الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية ، فما قامت به هذه المشاريع ما هو إلا قراءة تأويلية معاصرة كما كانت تلك الفرق والمذاهب قراءات تأويلية تراثية لهذا المكون ، وبتعبير منطق القياس الأرسطي: إن هذه المشاريع هي صغرى لكبرى لا إشكال في شرعيتها ومقبوليتها عند المسلمين وهي : إن القراءة التأويلية للإسلام ولنصوصه عمل مشروع ويدخل تحت حديث المصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد، بعد وحدة الآلية المنتجة في هذه القراءات وهي التأويل التي لها شرعيتها عند المسلمين .

غير أن هذه الكبرى تصح إذا كانت هذه الوحدة وحدة ماهوية ، وليس مجرد وحدة عنوانية . اصطلاحية ،إذ في هذه الحالة لن يتكرر الحد الأوسط عندما نجعل المشاريع الحداثية صغرى قياس مع هذه الكبرى،

ومن ثمة لن ينتج هذه الشرعية ، ومن هنا جاء موضوع البحث و إشكاليته ، فهو يتناول تحليل الممارسة التأويلية عند المسلمين بين التراثي والحداثي ، متسائلا عن واقعها من حيث أسسها النظرية ، فهل هي واحدة مؤتلفة، آم متعددة مختلفة الى درجة تؤدي الى تباينها ماهويا؟

وهنا لابد من الإشارة الى بعض الملاحظات المتعلقة بموضوع البحث ،الملاحظة الأولى : إن البحث يقوم على أن القراءة هي تأويل في الوقت نفسه ، لأن القراءة وإن كانت في المصطلح غير التأويل وأعم منه مفهوما ، إلا أنها متحدة معه ذاتا ، والتغاير بينهما اعتباري ؛ كالتغاير بين الخبر والقضية ، فهما وجود واحد ، ويختلفان من حيث زاوية النظر لواقعهما ، فاذا نُظِر الى القضية من حيث كونها تنتج معلومة جديدة للمتلقي، تُسَمّى خبرا، والخبر اذا نُظِر اليه من حيث تضمنه حكما على موضوع، يُسَمّى من هذه الجهة قضية، وكذلك الأمر هنا ، فالتأويل هو قراءة من حيث النظر إليه منتجا من قارئ له طبيعة معرفية خاصة تحكم قراءته التأويلية ، والقراءة هي تأويل من حيث أنها تؤول الى فهم جديد غير الفهم السائد، وهذه الوحدة الذاتية والثنائية الاعتبارية أشار إلى مضمونها الدكتور جابر عصفور في المقدمة المنهجية لكتابه: قراءة التراث النقدي ، كما انها تنسجم مع ما ذكره الدكتور عبد المجيد الشرفي في مقدمة كتابه : من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة، من وحدة الاشكالية فيهما؛ وتمحورها حول طبيعة المعنى وطبيعة النص وحول مسألة الفهم والادراك ، بل حتى لو قلنا بالأعمية الوجودية بينهما ، فان خطاب هذه المشاريع ونقاده تضمن التصريح والإشارة الى أن هذه القراءات هي قراءات تأويلية، مثل قول د نصر حامد أبو زيد أن الإلهيات لا تصبح إنسانيات إلا بالقراءة التأويلية ،وقول علي حرب إن قراءات النصوص هي قراءات تأويلية ، وقول د الجابري إن قراءة التراث هو استنطاق نصوص لا تنطق، والملاحظة الثانية: إن التأويل المبحوث عنه هو التأويل العلمي المستند الى ما هو موضوعي من قواعد التواصل وواقع الحياة الذي يرتبط بهذه النصوص ،وليس التأويل الصوفي– العرفاني المبني على التجربة الذاتية ،والمنطلق من دلالات باطنية تقتضيها هذه التجربة الخاصة ، والملاحظة الأخيرة: تتعلق بمصادر الموضوع ، وهي إن ما هو تراثي مأخوذ بمفهومه المعرفي لا الزمني فقط ، فكل منتج يستند الى آلية التفكير في العلوم التراثية

ومجال علومها يعد تراثا ؛وإن أُنتج في القرن العشرين ، وبالتالي فإن مصادر أصول الفقه المنتجة في هذا القرن تبقى منتجات تراثية ؛ وإن تضمنت مفاهيم وأفكار لم تكن موجودة عند الأصوليين في تراث المسلمين في القرون الوسطى .

وحيث أن موضوع البحث تضمن الإشارة الى ثنائية الممارسة التأويلية في الفكر الإسلامي في الجزء الثاني من عنوانه ، لكون الأصل في (الواو) المغايرة ، فإن هيكليته صيغت لإثباتها من خلال ثلاثة مباحث جمعت المفاصل النظرية المقومة لكل من الممارسة التراثية والحداثية، فالأول: تناول تحديد موضوعهما ، والثاني تناول إشكاليتهما، والثالث ،تناول منهجهما، منتهيا في الجميع الى وجود التباين بينهما ، ومن ثمة ستكون الممارسة متباينة في حقيقتها النظرية والوجودية ، مما لا يصح معها سحب حكم أحدهما على الآخر.

ولطبيعة موضوع البحث وإشكاليته ، فإن المنهج المتبع كان المنهج الوصفي التحليلي المقارن بين نصوص التراثيين والحداثيين ، بمعونة بعض المبادئ المنطقية واللغوية ، مستنطقا لها من حيث العناصر الثلاث وما يترتب عليها .

وأخيرا لابد من التأكيد إن البحث لا يهدف الى تقييم قراءة هذه المشاريع الحداثية ، وإنما هدفه بيان اختلاف مقوماته النظرية مع ما يناظرها تراثيا، وبالتالي فأن ما يترتب على الممارسة التأويلية التراثية، لا ينسحب بالضرورة على الممارسة التأويلية الحداثية لتباينهما الماهوي ، و من يقبل نتائج هذه المشاريع عليه أن يبحث عن مستند آخر لمشروعيتها العلمية أو الدينية أو الفكرية .

المبحث الأول: التأويل والنص الجزئي:

يعد التأويل من المفاهيم ذات الإضافة ،وهي التي يتوقف تحققها الوجودي على موضوعها؛ الذي لابد أن يكون حاضرا بعنوانه العام في مفهومها، لأنه لا وجود للممارسة التأويلية من دون وجود مؤوِّل، مما يمنح الموضوع الأولوية في عرض أهم المفاصل النظرية لهذه الممارسة، ولاسيما إن هذه المفاصل مترتبة على وجوده وطبيعته الماهوية ، وهو ترتب يتضمنه معيار موضوع النشاط المعرفي في المنطق التقليدي عند

المسلمين الذي ينص على أن موضوع كل علم هو ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية ، إذ هذه العوارض عبارة عن المفاهيم التي تثبت للموضوع بصورة مباشرة بلا وساطة في العروض والحمل [١]، أي ذاته تقتضي ثبوتها له ، ومن هنا سنبدأ به في تحديد مقومات التأويل في الممارسة الإسلامية التراثية والممارسة الحداثية المعاصرة.

أولا: النص الجزئي و التأويل الإسلامي

من المقولات التي أخذت شهرة تداولية بين الباحثين في الفكر العربي والإسلامي المعاصر أن الحضارة الإسلامية حضارة نص، ومع قطع النظر عن مصدرها وإمكانية المناقشة في إطلاقها وكليتها من حيث إسهام ما يصطلح عليه في التراث الإسلامي بالعلوم الدخيلة كالمنطق والفلسفة في تكوينها ، فإن لها قدر كبير من الصحة الأمر الذي يجعل منها منطلقا في تحديد موضوع التأويل التراثي الإسلامي ، ولاسيما إننا نلاحظ أن علماء أصول الفقه بوصفهم المنظرين لمقولة التأويل في التراث الإسلامي لم يخرجوا عن النص في بيان مفاصل مقولته .

من التعريفات التي ذكرها غير واحد منهم ،إن التأويل هو "نقل اللفظ عما إقتضاه ظاهره٠٠٠"[٢]، مما يعني أن موضوعه اللفظ ، وهو تعريف أقل ما يقال عليه أنه تعريف مسامحي ، لأنه استعمل كلمة (لفظ) لبيان الموضوع ،وهو استعمال غير دقيق ،إن لم يكن خطأ، لأن (اللفظ) عبارة عن "الصوت المشتمل على بعض حروف الهجاء"[٣] ، فهو أعم من المستعمل وهو ما له معنى والمهمل الذي لامعنى له أصلا[٤]، ولهذه الأعمية ، يكون تعريفا لموضوع التأويل بأجزائه المادية من دون أن تكون الدلالة أو المعنى مأخوذا في مفهومه، غير أننا عند مراجعة تعريفات أخرى للتأويل ، نكون أمام ما يمكن أن يكون بيانا لما يُقصَد من كلمة (لفظ) ، حيث عُرِّف بأنه " صرف الكلام عن ظاهره٠٠٠"[٥] ، مما يعني أن المهمل خارج عن معنى هذه الكلمة ، ويكون موضوعه اللفظ المستعمل فقط ، وهنا سنكون أمام سؤال ، وهو إن المستعمل يشمل الكلمة والكلام ، فهل الكلمة يمكن أن تدخل في موضوع التأويل؟ ،ولاسيما إن كثيرا من الممارسات التاريخية للتأويل موضوعها كلمةٌ مثل تأويل كلمة الاستواء بالسلطة واليد بالقدرة ؟

في الواقع إن الكلمة من حيث أنها كلمة قبل تركيبها في جملة مفيدة ، وإن كان لها معنى معجمي ،إلا أنه ليس لها معنى استعمالي تداولي ، لذا فإن معناها في هذه الحالة "لا يكون حقيقة و لا مجازا ...لان شرطهما الاستعمال وهو منتفي"[٦]، وهي حقيقة أقرها الفكر التأويلي المعاصر الذي ربط ولادة المعنى بالسياق الذي يكشف عن المجال الاستعمالي التداولي للكلمة، حتى لو كان استعمالا لها مفردةً ، فدلالة كلمة زيد من دون تركيب في جملة يحددها السياق الذي تُطلَق فيه ،فقد يكون في سياق التحذير ، ويكون مرجعه الى جملة مفيدة ، وهي الجملة الإنشائية :احذر، وقد يكون في سياق جواب لسؤال عن فاعل حدث ما، مثل السؤال :من ضرب عمرو؟ فيكون مرجعه الى جملة خبرية ، يمكن أن يصاغ بجملة مبتدأ وخبر ، فيكون مرجع كلمة زيد في هذا السياق : زيد ضرب عمرو، لذا فـ"إن الكلمات لا تحيل على معاني ،إنها حاضنة لسياقات"[٧]،ومن ثمة " ليس اللفظ معنى قاموسي...بل اللفظ سياق والسياق علاقات داخل النص وخارجه"[٨]، مما يعني أن الكلمة عندما تكون موضوعا للتأويل ، إنما يكون ذلك بما هي جزء من الكلام ، فلا يكون معناها بما هي مفردة هو المؤوَّل ، وإنما يكون معنى الجملة الذي يكون معناها متولدا منها ، وبالتالي فالتأويل للكلام وليس للكلمة ، إذ "التأويل يتعلق بالمعاني"[٩] التي يتضمنها الكلام ، وما الكلمات إلا وسيلة لتداولها.

ومع هذا يبقى تحديد الكلام موضوعا للتأويل يحتاج الى تحديد أدق ، فان الكلام له تعدد اصطلاحي فهو يطلق على الجملة النحوية وهي القول المفيد[١٠] ، وعلى ما يتركب منها من دون تحديد لعددها ، فالفقرة أو عديد فقرات تسمى كلام ، كما له إطلاق خاص وهو القران الكريم والسنة النبوية وغير ذلك، فهل التأويل يشمل كل ذلك؟

عندما نلاحظ الممارسة التأويلية التراثية ، نجد أنها تختص بكلام خاص من حيث الكم ومن حيث الموضوع، فهي تختص بالكلام الذي يتعلق بالذات الإلهية تكوينا وتشريعا، أما تكوينا ،فهو النص القرآني والنبوي المتضمن وصف الذات الإلهية وأما تشريعا فهو المتضمن الأحكام الفقهية والأخلاقية، لذا فإن الممارسة التأويلية التراثية التي يمكن إخضاعها للقواعد العلمية كان مجالها علم الكلام ،وعلم أصول الفقه

وتبعا له علم الفقه، وعلوم القران وتبعا لها التفسير، وهذا التعدد في المجال أدى الى تعدد اصطلاحي في موضوع التأويل ، ففي علم أصول الفقه يعبر عنه باللفظ أو الكلام ، أما عندما ننتقل الى الفقه وعلم الكلام نجد التعبير إما يكون بالدليل أو النص وهو ما نلاحظه عند ذكر شروط التأويل الصحيح التي منها ، إن التأويل لا يكون صحيحاً إلا إذا وجد دليل أقوى من الدليل المؤوَّل[١١] ،مما يعني أن موضوعه الدليل الذي حسب واقع الممارسة التراثية يطلق عليه أيضا مصطلح النص الشرعي ،الذي هو "نظم القران والسنة مقابل الأدلة الأخرى من الإجماع والقياس وغيرها، فيطلق على الآية أو الحديث سواء كان نصا بالمعنى الأصولي أو ظاهرا أو مفسرا أو محكما"[١٢]، وفي النتيجة ، فإن النص المقدس الجزئي سيكون هو موضوع التأويل التراثي، وإذا كان هناك تأويل لكلمات بعض الفقهاء ، فهو يرجع الى تأويل النص الشرعي كما هو متحقق في الخلاف الفقهي، الأمر الذي ينقلنا الى موضوع التأويل الحداثي لاسيما أن مشاريع القراءة الحداثية يتكرر فيها مصطلح النص كثيرا.

ثانيا : كلية التراث والنص الجزئي

في مشاريع القراءة الحداثية طُرِح مفهوم جديد للنص يغاير المفهوم التراثي، فهو يتحقق في كل "سلسلة من العلامات المنتظمة في نسق من العلاقات تنتج معنى كليا يحمل رسالة ، وسواء أكانت تلك العلامات علامات باللغة الطبيعية ... أم كانت علامات بلغة أخرى"[١٣]، وإذا تجاوزنا هذه الأعمية وخصصناه بالعلامة اللغوية الطبيعية ، فإنه كذلك يكون مغايرا لدلالته التراثية ، إذ مع أنه يتضمن المفهوم التراثي للنص بدلالته الكلامية والفقهية ، ولكنه سيكون بوصفه جزءً تركيبيا فيه، ومنظورا له ولمفرداته على أنها علامات، يكون على الممارسة التأويلية الحداثية فك شفرة دلالتها، ومن هنا فانه في هذه المشاريع "لايهم...الفرق بين نص وآخر من حيث المضامين والمحتويات أو من حيث الموضوعات والأطروحات ، وإنما الذي يهم كيفية بناء الخطاب وطريقة تشكله وآلية اشتغاله"[١٤] ، ولهذا عندما يتم قراءة النص القرآني أو النص النبوي قراءة حداثية ، فإنه يقرأ على أنه "حدث يحصل لأول مرة في التاريخ ، وبشكل أدق ...التجلي التاريخي لخطاب شفهي في زمان ومكان محددين تماما...رافق الممارسة التاريخية

المحسوسة لفاعل اجتماعي يدعى محمد بن عبد الله"[١٥] ، وهذه الرؤية للنص بوصفه واقعة وجودية تاريخية ، تمثل "قاسما مشتركا بين الحداثيين العرب"[١٦]، ومن ثمة فان النص الذي في هذه القراءات ليس هو النص عند المتكلمين والفقهاء ، لأن النص . أي نص . ليس بوجوده الفيزيائي ، إنما يأخذ كينونته من تداولية هذا الوجود ، وما يعكسه من دلالات سواء ما كان منها مرتبطا بمنتجه أو كان مرتبطا بالسياق الذي أنتج فيه.

إن أخذ النص بهذا المفهوم عند الحداثيين، هو نتيجة كونه جزءا من التراث في هذه المشاريع الذي اخذ بوصفه "كتلة واحدة مترابطة"[١٧] ، إذ كانت أحد منطلقاتها الحرص " على استيعاب [الـ]تراث٠٠٠ ككل بكل منازع تياراته ومراحله التاريخية"[١٨]، لأنه إذا تم تجزئة التراث والتعامل معه وفق الرؤية التقليدية التقديسية بوصفه وجود يحكي حقيقة مطلقة ميتافيزيقية ؛ علينا الوصول إليها في مكونه النصي ، سيكون "من المستحيل أن يصبح ٠٠٠مجالا للدرس العلمي النقدي الذي يستنبط دلالة التراث في سياقه التاريخي الاجتماعي"[١٩] ، ولأن النظرة التجزيئية وهي تفكك مكونات الظاهرة عندما تكون موضوعا لقراءة معرفية، فإنها تنفي الموضوع، ولاسيما القراءة التأويلية التي أصبحت "جوهر ولب نظرية المعرفة في محاولتها وصف فعل القراءة . أي قراءة ٠٠٠لظاهرة تاريخية أو فلسفية أو أدبية أو سياسية أو اقتصادية . بوصفها بناءً معقدا من العلاقات التي تتضمن الذات والموضوع والسياق ونسق العلامات والرسالة"[٢٠] .

إن هذه المشاريع لم تنظر الى النصوص الدينية النظرة التقديسية الذي كانت فيها موضوعا للتأويل التراثي الإسلامي وهي النظرة المرآتية لحقائق غير زمانية وغير مكانية ، وإنما أصبحت تراثا عندما صار لها علاقة بالزمان والمكان ، تخضع لما تخضع كل ظاهرة بشرية ، إذ " النصوص ، دينية كانت أم بشرية ، محكومة بقوانين ثابتة ، والمصدر الإلهي للنصوص الدينية لا يخرجها عن هذه القوانين ،لأنها تأنسنت منذ تجسدت في التاريخ واللغة وتوجهت ٠٠٠الى البشر في واقع تاريخي محدد"[٢١] ، ومن ثمة ، فإن تسمية النص المقدس نصا في القراءة الحداثية فيه نوعا من المجازية عندما نقارنه مع مفهومه التراثي ، فهو وان كان حاضرا بمادته إلا إن صورته قد استبدلت بعد أن أصبح ظاهرة بشرية يخضع لما تخضع له

، وبلغة منطق الموجهات في المنطق التقليدي فإن النص التراثي هو عبارة عن الذات التي لكي تصبح موضوعا للقراءة الحداثية لابد لها أن تتصف بوصف التراثية ، مما يعني إن كل بحث حوله سيكون مرجعه الى قضية مشروطة عامة هي : النصُ موضوعُ تأويلٍ ؛مادام موصوفا بالتراث بالضرورة، والموضوع في المشروطة العامة هو الوصف العنواني لأن الحكم يثبت فيها للوصف الذي يكون جزءا أساسا في ضرورة ثبوته[٢٢].

إن ثبوت هذا الوصف وهذه الضرورة ناتج عن مصدرية التراث لهذه المشاريع، فهذه المشاريع إنما طرحت بعد أن لاحظ أصحابها أن التراث "دعامة من دعامات وجودنا "[٢٣]،ولم يعد قطعة زمنية من الماضي، بل هو "جزء من بنية الحاضر ،يمارس فاعليته وحضوره في العقل والمخيال"[٢٤]،الأمر الذي لم يعد معه التراث من حيث كونه "الوجود الفيزيقي العيني الذي يمكن أن يدرك بالحس٠٠٠على رفوف المكتبات ٠٠٠هو ما يعنينا ، وإنما الذي يعنينا وجوده في معرفتنا وفي وعينا الثقافي"[٢٥] ، وبالتالي، فإن النص القرآني والنص النبوي ،والنصوص الثانوية المتمثلة بنصوص علم الكلام والفلسفة والفقه والتفسير ستُقرأ من هذه الحيثية ، لأنها بكليتها هي الواقع الخارجي لمفهوم التراث الذي "يساهم في تشكيل وعينا ويؤثر في سلوكنا بوعي أو بدون وعي"[٢٦]، وهذا الواقع التاريخي انسحب حضوره الى عصرنا ، وتحول الى "جزء من مكونات الواقع ٠٠٠ يفعل في الناس ويوجه سلوكهم"[٢٧] ، مما يعني أن النص لم يعد مأخوذا بوصفه المتن الذي يتضمن الأحكام الإسلامية وتكون مسؤولية المسلم أن يستخرجها بوصفها إلزامات فوقية من قبل الله تعالى ؛عليه الالتزام بها بوصفه فردا مكلفا بغض النظر عن الزمان والمكان والواقع الحضاري، وإنما مأخوذا من جهة انه "ميكانيزم النهضة٠٠٠لايطلب٠٠٠لذاته"[٢٨] ، بل لأجل توظيفه في "تدعيم الحاضر من اجل تأكيد الوجود واثبات الذات"[٢٩]، من خلال "توظيفه توظيفا مضاعفا ٠٠٠ممن جهة كانت الدعوة الى الأخذ من التراث والرجوع الى الأصول ٠٠٠للإرتكاز عليها في نقد الحاضر والماضي القريب منه٠٠٠والقفز بالتالي الى المستقبل ، ومن جهة أخرى كانت الدعوة نفسها رد فعل ضد التهديد الخارجي"[٣٠]، فهو لم يعد يملك تلك الصورة المحاطة بهالة التقديس في نصوصه المؤسِّسة ذات الوظيفة الكشفية عن إرادة الذات الإلهية

وفي نصوصه المؤسَّسة والشارحة للنص المؤسِّس، فَفَقَدَ في هذه المشاريع صورة "الحضور المقدس للأب الذي لا يمكن أن يكون الابن سوى صورة شائهة منه مهما سعى"[٣١] الى أن يجتهد في فهمه وفي تكوين صورة تناسب واقعه البشري ، وهذا التباين في صورة النص نجده بارزا بين نتائج الممارسة التأويلية التراثية الإسلامية وبين نتائج الممارسة الحداثية ،ففي التراث لا نجد تباين نوعي ،بل حتى كمي، بين صورة دلالة النص بين المدارس الفقهية ،فعلى سبيل المثال إن المذهب الاثني عشري الشيعي لا يختلف مع المذهب الشافعي السني إلا في سبع عشرة مسالة تقريبا ، وهو اختلاف لا يزيد عن اختلاف المذاهب السنية فيما بينها[٣٢] ؛ مما يدل على أن المادة التي تأخذ منها هذه المذاهب واحدة لها قيمتها الذاتية المركزية ، وإنما الاختلاف الجزئي الموجود بينها تابع لاختلاف الشروح حولها ؛ نتيجة الاختلاف الجزئي في المنهج الفقهي ، بينما نجده في هذه المشاريع "ليس له قيمة في ذاته إلا بقدر ما يعطي نظرية علمية في تفسير الواقع والعمل على تطويره"[٣٣]، فالعبودية في النص التراثي التي كانت في إطار الفهم الفقهي الحرفي لا تعنينا اليوم ، وإنما يعنينا منها جعلها أساسا في معالجة قضية التفرقة العنصرية وإشكال الاستعباد الحديثة بمختلف مستوياتها[٣٤] ، ولا يعنينا التصديق بالنبوة من حيث ارتباطها بالمعجزة وإنما تعنينا من حيث اتفاقها مع العقل ومع مصالح الناس ، بل نهمل المعجزة ونتمسك بالآية الكونية لان المعجزة تصيب الإنسان بضآلته وجهله وعجزه أمام الطبيعة في حين أن الآية تجعل الطبيعة كتابا مفتوحا وموضوعا للتأمل ،الآية ظاهرة طبيعية وآية قرآنية، فالتأمل في الطبيعة تأمل في النص ، وفهم النص هو رؤية الطبيعة[٣٥].

وهكذا جاءت هذه المشاريع بالتراث والنصوص الى الزمن الحاضر ، وسعت الى جعله معاشا من قبل المسلم ، ولكن في الوقت نفسه عندما نتعامل معه ،سيكون "ليس التراث كما عاشه أجدادنا وكما تحتفظ لنا به الكتب ،بل ...ما بقي منه صالحا لان يعيش معنا بعض مشاغلنا الراهنة وقابلا للتطوير و الإغناء ليعيش معنا مستقبلنا"[٣٦] ، ولا يقتصر الأمر على جعله عِضين ، نأخذ ببعض منه ونترك آخر ، بل انه سيُقتَحَم وتُكسر صورته اللاهوتية ، لان جعله أداة نهضوية ؛ إنما يتم عندما نؤوله تأويلا ايجابيا بنقده والتأمل فيه ؛ الذي أصبح في القراءة الحداثية عملا عاجلا وضروريا، وهو يتوقف على أن "نخترق

آو ننتهك transgressor المحرمات والممنوعات السائدة ...وننتهك الرقابة الاجتماعية التي تريد أن تبقى في دائرة المستحيل التفكير فيه"[٣٧].

ومن هنا يصبح النص . تبعا للتراث . متغيرا تابعا ولا حدود مقدسة له ، بعد أن كان مقدسا وعلى قدر كبير من الثبات والاستقلالية ، كان مولدا لحضارة مبتكرة، وأصبح أداة لعيش حضارة وافدة مقلدة ، مما يمكن القول معه أن كلمة نص أصبحت مشتركا لفظيا مع هذه القراءات ، فيكون عندنا موضوعان مختلفان بين التراثي والحداثي.

المبحث الثاني: الإشكالية من اللاهوتي الى الناسوتي:

لما كان التأويل سواء في الممارسة الإسلامية التراثية أو الحداثية المعاصرة ينتج الخروج عما هو مألوف في النص أو الفكر ، فان ذلك يكشف عن وجود إشكالية تدفع المؤول الى هذا للخروج عنها وإيجاد حل لها ، وفي الحقيقة إن ذات موضوع التأويل ما كان أن يأخذ وصف كونه موضوعا لولا وجود إشكالية فيه ، فعلى سبيل المثال ؛من لا يجد إشكالية دلالة اليد في النص القرآني على كون الله جسما تعالى عن ذلك ، فانه لن يرى أي إشكالية في هذا النص لاهوتيا ، وبالتالي لن يحتاج الى تأويله، بالعكس عند من يرى استحالة نسبة الجسم الى الله تعالى، فهو سيكون مضطرا الى تأويله ،وبالتالي ما كان للممارسة التأويلية أن توجد لولاها ، ومن هنا يكون تحديد هذه الإشكالية عنصرا مهما في تحديد حقيقة هذه الممارسة، وهو ما سنبحثه في هذا المبحث.

أولا: الإشكالية اللاهوتية

عندما يُطرح الحديث عن التأويل في التراث الإسلامي خارج المجال العرفاني ، فإنه ينصرف الى المعتزلة لكونهم الفرقة التي كان التأويل حاضرا عندها بقوة في بناء عقيدتها ، ولكن في الوقت نفسه فإننا لا يمكن نفي وجود التأويل عند باقي الفرق الإسلامية ، إذ أن "جميع فرق المسلمين مقرُّون بأنه لابد من التأويل في بعض ظواهر القران والأخبار"[٣٨]، وهذا الانصراف أمر يرتبط بما يمكن أن نطلق عليه مولد الإشكالية، لأن الممارسة التأويلية – باستثناء الممارسة الصوفية الى حد ما – تكون نتيجة وجود ما يمنع من الأخذ

بالمؤول في وضعه السائد في العالم الذي ينتمي إليه، فيكون "التأويل ٠٠٠أداة تمكننا من التعرف على مناطق ٠٠٠ لا يمكن أن يستقيم وجودها من خلال حدود مألوفة"[٣٩]في هذا العالم ، وهذا يشمل ما كان له دلالة مألوفة ظاهرة ولها أسبقية في الحضور في بعض النصوص الدينية ، ويشمل ما له عديد دلالات متزاحمة في الحضور ،[٤٠]، وهذا الوجود المانع ليس أمرا ذاتيا محضا ، فهو وإن أحتاج الى ذات خاصة في إدراكه ، إلا أن مُوَلده حالة موضوعية "فرضها التباعد الزمني والغربة الثقافية ،كما فرضتها الاستعمالات المتعددة للّغة"[٤١].

وهذا ما نجده في التأويل التراثي ، فالمعتزلة لما جعلت من العقل المصدر في بناء عقيدتها الكلامية ، فإنها وصلت في كثير من الأحيان الى تعارض بين نتائج العقل ودلالة النص وفق السائد في التواصل اللغوي ، مما جعل هذه النتائج يكون لها غربة دلالية مع ظواهر النصوص، وحيث أن هذه النصوص لا يمكن من الناحية اللاهوتية رفضها في وجودها الفيزيائي ، فإنه يتم رفضها في وجودها الدلالي المباشر من خلال التأويل .

ولهذا السبب نجد أن الفرقة التي تعد على الضد من المعتزلة في علم الكلام ، وهي الفرقة الأشعرية، تتجه الى التأويل أيضا إذا كانت دلالة النص متعارضة مع دلالة العقل ، وما ذلك إلا بسبب عدم إمكانية التخلي عن دلالة العقل ، لأن التخلي عنها يؤدي الى التخلي عن أصل النص ، فـ"من كذَّب العقل فقد كذّب الشرع ، إذ بالعقل عرف صدق الشرع ولولا صدق دليل العقل لما عرفنا فرقا بين النبي والمتنبئ"[٤٢]، لذا كان القانون في حالة التعارض بينهما "أن لا يُكذب برهان العقل أصلا"[٤٣]،وهو قانون لا يترك خيارا أمامنا إلا التصرف في دلالة النص بالتخلي عن ظاهره الى دلالة تنسجم مع دلالة العقل ، ونتيجة لذلك ، فان القاعدة في الإشكالية المولدة وفي جواز ؛ بل ضرورة ؛ الممارسة التأويلية هي : "إذا ما ورد عن الله تعالى كلام ظاهره يخالف ما دلت عليه العقول وجب صرفه عن ظاهره ٠٠٠وحمله على ما يوافق الأدلة العقلية"[٤٤]، وهنا لابد من الإشارة الى أن التأويل وإن اقترن مع فكر المعتزلة ، فان هذه لا يجعله استراتيجية فكر، لأن الاستراتيجية عندهم هي التفكير العقلي ، ويكون التأويل حلا للإشكاليات المتولدة

عنها ، ولهذا نجد ائتلاف المعتزلة مع الأشاعرة فيها ، واستخدام كلمة (إذا) في القاعدة التي تحقق الإشكالية المولدة يدل على عدم استراتيجيته واستثنائيته ، وكونه أداة تابعة لنتيجة استراتيجية التفكير العقلي.

وقد أكد ابن رشد هذه المرجعية الاستثنائية للممارسة التأويلية من خلال تعليق التأويل على وجود حالة التعارض ؛ فينتفي مع عدم وجود هذا التعارض، وهو عدمٌ يتحقق في حالة الإنسجام الدلالي بين ظاهر النص والعقل ، وينتفي إذا سكت الشرع عن مضمون النتيجة البرهانية ، فلا يطلب التأويل إلا في حالة المخالفة بينهما[٤٥] .

كما أنه حدد بعدها الاستثنائي من جهة أخرى ، وهو أن تكون الإشكالية مدركة وأن يكون المدرك لها يمتلك خصوصية نخبوية معرفيا ، وهم أهل العلم بتعبيره ، فأوجب عدم تأويل الظاهر بالنسبة لمن لم يكن منهم ، وكانت فتواه بالنسبة للنصوص التي تحتمل التأويل هي : "من كان من غير أهل العلم فالواجب عليه حملها على ظاهرها ،وتأويلها في حقه كفر؛ لأنه يؤدي الى الكفر"[٤٦]، ولم يقتصر على هذه الفتوى ، بل أفتى بحرمة نشر التأويل لكي لا يطلع عليه ممن هو خارج هذه النخبة ، لذا وجه نقدا الى الغزالي لقيامه بنشره في بعض كتبه[٤٧] ، مع العلم إن موقف الغزالي من التأويل من هذه الجهة متطابق معه ، إذ انه كان يرى أن الناس صنفان : العوام والصدِّيقون ، أفراد الصنف الأول يُمنَعون من التأويل ، ويلجمون بلجام المنع[٤٨] ، وأفراد الصنف الثاني لا يمنعون ، بل نجده مع هذا الصنف يتجاوز موقف ابن رشد الى نوع من التضييق عليهم في الممارسة، وهو في حالة إذا كان هناك احتمال وجود خطأ في تأويله فعليه الكف التنزيهي عنه المعبر عنه بلغة الفقه بمصطلح الكراهة ، وطبق ذلك على نفسه ، فإن إجابته التأويلية لأحد أحاديث النبي (ص) كانت على كراهة منه [٤٩] ، وهو في النتيجة يكاد يجعل كل تأويل مكروه ، لأنه ما من تأويل إلا ويحتمل الخطأ ،لكونه احتمالا دلاليا .

وعند الانتقال من موقف الفيلسوف والمتكلم الى موقف عالم أصول الفقه وتبعا له الفقيه نجد أن هذه الإشكالية نفسها هي ما تجيز الذهاب الى الممارسة التأويلية ، فجوازها يتوقف على "أن يكون موجب

للتأويل بإن يكون ظاهر النص مخالف لقاعدة مقررة معلومة من الدين بالضرورة أو مخالفة لنص أقوى منه سندا ...فيؤول بدل أن يرد"[٥٠] ،أما إذا لم تكن هناك مخالفة "كان تأويلا بالهوى فلا يلتفت إليه"[٥١]، ومرجع هذا الجواز الذي يتساوق مع الضرورة : أنه من المفروض أن الدليلين قد توفرت فيهما عناصر الحجية التي معها لا يجوز للفقيه أن يطرحهما ، وإلا لزم خلاف الفرض ، وفي الوقت نفسه لا يمكن الأخذ بهما معا لاستلزامه نسبة التناقض الى الله الذي يتناقض مع الثابت اللاهوتي في كماله المطلق وجوديا معرفيا .

وقد بين الفكر الأصولي التراثي (المعاصر) منشأ هذا التناقض من خلال تحليله العقلي للحكم الشرعي الفقهي ، فهو يرى "إن الأحكام متضادة فيما بينها ؛ وذلك لنشؤها عن ملاكات في متعلقاتها ،وحينئذ لا يعقل أن لفعل واحد من جهة واحدة حكمان متغايران ،إذ أن ذلك يعني اشتمال الفعل الواحد على ملاكين يقتضي كل واحد منها غير ما يقتضيه الآخر"[٥٢]، مما يلزم من حالة التعارض بين الحكمين التناقض في دلالتهما المنطقية، إذ أن اختصاص كل متعلق بملاك محدد وتبعا له حكم معين ، يعني أن دليل كل حكم ينتج عنه مدلول مطابقي وهو الحكم الذي يتضمنه ، ومدلول التزامي وهو عدم وجود أي حكم آخر ، ومن ثمة يحصل التناقض بين الدلالة المطابقية مع الدلالة الالتزامية لكل منهما [٥٣].

وهذا التناقض في الحقيقة هو المولد لإشكالية موضوع التأويل ، وليس مجرد وجود تعارض، إذ حسب هذا الفكر قد يكون هناك تعارض ظاهري بين دليلين ولا نحتاج الى الممارسة التأويلية ،أي لا نحتاج الى التخلي عن الدلالة الظاهرة لأحدهما أو لكليهما ، وذلك إذا كانت العلاقة بينهما علاقة الحاكم والمحكوم أو علاقة الورود ، وخلاصة العلاقة الأولى : إن احد الدليلين ناظر الى موضوع الدليل الآخر إما تفسيرا أو تضييقا أو توسيعا ولكن ذلك من الناحية الشرعية التعبدية ، وأما الورود فالأمر نفسه ولكن من الناحية الخارجية التكوينية ، فعلى سبيل المثال إذا جاء دليل يشترط تحقق اليقين الكامل لجواز نسبة حكم الى الله ، فإذا جاء دليل آخر أجاز نسبة الحكم مع كون المتحقق ظنا ،كما في أدلة حجية خبر الواحد، فإن ذلك يعني أن الله جعل الظن بمنزلة اليقين شرعا وإلا فمن الناحية المعرفية التكوينية يبقى الظن ظنا وان عَدَّهُ

الله يقينا ، فهنا يكون دليل حجية خبر الواحد حاكما على أدلة اشتراط العلم ، وأما إذا كانت عندنا قاعدة تنص على قبح العقاب بلا بيان ، وجاء خبر يثبت تكليف يعاقب من يخالفه ،فإنه سيرفع موضوع القاعدة ، وبالتالي لن تتعارض مع الخبر الذي يمكن ان يُطرح على أساس أن أحدهما ينفي التكليف (القاعدة) والآخر يثبته (الخبر)[٥٤] ، ولذا لا يعد الأصوليون في الفكر الأصولي المعاصر التعارض بين العام والخاص وبين المطلق والمقيد من التعارض المستقر بل من التعارض غير المستقر يرتفع بلا حاجة الى التأويل لعدم مرجعيته الى التناقض المنطقي [٥٥]، وما يترتب عليه من إشكال لاهوتي .

ثانيا : الإشكالية الناسوتية

عندما نأتي الى مشاريع الحداثيين نجد أنفسنا في موقف يذكرنا بعبارة تصف سقراط ،فقد قيل انه انزل الفلسفة من السماء الى الأرض ، ونحن مع هذه المشاريع يمكن أن نقول : أن الحداثي قد انزل التأويل من اللاهوتي الى الناسوتي ، وهو ما تبين لنا من خلال الصورة التي أصبح عليها النص والتراث عند الحداثي[٥٦]، التي أوجزها د حسن حنفي بقوله : " التراث ليس قضية دينية ...فالدين جزء من التراث ، وليس التراث جزء من الدين"[٥٧]، وحيث أن التراث هو الموضوع الأصيل للقراءات الحداثية ، فان نفي الدينية عنه هو نفي السماوية ، ولن تبقى سماوية احدى مكوناته ملحوظة في تناوله ،لذا فقد النص قدسيته فيها، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن التراث ليس وجودا متسقا بسيطا ، بل هو إشكالية في حد ذاته ، فهو "حمال أوجه"[٥٨]،الى درجة أن صار قابلا لأن يكون مصدرا لقيم متناقضة ، فنجد فيه "ما هو تقدمي و...ما هو رجعي ...ما هو مادي...و...ما هو مثالي"[٥٩].

إن هذا التناقض هو نتيجة طبيعية للعناصر المولدة له ، فمنتجه ليس واحدا، بل اشترك فيه اللاهوتي والناسوتي ، وهذا الناسوتي أيضا متعدد في عمودي الزمان والمكان على مدى قرون اختلفت من حيث الإبداع والإتباع ، فهو عبارة " مجموعة التفاسير التي يعطيها كل جيل بناءً على متطلباته "[٦٠] ، وكل تفسير من هذه التفاسير تخرج في مقطع زمني ، فهي "مجموع تحققات ...في ظرف معين وفي موقف تاريخي محدد وعند جماعة خاصة تضع رؤيتها وتكوّن تصوراتها للعالم"[٦١]، الأمر الذي أدى الى جعل "

حضور التراث كمفهوم نهضوي في الساحة الإيديولوجية العربية المعاصرة يحكمه التناقض بين مكوناته الذاتية ومكوناته الموضوعية"[٦٢].

ومما يعقد هذا التركيب ، إن التراث يتضمن "ثلاث طبقات ليست مترتبة دائما فوق بعضها البعض ،وإنما هي داخلة في حالة تفاعل متبادل"[٦٣]، والمتمثلة بطبقة عميقة من الأصول السابقة على الإسلام وبطبقة سطحية صريحة المتمثلة بالقوانين الإسلامية وطبقة القوانين الحديثة التي تتعايش مع الطبقتين السابقتين[٦٤]، كما إنه " حافل بالعناصر اللاعقلية والخرافية و٠٠٠ويحتشد بالغيبيات والأفكار الأسطورية"[٦٥] إذن من المتوقع أن يواجه الباحث الحداثي إشكالية في فك هذا التناقض والتعقيد ، فهو لا يستطيع أن يتجاهل هذا التراث ويسقطه من حساباته بعد أن أصبح مقوما وجوديا للحاضر، ولا يستطيع أن يتقبله كما هو بعد التناقض في دلالة مكوناته على ما هو عصري . حداثي [٦٦]، وبالتالي نكون أمام إشكالية التراث والمعاصرة ، أو التراث والتجديد ، أو التراث والحداثة ، وهي إشكالية قد تقترب أن تكون حلقة مفرغة ، إذ " من غير الممكن أن نقيم روابط حية مع التراث ما لم نضطلع بمسؤولية الحداثة الكاملة ، وبالمقابل ، فإنه لا يمكن لنا أن نساهم في انجاز الحداثة بشكر ابتكاري إذا ما إستمرينا في الخلط ما بين التراث التاريخي والتراث الميثولوجي"[٦٧] ، ومع مثل هذه الإشكالية، فإن "التراث لا يقرأ إلا قراءة تأويلية"[٦٨] إذا أُريد له أن يحقق دوره في قيام نهضة معاصرة .

ولهذا السبب والإشكالية، فإن القراءة التأويلية يوجهها هدف إعادة إنتاجه في صورة عصرية، بالعمل على "ألا نقع في أسر هذا التراث رفضا أو قبولا غير مشروط ٠٠٠ [بل] نتمثله ونعيد فهمه وتفسيره وتقويمه من منطلقات همومنا المعاصرة"[٦٩] ،وان لا نكتفي بتفسير طبقته السطحية لكي لا نبقى في دائرة التاريخ ، بل نذهب الى العمق ، فنبحث في الأصول المولدة له في إطارها الزماني والمكاني ،ونخضعه الى قراءة "تتحرك دائما حركة جدلية تأويلية بين وعينا المعاصر وبين أصول هذا الوعي في تراثنا "[٧٠] ، وبهذا نخرج في القراءة التأويلية المعاصرة بإنتاج توليفة "تجمع٠٠٠في مزيج واحد بين إحياء القديم ٠٠٠والإستعارة من الخارج"[٧١] ، التي تمثل حلا للإشكالية التي أنتجت هذه المشاريع لحلها.

المبحث الثالث: المنهج والمرجعية:

من نافلة القول التأكيد على أهمية المنهج ، لأنه من " المؤكد إن دراسات بدون منهج تأملات غامضة ...تعمي العقل "[٧٢] ، كما أنه من حيث كونه الآلية التي يصاغ بها الموضوع عندما يراد قراءته في ضوء إشكالية ترتبط به "يبقى مجرد هيكل ما لم يملا بأنواع المعارف"[٧٣] التي تصوغ إشكالية الموضوع ، ومن ثم فإنه سوف "يؤثر بدوره على طبيعة الموضوع ، بل يصنعها ويقدمها على صيغة أو صيغ دون أخرى"[٧٤] ، فالموضوع قبل القراءة ليس هو الموضوع بعدها بوصفها عملية إنتاج معنى وتحديد المغزى لموضوعها[٧٥]، حيث أن هذا الدور الهيكلي للمنهج ليس حياديا من الناحية الفكرية ، لأن المنهج بدوره منتج فكري يتم صياغته وفق مفاهيم ومبادئ وقواعد تنتمي الى رؤية فلسفية معينة ،وما هذا إلا نتيجة " العلاقة بين المنهج والرؤية ، وبينهما معا وبين الفكر موضوع الدراسة علاقة معقدة ومتشابكة بحيث يأتي حصاد البحث والدرس نتيجة لازمة ومترتبة على هذه العلاقة"[٧٦] ، لذا نجد الإسلام عندما يقرأ قراءة ماركسية يكون ذا طبيعة اشتراكية ، وعندما يقرأ ليبرالية يكون ذا طبيعة رأسمالية ، وهكذا .

ومن هنا فان البحث في منهج القراءة يتضمن في الوقت نفسه تحديد إطار مرجعيتها الفكرية، الأمر الذي يسهم في تحديد مدى وحدة القراءات وتباينها ، وهذا ما يوجب تناول التأويل التراثي والقراءة الحداثية من حيث المنهج الذي تقومان عليه.

أولا: المنهج والمرجعية الموروثة

حيث أن ابن رشد أصبح في التراث الفكري الإسلامي أشبه بأيقونة التأويل ، سنبدأ بعبارته التي تتعلق بتحديد المنهج أو الآلية في ممارسته ، بقوله "معنى التأويل هو إخراج اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز"[٧٧] ، وهو يشير بذلك الى أن هذا الإخراج يجب أن يكون مستندا إلى احدى العلاقات المجوزة للمجاز التي استنبطها البلاغيون من كلام العرب وتبعهم في ذلك علماء أصول الفقه [٧٨]، وهذا التعميم وان لم يكن جامعا ، لأنه يمكن تأويل الكلام مع بقائه في الاستعمال الحقيقي ، وذلك بتخريج الكلام على أنه كناية وهي ، "ليست مجازا"[٧٩] ، كما ينقل

عن بعض العرب انه إذا أراد وصف احدهم بالبله قال عنه : أنه من أهل الجنة ،استنادا الى قول الرسول محمد(ص) أن أكثر أهل الجنة البُله[٨٠]، ويبدو أن هذا ما دعا الغزالي الى تعبير مختلف في تعريف التأويل؛ بقوله "ويشبه أن يكون كل تأويل حرف اللفظ من الحقيقة الى المجاز"[٨١]، إلا أنه ،ومع قطع النظر عن هذه المناقشة ، يبقى في إطار لسان العرب ، ومن ثمة لا يخرج المنهج عن الثقافة العربية في مرجعيته ، بعد اختيار ابن رشد والغزالي شرط بقاء المجاز ضمن لسان العرب، في إطار إشكالية المجاز من حيث تقيده بالثقافة العربية في شفرة التواصل اللغوي وعدم تقيده ،فهناك موقف يرى انه لايقيد بها ولا تخضع للوضع اللغوي وتكون خاضعة للقياس ،[٨٢] وعندما نقول الثقافة العربية نقصد بها الذائقة الأدبية العربية المبنية على ما هو أدبي لا ما هو عقلي – فلسفي في الفهم والتعبير*، وهي تشمل المعنى واللفظ ، فعلى سبيل المثال عندما يشبه الرجل الشجاع بكلمة الأسد لم يستعمل كل كلمة مرادف لها في ذلك، كما انه من البعيد قبول البلاغة العربية تشبيه النملة بالأسد مهما أبدت من قوة في الدفاع عن نفسها أوعن ملكتها .

وهذه المرجعية قد تبناها علماء أصول الفقه وعمقوا دلالتها ؛ ببيان دلالتها التفصيلية من خلال بيان شروط التأويل الذي كان واحدا منها "أن يكون موافقا لوضع اللغة أو عرف الاستعمال أو عادة صاحب الشرع ، وكل تأويل خرج عن هذه الثلاثة فليس بصحيح"[٨٣].

ولذلك فان الممارسة التراثية عند المسلمين قد التزمت بهذه المرجعية ؛ فالمعتزلة مع اتجاههم العقلي في قراءة الإسلام ؛ نجد عندهم "عمق أثر الأصل اللغوي في فهم النص القرآني ٠٠٠من خلال تعاملهم مع الآيات الكريمة في ضوء اللغة وقوانينها وضوابط اللسان العربي وفنونه البلاغية"[٨٤]، فعندما تواجههم إشكالية دلالية في النص نتيجة مبانيهم العقلية في تأسيس العقيدة ، كانوا "حريصون دائما على إتباع السنة المعروفة عند علماء اللغة والأدب ، وهي الاستشهاد بما يوردونه بأمثلة من كلام العرب والحرص على تدعيم ما يذهبون إليه بالمستند اللغوي الذي لابد منه لأنه هو الذي يؤكد سلامة الرأي ويكسبه الشرعية"[٨٥]، وهو ما نجده متجسدا بقوة في تأويلات الشريف المرتضى في كتابه الأمالي، فالنصوص التي

"يغم تأويلها ...ويدور حولها السؤال ويثار الإستشكال ... عالج تأويلها وتوجيهها على طريقة ... المعتزلة ...وحاول جهده أن يوفق بين تأويلا لآيات المتشابهة وما دار على ألسِنة العرب من نصوص الشعر واللغة...وأختار أيضا طائفة من الأحاديث ...وحاول تفسيرها وتأويلها بالمنهج الذي عالج به آي القران"[٨٦]، كما نجده في دفع الإشكال الدلالي ذي المرجعية اللاهوتية على دلالة قوله تعالى "الى الله ترجع الأمور" البقرة/٢١٠، وهو: كيف يصح القول ترجع اليه الأمور؛ وهي لم تخرج عنه ؟!، فدفع الإشكال بأوجه منها :إن الخروج ليس على حقيقته ، وإنما كان التعبير على وفق لسان العرب كقولهم :قد رجع عليَّ من فلان مكروه ؛بمعنى صار اليَّ منه، وكذلك قولهم : قد عاد عليَّ من زيد كذا وكذا وان وقع منه على سبيل الابتداء ، كما قال الشاعر:

وان تكن الأيام أحسنَّ مرَّة اليَّ فقد عادت لهن ذنوب [٨٧]

وهي معالجة تتكرر في تأويل الحديث (من يتبع المَشمَعة يُشمَع به) ، فيرى "إن من عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشيء باسمه ، ولذلك نظائر في القران وأشعار العرب كثيرة مشهورة ، فلا يُنكَر أن يكون المعنى : من يتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه ، فسمى الجزاء على الفعل باسمه"[٨٨]، وهذا الإسناد لم يقتصر على المعتزلة بل شمل الأشاعرة الذين اعتمدوه عندما لا تنسجم الدلالة الظاهرة مع عقيدتهم ، كما في تأويلهم الاستواء في قوله تعالى (ثم أستوي على العرش) الرعد /٢ بالاستيلاء استنادا لكلام العرب، كقول الشاعر:

قد أستوى عمر على العراق من غير سيف ودم مهراق[٨٩]

هذا بالنسبة الى الاستناد على مستوى قبول الممارسة التأويلية ، وهو يتكرر أيضا على مستوى رفضها ، ففي المجال الفقهي أشترط النص القرآني في بعض الكفارات إطعام ستين مسكينا ،التي تم تأويلها عند بعض الفقهاء بأنها تصح لو تم إطعام مسكين واحد ستين يوما ،وهو ما تم رفضه استنادا الى قواعد الكلام العربي ، فهو يبتني على حذف المظهر وهو الستين مسكينا وإظهار المسكوت عنه (الطعام) ،وهو بعيد في اللغة والواجب عكسه[٩٠].

وهنا لابد من ذكر قاعدة يستند إليها العرب في التواصل اللغوي لها ارتباط بأصل مقبولية الممارسة التأويلية؛ وهي التي يعبر عنها بأصالة الحقيقة ،التي تعني أن المجاز خلاف الأصل ، وان الراجح في الدلالة التواصلية هي الحقيقة التي تتمثل بالظاهر والمتبادر[٩١]، مما يعني ان اللسان العربي يرى في التأويل استثناءً من القاعدة في التواصل* .

ولهذه المرجعية أثرها على ثقافة فاعل التأويل ومرجعيته العلمية، إذ من شروط صحة التأويل "أن يكون الناظر في التأويل أهلا لذلك"[٩٢]، وهي أهلية تتوقف على فهم إلية التواصل في اللسان العربي تقنيا من خلال "ضبط علوم لا غنى عنها في عملية الفهم ؛علوم القرآن، وعلم اللغة، علم النحو ، وعلم البلاغة"[٩٣]، ولا يقتصر الأمر على هذه العلوم ،بل لابد أن تكون لديه قدرة فكرية و"جهد ذهني ومهارة في تشييد المعنى ، استنادا الى آلات العلوم "[٩٤]. مما يعني ضرورة البقاء القدرة التحليلية والفكرية في إطار الموروث.

إذن الممارسة التأويلية في التراث الإسلامي ، سواء في مجال العقيدة أو في مجال الفقه أو مجال النص القرآني لم تخرج من الثقافة الموروثة الى ثقافة وافدة ، بل ان مجرد كسر بعض قواعد في فهم النص يسلب هذه الممارسة مقبوليتها وشرعيتها.

ثانيا : المنهج والمرجعية الوافدة

قد تقدم في المبحث الأول إن المنهج تحدده طبيعة الموضوع ، وحيث ميزنا هناك بين موضوع التأويل التراثي وبين موضوع التأويل الحداثي ، فإنه لابد منطقيا من وجود تمايز في المنهج .

وهو ما نجده بالفعل متحققا في مشاريع قراءة التراث عند الحداثيين العرب ، فان الاختلاف النوعي بين الموضوعين ظهر أثره في المنهج المتبع في القراءة من الناحية الكمية والنوعية، فمن الناحية الكمية نجد في كل مشروع أكثر من منهج ، ومن الناحية النوعية نجد أنها وافدة من الغرب، حيث "انتشرت المذاهب والمناهج الغربية في الدراسات الفلسفية والفكر العربي المعاصر في كل أرجاء الوطن العربي"[٩٥]، وهو أمر اقتضته طبيعة الموضوع ، ففي حالة كونه مركبا بتعدد طبقاته وعلاقاته الداخلية ، فإن "المنهج لكي يكون

علميا عليه أن لا يكون منهجا واحدا ، بل عدة مناهج من علوم شتى "[٩٦]، كل منهج يتناول جزءا من هذا المركب بما يتناسب والعلم الذي يندرج تحته.

وعندما نستقرئ بعض أبرز مشاريع قراءة التراث ، نجد أصحابها يؤكدون هذا الطرح ، فالدكتور محمد أركون كان "يلح مرارا وتكرارا في أكثر من مناسبة على تطبيق النقد التاريخي والألسني والسيميائي والانثروبولوجي على التراث"[٩٧] ، مبينا ان كل جزء من التراث لابد له من منهج يتناسب معه ، ففيما يتعلق بقراءة النص الديني "يجب على القارئ ...الإحاطة بالأرضية المفهومية الخاصة باللسانيات والسيميائيات الحديثة مع ما يصاحبها من أُطر التفكير والنقد الابتسيمولوجي"[٩٨]، وفيما يتعلق بقراءة الدين بوصفة ظاهرة كلية يتم الاستناد الى علم الانثروبولوجي في أشكلتها في إطار هذا العلم ومنهجه [٩٩]، وهي أشكلة ضرورية لإنتاجية القراءة ، إذ بها "يخرج العقل من التفكير داخل السياج الدوغمائي المغلق"[١٠٠]،وهو في هذا الاستناد يشرط أن تؤخذ هذه العلوم ومناهجها بصورتها التي انتهت إليها وليس في صورتها القديمة ، بعد ان "تغيرت حدودها ومناهجها ومكانتها المعرفية (الابتسيمولوجية) بشكل جذري"[١٠١] الأمر الذي يتضمن رفض المحاولات التي تمارس قراءة إسقاطيه لهذه المناهج بإرجاعها الى أصول في التراث الإسلامي ، مما يعني أن مرجعيته ستكون مرجعية غربية محضة لا صلة لها بما هو تراثي.

وعند الانتقال الى مشروع د حسن حنفي ، فإنه ، وإن أرتبط بالمنهج الظاهراتي الهوسرلي الذي يرى فيه "ميدانا خصبا تظهر فيه خصوبة التراث"[١٠٢]، إلا إن ذلك لا يعني انه كان مقتصرا عليه ، فقد استعان أيضا بالمادية التاريخية والمنهج التاريخي جامعا معه المنهج البنيوي[١٠٣]، كما انه استعان بالمناهج اللغوية لكونه يرى ان اللغة القديمة عائق أمام تجديد التراث بصورة عامة والعلوم التي بني التراث عليها بصورة خاصة ، فهي "تمنع من إعادة فهمها وتطويرها"[١٠٤] ، ولذا نجده يرى أن "التأويل ...تتوحد فيه المناهج اللغوية والظاهراتية ...[و] اللسانيات وعلومها"[١٠٥].

أما د نصر حامد أبو زيد فقد كان التعدد عنده يغلب عليه البعد اللغوي موضوعا ومنهجا ، فقد استند الى منهج في "قراءة التراث العربي الإسلامي في جوانبه اللغوية والبلاغية والكلامية اللاهوتية والصوفية

الروحانية...يدمج النظام اللغوي داخل علم اوسع هو علم العلامات"[١٠٦]،وهو استناد كان نتيجة أخذه البعد النصي من التراث موضوعا لمشروعه ،إذ كان "جوهر المشروع ...فهم النص الديني"[١٠٧] ، وحيث انه نص تاريخي تراثي ،فقد كانت قراءته لابد أن تستند على المناهج الحداثية التي تجمع بين هذين البعدين، فكانت "تشمل الهيرمينوطيقا، تحليل الخطاب ،البنيوية ،الألسنية ، التاريخانية ،إضافة الى علم تاريخ الأفكار وعلم اجتماع المعرفة"[١٠٨].

وهنا نلاحظ عند أبو زيد محاولة لإضفاء شرعية تراثية على المناهج الحداثية من خلال "قراءة معاصرة للإنجازات التراثية في اللغة وعلوم البلاغة ...التي تطرح بذورا تسمح لنا بتأسيس انجازات العلوم الحديثة تأسيسا ثقافيا عربيا"[١٠٩] ، غير انه لا يغير من حقيقة المرجعية الغربية في القراءة ، إذ كونها بذورا فهي أشبه بالمادة الاولى والهيولي التي مرجعها الى العدم وان كانت بالعرض بتعبير الفارابي[١١٠] ، لذا "لا يمكن لقارئ تأويلية نصر أن يفهمها دون التعرف الى مفاهيم اللغة والنص وعملية الفهم والتفسير والتجربة ...في التأويلية الغربية"[١١١] .

والأنموذج الأخير في استقرائنا وهو مشروع الدكتور محمد عابد الجابري ، نجد ان مرجعيته الغربية أخذت حضورين ،حضور في تهيئة الموضوع للمنهج ، وحضور في قراءة الموضوع ، ففي مرحلة التهيئة استعان بمفاهيم ابتسيمولوجية وهي القطيعة المعرفية والعائق الابتسيمولوجي[١١٢] ، وفي مرحلة القراءة كان منهجه يقوم على ثلاث خطوات متداخلة تداخلا تراتبيا وهي: خطوة المعالجة البنيوية، وخطوة التحليل التاريخي الجينيالوجي ، وخطوة الطرح الإيديولوجي[١١٣]، في محاولة لتخفيف غربة هذه المناهج ومفاهيمها عن الواقع التراثي قام بتبيئتها في الثقافة العربية التي يرى إننا من خلالها نتجاوز عملية " فرضها على الموضوع وتطويع هذا الأخير في قوالبها ، بل بالعمل ، على العكس من ذلك، على تطويع قوالبها بالصورة التي تجعلها قادرة على أن تمارس قدرتها الإجرائية ،...[و] وظيفتها كأدوات علمية"[١١٤] .

الخاتمة:

من خلال المباحث الثلاثة التي مثلت آلية اختبار فرضية البحث التي تقوم على وجود تعدد ما هوي في الممارسة التأويلية عند المسلمين ، انتهى الى إثباتها بعد خروجه بالنتائج الآتية :

١- إن موضوع التأويل التراثي هو النص الجزئي المستقل وبالتحديد الآيات القرآنية والنصوص النبوية بوصفها مؤسسة لأحكام الإسلام والصادرة من الذات الإلهية المستقلة إرادتها عن الزمان والمكان ، في حين أن موضوع التأويل الحداثي هو التراث بوصفه كتلة واحدة ، فيكون النص الديني داخلا فيه بوصفه جزءا تركيبيا له ،لا استقلال له عن العناصر الزمانية والمكانية التي نشأ فيها التراث .

٢- إن مجال التأويل التراثي هو علم الكلام وعلم الفقه والتفسير الذي تم وضع أسسه النظرية في علم أصول الفقه ، في حين أن مجال التأويل الحداثي هو الفلسفة والفكر الذي تم وضع أسسه في العلوم الإنسانية الحديثة والمعاصرة .

٣- إن إشكالية التأويل التراثي كانت إشكالية منطقية لاهوتية أنتجتها بعض النصوص بغض النظر عن الواقع التطبيقي لها ،في حين أن إشكالية التأويل الحداثي وجودية ناسوتية أنتجتها مفاهيم الحداثة في الحياة المعاصرة ، واشكالية تطبيق النصوص التراثية في هذه الحياة.

٤- إن المنهج في الممارسة التأويلية التراثية كان منهجا محليا يغلب عليه استخدام آلية المجاز ،ويستند في ذلك على سنن العرب في التواصل اللغوي ، فهو ذو مرجعية أصيلة في الثقافة العربية ،في حين أن المنهج في الممارسة التأويلية الحداثية منهج متعدد على مستوى المشروع الواحد ،زيادة على المشاريع بأجمعها ، مستندا على المنجز العلمي و الفكري في الثقافة الغربية في العصر الحديث والمعاصر، فهو ذو مرجعية وافدة.

إذن وفقا لهذه النتائج ،فإن المقومات النظرية للممارسة التأويلية لكل من الممارسة التراثية والحداثية تكون متباينة ،وبالتالي نكون أمام تعدد ماهوي في المستوى النظري ،ووحدة في المستوى الاصطلاحي ، وأمام ممارسة استثنائية تقتضيها بعض النصوص نتيجة تعارضها مع فكر المؤوِّل أو مع نص آخر، في حين

إننا نكون إما استراتيجية ثابتة في الممارسة الحداثية تنطلق من خارج النص وهو مستحقات الحداثة في الفكر والحياة .

ومن هنا يرى البحث أن وحدة المصطلح لكل من الممارستين يندرج في الاشتراك اللفظي الذي لا ينسجم مع اللغة العلمية المبنية على التحديد الدقيق للمفهوم وتمايزه الكامل عن المفاهيم الأخرى ، وهو اشتراك يؤدي بالباحث الى الوقوع في أوهام السوق بلغة بيكون ، وفي المغالطة اللفظية بلغة المنطق الأرسطي ، لذا فمن الأنسب استبدال كلمة تأويل بكلمة أخرى في ترجمة مصطلح Interpretation في اللغة العربية ، ولاسيما أن لفظ التأويل هو مصطلح أصيل في الثقافة العربية والإسلامية ، له حمولته الدلالية والإيحائية الامر الذي يجعل من الصعب على المتلقي له التحرر عنها ، مما يجعلنا في خصوص مصطلح التأويل أمام مشاحة في الاصطلاح.

هوامش البحث:

١ينظر : قطب الدين الرازي :تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية،ص٦٩-٧٠.

٢ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام،٥٦.

وينظر : الباجي :إحكام الفصول في أحكام الأصول ،ج١ ص٤٩.، الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام،ج٣ ص٧٤.

٣الفاكهي : شرح الحدود النحوية،ص٥٩.

٤ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

٥الباجي :إحكام الفصول في أحكام الأصول ج١ص٤٩.

٦الزركشي :البحر المحيط في أصول الفقه، ج٢ص٢٣٣.

٧ بنكراد ، سعيد: سيرورات التأويل ،ص٩٣.

٨ حنفي ، د حسن: حصار الزمن، ص ١٢٤- ١٢٥.

٩ الدريني ، د فتحي : المناهج الأصولية ، ص١٦٧.

١٠ابن هشام : المغني،ص٤١٩.

١١ينظر: الشلبي ، د محمد مصطفى : أصول الفقه الاسلامي ، ص٤٥٨.

١٢المصدر السابق ،صفحة ٤٥٢.

١٣ أبو زيد، د نصر حامد :النص والسلطة والخطاب ،ص١٦٩.

١٤ حرب ، علي : نقد النص ،ص١١.

١٥ محمد أركون ، د محمد: قضايا في نقد العقل الديني، ص١٨٦.

١٦ ينظر : الحسن : د مصطفى : الدين والنص والحقيقة ، ص١٦١.

١٧ هيكل ، عبد الباسط سلامة : الجذور التاريخية لتأويلية أبو زيد، ص١٤.

١٨ الجابري ، د محمد عابد: نحن والتراث ، ص٤٧.

١٩ أبو زيد ، د نصر حامد: الخطاب والتأويل ،ص ١٨٦.

٢٠المصدر السابق ،صفحة ١٧٧.

٢١أبو زيد ، د نصر حامد: نقد الخطاب الديني، ص١١٩.

٢٢لمزيد عن حقيقة هذه القضية ، ينظر : القطب الرازي : تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية، ص ٢٨٠.

٢٣أبو زيد ، د نصر حامد : إشكاليات القراءة وآليات التأويل ،ص ٥١.

٢٤حرب ، علي : الماهية والعلاقة ، ص٦٨.

٢٥أبو زيد ، د نصر حامد : إشكاليات القراءة وآليات التأويل ،ص١٤٩.

٢٦أبو زيد ، د نصر حامد : مفهوم النص ،ص١٦.

٢٧ حنفي ، د حسن : التراث والتجديد ،ص١٩.

٢٨الجابري، د محمد عابد: إشكاليات الفكر العربي المعاصر.ص٢٦.

٢٩الجابري ، د محمد عابد: التراث والحداثة ،ص٢٥.

٣٠ المصدر السابق ،ص٢٥.

٣١ عصفور ، د جابر : هوامش على دفتر التنوير،ص٢٧.

٣٢ينظر: الزحيلي ، د وهبة: الفقه الإسلامي وأدلته،ج١ص٥٥.

٣٣ حنفي ، د حسن : التراث والتجديد،ص١٣.

٣٤ ينظر : أبو زيد ، د نصر حامد : نقد الخطاب الديني، ص٢١٥-٢١٦.

٣٥ حنفي ، د حسن : من العقيدة الى الثورة – النبوة والمعاد ، ج٤ ص٧٣.

وينظر أيضا : حنفي ، د حسن : التراث والتجديد ،ص ٢١.

٣٦الجابري ، د محمد عابد : نحن والتراث ، ،ص٤٧.

٣٧أركون ، د محمد: الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ص٣١.

٣٨الرازي : أساس التقديس ، ص ٧٩، وينظر: ابن رشد : فصل المقال ،ص ٩٨.

٣٩بنكراد ، سعيد : سيرورات التأويل ، ص١١.

٤٠ينظر : الرويلي ، د ميجان ، د سعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، ص٨٨-٨٩.

٤١ بنكراد ، سعيد: سيرورات التأويل ،ص ١١-١٢.

٤٢الغزالي : قانون التأويل، ص ١٩.

٤٣المصدر السابق ، ص٢١.

٤٤الشريف المرتضى : أمالي المرتضى ، ج٢ ص٢٥٨-٢٥٩.

٤٥ينظر : ابن رشد : فصل المقال ص ٩٧.

٤٦ المصدر السابق ، ص ١١٣.

٤٧ينظر:المصدر السابق ، ص١١٤.

٤٨الغزالي : إلجام العوام عن علم الكلام ، ص٦٣.

٤٩ينظر: الغزالي :قانون التأويل ، ص٢٣-٢٤.

٥٠أبو زهرة ، محمد : أصول الفقه ، ص١٣٦.

٥١الشلبي ، د محمد مصطفى: أصول الفقه الاسلامي ، ص٤٥٨.

٥٢ صنقور ، الشيخ محمد علي : المعجم الأصولي، ج١ص٥٣٥-٥٣٦.

٥٣ينظر: المصدر السابق ، ج١ ص ٥٣٦.

٥٤ينظر: المظفر ، الشيخ محمد رضا: أصول الفقه،ص٥٥٤-٥٥٧.

٥٥ينظر: المصدر السابق ، ص٥٦٧.

٥٦ينظر الفقرة (ثانيا) في المبحث الأول.

٥٧ حنفي ، د حسن : التراث والتجديد،ص٢٣.

٥٨عصفور ، د جابر: هوامش على دفتر الأنوار ، ص٢٩.

٥٩ العظمة ، دعزيز: التراث بين السلطان والتاريخ، ص ١٧.

٦٠ حنفي ، د حسن : التراث والتجديد ،ص١٥.

٦١المصدر السابق ، الصفحة نفسها..

وينظر : أركون ، د محمد: الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ص ٣٣ مع تعليق المترجم.

٦٢الجابري : التراث والحداثة ،ص٢٤.

٦٣أركون ، د محمد: الفكر الإسلامي – نقد واجتهاد، ص ١٠٨.

٦٤ ينظر: المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

٦٥ زكريا ، د فؤاد: الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، ص ٣٩.

٦٦ينظر : أبو زيد ، د نصر حامد : مفهوم النص ، ص ١٦.

٦٧ أركون ، د محمد: تاريخية الفكر الإسلامي ، ص٥٩.

٦٨حرب ، علي : نقد النص ،ص٨٦.

٦٩ أبو زيد، د نصر حامد : إشكالية القراءة وآليات التأويل ، ص ٥١.

٧٠ المصدر السابق ،الصفحة نفسها.

٧١ المصدر السابق ،الصفحة نفسها.

٧٢ السرياقوسي ، د محمد أحمد : المنهج الرياضي بين المنطق والحدس،ص١٣.

٧٣ الصفدي ، مطاع: مصير الإيديولوجيات الثورية، ص ٧١.

٧٤ الجابري: التراث والحداثة ،ص٤٢.

٧٥ ينظر : عصفور، د جابر: قراءة التراث النقدي، ص١٣.

٧٦ إسماعيل ، د محمود: إشكالية المنهج في دراسة التراث، ص٤٣.

٧٧ابن رشد: فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من اتصال، ص٩٧.

٧٨ينظر: التفتازاني: المطول في شرح المختصر، ص٥٧٣-٥٧٤.

الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه،ج٢ص١٩٨-٢١٣.

٧٩الرازي : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص١٣٦.

و ظ: الزركشي : البحر المحيط في أصول الفقه، ج٢ص٢٥٠.

٨٠الثعالبي : المنتخب من سنن العرب ، ص ٩٦.

٨١الغزالي : المستصفى من علم أصول الفقه ، ص ٣٨٧.

٨٢ ينظر : الزركشي : البحر المحيط في أصول الفقه ،ج٢ص١٩٣.

*لايعني هذا قبولا بمقولة لاعلمية العقل الشرقي التي ترجع الى ارنست رينان ، انما نعني ان الثقافة العربية تبني في التعبير على هذه الذائقة ، وان كان المعبر عنه مبني على ما هو عقلي ، وافضل شاهد على ذلك اسلوب الكناية الذي هو تعبير استدلالي منطقي ، تقوم عليه بلاغتها ، كما يؤيد ذلك بقوة النحو التعليلي الذي اخذ به عديد من النحاة الى ان اصبح فكرا قائما بنفسه.

٨٣الشوكاني : إرشاد الفحول الى علم الأصول ، ١٧٧.

٨٤ جبر ، د ستار : مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني ، ص٢٥٣.

٨٥ القصاب ، د وليد : التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة ،.ص٤٣٨.

٨٦ المرتضى :أمالي للمرتضى، مقدمة المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم : ص ١٧.

٨٧ ينظر : الشريف المرتضى : أمالي المرتضى، ج١ ص٣٦٢.

٨٨ المصدر السابق ، ج١ ص٤٦٦.

٨٩ ينظر : الشريف الجرجاني : شرح المواقف ، مج ٤ص٢٨.

٩٠ ينظر :الآمدي : الإحكام في أصول الأحكام ، ج٣ص٥٣.

٩١ ينظر : الزركشي : البحر المحيط في أصول الفقه ، ج٢ص١٩١، ص ٢٢٧.

*قد يعترض على ذلك بقول ابن جني إن أكثر اللغة مجاز، ولكنه اعتراض مردود لعدم تمييزه بين المجاز في الكلمة والمجاز في الإسناد ، وابن جني يقصد المجاز في الإسناد، وليس المجاز في الكلمة ، وهو ما يظهر من أمثلته ، . ينظر : ابن جني : الخصائص، ج٢ ص ٤٤٧..

٩٢ الآمدي : الإحكام في أصول الأحكام،ج٢ص٥٠.

٩٣ البازي ، د محمد: التأويلية العربية ، ص٢٣.

٩٤المرجع السابق ، ص٢٤.

٩٥ حنفي ، د حسن : حصار الزمن ، ص١٩١. وينظر أيضا ص ١٩٦-١٩٨.

٩٦ هادي ، عبد الرحمن: سلطة النص ، ص٣٩.

٩٧ أبي نادر ، د نايلة: التراث والمنهج بين أركون والجابري، ص٤٥.

٩٨ أركون ، د محمد: القران من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني ، ص٥.

٩٩ ينظر : أركون ، د محمد: معارك من اجل الأنسنة ، ص ٢٦٧.

١٠٠ أركون ، د محمد: القران من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني ، ص٦.

١٠١ أركون ، د محمد: الفكر الإسلامي – قراءة علمية ، ص٨٧.

١٠٢د حنفي ، د حسن : التراث والتجديد ، ص ١٣٢.

١٠٣ ينظر : إسماعيل ، د محمود : إشكالية المنهج في دراسة التراث، ص٤٦، ص٥١-٥٢.

١٠٤ حنفي ، د حسن : التراث والتجديد، ص١١٠ ، وينظر ص ١١٢-١١٨.

١٠٥ حنفي ، د حسن : حصار الزمن ، ص١٣٥- ١٣٦.

١٠٦ أبو زيد ، د نصر حامد : النص والسلطة والحقيقة ، ص٢١٣.

١٠٧ينظر: الموقع:

www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/acontemporary

١٠٨ هيكل ، عبد الباسط سلام : الجذور التاريخية٠٠٠،ص٢.

١٠٩أبو زيد : النص والسلطة والحقيقة،ص٨.

١١٠ينظر: الفارابي : التعليقات، ص ٥٥.

١١١هيكل ، عبد الباسط سلام: الجذور التاريخية لتأويلية أبو زيد،.ص٢.

١١٢الجابري: نحن والتراث، ص ٢٠.

١١٣ينظر : الجابري: التراث والحداثة، ص ٣٢ ، نحن والتراث، ص ٢٤.

١١٤الجابري :بنية العقل العربي، ص٥٦٨.

المصادر والمراجع:

١. ابن جني، أبو الفتح عثمان : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ،دار الهدى للطباعة والنشر ،بيروت د ت .

٢. ابن حزم ، محمد علي بن أحمد : الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق محمود حامد عثمان ، ط بلا، دار الحديث ، القاهرة ٢٠٠٥.

٣. ابن رشد ، محمد بن أحمد :فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من إتصال ، تحقيق د محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٢، بيروت ١٩٩٩.
٤. ابن هشام الأنصاري ، جمال الدين : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق د مازن مبارك ، محمد علي حمد الله ، دار الفكر ، ط ٢،بيروت ١٩٦٩.
٥. أبو زهرة، محمد : أصول الفقه ، دار الفكر العربي ، ط بلا ، د م ، د ت.
٦. أبو زيد ، د نصر حامد : مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن ، المركز الثقافي العربي ،ط ٤ ، الدار البيضاء ١٩٩٨.
٧. أبو زيد ، د نصر حامد : نقد الخطاب الديني، مكتبة مدبولي ، ط٣، القاهرة ١٩٩٥.
٨. أبو زيد ، د نصر حامد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، المركز الثقافي العربي ،ط ٧، الدار البيضاء ٢٠٠٥.
٩. أبو زيد ، د نصر حامد: الخطاب و التأويل، المركز الثقافي العربي ،ط ١، الدار البيضاء ٢٠٠٠.
١٠. أبو زيد ، د نصر حامد: النص والسلطة والخطاب ، المركز الثقافي العربي ،ط ٤، الدار البيضاء ٢٠٠٠.
١١. أبي نادر ، د نايلة : التراث والمنهج بين أركون والجابري ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط ١،بيروت ٢٠٠٨.
١٢. أركون ، د محمد : الفكر الإسلامي – قراءة علمية ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، ط بلا ،بيروت ١٩٨٧.
١٣. أركون ، د محمد : الفكر الإسلامي – نقد وإجهاد ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي ، ط٣،بيروت ١٩٩٨.
١٤. أركون ، د محمد : القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني ، ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط ٢، بيروت ٢٠٠٥.
١٥. أركون ، د محمد : تاريخية الفكر العربي ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، ط٢،بيروت١٩٩٦.
١٦. أركون ، د محمد : قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط ٢، بيروت ٢٠٠٠.
١٧. أركون ، د محمد : معارك من أجل الأنسنة ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي ، ط ٢، بيروت ٢٠٠١.
١٨. إسماعيل، د محمود : إشكالية المنهج في دراسة التراث ،رؤية للنشر والتوزيع،ط١، القاهرة ٢٠٠٤.
١٩. الآمدي ، علي بن ابي علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام ، مؤسسة الحلبي وشركاه ، ط بلا، القاهرة د ت .

٢٠. الباجي ، سليمان بن خلف : إحكام الفصول في علم الأصول ،تحقيق عبد الله محمد الجبوري ، دار الرسالة ، ط بلا ، بيروت ١٩٨٩.

٢١. البازي ، د محمد: التأويلية العربية –نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات ،منشورات الإختلاف ،ط ١، الجزائر ٢٠١٠.

٢٢. بنكراد ، د سعيد : سيرورات التأويل ، منشورات الاختلاف ، ط ١، الجزائر ٢٠١٢.

٢٣. التفتازاني ،مسعود بن عمر : المطول في شرح المختصر ،تحقيق أحمد عزو عناية ، دار إحياء التراث العربي ،ط١،بيروت ٢٠٠٤.

٢٤. الثعالبي ، عبد الملك بن محمد : المنتخب من سنن العرب ، تحقيق د أحمد خان، مجمع الذخائر الإسلامية ، ط ١ ، قم ١٤٣١هـ.

٢٥. الجابري ، محمد عابد : إشكاليات الفكر العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٤، بيروت ٢٠٠٠.

٢٦. الجابري ، د محمد عابد : التراث والحداثة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٢، بيروت ١٩٩٩.

٢٧. الجابري ، د محمد عابد : بنية العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٧، بيروت ٢٠٠٤.

٢٨. الجابري ، د محمد عابد : نحن والتراث ، المركز الثقافي العربي ،ط ٤، الدار البيضاء ١٩٨٥.

٢٩. جبر ، د ستار : مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني ، بيت الحكمة ،ط ١، بغداد ٢٠٠٨.

٣٠. الجرجاني ، علي بن محمد : شرح المواقف ،دار الكتب العلمية ، ط ١ ،بيروت ١٩٩٨.

٣١. حرب ،علي : الماهية و العلاقة – نحو منطق تحويلي ، المركز الثقافي العربي ،ط ١، الدار البيضاء ١٩٩٨.

٣٢. حرب ،علي : نقد النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ٢٠٠٥.

٣٣. الحسن ، د مصطفى : الدين والنص والحقيقة ،الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، ط١، بيروت ٢٠١٢.

٣٤. حنفي ، د حسن : التراث و التجديد ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ، ط٤، بيروت ١٩٩٢.

٣٥. حنفي ، د حسن : حصار الزمن ،منشور في الموقع:

ALEXANDRA .AHLAMONTADA.COM

٣٦. حنفي ، د حسن : من العقيدة الى الثورة – النبوة والمعاد ، مكتبة مدبولي ،ط بلا ،القاهرة د ت .

٣٧. الدريني ، د فتحي : المناهج الأصولية ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، ط ٣، بيروت ٢٠١٣.

٣٨. الرازي ، محمد بن عمر : أساس التقديس في علام الكلام ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط بلا ، القاهرة ١٩٣٥.
٣٩. الرازي ، محمد بن عمر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق د إبراهيم السامرائي ، د محمد بركات حمدي ، دار الفكر ، ط بلا ، عمان ١٩٨٥.
٤٠. الرويلي، د ميجان ، د سعد البازغي : دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ،ط ٣ ، الدار البيضاء ٢٠٠٢.
٤١. الزحيلي ، د وهبة : الفقه الإسلامي وأدلته ، دار الفكر ،ط ٣٣،دمشق ٢٠١٢.
٤٢. الزركشي ، محمد بن بهادر : المحيط في أصول الفقه ، تحقيق عبد القادر العاني ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ط١، الكويت ١٩٨٩.
٤٣. زكريا ، د فؤاد: الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، دار الفكر المعاصر ،ط ٢ ، القاهرة ١٩٨٧.
٤٤. السرياقوسي ، د محمد أحمد : المنهج الرياضي بين المنطق و الحدس ، دار الثقافة ، ط بلا ، القاهرة ١٩٨٢.
٤٥. الشرفي ، د عبد الكريم : من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة ، منشورات الاختلاف ، ط ١، الجزائر ٢٠٠٧.
٤٦. الشلبي ، د محمد مصطفى : أصول الفقه الإسلامي ، دار النهضة العربية ، ط٢،بيروت ١٩٧٨.
٤٧. الشوكاني ، محمد بن علي : إرشاد الفحول الى علم الأصول ،دار المعرفة ، ط بلا، بيروت ١٩٧٩.
٤٨. الصفدي ،د مطاع : مصير الإيديولوجيات الثورية، دار الطليعة ، ط١،بيروت ١٩٦٣.
٤٩. صنقور ، محمد علي : المعجم الأصولي ، منشورات نقش ، ط٢، د م ٢٠٠٥.
٥٠. عبد الرحمن ، دعبد الهادي : سلطة النص – قراءات في توظيف النص الديني ، دار سينا ،ط ١، القاهرة ١٩٩٨.
٥١. عصفور ، د جابر : قراءة التراث النقدي ، مؤسسة عيبال للدراسات و النشر ،ط١ ،قبرص١٩٩١.
٥٢. عصفور ، د جابر : هوامش على دفتر التنوير ، المركز الثقافي العربي ،ط ١ ، الدار البيضاء ١٩٩٤.
٥٣. العظمة ، د عزيز : التراث بين السلطان و التاريخ، دار عيون المقالات ،ط ١، الدار البيضاء ١٩٨٧.
٥٤. الغزالي ، محمد بن محمد : إلجام العوام عن علم الكلام ، دار الكتب العلمية ، ط ١،بيروت ١٩٨٦.
٥٥. الغزالي ، محمد بن محمد : المستصفى من علم الأصول ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ،مكتبة الجندي ، ط بلا، مصر د ت .
٥٦. الغزالي ، محمد بن محمد :قانون التأويل ، تحقيق محمود بيجو ،ط١ ، د م ١٩٩٣.
٥٧. الفارابي، أبو النصر محمد بن محمد : التعليقات ، تحقيق د جعفر آل ياسين ، دار المناهل ، ط١،بيروت ١٩٨٨.

٥٨. الفاكهي ، عبد الله بن محمد : شرح الحدود النحوية ، تحقيق د محمد الطيب ، دار النفائس ،ط١ ، بيروت ١٩٩٦.
٥٩. القصاب ، د وليد : التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة ، دار الثقافة ، ط بلا ، قطر ٢٠٠٨.
٦٠. القطب الرازي ،محمد بن محمد : تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية ، تحقيق محسن بيدار ،دار بيدار للنشر ، ط ٢ ، قم ١٤٢٦هـ .
٦١. المرتضى ، علي بن الحسين : أمالي المرتضى – غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ،دار ذوي القربى ، ط ٣،قم ١٤٣٩.
٦٢. المظفر ، محمد رضا : أصول الفقه ، دار بوستان ،ط ٤ ، قم ١٤٢٧هـ.
٦٣. هيكل ، عبد الباسط سلامة : الجذور التاريخية لتأويلية ابو زيد ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، ط بلا ، الرباط ٢٠١٥.
٦٤. http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/acontemporar

الاكتفاء في الجملة الشرطية في نهج البلاغة- دراسة نحوية دلالية

أ.م.د. ليث قابل الوائلي

الباحث ضرغام علي محسن

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء

المقدمة:

حينَما بُنيتْ دراسةُ النحوِ العربي على نظريةِ العاملِ، التي تواضعَ عليها النحاةُ، في قولِهم بأنَّ الكلمةَ في أيِّ تركيبٍ، من تراكيبِ الجملِ المختلفةِ، لا تخلو في أغلبِ حالاتِها أما أنْ تكونَ عاملةً فلا بدَّ لها من معمولٍ، أو معمولةَ فتحتاجُ إلى عاملٍ، وهذا مستوحى من النظرِ العقلي المنطقي، الذي يحكم بأنَّ لكلِّ أثرٍ من مؤثرٍ، ولكلِّ نتيجةٍ من سببٍ، وفكرةُ العاملِ والمعمولِ لا تكونُ إلَّا في الاسنادِ، ومن هنا فَرَضَ النحاةُ وجوبَ توفرِ الاسنادِ مَعَ الإفادةِ المعنويةِ التامة في تأليفِ الجملِ، فإنْ لم يوجد المسندُ أو المسندُ إليهِ في الجملةِ لفظاً، فهو مقدرٌ لا محالةَ فيه؛ حتى يتسقُ المعنى مَعَ الصناعةِ المنطقيةِ المتوهمةِ، فالجملة التي ينعقدُ بهِا الكلامُ، وتحصلُ منها الفائدةُ لا تتأتى إلّا من اسمَيْن، أو في فعلٍ واسمٍ، ولا تتأتى من فعلَيْن؛ لأنَّ الفعلَ نفسَهُ خبرٌ ولا يفيدُ حتّى تُسْنِدهُ إلى محدثٍ عنه، ولا تتأتى من فعلٍ وحرفٍ، ولا حرفٍ واسمٍ؛ لأنَّ الحرفَ جاءَ لمعنًى في الاسمِ والفعلِ فهو كالجُزءِ منهما، وجزءُ الشيءِ لا ينعقدُ مَعَ غيرِهِ كلامًا .

والذي نذهبُ إليهِ أنَّ هذا الاقتصار والتضييق الذي قررهُ النحاةُ في تكوينِ الجملةِ بعيدٌ غايةَ البعدِ عن الواقعِ اللغوي، وعن طبيعةِ تعددِ أنماطِ التراكيبِ خدمةً لأنواعِ التواصلِ، الذي يرتضي الجملَ التي تفيدُ فائدةً تامةً من دونِ توفرِ الاسنادِ، ومن دونِ الحاجةِ إلى التقديرِ، الذي قد يفسدُ المعنى المرادِ عندَ المتكلم، أو يحيلُ اللغةِ من لغةٍ حيةٍ اجتماعيةٍ، متطورةٍ ومتغيرةٍ بحسب ظروفِ استعمالِها، إلى لغةٍ جافةٍ ثابتةٍ لا تلبي حاجاتِ متكلميها في التعبيرِ عن المعاني المختلفةِ ، فاللغة بعيداً عن تكلف الصنعةِ المنطقيةِ، قد تكتفي بالحرفِ وحدَهُ، كما يحدثُ في الإجابةِ عن الاستفهامِ إيجاباً أو نفياً بـ(نعم أو لا)، أو تكتفي بالحرفِ

والاسمِ، كما هو الحالُ في النداءِ، أو تكتفي بالحرفِ والفعلِ، كالاكتفاءِ بأداةِ الشرطِ وفعلهِ، من دونِ الحاجةِ إلى جوابٍ، أو بالخلافِ، وغيرها من الصيغِ المكتفيةِ التي رَفَضَ النحاةُ استقلالها بالإفادةِ نظراً للجانبِ الشكلي .

وسوفِ نقتصرُ في البحث على بيانِ أهمِ الجملِ في كلامِ أميرِ المؤمنين (ع)، التي تكتفي بالحرفِ والفعلِ في الجملة الشرطية، سواء أكان الفعلُ فعلاً للشرط أم جواباً له، اعتماداً على دلالاتِ حروفِ المعاني المستقلةِ بوساطةِ السياقِ اللغوي، وعناصرِ المقام التي تساعدُ على الإفهامِ بينَ المتكلمِ والمخاطبِ من دونِ حاجةٍ إلى تقديرِ شيءٍ آخرٍ، به تمامُ المعنى .

وقد جاء الاكتفاء في الجملة الشرطية في نهج البلاغة على نمطين لا ثالث لهما، عرضتهما بمبحثين هما:

البحث الأوّل: الاكتفاء بأداة الشرط وفعل الشرط:

افترضَ النحويونَ شكلاً واحداً للجملةِ الشرطيةِ، ألزموا به أنفسَهم، وهذا الافتراضُ متأتٍ مِنْ بعضِ كلامِ العربِ ، الذي تكونُ فيه أداةُ الشرط مقتضيةً لفعل الشرط أولاً ، ثم لجوابه ثانياً ؛ ضرورةً لإتمامِ المعنى، وبهذا عُرِّفَ الشرطُ بأنّه ((تعليقُ شيءٍ بشيءٍ، بحيث إذا وجِدَ الأوّلُ وجِدَ الثاني ، وقيلَ: ما يتوقفُ عليه وجودُ الشيءِ، ويكون خارجاً عن ماهيتهِ، ولا يكونُ مؤثراً في وجودِهِ، وقيل: الشرطُ : ما يتوقف بثبوتِ الحكمِ عليه))[1]، فإنْ لم يرد جوابُ الشرطِ بخلافِ ما قاسوا عليه، وجب تقديره ، يقول ابنُ السراج (ت٣١٦هـ): ((ولا بُدَّ للشرطِ من جوابٍ وإلا لم يتم الكلام، وهو نظيرُ المبتدأ الذي لا بُدَّ له من خبرٍ))[2]، وهذا الالتزامُ ينقضه الكثيرُ من الآياتِ القرآنيةِ، وكلامِ العربِ شعراً ونثراً، ممَّا جاءَ فيهِ الكلامُ تاماً، ومكتفياً بأداةِ الشرطِ وفعلهِ، من دونِ جوابٍ يذكرُ لفظاً أو تقديراً، أما أرادةِ معنًى خاصاً بهذا الاكتفاء ،فلا يكون بغيرِهِ ممَّا يُذكَرُ فيهِ جوابُ الشرطِ، أو لتمامِ المعنى المراد عندَ المتكلمِ، وفهمِهِ عند المخاطبِ بالسياقِ، وقرائنِ الأحوالِ، ومِنْ ثَمّ لا يحتاجُ إلى تقديرِ شيءٍ آخرَ، به يحسنُ السكوتُ، وتتمُ الفائدةُ، وللاكتفاءِ بأداةِ الشرطِ وفعله أنماطٌ مختلفة، منها :

١- الاكتفاء بأداةِ الشرط وفعله، لتوجيهِ العنايةِ إلى الشرط ؛ ليتبصّرَ فيه السامعُ ، و يتأملُ كلَّ ما يمكن أنْ يتعلق به، ممّا يتعددُ تعدداً لا يمكن حصرُهُ، فيذهب بالسامعِ مذاهبَ شتى ، فلا يتصور شيئاً إلَّا جازَ أنْ يكونَ الأمرُ أعظمَ مِنْهُ، يقول ابن يعيش (ت٦٤٣هـ): ((ألا ترى أنّك إذا قلت لعبدِك: (واللهِ لَئِنْ قمتُ إليكَ) وسكتَّ عن الجوابِ، ذهبَ فِكرُهُ إلى أشياءَ من أنواعِ المكروهِ، فلم يدرِ أيَّها يبقى، ولو قلت: (لأضربَنَّك) فأتيتَ بالجواب، لم تُبْقِ شيئًا غيرَ الضرب))[٣]، وهذا الأسلوبُ أبلغُ في الوعدِ والوعيدِ ؛ لأنَّ الموعودَ والمتوعدَ إذا عَرِفَ قدرَ النعمةِ والعقوبةِ، وقفَ ذهنُهُ عندَ ذلكَ المعينِ، وإذا لم يعرفهُ ذهبَ وهمُهُ إلى ما هو الأعلى من ذلك، وبتعيين الجوابِ ينتهي ذلك التفخيمُ [٤] .

ومن أمثلةِ هذا النمطِ قولُهُ تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}[٥]، قال سيبويه : ((وسألتُ الخليلَ عن قولِه جلَّ ذكرُهُ: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}[٦]، أينَ جوابُها؟ وعن قوله جلَّ وعلا: {وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ}[٧]،وقولُهُ تعالى : {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ}[٨]، فقال: إنَّ العربَ قد تتركُ في مثلِ هذا الخبرِ الجوابَ في كلامِهم، لعلمِ المخبرِ لأيِّ شيءٍ وُضعَ هذا الكلامُ))[٩]، إذ يوجدُ بعدَ (حتى) جملةٌ شرطيةٌ مكتفيةٌ بفعلِ الشرطِ وأداته ، من دون جوابٍ، للدلالةِ على أنَّ ثوابَ أهلِ الجنةِ لا يمكنُ أنْ تحدّه حدودٌ، أو أنْ يتصورَها أحدٌ، أو يحيطُ بها وصفٌ، أو يخطرُ على قلبِ بشرٍ[١٠]، فيكونُ هنا الاكتفاءُ أبلغَ من ذكرِ مئاتِ الكلماتِ لفظاً أو تقديراً .

فلو قُدِّرَ محذوفٌ ((لنزلَ قدرُ الكلامِ عن علّوِ بلاغتهِ، ولصارَ إلى شيءٍ مستركٍ مُسْترذَلٍ، ولكان مبطلاً لما يظهرُ على الكلامِ من الطلاوةِ والحسنِ والرقةِ))[١١]، ومشابهٌ لما سبقَ قولُ أميرِ المؤمنين (ع): في نهج البلاغةِ: ((فَيَا لَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زاكِيَةً، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً، وَآرَاءً عَازِمَةً، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً))[١٢]، فاكتفى الإمامُ (ع): بقوله: ((لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زاكِيَةً، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً ....))، ليمتلك النصُ القدرةَ الفائقةَ على الاثارةِ، والتأثيرِ في النفسِ، وأسرِ مشاعرِ المتلقي؛ لأنَّه سلطَ الأضواءَ وَشدَّ انتباهُ المتلقي في الحالةِ الشعوريةِ التي أرادَ عرضَها من خلالِ النصِ عن طريقِ الاكتفاءِ بأداةِ الشرطِ

وفعلهِ، والاستغناءِ عن الجوابِ لقصدِ المبالغةِ في تعظيمِ أمرِ هذهِ الأمثالِ والمواعظِ، وشدةِ وقعِها إذا صادفت القلوبَ الزاكيةَ، المستعدةَ لقبولِ الهدايةِ، والآذان الواعية، والآراء العازمة، والألباب الحازمةِ ، والظاهر أنَّ هذهِ الأمورَ إنَّما هي مِنْ أسبابِ نفعِ الموعظةِ[١٣] .

ومثلهُ أيضاً قولُهُ علي (ع): ((إنَّ ها هُنَا لَعِلْماً جَمّاً (وَأَشَارَ إِلى صَدره) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً))[١٤]، فالاكتفاء بجملةِ (لو أصبتُ له حَمَلَةً) له غرضٌ بلاغي دلالي يكمن في بيانِ عظمةِ حقيقةِ العلمِ المستقرِ في صدرِ أميرِ المؤمنين (ع)، وهو ما يعجزُ الوصفُ عنه، وتذهلُ العقولُ عن معرفة كنهِهِ، فتمنى محالاً أنْ يجد لعلمهِ حملةً، ((ومَنْ الذي يطيقُ حمله! بل مَنْ الذي يطيقُ فهمه فضلاً عن حملهِ))[١٥]، فلو وَجَدَ مَنْ يحملهُ لوَجَدَ خيراً كثيراً لا تستوعبهُ الألفاظُ ، ولا تحيطُ بهِ المعاني، وبهذا يبقى ((تَرْكُ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتُ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تبن))[١٦]، وهذا المعنى لا يستدعي جواباً البتة، ولهذا الاكتفاءِ دلالتُهُ الخاصةُ التي لا يصحُ فيها التقديرُ .

٢- الاكتفاء بأداةِ الشرطِ وفعلِهِ لظهورِ المعنى وتمامِه من سياقِ الكلامِ، وذلك إذا تقدمَ عليه أو اكتنفه ما يدلُ عليه، و يكونُ التقديرُ فيه من بابِ اللغوِ الذي لا يعضدُهُ شاهدٌ واحدٌ، لا من القرآن الكريم ولا من كلامِ العرب، يُثبتُ صحتَهُ واستعمالَهُ، وذلك نحو : (أنتَ ظالمٌ إنْ فعلْتَ)، فلم يردْ في العربيةِ (أنتَ ظالمٌ إنْ فعلتَ فأنتَ ظالمٌ)[١٧]، وممّا وردَ في القرآنِ الكريم قوله تعالى: {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ}[١٨]، ((فقد أوحى قولُهُ تعالى: (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) بالجواب، لأنَّ تكراره يشوّهُ المعنى و يجعله مملاً لا فائدةَ منه، وهذا نمطٌ في التعبيرِ غيرُ النمطِ الذي ألزمَ النحويون أنفسَهم بهِ، وهو تقدمُ الأداةِ والشرطِ على الجوابِ، فالمعنى قد اكتملَ بما أوحى بهِ المتقدمُ، والتقديرُ فيه زيادةٌ))[١٩] .

ومن أمثلةِ هذا الاكتفاءِ في نهجِ البلاغةِ قولُ أميرِ المؤمنين (ع): ((لاَ قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالْفَرَائِضِ))[٢٠]، فقوله (ع): (لا قربةَ بالنوافلِ) أغنى عن تقدير جوابِ الشرط ، فلو أريد تقدير الجواب فلا يأتِ بغير لفظ المتقدم، وهذا ممّا لا فائدةَ فيه، ومثلُه أيضاً قوله (ع): ((يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا

عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ))[٢١]، ففي النصّ اكتفاءٌ بأداةِ الشرطِ وفعله في موضعين، واستغناءٌ عن الجوابِ بقرينةِ إيحاءِ المتقدمِ على أداةِ الشرط على الجواب لفظاً ومعنًى .

وقد وقع في مثلِ هذه الجملِ المكتفيةِ خلافٌ، فالبصريون يذهبون إلى تقديرِ جملةِ الجوابِ؛ لأنَّها لا تتقدمُ على الشرطِ، يقول ابنُ السراج (ت٣١٦هـ): ((فأما قولهم: (أَجيئكَ إنْ جئتَني)، و(آتيك إنْ تأتني)، فالذي عندنَا إنَّ هذا الجوابَ محذوفٌ، كفى عنْه الفعلُ المقدمُ))[٢٢]، والكوفيون يذهبون إلى أنَّ الجملةَ المتقدمةَ هي جملةُ الجوابِ، تقدمت على جملةِ الشرطِ[٢٣] .

وقيلَ رداً عليهم: لو كان الجوابُ هو المتقدمُ، لجُزمَ إذا كان فعلاً، وللزمته الفاء إذا كان جملةً اسميةً[٢٤]، وقد تابعَ الكوفيين من المحدثين الدكتور مهدي المخزومي، إذ يقولُ: ((أما عبارةُ الشرطِ ، فقولنا: (تزرني)، وأما عبارةُ الجوابِ فقولنا: (أزورك)، وليس هنا ما يمنع من تقدمِ ذكرِ الجوابِ، ما دامت الجملةُ حاويةً كلَّ مقوماتِها، ففيها أداة الشرطِ، وفيها عبارة الشرطِ، وفيها عبارة الجوابِ، وفيها فوق ذلك ما في أيِّ جملةٍ شرطيةٍ، من تعليقِ أمرٍ على أمرٍ))[٢٥]، وكما تابعَ الدكتورُ مهدي المخزومي الكوفيين في هذه المسألةِ، تابعَ الدكتورُ تمام حسّان البصريين، إذ لا يجوزُ في رأيهِ تقدمُ الجوابِ على أداةِ الشرطِ؛ لأنَّها ذاتَ رتبةٍ محفوظةٍ، وهي رتبةُ الصدارةِ [٢٦]، لأنَّ الشرطَ سببٌ في الجزاءِ، ومقدمٌ عليهِ .

والذي نذهب إليه هو أنَّ القولَ بالجملةِ المكتفيةِ يقفُ محايداً بينَ مذهبِي البصريينَ والكوفيينَ، فلا نقولُ بقول البصريين إنَّ جواب الشرط محذوفٌ، ويجبُ تقديرُهُ، بل إنَّ الجملةَ مكتفيةٌ وتامةُ المعنى مِنْ دونهِ، ويحسنُ السكوتُ عليها بوساطةِ السياق، وأنَّ التقديرَ فيها يثقلُ اللفظَ، ويمجُ المعنى، وفيهِ جانبُ الصناعةِ المنطقيةِ غالبٌ على جانبِ المعنى. ولا نقولُ بقولِ الكوفيينِ في تقديمِ الجوابِ على أداةِ الشرطِ وفعلهِ ؛ لأنَّ الجملةَ المكتفية لها معنى ودلالة تختلفُ عن الجملةِ الشرطيةِ التامةِ الأجزاءِ والأركانِ، إذ ((إنَّ قولَنا (أزورك إنْ زرتني) الكلامُ فيهِ مبني على الوعدِ غيرِ المشروطِ، ثم بدا للمتكلمِ أنْ يشترطَ ، بخلاف ما إذا بدأ بالشرطِ، فقالَ (إنْ زرتني زرتُك) فإنَّه بناه ابتداءً على الشرطِ))[٢٧]، ولا يمكن أنْ نَحمِلَ الجملةَ المكتفيةَ

على التامةِ، و يقالُ: أنَّ فيها تقديمُ الجوابِ على الأداةِ، إذ إنَّ لكلِّ جملةٍ اسلوبَها الخاصَّ بالدلالةِ على المعنى .

المبحث الثاني: الاكتفاء بأداة الشرط وجواب الشرط:

كَثُرَ الاكتفاءُ في الجملةِ الشرطيةِ بأداةِ الشرطِ والجوابِ، من دونِ فعلِ شرطٍ يذكرُ في اللغةِ العربيةِ المستعملةِ ؛ إمَّا للدِلالةِ على معنى مقصودٍ ، أو لظهورِ المعنى ظهوراً تاماً، لا يحتاجُ إلى لفظٍ آخرَ، ظاهرٍ أو مقدّرٍ، وقد أجازَ النحويونَ هذا الأسلوبَ ، بشرطينِ مجتمعينِ[٢٨] .

الأوّل: أنْ تكونَ أداةُ الشرطِ (إنْ) مِنْ دونِ سائرِ أخواتِها ؛ لأنَّها أمُّ البابِ، والآخر: أنْ تقترنَ الأداةُ بـ(لا) النافيةِ، فتدغمُ بها، فتصبحُ (إلّا) ، وزادَ بعضُهم شرطاً ثالثاً[٢٩]: هو أنْ تكونَ الجملةُ المكتفيةُ بأداةِ الشرطِ وجوابِهِ معطوفةً على ما قبلَها، ممَّا يدلُ على جملةِ الشرطِ المضمرِ عندهم، نحوُ قولِكَ: تُبْ وإلّا عاقبتُكَ، أي: تُبْ وإلّا تتبْ عاقبتُكَ ، فجملةُ الشرطِ (تتب) أضمرتْ وجوباً بعد (إلّا) لدلالةِ (تُبْ) المذكورةِ عليها، ومِنْ شواهدِ حذفِ الشرطِ (أي: اكتفاءِ الكلامِ مِنْ دونه) عندَ الجمهورِ قولُ الأحوصِ الأنصاري[٣٠][من الوافر]:

فطَلِّقْها فَلَسْتَ لها بكُفءٍ

وإلّا يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحُسَامُ

أي: وإلَّا تُطَلِّقها يَعْلُ مفرقَك الحسامُ، فحذفَ الشرطَ (تُطَلِّقها) لدلالةِ (فطلِّقها) عليه .

وهذا الاكتفاءُ في اللغةِ العربيةِ كثيرٌ، يقولُ ابنُ هشامٍ (ت٧٦١هـ): ((وحذفُ جملةِ الشرطِ بدونِ الأداةِ كثيرٌ))[٣١]، ومنه في نهجِ البلاغةِ قولُ أميرِ المؤمنين (ع) وهو قاصدٌ بكلامهِ (الزبيرَ) : ((يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالبَيْعَةِ وَادَّعَى الوَلِيجَةَ فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وَإِلاَّ فَلْيَدخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ))[٣٢]، والمعنى: (وإلَّا يأتِ فليدخلْ فيما خرجَ منه)؛ وإذا دلَّ الكلامُ المُتقدمُ على فعلِ الشرطِ، لم يحتجْ إلى تقديرِهِ أصلاً، وتكرارُ اللفظِ المتقدمِ ثانياً ليسَ سوى أثرٌ مِنْ آثارِ الصنعةِ الإعرابية التي قضتْ بوجودِ فعلِ شرطٍ بعدَ الأداةِ ، ظاهراً كانَ أو مقدّراً .

ومنه قوله (ع): ((فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلاَّ فَلاَ يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ))[٣٣]، وتقديرُهُ عندَ النحويينَ (وإنْ لا يتأس فلا يأمن الهلكةَ)، ومنه أيضاً قولُهُ (ع) مخاطباً (عبدَ اللهِ بن زُمعة) بعدَ أنْ قدمَ عليهِ في خلافتهِ يطلبُ منهُ مالاً: ((إِنَّ هذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلاَ لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ، كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلاَّ فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لاَ تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ))[٣٤]، المعنى فيهِ (إلَّا تشركهم فجناةُ أيديهم لا تكونُ لغيرِ أفواهِهم) .

قالَ ابنُ مالكٍ (ت٦٧٢هـ): ((ويُحذفُ الجوابُ كثيراٍ لقرينةٍ، وكذا الشرط المنفي بـ(لا) تاليةً (إنْ)))[٣٥]، وما ذهبَ إليهِ ابنُ مالكٍ من اشتراطِ اقتران (لا) النافية بالأداة، يُفهمُ منه الاستغناءُ عن الفعلِ لا يجوزُ في حالةِ عدمِ ذلك ؛ لأنَّ (لا) صارت عندَهُ عوضاً عن المحذوفِ ، وتابعَه في هذا ابنُ عصفور (ت٦٦٩هـ)[٣٦]، وقد رَدَّ أبو حيان (ت٧٤٥هـ) هذا الرأيَ واحتجَ عليهِ بقولِه: ((وَلَيْسَ بِشَيْءٍ، لِأَنَّهَا لَو كَانَت عوضاً من الْفِعْل الْمَحْذُوف لم يجزْ الْجمعُ بَينهمَا، مَعَ أَنَّه يجوزُ نَحْو (وَإِلَّا يُسِىء فَلَا تضربه) فَهِيَ فِي نَحْوِ ذَلِك نَافِيَةٌ لَا عوضَ))[٣٧] .

وقد ذهبَ (برجشتراسر) إلى أنَّ الأداةَ (إلّا) المؤلفةَ من (إنِ) الشرطية، و(لا) النافية، لا تستعمل في الشرطِ إلّا مع حذفِ فعلِها، وتقديرُهُ ممّا سبقها[٣٨]، وهذا الرأيُ مردودٌ أيضاً ؛ لأنَّ اقتران (إنْ) بـ (لا) ليس لازماً لحذفِ فعلِ الشرطِ، والدليلُ عل ذلك ما وردَ في القرآنِ الكريمِ من آياتٍ جاءَتْ فيها (إلّا) مع ذكرِ فعلِ الشرطِ، من ذلك قولُهُ تعالى: {إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}[٣٩]، وقوله تعالى: {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }[٤٠]، وغيرِ ذلكَ من الآياتِ .

والذي نذهب إليه أنَّ هذه الجملةَ مكتفيةٌ بالأداةِ والجوابِ، ولا يصحُ تقديرُ فعلِ الشرطِ فيها، لعدّةِ وجوهٍ منها :

١- إنَّ المعنى فيها ظاهرٌ، والقصدُ تامٌ، يحسنُ السكوتُ عليهِ، بدلالةِ السياقِ، وأنَّ عدمَ التقديرِ فيها أولى من التقديرِ الذي لا يضيفُ شيئاً جديداً، وأكثرُ انسجاما مَعَ روحِ العربيةِ التي تميلُ إلى الإيجاز، وأقربُ

اتفاقاً مَعَ المنهجِ العلمي الوصفي الذي يبتعدُ عنِ الافتراضاتِ والتمحلات التي عقَدتِ الدرسَ اللغوي بقواعدَ لا تحكي عن واقعِ اللغةِ المستعملِ .

٢- إنَّ الاكتفاءَ بأداةِ الشرطِ وجوابِها في شواهدِ نهجِ البلاغةِ أبلغُ من ذكرِ المحذوفِ أو تقديرِهِ، وإنْ دُلَّ عليهِ من الكلامِ المتقدمِ؛ لأنَّ تركيبَ (وإلّا) في الشرطِ يحملُ لغةَ الإلزامِ، والتهديدِ غالباً، وهو ما نجدهُ واضحاً في كلامِ أميرِ المؤمنين (ع)، يقولُ الدكتورُ إبراهيم الشمسان: ((ومن حذفِ جملةِ الشرطِ المحذوف الذي يأتي بعد (إلَّا) .... (افعَلْ هذا وإلَّا هجرتُكَ) . والحقيقةُ أنَّنَا نترددُ في قبولِ القولِ بوجودِ حذف هنا فلسنا نحسُ بوجودِ مثلِ هذا الحذفِ رغم أنَّ النحاةَ استطاعوا تقديرَ المحذوفِ، ولكن هذا التقديرُ يغيرُ قليلاً أو كثيراً من المعنى الذي يعبرُ عنهُ التركيبُ، ونحسُ أنَّ ثَمَةَ أداة مركبة هي (وإلَّا)، ولهذهِ الأداةِ معناها الخاصُ الذي تنهضُ بهِ، وهذا المعنى هو (التهديدُ) نقولُ: أقِمْ و إلَّا عاقبتُكَ، فالصدوعُ بالأمرِ (أقِمْ) يحتاجُ إلى ضمانٍ، وهو تهديدُ المأمورِ بالعقابِ))[٤١]، وهذا الإلزام الذي أعقبهُ التهديدُ هو الغرضُ مِن كلامِ أميرِ المؤمنين (ع)، فلو قدرنا فعلَ الشرطِ لضاعَ هذا المعنى المقصودُ .

٣- إنَّ الاكتفاءَ بأداةِ الشرطِ وجوابهِ له وجهةٌ بلاغيةٌ أخرى، تفطّنَ إليها الدكتورُ (محمد طاهر الحمصي) في حديثهِ عن حذفِ فعلِ الشرطِ، كما يراهُ هو في بيتِ الأحوصِ الذي سقناهُ آنفاً إذ يقوله: ((وأرى أنَّ لهذا الحذفِ وجهاً بلاغيّاً غيرَ الإيجازِ وتكثيف اللفظِ، يتلخصُ في إفادةِ التركيز على الجزاءِ الباقي من جملةِ الشرطِ .... أفاد الحذفُ التركيز على حرف النفي (لا)، لأنَّ النفي هو السببُ في إحداثِ الجوابِ، وقد عُلّق الجواب عليهِ فحسب. والمعنى: إنْ لفظت هذا الحرف (لا) يعلْ مفرقكَ الحسامُ))[٤٢]، وهذا المعنى يمكنُ أن يجري في جميعِ شواهدِ نهجِ البلاغةِ .

٤- إنَّ اقتران الأداة (إنِ) الشرطية بأداة النفي (لا) ؛ للتعبير عن شرطٍ مُعَلَّقٍ بنفي نحوُ قولهِ تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ }[٤٣]، هو الذي يُكسبُ أداةَ الشرطِ طاقةً تعبيريةً تستغني بها عن التصريحِ بمحتوى جملةِ الشرطِ أحياناً، فيكونُ التركيبُ الشرطي مختزلاً[٤٤] .

وبهذهِ الوجوهِ مجتمعةً يثبت أنَّ هناك اكتفاءً في جملةِ الشرطِ، بالأداةِ والجوابِ، قُصدَ لأداءِ معنى خاصٍّ لا يظهرُ بذكرِ فعلِ الشرط أو تقديرِهِ .

الخاتمة:

دَعت نظريةُ العاملِ إلى القولِ بالتقديرِ مِنْ أجلِ تضييقِ دائرةِ التعبيرِ عن المعاني المختلفةِ في نمطٍ لغوي واحدٍ، ممَّا هو خلافُ طبيعةِ اللغةِ العربيةِ وواقعِها الاستعمالي في تعددِ الأنماطِ التركيبيةِ التامةِ والمكتفيةِ، وقد اقتصرت الصنعةُ النحويةُ على الجملِ الملائمةِ عندَهم للقولِ بالعاملِ والمعمولِ، أو المسندِ والمسندِ إليهِ، نحوُ: الجملِ المركبةِ مِنْ اسمين أو مِنْ فعلٍ واسمٍ ونحوِها، وقد اضطرَهم هذا القولُ إلى فتحِ بابِ التأويلِ المتكلفِ لكلِّ النصوصِ العربيةِ الفصحى التي تخالفُ قواعدَهم المصطنعةَ، إذ إنَّ في كلامِ العربِ ما يكتفي بالفعلِ وحدَهُ، أو بالاسمِ وحدَهُ، أو بالحرفِ والاسمِ، أو بالحرفِ والفعلِ، وغيرِها مِنَ الجملِ المكتفيةِ المشحونةِ في دلالتِها، والتامةِ في معناها، ومن ذلك الاكتفاء بأداة الشرط مع فعل الشرط أو جوابه الذي ذكرناه في هذا البحث مَعَ شواهدَ مِنْ نهجِ البلاغةِ، في قمةِ البلاغةِ والفصاحةِ، لو قُدِّرَ فيها محذوفٌ لنزلَ قدرُ الكلامِ عن علوِ بلاغتهِ، ولصارَ إلى شيءٍ مستركٍ، ولكانَ مبطلاً لما يظهرُ على الكلامِ مِنَ الطلاوةِ والحسنِ والرقةِ.

الهوامش:

---

(١) التعريفات: ٩١ .

(٢) الأصول في النحو: ٢/ ١٥٨ .

(٣) شرح المفصل: ٩/ ٩ .

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القران :١/١٣٥

(٥) الزمر : ٧٣ .

(٦) الزمر : ٧٣ .

(٧) البقرة : ١٦٥ .

(٨) الأنعام : ٢٧ .

(٩) الكتاب: ٣/ ١٠٣ .

(١٠) ينظر: الكشاف: ٣/ ٤١٠ .

(١١) الطراز: ٢/ ٥١ .

(١٢) نهج البلاغة : ١٢٤ .

(١٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٤٦ ، الاجمال والتفصيل في نهج البلاغة (اطروحة دكتوراه): ص ١٦٩ .

(١٤) نهج البلاغة : ٥٣٣ .

(١٥) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٨/ ٣٥٠ .

(١٦) دلائل الاعجاز: ١١٢ .

(١٧) ينظر : شرح ابن عقيل: ٣/ ١٠٤ .

(١٨) الأنعام : ١١٨ .

(١٩) البديل المعنوي من ظاهرة الحذف: ١٢٥ .

(٢٠) نهج البلاغة : ٥١١ .

(٢١) المصدر نفسه: ٢٢٣ .

(٢٢) الأصول في النحو: ٢/ ١٨٧ .

(٢٣) ينظر: الانصاف المسألة (٨٧) ،٢/٦٢٣.

(٢٤) ينظر: شرح ابن يعيش: ٩/ ٧ .

(٢٥) في النحو العربي قواعد وتطبيق: ١٢٩ .

(٢٦) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٧ .

(٢٧) معاني النحو: ٤/ ١٠٣ .

(٢٨) ينظر: أوضح المسالك: ٤/ ٢١٤- ٢١٥ ، وشرح التصريح: ٤/ ٢٠٠ .

(٢٩) ينظر: الانصاف المسألة (١٠) ١/ ٧٢: ، وشرح جمل الزجاجي : ٢/ ٢٠٠ ، وشرح شذور الذهب: ٣٥٩ .

(٣٠) ديوانه : ١٨٤.

(٣١) مغني اللبيب:٦/٥٢٢

(٣٢) نهج البلاغة: ٤٣ .

(٣٣) المصدر نفسه: ٢٥٤ .

(٣٤) المصدر نفسه: ٣٨٢ .

(٣٥) المساعد على تسهيل الفوائد: ٣/ ١٦٩ .

(٣٦) ينظر: المقرب: ١/ ٣٠٣ ، ارتشاف الضرب: ٤/ ١٨٨٣ .

(٣٧) همع الهوامع: ٤/ ٣٣٦ .

(٣٨) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ١٩٩ .

(٣٩) الأنفال : ٧٣ .

(٤٠) التوبة : ٣٩ .

(٤١) الجملة الشرطية عند النحاة العرب: ٣٥٣ .

(٤٢) من نحو المباني إلى نحو المعاني: ٤١٠ – ٤١١ .

(٤٣) التوبة : ٤٠ .

(٤٤) ينظر: الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية: ٢٩ .

المصادر:

- القرآن الكريم.

١- الإجمال والتفصيل في نهج البلاغة دراسة تحليلية ،سهيل محمد حسين جعفر الأرناؤوطي ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية ،جامعة بغداد ،١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م ،

٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور رجب عثمان محمد، مراجعة الدكتور رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

٣- الأصول في النحو، لأبي بكر بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت:٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت:٧٦١هـ)، الطبعة الخامسة، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٩م .

٥- البديل المعنوي من ظاهرة الحذف، الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٦- التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت:٦١٦هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي ،عيسى البابي الحلبي وشركاه- مصر ،١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

٧- التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

٨- الجملة الشرطية عند النحاة العرب، أبو أوس إبراهيم الشمسان، تقديم: الدكتور محمود فهمي حجازي، الطبعة الأولى، مطابع الدجوي، عابدين، القاهرة، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

٩- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: الدكتور محمد التنجي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥م .

١٠- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني المصري (ت:٧٦٩هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة السابعة، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ١٣٨٢هـ ش – ١٤٢٤هـ ق .

١١- شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت:٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

١٢- شرح المفصل، الشيخ موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت:٦٤٣هـ)، صححه وعلق عليه: حواش نفيسة بعد مراجعته على أصول خطية بمعرفة مشيخة الأزهر، أدارة الطباعة المنيرية، مصر .

١٣- شرح جمل الزجاج (الشرح الكبير)، ابن عصفور الأشبيلي (ت:٦٦٩هـ)، تحقيق: الدكتور صاحب أبو جناح، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

١٤- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة .

١٥- شرح شواهد المغني، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، اعتنى بتصحيحه الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي ، المطبعة البهية – مصر.

١٦- شرح نهج البلاغة، عزّ الدين أبو حامد بن أبي الحديد، الطبعة الأولى، مكتبة آية الله المرعشلي النجفي العامة، قم – إيران، ١٣٨٧هـ .

١٧- الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، الدكتور عبد السلام المسدي والدكتور محمد الهادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا –تونس، ١٩٨٥م .

١٨- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

١٩- في النحو العربي قواعد وتطبيق، الدكتور مهدي المخزومي، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .

٢٠- الكتاب ، لأبي بشر عمرو بن قنبر ، الملقب بسيبويه (ت١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطيعة الثالثة ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م .

٢١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

٢٢- اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، الطبعة الخامسة، عالم الكتب، ١٤٢٧هـ –٢٠٠٦م .

٢٣- المساعد على تسهيل الفوائد (شرح التسهيل لابن عقيل)، بهاء الدين بن عقيل (ت:٧٦٩هـ)، تحقيق: الدكتور محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وتحقيق التراث بجامعة أم القرى، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

٢٤- معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، الطبعة الثانية، دار الفكر، عمان، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

٢٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح: الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، الطبعة الأولى، التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

٢٦- المقرب ومَعَه مُثُل المُقرّب، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور الحضرمي الاشبيلي (ت:٦٦٩هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

٢٧- من نحو المباني إلى نحو المعاني (بحث في الجملة وأركانها)، الدكتور محمد طاهر الحمصي، الطبعة الأولى، دار سعد الدين، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٢٨- نهج البلاغة ،وهو ما جمعه السيد الشريف الرضي من خطب ووصايا وكتب وكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، معه شرح الشيخ محمد عبده ، خرّج مصادره فاتن محمد خليل اللّبون ، الطبعة الأولى ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ،١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م . شرح نهج البلاغة، ميثم بن علي بن ميثم البحراني، الطبعة الثانية، دفة نشر الكتاب، ١٠٤٠٤هـ .

٢٩- همع الهوامع، شرح جمل الجوامع في النحو، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، اعتنى به: الشيخ أحمد عزو عناية، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

الاتساع الدّلالي للإضافة في القرآن الكريم

أ.م.د. رفاه عبد الحسين الفتلاوي
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء

المقدمة:

من الأساليب التي جاء عليها كتاب الله وأسهمت في توسيع الدلالة الإضافة بركنيها المضاف والمضاف إليه فتوسيع الدلالة عند اللغويين هو الخروج عن الأصل والتسامح في دقة العبارة عن المعنى المراد سواء في ذلك الاتساع في المفردات أم الاتساع في الأساليب .

فقد نالت الإضافة في القرآن الكريم الحيز الواسع والكبير لما لها من أثر في تنظيم أواصر الكلام وتوثيقه وجعله مترابطاً متآزراً نتلمسه في أثناء وظيفتها البنائية التي تساهم في تماسك مفردات اللغة وانسجامها حتى عدّت سمة بارزة في كتاب الله عزّ وجلّ من طريق توظيفها وهيكليتها في تغيير (المضاف إليه) وثبات (المضاف) وأبعادها الدلالية في سياقات ورودها في النص القرآني؛ فكانت فرضية البحث بيان الاثر الدلالي للاضافة في القرآن الكريم ومشكلة البحث تدور حول بيان تلك الدلالات

وأمّا البحث فيتكون من مبحثين يتقدمهما تمهيد بعنوان مفهوم الاتساع الدلالي لغة واصطلاحاً، وفي المبحث الأول منهما تناولنا مفهوم الإضافة وأقسامها ،وأحكامها .

أمّا المبحث الثاني فعرضنا فيه أغراض الإضافة ودلالاتها في القرآن الكريم ومنها: التأنيث والتذكير ،والبناء والظرفية والمصدرية والاتساع والتجوز في الكلام ، وجواز حذف تاء التأنيث من آخر المضاف ، ثم كانت الخاتمة التي تضمنت ابرز ما جاء من نتائج توصّل إليها البحث .

التمهيد: مفهوم الاتساع الدلالي لغة واصطلاحا:

الاتساع لغة:

قال الخليل :((الوُسْعُ: جِدةُ الرَّجلِ، وقدرة ذات يده. تقول: انفِقْ على قَدْرِ وُسْعِك، أي: طاقتك. وَوَسُعَ الفرس سَعَةً ووَساعَةً فهو وَساعٌ. وأَوْسَعَ الرّجل: إذا صارَ ذا سَعَةٍ في المال، فهو مُوسِعٌ وإنّه لذو سَعَةٍ في عيشه. وسَيْرٌ وَسِيعٌ ووَساعٌ. ورحمةُ الله وَسِعَتْ كلَّ شيء، وأَوْسَعَ الرّجُلُ صار ذا سَعَةٍ في المالِ))[١].

أمّا ابن فارس فذهب إلى أنَّ ((الواو والسين والعين كلمة تدلُّ على خلاف الضيق والعسر، يقال: وسع الشيء واتسع، والوسع: الغنى. والله الواسع أي الغني. والوسع: الجدة والطاقة. وهو ينفق على قدر وسعه. وقال تعالى في السعة " لينفق ذو سعة من سعته"))[٢]

وجاء عن ابن منظور ((السعة : نقيض الضيق ، وقد وَسِعَه يَسَعه ويَسِعه سَعَة وهي قليلة أعني فَعِل يَفْعِلُ وإنما فتحها حرف الحلق، ولو كانت يَفْعَلُ ثبتت الواو وصحت إلاَّ بحسَب ياجَلُ. ووسُع ، بالضم، وساعةً، فهو وَسِيعٌ. وشيءٌ وَسِيعٌ وأَسِيعٌ: واسِعٌ ... واسْتَوْسَعَ الشيءَ: وجده واسِعاً وطلبَه واسِعاً، وأَوْسَعَه ووَسَّعَه: صيَّره واسعاً))[٣].

الاتساع اصطلاحاً :

عرّف الاتساع بأنّه ((تصرف في هياكل دلالات اللغة أو أشكال تراكيبها بما يخرج عن المألوف بحيث ينتقل الكلام من السمة الإخبارية إلى السمة الإنشائية أو الأدبية ويتمُّ ذلك بجدول التوزيع والاختيار أي العلامات الاستبدالية))[٤]

وذهب الدكتور محمد نور الدين إلى أنّ دلالة الاتساع عند اللغويين لا تخرج عن معنى التساهل في دقة العبارة عن المعنى المراد ويكون الاتساع لديهم على نوعين الاتساع في المفردات ، والاتساع في الأسلوب[٥].

وذكر ابن أبي الإصبع ((باب الاتساع وهو أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قُوى الناظر فيه وبحسب ما تحتمل ألفاظه ...وإنّما أراد الأصمعي الشعر القوي الذي يحتمل مع فصاحته وكثرة استعمال ألفاظه وسهولة تركيبه وجودة سبكه معاني شتى يحتاج الناظر فيه الى تأويلات عدة وترجيح ما يترجح منها بالدليل))[٦] .

واتساع الدلالة في القران الكريم بهذا المفهوم باب من أبواب الإعجاز عريض فضلاً عما فيه من علو كعب في درجات الفصاحة إذ تتسع دلالة الخطاب القرآني لتدل على معان مجتمعة في تركيب لغوي واحد لو اختل هذا التركيب لانفرط عقد تلك المعاني واحتيج الى تراكيب بعدد تلك المعاني لتعبر عنها [٧].

وخلص البحث إلى إنَّ الأتساع الدلالي إنّما جاء من حسن اختيار المفردة ووضعها في المكان المناسب، فغزارة المفردات وفيض الواقع المراد التعبير عنه ومناسبة المفردات للموضوع وترابطها مع بعضها البعض في السياق، فضلاً عن عمق المعنى، كلها عوامل ساعدت على توسع الدلالة، وعمقها.

المبحث الأول: مفهوم الإضافة وأحكامها وأقسامها:

قال ابن مالك الإضافة هي ((نسبة شيء إلى شيء، مثل: كتابُ محمدٍ، مسجدُ الجامعِ، كتابُ النحو، ألفية ابن مالك . ولها حكمان: حكم يتعلق بالمعنى، وحكم يتعلق بالإعراب))[٨]

وحدّها ابن هشام بأنّها ((إسناد اسم إلى غيره، على تنزيل الثاني من الأول منزلة التنوين أو ما يقوم مقامه))[٩].

وعرّفها الغلاييني بأنّها ((نسبة بين اسمين على تقدير حرف الجر توجب جر الثاني أبداً))[١٠].

وأشار إليها الدكتور مهدي المخزومي بأنّها نسبة وارتباط بين شيئين على نحو لا تعبّر معه عن فكرة تامة وإنّما يضاف شيء إلى شيء ليرتبطا ويكونا بمنزلة شيء واحد فيكتسب الأول من الثاني ما له من صفات وخصائص كالتعريف والتخصيص[١١] .

أمّا أحكام الإضافة فقد وضعها النحاة بركنيها المضاف والمضاف إليه على وفق ما وجدوه من بحث وتوصيف وملاحظة وهي: أن يجرّد المضاف من قرائن الانفصال ، وأن يكتسب المضاف من المضاف إليه جملة من أحكامه ، وأن تشتمل الإضافة على حرف جر اصلي[١٢] .ويكون المضاف عادة نكرة ويعرب حسب موقعه من الجملة أمّا المضاف إليه فيكون مجرورا دائما .

وتكون الإضافة على نوعين هما:

١-الإضافة المعنوية وتسمّى بالمحضة والحقيقية :

وهي التي تجمع بين المتضايفين، بوساطة النسبة بينهما، فلا يمكن تقدير الانفصال، ويكون المعنى فيها موافقاً للفظ فيتعرّف المضاف بإضافته إلى معرفة ، ويتخصص بإضافته إلى نكرة، وهذا هو غرضها الأساسي؛ لذلك سُميت معنوية[١٣] .وعرّفها ابن عقيل بأنّها ((غير إضافة الوصف المشابه للفعل المضارع إلى معموله))[١٤].

والغرض منها استفادة المضاف من المضاف إليه التعريف أو التخصيص ، وتكون هذه الإضافة على معنى حروف الجر (من وفي واللام) على خلاف اللفظية .

وذهب الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف إلى أنّها سمّيت معنوية ؛لأنّها تفيد أمراً معنوياً وهو تعريف المضاف أو تخصيصه وبالمحضة ؛لأنّها خاصة للإضافة فلا يمكن فصلها[١٥] .

٢-الإضافة اللفظية وتسمّى غير المحضة :

وفيها قال ابن عقيل: ((وضبطها المصنف بما إذا كان المضاف وصفا يشبه يفعل أي الفعل المضارع وهو كل اسم فاعل أو مفعول بمعنى الحال أو الاستقبال أو صفة مشبهة ولا تكون إلاّ بمعنى الحال فمثال اسم الفاعل هذا ضارب زيد الآن أو غدا وهذا راجينا ومثال اسم المفعول هذا مضروب الأب وهذا مروع القلب ومثال الصفة المشبهة هذا حسن الوجه وقليل الحيل وعظيم الأمل))[١٦]

والغرض منها: ((تخفيف اللفظ بحذف التنوين أو النون من المضاف، نحو قائل الحقّ شجاع، وكاتبا الخبر فصيحان، وفاعلو الخير كرماء ،وقد يكون الغرض من الإضافة اللفظيّة إلى جانب تخفيف اللفظ وتحسينه رفع القبح عنه؛ فإذا قلت:مررت بالرجل الحَسَنِ الوجه؛ برفع "الوجه" على أنّه فاعل للصفة المشبّهة، كان فيه قبح خلوّ الصفة من ضمير الموصوف لفظاً، وإذا نصبته تشبيهاً له بالمفعول به، كان فيه قبح إجراء وصف القاصر مجرى المتعدّي؛ وفي إضافة الصفة المشبّهة تخلّص من القبحين))[١٧]

المبحث الثاني: أغراض الإضافة ودلالاتها في القرآن الكريم:

أشار النحاة إلى شدة التلازم بين المضاف والمضاف إليه وهذا يتأتّى من الترابط والتلاصق الموجود بينهما كأنَّهما شيء واحد وهذا التلاصق بين ركني الإضافة يولّد تركيباً ذي دلالة جديدة تحمل في طياتها

قدراً من دلالة كل طرف منهما وخشية الإطالة سيقف البحث على ابرز ما ظهر من دلالات اكتسبها المضاف من المضاف إليه في القرآن الكريم وعلى النحو الآتي :

١-جواز حذف تاء التأنيث من آخر المضاف :

ومنه قوله تعالى :﴿وأوحينا إليهم فعلَ الخيرات وإقامَ الصلاةِ وإيتاءَ الزكاة ﴾ (الأنبياء/٧٣) وجاء في البحر المديد ((فعلَ الخيرات هي جميع الأعمال الصالحة ، أي : أمرناهم أن يفعلوا جميع الخيرات ، ليتم كمالهم بانضمام العمل الصالح إلى العلم ، وأصله : أن يفعلوا الخيرات ، ثم فعلَ الخيرات ، { وإقامَ الصلاةِ وإيتاءَ الزكاة } ، وهو من عطف الخاص على العام؛ دلالة على فضله وشرفه ، وأصله : وإقامة الصلاة ، فحذفت التاء المعوضة من إحدى الألفين؛ لقيام المضاف إليه مقامها))[١٨].

وهذا ما أكدّه ابن سيدة وأبو حيان الأندلسي وابن عادل ((... والإقام مصدر وفي هذا نظر يعني ... أن مصدر (أفعل) على (الإفعال) ، فإنْ كان صحيح العين جاء تاماً كالإكرام ، وإنْ كان معتلها حذف منه إحدى الألفين ، وعوض منه تاء التأنيث فيقال : إقامة ، إذا اعتلت عينه ، وحسن ذلك أنه قابل : (وَإِيتَاءَ الزَّكاة) وهو بغير تاء فتقع الموازنة بين قوله (وَإِقَامَ الصلاة وَإِيتَآءَ الزكاة). وقال الزجاج : حذف التاء من إقامة ، لأنَّ الإضافة عوض عنها . وهذا قول الفراء زعم أنَّ التاء تحذف للإضافة كالتنوين))[١٩]

٢-دلالة التأنيث والتذكير :

قال ابن عقيل :((يكتسب المضاف المذكر من المؤنث المضاف إليه التأنيث بشرط أن يكون المضاف صالحاً للحذف وإقامة المضاف إليه مقامه ويفهم منه ذلك المعنى نحو : قُطِعت بعض أصابعه فصح تأنيث بعض لإضافته إلى أصابع وهو مؤنث لصحة الاستغناء بأصابع عنه فتقول قطعت أصابعه ... وربما كان المضاف مؤنثاً فاكتسب التذكير من المذكر المضاف إليه بالشرط الذي تقدم))[٢٠]

ومنه قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾(الأنعام /١٦٠) فقد أنّث المذكَّرِ في قوله تعالى : { فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } ، فحذفت التاء من

عشر ، وهي مضافة إلى الأمْثَالِ، وهي مذكرة ، ولكن لما جاورت الأمثال ضمير المؤنَّثِ أجري عليها حكمه[٢١].

وذهب الطوسي والطاهر بن عاشور إلى أنّ الأمثال لمّا كانت في معنى الحسنات أنّث اسم عددها [٢٢].((فإن قال قائلٌ: زعمت أن التاء تدخُلُ في عدد المذكر من الثلاثة إلى العشرة ولا تدخل في عدد المؤنث من الثلاث إلى العشر فما تقول في قول الله عز وجل: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) لِمَ لَمْ يُدخِل الهاء في العشر؛ لأن الأمثال جمع مثل والمِثْلُ مذكر؟ فيقال له: العلة في هذا أن المثل أصله النعت، والعدد واقعٌ على النوع لا على النعت، فالتقدير : مَنْ جاء بالحسنة فله عشر حسناتٍ أمثالها، فلم تُدْخَل الهاء في عَشْر؛ لأن العشر واقعٌ على الحسنات وهي مؤنثةٌ، وكذلك تقول: عندي ثلاثةُ نساباتٍ، وخمسةُ علاماتٍ، فتُدْخِلَ الهاء؛ لأن المعنى: عندي ثلاثة رجالٍ نساباتٍ وخمسةُ رجالٍ علاماتٍ، فتُدْخِلَ الهاء في الثلاثة والخمسةِ؛ لأنهما واقعان على رجال، ونساباتٌ نعتٌ للرجال، وكذلك علاماتٌ))[٢٣].

ويجوز التأنيث أيضاً عندما يكون المضاف كلاً عاماً يشمل المضاف إليه وذلك في قوله تعالى:﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفّى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾ (النحل /١١١) وقوله تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ (غافر /١٧) فقد جاء التأنيث في هاتين الآيتين بلفظة (كلا) حين أضيفت الى المؤنث (نفس) اكتسب منه التأنيث.

وقد اكتسب المضاف التذكير وذلك في قوله تعالى :﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أعناقهم لَهَا خاضعين ﴾ (الشعراء/٤) أي : منقادين وهو خبر عن الأعناق وقد اكتسبت التذكير وصفة العقلاء من المضاف إليه فأخبر عنها لذلك بجمع من يعقل كما نقله أبو حيان عن بعض أجلة علماء العربية[٢٤].

وقال البغوي قيل:((خَاضِعِينَ ولم يقل خاضعة وهي صفة الأعناق، وفيه أقاويل: أحدها: أراد أصحاب الأعناق، فحذف الأصحاب وأقام الأعناق مقامهم، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، فجعل الفعل أولا للأعناق، ثم جعل خاضعين للرجال. وقال الأخفش: رد الخضوع على المضمر الذي أضاف

الأعناق إليه. وقال قوم: ذكر الصفة لمجاورتها المذكر، وهو قوله "هم" على عادة العرب في تذكير المؤنث إذا أضافوه إلى مذكر، وتأنيث المذكر إذا أضافوه إلى مؤنث))[٢٥] .

وجاء عن أبي بكر الانباري ((قال عز وجل: (فظلتْ أعناقهمْ لها خاضعين) فأنث (ظل) على لفظ الأعناقِ، وذكر (خاضعين) على معنى القوم. كأنه قال: فظلوا خاضعين؛لأن قولك: خضعتُ لك كقولك: خضعتْ رقبتي لك ... وقال الكسائي وهشامٌ: إنما قال (خاضعين) فذكر لأنهم للهاء والميم، والمعنى: خاضعيها، فأضمر بعد (خاضعين) (هم)، وقدمت الهاء والألف، ودخلت اللام عليها؛ لتكون عقيب الإضافة))[٢٦].

٣-دلالة التخصيص والتعريف:

التخصيص هو تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات نحو : رجلٌ قائمٌ ، فالمضاف إلى النكرة قد اكتسب شيء من التخصيص أفادها بعض التجديد الذي خفف من درجة إبهامها وشيوعها وإن لم تستفد التعريف الكامل ولم يبلغ في التعيين وجه المعرفة[٢٧] .أمّا التعريف فذكره سيبويه في كتابه بقوله:((وأمّا المضاف إلى المعرفة فنحو قولك: هذا أخوك ومررت بابيك وما أشبه ذلك وإنّما صار معرفة بالكاف التي أضيف إليها ؛ لأنّ الكاف يراد بها الشيء بعينه دون سائر أمته))[٢٨]. ومن ذلك قوله تعالى :﴿ ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير ﴾

(يوسف/٦٥) فالمضاف (كيل) اكتسب دلالة التخصيص ؛لأنّه أضيف إلى نكرة (بعير).

واكتسب المضاف (أصحاب) دلالة التعريف من طريق إضافته إلى معرفة (النار) في قوله تعالى:﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾(البقرة/٣٩) فركني الإضافة هنا (أصحاب النار) وهم أهل النار الذين يخلدون فيها يعني في نار جهنم دون غيرهم من أهل الإيمان، إلى غير غاية ولا نهاية أبدا[٢٩] .

٤-دلالة البناء :

يستفيد المضاف المعرب من المضاف إليه المبني البناء في مواضع عديدة نأخذ منها على سبيل المثال حالة المضاف إذا كان زمناً مبهماً ومعرباً في أصله والمضاف إليه مفرداً مبنياً مثل (إذ) وذلك في قوله تعالى :﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه﴾ (المعارج /١١) بنيت (يومئذ) لمّا أضيفت إلى غير معرب، وإن شئت خفضتها بالإضافة فقرأت (مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ) [٣٠]. و((فيه مسألتان :المسألة الأولى :المجرم هو الكافر، وقيل : يتناول كل مذنب .

المسألة الثانية : قرىء { يَوْمَئِذٍ } بالجر والفتح على البناء لسبب الإضافة إلى غير متمكن ، وقرىء أيضاً : { مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ } بتنوين { عَذَابِ } ونصب { يَوْمَئِذٍ } وانتصابه بعذاب لأنه في معنى تعذيب))[٣١].

وعليه يرى البحث جواز الجر مع الإعراب في كلمة (يوم) أو البناء على الفتح في محل جر .

وكقوله تعالى: ﴿ فورب السموات والأرض انه لحق مثل ما إنكم تنطقون﴾(الذاريات/ ٢٣) ، وقوله :﴿ لقد تقطع بينكم ﴾(الأنعام/٩٤) ،وقوله:﴿ كلوا من ثمره إذا أثمر واتوا حقه يوم حصاده﴾ (الأنعام /١٤١) .

٥–دلالة الظرفية :

يكتسب المضاف من المضاف إليه دلالة الظرفية بشرط أن يكون المضاف لفظة (كل) أو (بعض) أو ما يدلُّ على الكلية أو الجزئية وأن يكون المضاف إليه ظرفاً في أصله[٣٢]. ومثاله قوله تعالى:﴿ تؤتي أكلها كل حين ﴾ (ابراهيم/٢٥) ،أي : تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها[٣٣] .وذهب الطبرسي إلى أنّ ((الحين والمدة والزمان متقارب والحين في غير هذا الموضع ستة أشهر يدل عليه قوله تعالى (تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) والحين يصلح للأوقات كلها إلاّ أنّه في الاستعمال في الكثير منها أكثر))[٣٤] فقد اكتسب المضاف (كل) الظرفية من المضاف إليه (حين) بتوفر الشرط وهو مجيئه ظرف .

ومثالها الآخر قوله تعالى:﴿كلّما نضجت جلودهم بدلناها جلوداً﴾(النساء /٦٥) فقد اكتسب المضاف (كل) الظرفية من المضاف إليه (ما) المصدرية الظرفية وذهب ابن عادل إلى أنّ (((كُلَّمَا) :ظَرْفُ زَمَانٍ ، والعَامِلُ فيها (بَدَّلْنَاهُمْ)، والجملةُ في مَحَلِّ نصبٍ على الحَالِ ، مِنَ الضميرِ المنْصُوبِ في (نُصْلِيهِمْ) ،

ويجوزُ أنْ يكونَ صِفَةً لـ(ناراً) والعائِدُ محذوفٌ، ولَيْسَ بالقَوِيِّ ، و(ليذوقوا) مُتعلِّقٌ بـ(بدلناهم)))[٣٥] فهو((مشهد لا يكاد ينتهي، مشهد شاخص متكرر ،يشخص له الخيال، ولا ينصرف عنه إنه الهول ، وللهول جاذبية آسرة قاهرة والسياق يرسم ذلك المشهد ويكرره بلفظ واحد (كلما) ويرسمه كذلك عنيفاً مفزعاً بشطر جملة(كلما نضجت جلودهم) ويرسمه عجيباً خارقاً للمألوف بتكملة الجملة (بدلناهم جلوداً غيرها) ويجمل الهول الرهيب المفزع العنيف كله في جملة شرطية واحدة لا تزيد ذلك جزاء الكفر))[٣٦].

٦-دلالة المصدرية :

يكتسب المضاف الذي ليس مصدراً المصدرية من المضاف إليه وذلك في قوله تعالى:﴿وَسَيَعْلَمُ الذين ظَلَمُواْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء/٢٢٧) ،فكلمة (أي) نائبة عن المصدر قد اكتسبت المصدرية من المضاف إليه وتعرب مفعولاً مطلقاً ((وهذه الآية تحذير عن غمص الحقوق وحثّ عن استقصاء الجهد في النصح للأمة وهي ناطقة بأهيب موعظة وأهول وعيد لمن تدبرها لما اشتملت عليه من حرف التنفيس المؤذن بالاقتراب ، ومن اسم الموصول المؤذن بأن سوء المنقلب يترقب الظالمين لأجل ظلمهم ، ومن الإبهام في قوله: (أي منقلب ينقلبون) إذ ترك تبيينه بعقاب معيّن لتذهل نفوس المُوعَدِين في كل مذهب ممكن من هول المنقلب وهو على الإجمال منقلَب سوء .والمنقلب : مصدر ميمي من الانقلاب وهو المصير والمآلُ، لأن الانقلاب هو الرجوع . وفعل العلم معلق عن العمل بوجود اسم الاستفهام بعده . واسم الاستفهام في موضع نصب بالنيابة عن المفعول المطلق الذي أضيف هو إليه))[٣٧]

٧-دلالة الاتساع والتجوّز في الكلام:

يحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه من باب الاتساع والتجوز تبعاً للمعنى وذلك في قوله تعالى:﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ (البقرة /٩٣) ففي الآية الكريمة مضاف محذوف وهو لفظ (حب) لدلالة المعنى عليه .والمعنى : إن هؤلاء اليهود الذين مردوا على العصيان قد خالط حب العجل نفوسهم حتى استقر في قلوبهم كما يخالط الماء أعماق الجسد. وحذف لفظ الحب من الجملة الكريمة ، يشعر بشدة تعلق قلوبهم بالعجل حتى كأنهم أشربوا ذاته[٣٨].

وقال أبو السعود في الآية ((حذف المضافِ وإقامةِ المضافِ إليه مُقامُه للمبالغة أي تَداخَلَهم حبُّه ورسَخَ في قلوبهم صورتُه لفَرْط شغَفِهم به وحِرصِهم على عبادته كما يَتداخل الصبغ الثوبَ والشرابُ أعماقَ البدن))[٣٩].

في حين كان لبعض المفسرين رأي آخر إذ ذهبوا إلى أنّ ((التقدير حب العجل ، والمعنى جعلت قلوبهم تشربه، وهذا تشبيه ومجاز، عبارة عن تمكن أمر العجل في قلوبهم))[٤٠].

وكقوله تعالى: ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها﴾ (يوسف /٨٢) حذف المضاف هنا توسُّعاً وتجوُّزاً [٤١].وهناك من ذهب الى ان حذف المضاف من باب المجاز بقوله: ((أي: أهلها على حذف المضاف، وهو مجاز مشهور، وقيل: إنه مجاز لكنه من باب إطلاق المحل وإرادة الحال))[٤٢].

وهذا ما أكّده الطاهر بن عاشور ايضا بقوله: ((وهذا من مجاز الحذف كقوله تعالى : (واسألْ القرية) (يوسف : ٨٢) ، وقد دلّ عليه قوله (ومن حولها) ، أي القبائل القاطنة حول مكّة مثل خُزاعة ، وسعد بن بَكْر ، وهوازن ، وثقيف ، وكنانة .ووجه الاقتصار على أهل مكّة ومن حولها في هذه الآية أنّهم الّذين جرى الكلام والجدال معهم من قوله : (وكذّب به قومك وهو الحقّ) (الأنعام : ٦٦) ، إذ السّورة مكّية وليس في التّعليل ما يقتضي حصر الإنذار بالقرآن فيهم حتّى نتكلّف الادّعاء أنّ { من حولها } مراد به جميع أهل الأرض))[٤٣].

في حين ذكر الطوسي انه اكتفي بذكر القرية عن ذكر أهلها لدلالة الحال عليه[٤٤] .

الخاتمة:

من أبرز النتائج التي توصل إليها البحث الآتي :

١-من الآثار المعنوية التي تترتب على الإضافة المحضة كثير من المعاني التي اكتسبها المضاف من المضاف إليه ومنها التعريف والتخصيص ،والظرفية ،والمصدرية ، والاتساع والتجوّز في الكلام ، والبناء والتأنيث والتذكير وجواز حذف تاء التأنيث من آخر المضاف لذلك سمّيت بالإضافة المعنوية لأنّ لها آثار واضحة بتنوعها الدلالي.

٢- تبيّن للبحث أنّ دلالة الظرفية مختصة بالكلمتين (كل ، وبعض) لا غير من طريق إضافتهما إلى الظرف .

٣-وجد البحث أن القران الكريم يوسّع في المعنى ويوجز في الألفاظ وهذا ما لمسناه من طريق دراسة الاتساع الدلالي للإضافة في القرآن الكريم.

٤-إنّ اللغة العربية وخاصة موضوع الإضافة – موضوع بحثنا – يزخر بالموضوعات والمعاني الدلالية الكثيرة التي لم يذكرها البحث جميعها خشية الإطالة وتركها للدراسات التي تلي هذه الدراسة

٥-رأى البحث أن المفردة في القرآن الكريم ذات خزين دلالي كبير لمسه من طريق معانيها المتعددة وتمكنها في موقعها الذي هي فيه، وهذا هو الذي يكسبها ثراءً دلالياً كبيراً متمثلاً بالاتساع الدلالي لها

٦-تُعدُّ الإضافة إحدى المعاني النحوية المهمة والقسيم الثالث للفاعلية والمفعولية في النحو العربي.

٧-إنّ الإضافة بما فيها من علاقات ترابطية متمثلة بركنيها المضاف والمضاف إليه لها دور كبير في تماسك المفردات وانسجامها فيما بينها .

٨-عرض البحث ابرز الأحكام التركيبية والدلالية التي لا تقوم الإضافة إلاّ عليها وهي : أن يجرّد المضاف من قرائن الانفصال ، وأن يكتسب المضاف من المضاف إليه جملة من أحكامه ، وأن تشتمل الإضافة على حرف جر اصلي.

٩-تحتل الإضافة مركزاً مهماً إلى جانب الترادف والمشترك اللفظي والتضاد في التوليد الدلالي للأبنية والتراكيب النحوية واللغوية.

الهوامش:

---

١ العين : الفراهيدي (وسع)٢/٢٠٣

٢ مقاييس اللغة :ابن فارس ٢/٣٨٧

٣ لسان العرب : ابن منظور (وسع) ٨/٣٩٢

٤ الأسلوبية والأسلوب نحو بديل السني في نقد الأدب /٦٢

٥ ينظر : اتساع الدلالة في الخطاب القرآني /٧٦
٦ تحرير التحبير /٤٥٤
٧ ينظر :اتساع الدلالة في الخطاب القرآني /٧٧
٨ شرح ابن عقيل ٩٨/٣
٩ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري ٣ / ٨١
١٠ جامع الدروس العربية /٢٨٧
١١ ينظر : في النحو العربي /١٧٢
١٢ ينظر: شرح الكافية الشافية :ابن مالك ٤٠٤/١ ، دراسة الإضافة في القران الكريم دراسة تركيبية دلالية : حامد علي منيفي / ١٤
١٣ ينظر:أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ٨٣/٣، الإضافة في شعر عنترة العبسي دراسة نحوية دلالية إحصائية :عاهد حسين عبد الله/٣٣
١٤ شرح ابن عقيل ٤٥/٣
١٥ ينظر: النحو الاساسي/٣٧٦
١٦ شرح ابن عقيل ٤٥/٣
١٧ الإضافة ومعانيها في القران الكريم من خلال تفسير الكشاف : محمد عمر علي /٦
١٨ البحر المديد ٩٥/٤
١٩ اعراب القران لابن سيدة٣٤٠/٦،البحر المحيط ١٩٨/٨،تفسير اللباب لابن عادل ٢٧٦/١١
٢٠ شرح ابن عقيل ٤٦/٣
٢١ ينظر:تفسير اللباب / ١/٦
٢٢ ينظر:التبيان في تفسير القرآن ٩٧/٤،التحرير والتنوير ٣٩٨/٤
٢٣ المذكر والمؤنث٢٢٢/٢ ، وينظر: معاني القرآن : الاخفش /٣٢/٢
٢٤ ينظر :تفسير الآلوسي ١٣١/١٤
٢٥ تفسير البغوي١٠٦/٦
٢٦ المذكر والمؤنث١٨٣/٢

٢٧ ينظر : شرح الرضي على الكافية ٢٨٧/٢ ، النحو الوافي ٢٤/٣، ظاهرة الاكتساب من الاضافة في العربية وتطبيقاتها في القران الكريم :٢٢

٢٨ الكتاب ٣٢٣/٢

٢٩ ينظر : تفسير الطبري ٤٣٦/٥

٣٠ ينظر: إعراب القرآن :النحاس ٢٢/٥

٣١ تفسير الرازي ٢٦/١٦

٣٢ ينظر: النحو الوافي ٦١/٣ ، موسوعة النحو والصرف والإعراب /١٠٢

٣٣ ينظر: الكشاف ١٨٧/٣،التبيان في تفسير القرآن٢٨٧/٦

٣٤ مجمع البيان١٦٠/١

٣٥ اللباب ٢٣٩/٥

٣٦ في ظلال القرآن ١٥٥/٢

٣٧ التحرير والتنوير ٢٤٠/١٠ ، وينظر : تفسير الالوسي٤٠١/١٤ ، إرشاد العقل السليم ١٤٨/٥

٣٨ ينظر: الوسيط :سيد طنطاوي/١٥٢

٣٩ إرشاد العقل السليم ١٦٦/١

٤٠ المحرر الوجيز ١١٩/١ ،تفسير الرازي٥٠/٣

٤١ ينظر: اللباب ٣٩/١

٤٢ السراج المنير /١٧٦٨ ،وينظر: فتح القدير ٢٤٣/٣

٤٣ التحرير والتنوير ٣٢/٥

٤٤ ينظر:التبيان في تفسير القرآن٢١٦/٤

المصادر والمراجع:

–القرآن الكريم.

– اتساع الدلالة في الخطاب القرآني.محمد نور الدين المنجد ،دار الفكر ، دمشق/٢٠١٠

– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ،مكتبة الحلبي ، مصر/١٩٨٨م

- الإضافة في شعر عنترة العبسي دراسة نحوية دلالية :عاهد حسين عبد الله، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين /٢٠٠٧.
- الإضافة ومعانيها في القرآن الكريم من خلال تفسير الكشاف : محمد عمر علي،جامعة طرابلس ، كلية الآداب.
-اعراب القرآن : أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ) ،مكتبة الرسالة ، مصر/١٩٧٠
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام ،تحق محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة البابي الحلبي .
- البحر المحيط: أثير الدين أبو حيان الأندلسي ،تحق ماهر حبوش ، الرسالة العالمية
-البحر المديد : ابن عجيبة ، مطبعة المنيرية ، النهضة ، مصر / ١٩٨٠
-التبيان في تفسير القرآن :أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي تحقيق وتصحيح أحمد حبيب ،قصير العاملي د.ت.
-التحرير والتنوير :ابن عاشور ، مكتبة الرسالة ، مصر / ١٩٧٨ .
-تفسير اللباب: ابن عادل، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٠م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الألوسي ، ،القاهرة،دار القاهرة/٢٠٠٢
-السراج المنير: محمد الشربيني الخطيب ، دار المكتبي- دمشق- ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك: ابن عقيل الهمداني،المطبعة الأدبية ،بيروت
- شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب: الرضي الإستراباذي ،تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، ط٢ ،منشورات جامعة قابوس بنغازي / ١٩٩٨
-الكشاف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ،دار صفاء للنشر والتوزيع /١٩٧٧م
-المحرر الوجيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن ابن تمام بن عطية المحاربي، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١م
-مجمع البيان: أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي، دار الحامد للنشر والطباعة ، عمان /٢٠٠١ م
-مقاييس اللغة : احمد بن فارس ، تحق عبد السلام هارون ،ط٢،مطبعة البابي الحلبي
-موسوعة النحو والصرف والإعراب:د.اميل بديع يعقوب ،دار العلم للملايين ،بيروت /٢٠١٧
-النحو الوافي :عباس حسن ،ط٢، دار المعارف /١٩٦٨م.

تأثير قابليات المسح البيئي في القرارات الاستراتيجية
دراسة لآراء القيادات العليا في جامعة الكوفة

أ.م.د. مهند حميد العطوي
الباحث عدنان رحيم حمود
كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

المقدمة:

إن تسارع الأحداث العالمية خلال الألفية الثالثة وما شهده العالم من تطورات ديناميكية وتحولات كبيرة في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية، جعل المنظمات بصورة عامة والجامعات بصورة خاصة بحاجة إلى إحداث التكيف اللازم مع تلك التغيرات. وقد أدت هذه التحولات إلى ظهور بيئة يسودها الاضطرابات والتداخل على كافة الصعد في ظل ظهور العولمة وما أفرزته من تغيرات كبرى نتج عنها ظهور تحديات وقفت حائلاً أمام تطوير الجامعات (منهل والعبادي، ٢٠١٥: ١٧). فضلاً عن زيادة المنافسة بين الجامعات العالمية وظهور عدة معايير وبرامج القت بظلالها على تطور الإدارة الاستراتيجية، نظرا لصعوبة التنبؤات بالبيئة الخارجية وعدم امكانية استخدام المعلومات بالبيئة الداخلية بفاعلية (prokesch et al.,2015:1)، الأمر الذي دفع صناع القرار الاستراتيجي للتفكير بالمستقبل والاهتمام بدراسته من أجل الحصول على قرارات استراتيجية وممارسات ادارية تزيد من أداء المنظمة على الأمد البعيد (Marinova et al.,2013:2).

ومن أجل الإجابة على تساؤلات الدراسة والتحقق من أهدافها جرى تقسيمها على أربعة مباحث اختص المبحث الأول بمنهجية الدراسة، أما المبحث الثاني فتضمن الأطر الفكرية والمفاهيمية لمتغيري الدراسة، في حين اختص المبحث الثالث بالجانب التطبيقي من خلال الكشف عن علاقات التأثير بين متغيريها، وجاء المبحث الرابع متضمناً أهم ما توصل إليه البحث من استنتاجات وتوصيات.

المبحث الاول: منهجية البحث:

أولاً: مشكلة وتساؤلات البحث:

تواجه الجامعات كافة سواء كانت قطاع عام أو خاص تحديات بيئية يتزايد فيها حجم المخاطرة وعدم التأكد بسرعة كبيرة تنذر بالخطر وفي جميع الجوانب البشرية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، البيئية، التكنلوجية، والسياسية. مما حتم على القيادة الادارية والموارد البشرية في الجامعات التعامل مع الواقع الجديد المتمثل بعدم التأكد وسرعة التغيرات وشدة المنافسة بين الجامعات لغرض الحصول على مراكز متقدمة في التصنيفات العالمية (Kim,٢٠١٢:٤٨). الأمر الذي تطلب اتخاذ قرارات مهمة تغير من السياسات والقرارات السابقة التي لا تتلاءم مع الوضع الجديد والعمل على وضع استراتيجيات بعيدة الأمد تعمل على اتخاذ قرارات تمتاز بالدقة والموضوعية وذات طابع مستقبلي وأهداف محددة ومناسبة، وإنّ هذه القرارات لابد ان تكون مستقبلية ولا يمكن أن تكون كذلك من دون التفكير في المستقبل وما ستكون عليه التهديدات والفرص، لذا يمكن استخدام مفهوم قابليات المسح البيئي كأداة مهمة لا غنى عنها في اتخاذ القرارات الاستراتيجية والكشف عن المخاطر الرئيسة التي تواجه الجامعات ومعالجة التحديات واستثمار الفرص المتاحة بشكل دقيق (Godet et al., 2008:٥١) . وعليه يمكن تلخيص ما تقدم في التساؤل الآتي: ما مدى تأثير قابليات المسح البيئي في القرارات الاستراتيجية على وفق إجابات القيادات الإدارية في جامعة الكوفة؟، ولأجل الإجابة على هذا التساؤل بشكل دقيق تم طرح تساؤلات فرعية أبرزها:

١. ما مستوى استثمار قابليات المسح البيئي في جامعة الكوفة؟
٢. ما مستوى الاهتمام بالقرارات الإستراتيجية بأبعادها في جامعة الكوفة؟
٣. ما طبيعة العلاقة بين قابليات المسح البيئي والقرارات الإستراتيجية في جامعة الكوفة؟
٤. ما مدى تأثير قابليات المسح البيئي في القرارات الإستراتيجية؟

ثانياً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث الحالي في الحاجة لتطوير الخدمات الجامعية، كون الجامعات تعتبر من أهم الركائز الحيوية في أي بلد ويكون لها دور محوري في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. إذ تكتسب الدراسة الحالية أهميتها من خلال:

١. تعزيز الأداء المستقبلي للجامعة بشكل علمي دقيق.
٢. تحقيق الجامعة لمستويات متقدمة في التصنيفات العالمية مستندة على الجودة في قراراتها من خلال قابليات المسح البيئي.
٣. وضع نموذج علمي واقعي يمكن تطبيقه في الجامعة.
٤. جعل القرارات المستقبلية للجامعة قائمة على قابليات المسح البيئي.

ثالثاً: أهداف البحث:

يسعى البحث الحالي إلى تحقيق مجموعة من الأهداف في مقدمتها:

١. التعرف على مستوى قابليات المسح البيئي في جامعة الكوفة.
٢. الوقوف على أهم أبعاد القرارات الإستراتيجية المعتمدة في جامعة الكوفة.
٣. معرفة طبيعة العلاقة بين قابليات المسح البيئي والقرارات الإستراتيجية في جامعة الكوفة.
٤. اختبار وتحليل تأثير قابليات المسح البيئي في القرارات الإستراتيجية في جامعة الكوفة.

رابعاً: المخطط الفرضي للبحث:

يشتمل المخطط الفرضي للبحث الموضح في الشكل (١) على إتجاه العلاقة بين المتغير المستقل ممثلاً بقابليات المسح البيئي وفقاً لأنموذج (Amniattalab & Ansari .,2016) وبين المتغير التابع ممثلاً بالقرارات الإستراتيجية بأبعاده (الإدراك، العقلانية الاجرائية، العدالة الاجرائية، الإلتزام بالقرار) وفقاً لأنموذج (Park et al.,2017).

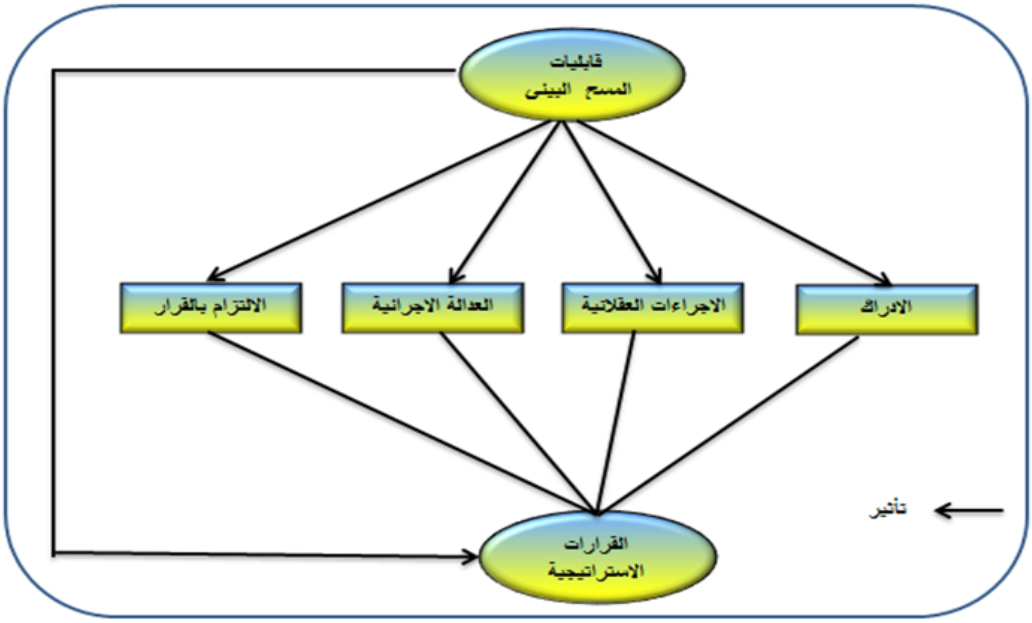

الشكل (١) المخطط الفرضي للبحث

المصدر: إعداد الباحث

خامساً: فرضيات البحث:

بعد تحديد مشكلة البحث المراد دراستها، افترض الباحثان وجود علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية طردية لقابليات المسح البيئي في القرارات الإستراتيجية على المستوى الكلي، وينبثق منها أربعة فرضيات فرعية هي:

١. الفرضية الفرعية الأولى: توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية طردية لقابليات المسح البيئي في بعد الإدراك.

٢. الفرضية الفرعية الثانية: توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية طردية لقابليات المسح البيئي في بعد الإجراءات العقلانية.

٣. الفرضية الفرعية الثالثة: توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية طردية لقابليات المسح البيئي في بعد العدالة الإجرائية.

٤. الفرضية الفرعية الرابعة: توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية طردية لقابليات المسح البيئي في بعد الالتزام بالقرار.

المبحث الثاني: الجانب النظري للبحث: المتغير المستقل: قابليات المسح البيئي:

اولاً: مفهوم قابليات المسح البيئي:

من أجل صياغة استراتيجية منظمة ما، يجب أن يسبقها مسحٌ خارجي لبيئتها لرصد الفرص وتحديد التهديدات المحتملة، ومسح داخلي لتحديد نقاط قوتها وضعفها. إذ تنطوي عملية المسح البيئي على مراقبة والتنبؤ بالمعلومات في البيئات الخارجية والداخلية وتقييمها، فقد ادت التغيرات في بيئة العمل إلى تزايد الاهتمام بالمسح البيئي، بشكل يحتم على المنظمات القيام به لتجنب التحديات الإستراتيجية. فقد شهدت البيئة المحيطة بالمنظمات الاقتصادية والسياسية والتعليمية تغيرات متسارعة منذ بداية القرن الحادي والعشرين في ظل التطورات التي شهدها العالم وفي مختلف المجالات التكنولوجية والقفزات الكبيرة على الصعيد التعليمي، مما حتم على منظمات الأعمال الاهتمام الكبير في البيئة المحيطة لتلك المنظمات على المستويين الداخلي والخارجي.

إن عملية بناء الخطط الاستراتيجية ليست نابعة من الفراغ، وإنما تتطلب إجراء مسح بيئي منتظم للبيئة الخارجية للمنظمة بهدف الوصول إلى قرارات استراتيجية فاعلة (Haines,2000:79). وعليه أصبح الاهتمام المتزايد بدراسة البيئة لأهميتها في تحقيق النجاح الاستراتيجي من خلال استثمار نقاط القوة أو الفرص في البيئتين الداخلية والخارجية وقد تم تناولها من قبل الباحثين بمفاهيم مختلفة.

إذ عرف (Vudzijena,2017:9) المسح البيئي بأنه عملية مراقبة وتقييم البيئة المحيطة بالمنظمة وما تتضمنه من معلومات عن الفرص والتهديدات، وكذلك مراقبة بيئتها الداخلية لمعرفة نقاط القوة والضعف بقصد جمع المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات المستقبلية. فالمسح البيئي يهتم بعملية الرصد والتقييم

المستمرين من أجل تحليل التغيرات البيئية المتوقعة التي من المحتمل أن تحدث في المستقبل، إذ إنّ المسح البيئي عملية منهجية تبدأ من فحص الاحتياجات وتنتهي بتقييم واستخدام المعلومات البيئية.

وعرف (Bhardwaj & Kumar.,2014:40; Borges & Janissek.,2018:55) المسح البيئي بأنه جمع المعلومات المتعلقة بالبيئة الخارجية للمنظمة واستخدامها في تحديد مسار العمل المستقبلي للمنظمة.

فيما عرف كلاً من (Babatunde & Adebisi.,٢٠١٢:٢٥-٢٦) قابليات المسح البيئي بأنها القدرة على تجميع وتحليل المعلومات وتوزيعها لأغراض تكتيكية أو استراتيجية. فقابليات المسح البيئي تحتاج إلى الحصول على معلومات واقعية وموضوعية عن بيئات العمل التي تعمل فيها المنظمة.

وهناك ثلاثة انواع لعمليات المسح البيئي تستخدم في المنظمات وهي:

١. المسح المؤقت: اختبارات قصيرة المدى وغير متكررة عادةً ما تبدأ بأزمة، إذ تقوم المنظمات بمسح بيئتها المحيطة لمعرفة ما إذا كانت المشكلة داخلية أم خارجية.

٢. المسح المنتظم: الدراسات التي يتم إجراؤها وفق جدول منتظم (على سبيل المثال مرة واحدة في السنة).

٣. المسح المستمر (التعلم المستمر): جمع البيانات والمعلومات عن المنظمة بشكل مستمر ومعالجتها على نطاق واسع في بيئية الأعمال.

ومن جانبه، يوضح (Elci,2009: 66) نموذج قابليات المسح البيئي الظاهر في الشكل (٢) وكيفية تحديد الفرص المحيطة بالبيئة عن طريق الابتكار المفتوح، إذ تقوم المنظمة على بناء قدرتها الاستيعابية عن طريق التعلم التنظيمي وزيادة القابليات لدى العاملين، والتي تعزز بدورها من قيمة الابتكارات اللازمة لاجتياز القيود المفروضة على المنظمة وبناء شبكة علاقات فاعلة تزيد من فاعلية الأسواق بشكل يؤدي إلى زيادة قابليات المسح البيئي.

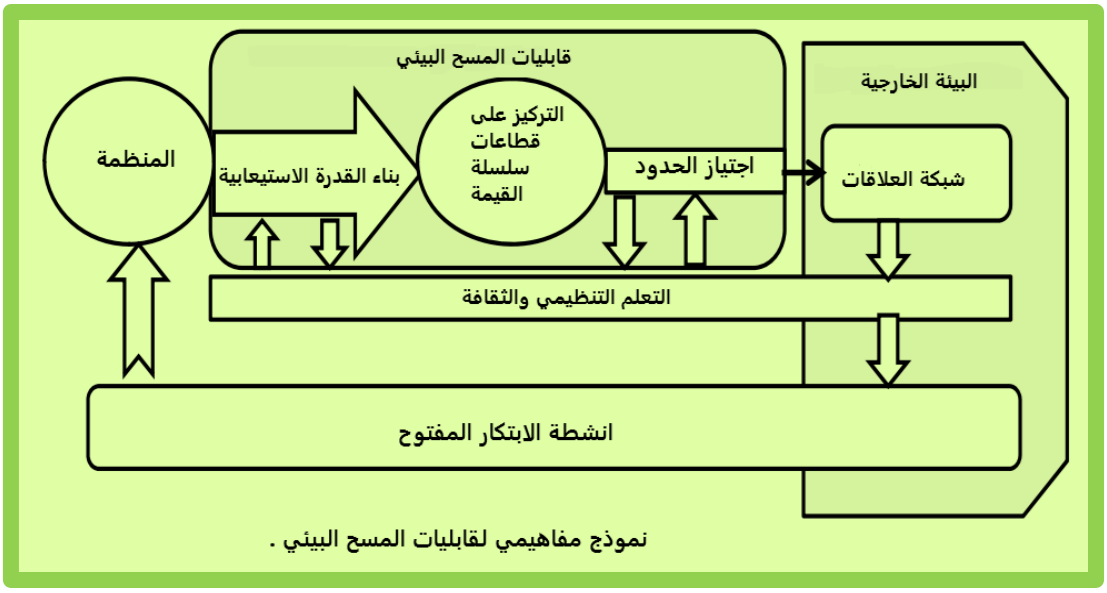

الشكل (٢) قابليات المسح البيئي

Source: Elci, N. (2009). An exploration of open innovation: An environmental scanning perspective. University of Maryland University College.

ثانياً: أهمية المسح البيئي:

تنطوي عملية المسح البيئي على التعامل مع التغيرات المختلفة في البيئتين الخارجية والداخلية للمنظمة، فإنّ معظم المنظمات اليوم تقوم بتطوير أنواع مختلفة من الاستراتيجيات لتدعم بيئة أعمالها، الأمر الذي يتحقق من خلال دراسة وتحليل البيئة الخارجية (الفرص والتهديدات). ويمكن تحديد أهمية المسح البيئي كما يأتي (Babatunde & Adebisi.,2012:29):

١. تعد عملية المسح البيئي ضرورية كونها تواكب التغيرات في بيئة الأعمال الديناميكية.
٢. يكشف المسح البيئي عن العوامل التي تشكل تهديدات للأهداف العامة للمنظمة.

٣. يمكن رصد أنشطة المنافسين ووضع الاستراتيجيات المناسبة لتحقيق التوغل داخل السوق.

٤. ينتج عن المسح البيئي مدخلات ضرورية لصياغة وتنفيذ استراتيجيات تسويق فاعلة.

وتتكون عملية المسح البيئي من الخطوات الآتية (Bhardwaj & Kumar.,٢٠١٤:٤٢):

١. مسح البيئة بالنسبة للمؤشرات والاتجاهات والأحداث الاستراتيجية.

٢. تحليل المعلومات لتحديد مدى الصلة والتأثير في فهم العلاقات المتبادلة بين الاتجاهات.

٣. ربط الاتجاهات بالقضايا وإعادة تجميع المعلومات من خلال وضع توقعات لما قد يحدث في المستقبل.

٤. إرسال المعلومات إلى الإدارة العليا لتتمكن من تقييم الآثار المترتبة على الاتجاهات واتخاذ القرارات اللازمة. إذ يمكّن المسح البيئي الرسمي إدارة المنظمة من تحديد تهديدات البيئة في الوقت المناسب وعند الضرورة لتحويلها إلى فرص، ويحدد المسح البيئي القضايا الناشئة والعقبات المحتملة التي قد تؤثر على الميزة التنافسية للمنظمة.

ويرى (زعلان، ٢٠١٧: ١٨٦) أنّ المسح البيئي هو الطريق الوحيد لتحديد التهديدات والفرص بشكل فعال، والذي يستخدم من قبل المنظمات لأجل التغلب على حالة عدم التأكد، وتتخذه الإدارة كنظام إنذار مبكر لمواجهة تلك التهديدات وتحقيق أقصى استفادة من الفرص وتحويل تلك التهديدات وآثارها السلبية إلى إيجابيات.

وقد حدد (Haines,2016:93-94) خمس خطوات لنظام المسح البيئي الاستراتيجي وهي:

١. تحديد احتياجات التخطيط الاستراتيجي للمعلومات التي يحتاجها من خلال المسح البيئي للمنظمة (التحديثات السنوية).

٢. إنشاء قائمة بمصادر المعلومات التي توفر مدخلات أساسية (مثل العروض التجارية والمنشورات والاجتماعات التقنية والزبائن والإنترنت).

٣. تحديد العاملين الذين سيشاركون في عملية المسح البيئي.

٤. تعيين أعضاء في المنظمات للقيام بمهام عمليات المسح البيئي.

٥. جمع البيانات على أساس منتظم.

نستخلص مما سبق أن مسح البيئة الخارجية للمنظمات يمنع المفاجآت ويساعد على ضمان بقاء المنظمة على الأمد البعيد ويجب مراقبة البيئات والعوامل الاستراتيجية التي يحتمل أن يكون لها تأثير قوي على نجاح أو فشل المنظمات.

ثالثاً: العوامل المؤثرة على البيئة الخارجية

يرى (Murgor,2014:1-3) أنّ للبيئة الخارجية تأثير كبير على أداء المنظمات، لأنّها توفر كل من التأثيرات الميسرة والمحبطة على أدائها، وكيفية تعريف المنظمة لها وكيفية تعبيرها عمّا هو جيد ومناسب لتحقيقه. إن أفضل طريقة تناسب المنظمة في البيئة الخارجية هو أداؤها لأنّ المنظمات تعتمد على البيئة وتخدمها باستخدام الاستجابات الاستراتيجية ومع ذلك فإن ردود الفعل تختلف من منظمة إلى أخرى مما يؤدي إلى اختلافات في الأداء. لقد تم تعريف البيئة الخارجية من قبل العديد من الباحثين على أنها مجموعة من العوامل الخارجية التي تؤثر على أداء المنظمات كونها مصدرا للتهديدات والفرص التي تؤثر على تعامل المنظمات مع بيئتها المحيطة.

وفي هذا الصدد، حدد (Bhardwaj& Kumar.,2014:44) في دراستهما عوامل البيئة الخارجية كما هو موضح في الشكل (٣).

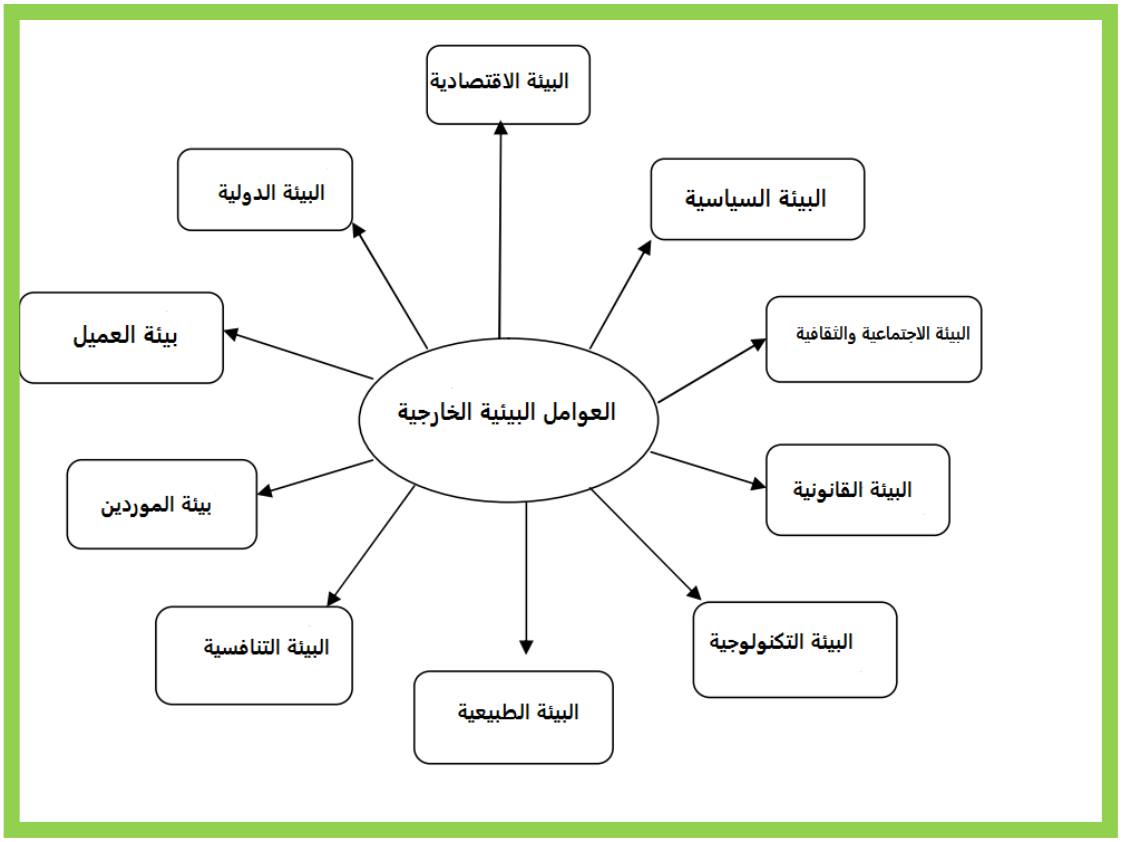

الشكل (٣) أهم العوامل المؤثرة على البيئة الخارجية

Source: Bhardwaj, S. S., & Kumar, D. (2014). Environmental scanning of FMCG companies in India: a comparative study. International Journal of Management and International Business Studies, 4(1).

ويرى (Conway,2009:12) أن القيام بتحديد استراتيجية مستقبلية لأية منظمة يتطلب من الإدارة التوجه إلى دراسة المؤثرات على قرارات المستقبل على المدى البعيد، لأنّه أصبح وضعاً ملحا على الإدارة لأجل تغيير الخطط القصيرة، مما يتطلب القيام بدراسة البيئة الخارجية للمنظمة التي سيكون لها تأثير

كبير على بقاء المنظمة أو فشلها. إن تطلع المنظمة للوصول إلى البيئة العالمية يحتم على الإدارة العليا توفير معلومات عن عوامل البيئة الخارجية قبل اتخاذها قرارات التحول. ويمكن توضيح تلك العوامل كما يأتي:

١. الصناعة (التعليم) وبيئة التشغيل الخاصة.
٢. تطوير الخدمات التي تحتاجها المنظمة.
٣. التغيرات في توقعات الزبائن.
٤. القضايا المحتملة التي تؤثر على قوة العمل والموظفين.
٥. التكنولوجيات الناشئة.
٦. التحولات بالأعمال الناشئة.

ويبين الشكل (٤) نطاق المسح البيئي لمؤسسة تعليمية، موضحاً أنواع الاتجاهات التي قد تكون ذات صلة.

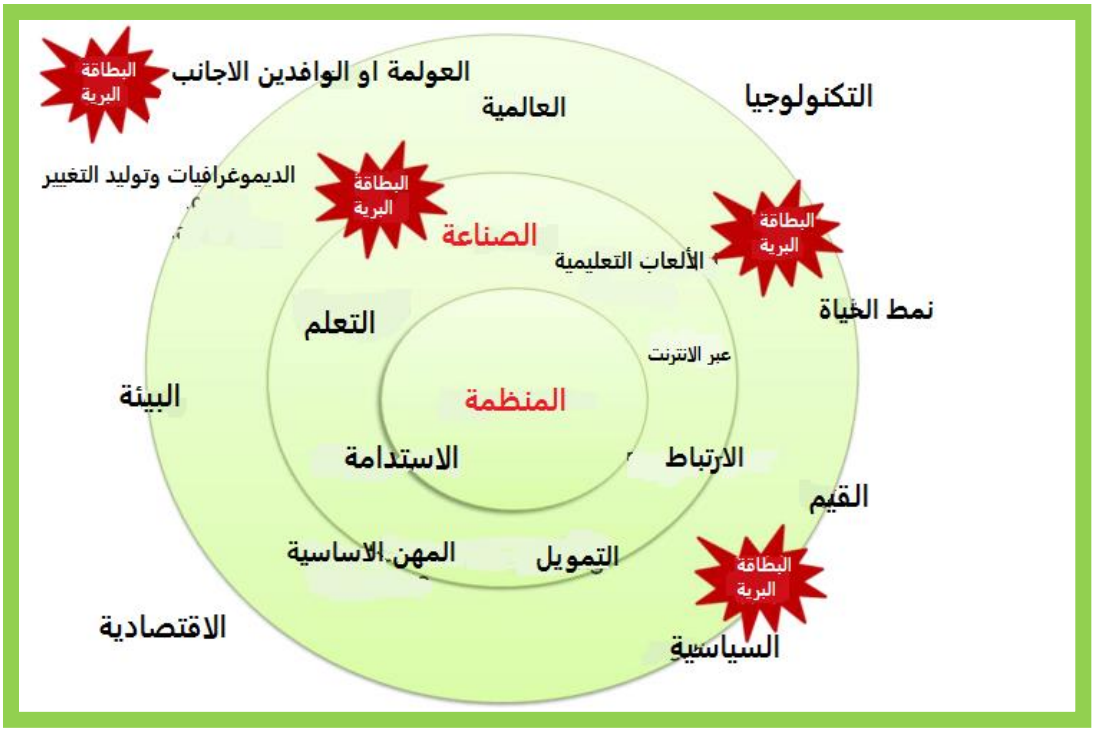

الشكل (٤) نطاق المسح البيئي في مؤسسة تعليمية

Source: Conway, M. (2009). Environmental scanning what it is and how to do it…: A step by step guide to setting up and running an environmental scanning process in your organization. Thinking Futures.

ومن جانب آخر، تتكون البيئات الداخلية للمنظمات من كمية ونوعية الموارد المادية والبشرية، بما في ذلك الموارد المالية والمواهب الإدارية والخبرات في التسويق والإنتاج والبحث والتطوير، وما إلى ذلك (Alkhafaji & Nelson.,٢٠٠٣:٣٦).

المتغير التابع: القرارات الاستراتيجية:

أولاً: مفهوم القرارات الاستراتيجية:

تزايد الاهتمام بالقرارات الإستراتيجية نتيجة لعدم التأكد البيئي وضبابية الرؤية الإستراتيجية، مما حتم على المنظمات الاهتمام بصياغة قراراتها وتجنب اتخاذ القرارات غير المدروسة التي تكبدها خسائر كبيرة، لذا اصبح إعداد القرار الاستراتيجي يحظى بعناية كبيرة من قبل القيادات الإدارية باعتباره المرحلة الأخيرة من عملية الصياغة الإستراتيجية. إن اتخاذ قرارات ذات جودة عالية تعتبر من الأهداف الأساسية للإدارة العليا في كل منظمة والتي تحقق انعكاسات ايجابية على فاعلية وبقاء المنظمات في بيئات الأعمال، ويعد عدم الاتفاق والجدل بين أعضاء المنظمة من الأمور التي تحد من قدرات صانع القرار في اتخاذ قرارات ذات جودة عالية. إذ أن توفر المعلومات لمتخذ القرار في الوقت المناسب يسهم في جودة تلك القرارات (Gruning &Kuhn.,2018:69). ويعرض الجدول (١) بعض تعريفات جودة القرارات الإستراتيجية وفقاً لآراء مجموعة من الباحثين.

الجدول (١) مفهوم القرارات الإستراتيجية وفقاً لآراء بعض الباحثين

ت	اسم الباحث والسنة	المفهوم
١	(Howard,1988)	القرارات التي تعالج المشاكل بالشكل المناسب وفي الوقت المناسب دون النظر إلى النتائج.
٢	(Christensen& Fjermestad.,1997:361)	القدرة على توفير بدائل وخيارات عديدة يمكن من خلالها خلق افكار جديدة وتقييمها والقدرة على قياس مدى انحرافها.
٣	(حمزة ، ٢٠١٠: ٣٨)	قرارات مستقبلية طويلة الأمد تتعامل مع كافة مكونات المنظمة، وتوصف بأنها قرارات استثنائية أي انها غير متكررة الحدوث والاستمرار ويخصص لها قدر كبير من موارد المنظمة ويلتزم بها كافة الأفراد العاملين وعلى

		مختلف المستويات.
٤	(الوداية،٢٠١٥: ١٠)	تلك القرارات التي يتم قياسها بشكل موضوعي لتحقيق أهداف المنظمة كونها قرارات تمتاز بالعقلانية لتحقيق كفاءة وفاعلية الأداء.
٥	(Correa, 2016:5)	قرارات متسلسلة وعاجلة وجذرية لها دور رئيس في عملية صنع القرار، وتحدد أوجه الضعف في القطاعات المتفاعلة كالسياسية، الاجتماعية، والاقتصادية على حد سواء.
٦	(shafie et l.,2017:2)	القرارات التي تتخذ من قبل الإدارة العليا المستفيدة من تحليل واسع لبيئة المنظمة الداخلية والخارجية بهدف تحقيق أفضل قرار يتلاءم مع أهداف المنظمة.
٧	(ابو كلل،٢٠١٨: ٨)	القدرات التي يمتلكها المديرين لإدارة وتطوير منظماتهم في بيئة الأعمال الديناميكية، ومدى قدرتهم على اتخاذ قرارات تنافسية على مستوى المنظمة.

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على المصادر الواردة فيه.

ثانياً: أهمية القرارات الاستراتيجية:

دفعت التغيرات البيئية والتطورات التكنلوجية وشدة التنافس بين المنظمات المختلفة الادارات العليا للمنظمات لتزيد من اهتمامها بصياغة قراراتها لضمان قدرتها على البقاء والصراع لكونها تتعامل مع المستقبل المجهول.

ويشير (Wilson & Gilligan.,2012 إلى سبعة مجالات لتحقيق الأهمية القصوى للقرارات الاستراتيجية في المنظمات وهي:

١. تعنى بنشاط المنظمة ونطاقها، وبالتالي تأطر حدود المنظمة.

٢. لما كانت البيئة تتغير باستمرار، فمن الضروري أن يتم استيعابها من خلال قرارات ذات جودة عالية تتماشى مع النتائج المتوقعة.

٣. مطابقة أنشطة المنظمة مع مواردها لتحقيق الاستفادة القصوى من الفرص الإستراتيجية.

٤. تكون لها آثار كبيرة على موارد المنظمة من خلال اكتساب قدرة إضافية أو التخلص منها.

٥. تتأثر بقيم وتوقعات وأذواق أولئك الذين يحددون استراتيجية المنظمة.

٦. التأثير على توجه المنظمة على الأمد البعيد.

٧. هي قرارات معقدة بطبيعتها، لأنها تميل إلى أن تكون غير روتينية وتنطوي على عدد كبير من المتغيرات.

ذكر (Coulter,2013:56) أنّ على صانعي القرارات الانتباه إلى التغيرات في البيئة الخارجية ومواصلة مراقبة تلك التغيرات، فإن العوامل الخارجية يمكن أن تؤثر بشكل كبير على جودة القرار والإجراءات الإستراتيجية المنظمة، كما أنّ أذواق الزبائن وعاداتهم وما يفعله المنافسون والتكنولوجيا لها تأثير كبير على صياغة الاستراتيجيات الفاعلة. ومن جانبه يرى (Coulter,2013:172) أن القرارات الاستراتيجية الفعالة لها دور كبير في تحقيق الاستدامة للمنظمات من خلال تحقيق الأهداف التي رسمتها للمنظمة. فيما اشار (أبو كلل، ٢٠١٨: ٢٣) إلى أن أهمية القرار الاستراتيجي تتمحور حول تحديد وتحليل العوامل المؤثرة في القرارات الإستراتيجية لتحقيق المزايا التنافسية للمنظمات. أما Alsoboa et al.,2015:155) فقد أكدوا أن القرار الاستراتيجي يحقق أهدافاً متعددة للمنظمات، مثل الحد من التكاليف وتحسين الأداء وبناء المزايا التنافسية. وأشاد (Selart,2010:25) بأهمية القرارات الاستراتيجية كونها تتعلق بالدرجة الأولى بالقيادة العليا لمنظمة ما، وتكون هذه القرارات مهمة للغاية بالنسبة للمنظمة وغالباً ما تكون لها آثار بعيدة المدى، وتعتبر هذه القرارات مهمة جداً للمنظمات كونها قرارات مترابطة مع بعضها بشكل وثيق وبهذه الطريقة يتم إنشاء نمط ثابت من القرارات أو الاستراتيجيات.

ثالثاً: أبعاد القرارات الاستراتيجية:

إن دراسة القرارات الاستراتيجية تستدعي التعرف على أهم أبعادها التي تدل على محتواها ومضامينها، والدراسات التي تناولت تلك الأبعاد، وسيجري تسليط الضوء على هذه الأبعاد لفهم هذا الموضوع بشكل أفضل وللتعرف على أوجه الشبه بين المؤلفين. إذ حدد (Park et al.,2017:2) في دراستهم مجموعة من أبعاد القرارات الإستراتيجية وهي:

١. بعد الإدراك

يعد الإدراك عملية معقدة تواجه صانع القرار خلال تحليله للبيئة الداخلية والتي تتكون من عوامل القوى الداخلية التي تتأثر بها المنظمات كعناصر قوتها وضعفها وتتكون من الموارد المتاحة والبناء التنظيمي، وعرف (البغدادي واخرون، ٢٠١٨: ٢٤٠-٢٤٤) الإدراك على أنه عملية فكرية تتم في داخل عقل العاملين تعمل على المساعدة في تحليل البيانات والمعلومات لإنجاز الأهداف التي تسعى الإدارة العليا لتحقيقها من خلال تنمية القابليات لدى المديرين لتحقيق قرارات ذات جودة عالية على مستوى المنظمة. وقسموا الإدراك إلى الإدراك البصري، والإدراك الذاتي، والإدراك الاجتماعي. وعرف (Wu,2014:18) الإدراك بأنه الفهم الجيد للقرارات التي يمكن اتخاذها اليوم من أجل تحقيق أفضل غد ممكن أو هو عملية شاملة لخلق فهم وتقدير المعلومات الناتجة عن النظر للمستقبل.

٢. بعد الإجراءات العقلانية:

أكد كلاً من (Dean & Sharfman) على أن الإجراءات العقلانية تؤدي إلى فعالية القرار الاستراتيجي، وهو ما يشير إلى المدى الذي يحقق فيه القرار الأهداف التي وضعتها الإدارة في وقت إعداده. فيما ركز (Castellani et al.,2010:377) على نهج العقلانية بشكل رئيس (أو ما يسمى بعملية البحث والإرضاء)، وعرف النموذج العقلاني بأنه النهج العلمي والعملي لعملية صنع القرار الذي ينظر له بشكل أساسي ومنظم وعقلاني، إذ يتم تحديد المشكلة وتعريفها ومن ثم جمع المعلومات وتحديد البدائل النهائية. يميل الأفراد من خلال الإجراءات العقلانية إلى البحث عن حلول جيدة بما فيه الكفاية لتحقيق مستوى الطموح القائم لاختيار أفضل القرارات ذات الجودة والفاعلية. إذ يرى

(Çetin& Pekince.,2011:1155) أن عملية صنع القرار الاستراتيجي تنطوي على مطابقة قدرات المنظمة مع فرصها والتهديدات التي تحيط بها، وهذا ما يترتب عليه القيام بعملية التخطيط من أجل صناعة قرارات عقلانية تأخذ بكافة الظروف لكون هذه القرارات تعتبر الدماغ والنظام العصبي للمنظمات، كما أنها تعد بمثابة حجر الزاوية وحافز للتخطيط الاستراتيجي، مما يساعد على اختيار أنسب البدائل التي تتطلب الوعي بطبيعة شروط القرار واختيار وتنفيذ أفضل بديل.

وتتحدد كفاءة القرار الاستراتيجي ذي الجودة العالية بما يحققه من أهداف تخدم المصلحة التنظيمية ويعتمد على المعلومات الكاملة بين البدائل المختلفة وهذا يشير إلى عقلانية القرار وإلى أي مدى يتضمن سلوكيات لصانعي القرار.

٣. بعد العدالة الإجرائية:

تشير العدالة الإجرائية إلى عدالة إجراءات اتخاذ القرار، والتي عرفها (Park et al.,2017) على أنها المدى الذي يُحكم فيه على إجراءات اتخاذ القرار بأنها عادلة من قبل الأعضاء المشتركين في العملية التنظيمية. فيما عرف (الطعامسة وحسب الله، ٢٠١٥: ١٧) العدالة الاجرائية بأنهّا إدراك العاملين لعدالة إجراءات الإدارة باستخدام طرق لتوزيع مدخلاتها ومخرجاتها داخل المنظمة، وذكروا في دراستهم بان العدالة الاجرائية تتكون من العناصر التالية:

أ- قواعد ومعايير الإجراءات الرسمية.

ب- القيام بشرح الإجراءات وعمليات اتخاذ القرارات.

ت- تفاعل من يقوم بعملية تطبيق القواعد (متخذي القرار) والعاملين الذين يتأثرون بالقرارات.

٤. بعد الالتزام بالقرار:

عرف كلاً من (Lamsa& Savolainen.,2000:298-301) الالتزام بأنه الحالة النفسية التي تميز العلاقة بين الفرد والمنظمة، وتؤثر بشكل كبير على عملية التحضير لمواصلة العضوية فيها. إذ يتكون الالتزام من ثلاثة عناصر رئيسة تتمثل في العاطفية والاستمرارية والمعيارية. فالالتزام العاطفي المؤثر

يعني مدى ارتباط الأفراد القوي بالمنظمة وقبول أهدافها. فيما يرى (Shelby & Killough.,2006:176) بأن الالتزام بالقرار يعد بمثابة استراتيجية سلوكية طبيعية تؤثر على مقاومة العاملين للتغيير، فالعاملين يستخدمون المعلومات في عملية صنع القرار الذي يتوافق مع تطلعاتهم العقلية الأولية، وبالتالي سيؤدي الالتزام بالقرارات إلى التقليل من التنافر المعرفي وتحسين أداء القرار.

المبحث الثالث: علاقة قابليات المسح البيئي بالقرارات الإستراتيجية:

إنّ التطورات الكبيرة والسريعة التي يشهدها العالم اليوم جعلت المديرين يتخذون قرارات بشكل غير مدروس حتّمت على افتقارهم للمعلومات المستقبلية، إذ تعد التطورات السريعة من التحديات الرئيسة التي تواجه المنظمات لعدم قدرتها على فهم ادارة المخاطر ونقص المعرفة لديها فكان للمسح البيئي دورٌ في توفير المعلومات واستخدام المعرفة في تحسين جودة القرارات وفهم المستقبل.

إذ يرى (Vecchiato,2012:436) بأن عدم التأكد البيئي والغموض ونقص المعرفة تعتبر مشكلة اساسية يعاني منها صناع القرار الاستراتيجي فان استخدام عمليات المسح البيئي بشكل مدروس سيؤدي الى تزايد دور المعرفة لدى صانع القرار من خلال توفير معلومات مؤكدة.

وأضاف (Vecchiato) بأن استخدام المسح البيئي اليوم على نطاق واسع لتحديد الأنشطة والعمليات التي تساعد صناع القرار في مهمة رسم مسار عمل المنظمة المستقبلي (Vecchiato,2012:387)

وقد أوضح (Marinova et al.,2013:84) حقائق تربط المسح البيئي بالقرارات منها:

١. اعتماد القرارات الإستراتيجية على المعلومات التي يقدمها بشكل أساس.
٢. يقدم المسح البيئي معلومات لصانعي القرارات تقلل من عدم التأكد الذي يحيط بالمنظمات.
٣. يعد عدم التأكد البيئي معضلة كبيرة أمام متخذي القرار من المديرين.

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات:

اولا: الاستنتاجات .

١. بينت نتائج الدراسة ان قابليات المسح البيئي وهذا يدل على أنّ الجامعة ترى بأنّ قابليات المسح البيئي تحدث بشكل شامل لبيئتها الداخلية والخارجية والاعتماد على آراء الخبراء والتعامل الجدي مع التقنيات الحديثة.

٢. أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لقابليات المسح البيئي على المتغير التابع القرارات الاستراتيجية وأبعاده (الإجراءات العقلانية، العدالة الإجرائية، الالتزام بالقرار والإدراك) وهذا يؤكد تأثير المسح البيئي على القرارات الاستراتيجية من خلال المعلومات التي يوفرها لصانع القرار الاستراتيجي.

٣. توصلت الدراسة إلى وجود علاقة تأثير معنوية لبعد قابليات المسح البيئي بالقرارات الاستراتيجية، وهذا يوضح استخدام القيادات الجامعية قابليات المسح البيئي للبيئة المحيطة بالجامعة قبل القيام باتخاذ قراراتها.

٤. تهتم الجامعة المبحوثة بالمسح البيئي عن طريق تبني البيئة المستقبلية وما تحويه من فرص وتهديدات ستواجه مستقبلا.

ثانيا: التوصيات.

١. يجب على الجامعة المحافظة على قابليات المسح البيئي لكونه يحقق نتائج عالية عن طريق زيادة التواصل مع الجامعات العالمية والعربية، والاستفادة من التقنيات الحديثة، والتأكيد على عمليات المسح الشامل للبيئة الداخلية والخارجية.

٢. ينبغي على الإدارة الجامعة الاستعانة بالمسح البيئي لكونه أكثر تأثيرا في القرارات الاستراتيجية، لأنّه يساعد الإدارة الجامعية في توفير معلومات دقيقة عن بيئتها الخارجية مما يساعدها في اتخاذ قرارات ذات جودة عالية.

٣. على القيادات الجامعية والوزارات كافة الاهتمام بقابليات المسح البيئي وذلك لدوره الرئيس في صناعة قرارات ذات جودة عالية في ظل بيئة يسودها التغيير وتداخل الحدود.

٤. ضرورة اهتمام الجامعة بالبيئية الخارجية عن طريق القيام بعمليات المسح البيئي المستمر الذي يوفر ميزة التعرف على الفرص واستثمارها ومواجهة التهديدات التي تهدد وجودها.

المراجع:

١. ابو كلل، اسراء نزار شاكر، (٢٠١٨)، جودة القرارات الإستراتيجية وتأثيرها في تحقيق الاستدامة التنظيمية من خلال السلوك الذهبي للقيادة، رسالة ماجستير في ادارة الاعمال، جامعة الكوفة.

٢. البغدادي، عادل هادي و العطوي، مهند حميد والجبوري، حيدر جاسم والكلابي، امير نعمة وزيارة، سهيلة حسان، (٢٠١٨)، السلوك التنظيمي مدخل متكامل – حالات دراسية وتطبيقية، ط١،مكتب توتة، بغداد.

٣. الطعامسة، سلامة عبد الله خلف& حسب الله، عبد الحفيظ علي، (٢٠١٥)، أثر العدالة الإجرائية على سلوك المواطنة التنظيمية دراسة تحليلية لآراء العاملين في شركات (QIZ) في الأردن، مجلة العلوم الاقتصادية، جامعة السودان للعلوم التكنولوجيا.

٤. الوادية، محمد سميح محمد، (٢٠١٥)، علاقة نظم المعلومات الإدارية بجودة القرارات الإدارية دراسة حالة: وزارة التربية والتعليم العالي – قطاع غزة، جامعة الازهر.

٥. حمزة، سيد علي محمد، (٢٠١٠) ، نظم دعم القرارات كمتغير وسيط في تعزيز أثر المعرفة الضمنية على جودة القرارات الإستراتيجية، دراسة تطبيقية على شركات الاتصالات الخلوية بدولة الكويت، رسالة ماجستير في دارة الاعمال، جامعة الشرق الاوسط.

٦. زعلان، عبد الفتاح جاسم، (٢٠١٧)، استخدام الذكاء التسويقي لتحقيق الميزة التنافسية المستدامة للمنظمة من خلال الرصد البيئي، المجلة العلمية، المجلد (٥)،العدد (١٣)، جامعة كربلاء.

٧. منهل، محمد حسين والعبادي، هاشم فوزي، (٢٠١٥) السيناريو الاستراتيجي التخطيط –البناء – التنفيذ، ط١، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان.

٨. Alkhafaji, A., & Nelson, R. A. (2003). Strategic management: formulation, implementation, and control in a dynamic environment. Routledge.

٩. Alsoboa, S. S., Nawaiseh, M. E., Karaki, B. A., & Al Khattab, S. A. (2015). The Impact of Usage of Strategic Decision Making Techniques on Jordanian Hotels' Performance. International Journal of Applied, 5(1).

١٠. Amniattalab, A., & Ansari, R. (2016). The effect of strategic foresight on competitive advantage with the mediating role of organisational ambidexterity. International Journal of Innovation Management, 20(03), 1650040.

١١. Babatunde, B. O., & Adebisi, A. O. (2012). Strategic Environmental Scanning and Organization Performance in a Competitive Business Environment. Economic Insights-Trends & Challenges, 64(1).

١٢. Bhardwaj, S. S., & Kumar, D. (2014). Environmental scanning of FMCG companies in India: a comparative study. International Journal of Management and International Business Studies, 4(1),.

١٣. Borges, N. M., & Janissek-Muniz, R. (2018). Informal and Individual Practices of the Environmental Scanning in Organizations. In Handbook of Research on Strategic Innovation Management for Improved Competitive Advantage (pp. 55-67). IGI Global.

١٤. Castellani, M., Di Giovinazzo, V., & Novarese, M. (2010). Procedural rationality and happiness. The Journal of Socio-Economics, 39(3), 376-383.

١٥. Conway, M. (2009). Environmental scanning what it is and how to do it...: A step by step guide to setting up and running an environmental scanning process in your organization. Thinking Futures.

١٦. Coulter, M .(2013). Strategic Management in Action, Pearson Education, United States of America.

١٧. Çetin, M., & Pekince, D. (2011). Perceived procedural rationality and political behaviours in strategic decision making process and organizational commitment triangle. Procedia-Social and Behavioral Sciences, 24, 1154-1163.

١٨. Du Toit, A. S. (2016). Using environmental scanning to collect strategic information: A South African survey. International Journal of Information Management, 36(1), 16-24.

١٩. Elci, N. (2009). An exploration of open innovation: An environmental scanning perspective. University of Maryland University College.

٢٠. Gallupe, B., & Jiang, J. (2015). Environmental Scanning and Business Insight Capability: The Role of Business Analytics and Knowledge Integration.

٢١. Grünig, R., Kühn, R., & Kühn, R. (2018). The strategy planning process: Analyses, options, projects ,Heidelberg: Springer.

٢٢. Haines, S. (2000). The systems thinking approach to strategic planning and management. CRC Press.

٢٣. Haines, S. (2016). The systems thinking approach to strategic planning and management. CRC Press.

٢٤. Howard, R. A. (1988). Decision analysis: practice and promise. Management science, 34(6), 679-695

٢٥. Kim, D. J. (2012) Strategic foresight:The case of TJ Park and POSCO.

٢٦. Lämsä, A. M., & Savolainen, T. (2000). The nature of managerial commitment to strategic change. Leadership & Organization Development Journal, 21(6), 297-306.

٢٧. Marinova, S., Ul-Haq, R., Portaleoni, C. G., & Marinov, M. (2013). Corporate foresight and strategic decisions: lessons from a European bank. Springer.

٢٨. Murgor, P. K. (2014). External environment, firm capabilities, strategic responses and performance of large scale manufacturing firms in Kenya. Unpublished Ph. D Thesis). School of Business University of Nairobi.

٢٩. Park, H., & Kim, J. Ki, E. J. (2017). Review of Public Administration and Management.

٣٠. Selart ,m. (2010).A leadership perspective on decision making, © cappelen d.

٣١. Shafie , A S., Muhammad, NM., Ridzwan R.(2017). Decision characteristics and strategic decision process for strategic decision output: A conceptual model, Journal of Advanced Research in Business and Management Studies.

٣٢. Shelby Harrison, D., & Killough, L. N. (2006). Decision outcomes under activity-based costing: Presentation and decision commitment interactions. In Advances in Management Accounting (pp. 169-193). Emerald Group Publishing Limited.

٣٣. Vecchiato, R. (2012). Strategic foresight and environmental uncertainty: a research agenda. foresight, 14(5), 387-400.

٣٤. Vudzijena, L. S. (2017). An analysis of the impact of environmental scanning on the performance of Small and Medium Retail Enterprises in Harare.

٣٥. Wilson, R. M., & Gilligan, C. (2012). Strategic marketing management. Routledge. Elsevier Butterworth-Heinemann .

٣٦. Wu, Y. (2014). Toward a forward-looking perspective of the firm: antecedents and outcomes of managerial foresight (Doctoral dissertation).

37. Prokesch, T., Heiko, A., & Wohlenberg, H. (2015). Integrating prediction market and Delphi methodology into a foresight support system—Insights from an online game. Technological Forecasting and Social Change, 97, 47-64.

٣٧. Godet, M., Durance, P., & Gerber, A. (2008). Strategic foresight, la prospective, use and misuse of scenario building

38.Grünig, R., Kuhn, R., & Kuhn, R. (2018). The strategy planning process: Analyses, options, projects ,Heidelberg: Springer.

39. Christensen, E., & Fjermestad, J. (1997). Challenging group support systems research: The case for strategic decision making. Group Decision and Negotiation, 6(4), 351-372.

40. Correa & Hahn, T., J. A. (2016). Toward cognitive plurality on corporate sustainability in organizations: The role of organizational factors.

مؤشرات الكثافة الحضرية وحيوية المكان

أ.م.د. عبد الوهاب أحمد عبد الوهاب
مركز التخطيط الحضري والإقليمي/ جامعة بغداد
الباحثة نور ضياء مجيد

المـقــدمة:

إن حيوية المدينة هي الطاقة الخام المتواجدة بين طيات اماكنها ومناطقها، والتي عن تركيزها وتوجيهها نحو جزء من المدينة تصبح قابلة للحياة. حيوية المكان هي نتيجة لعملية طويلة الأجل من التقدير لمستخدمي الحيز الحضري. فإن المكان الحيوي ليس لديه القدرة فقط على تسهيل الانتقال المكاني والتطوير المادي البطيء مع مرور الوقت، ولكن أيضًا الحفاظ على استمراره. عندها فقط يمكن أن تكون هناك علاقة اجتماعية واقتصادية فعالة ومستدامة بين صانعي المكان ومستخدميه، والتي بدورها تتكيف مع تطور البيئة الحضرية. ومع ذلك ، فإن المكان الحيوي ليس في حد ذاتها مكانا حديثا، تم التخطيط له وفقاً للنماذج والانظمة، إنما مكان يحافظ على تجديد نفسه ومستخدميه.

وحيوية المكان هي قوة الحياة في المدينة، التي تتشكل من خلال ظروفها المكانية ، والتي تتطلب كثافات حضرية معينة لتصبح قابلة للحياة وقوية، الا انه في مناسبات عديدة عند تقديم مقترحات للمساكن عالية الكثافة في ورش العمل أو لجان التخطيط ، يواجه المخططون والمعماريون نوعًا من المعارضة التي يصعب فهمها. وراء هذه المعارضة ، التي قد لا تكون لها علاقة بالتصميمات المقترحة، عادةً ما يكون هناك سوء فهم للمصطلحات. على وجه الخصوص ، تستحضر عبارة "إسكان عالي الكثافة" صورًا لأبراج شُقق عالية الارتفاع ، مع ما يترتب على ذلك من نقص في ضوء النهار ، وانخفاض المساحة المفتوحة ، وإعاقة المشاهدات. حتى في المناطق المتوسطة والمنخفضة، هناك القليل من الوعي العام بالمفاهيم المختلفة للمباني وتأثيرها على الشوارع والأحياء.

لذا لابد من استكشاف بعض الأسئلة التي توجه الانتباه إلى دور الكثافة في احياء الاماكن الحضرية وارجاع رونقها. الا ان هناك مشكلات كبيرة في استخدام الكثافة في التخطيط الحضري والتي تعود إلى ظهور التخطيط كنظام منذ أكثر من قرن. حيث أظهر التحليل التاريخي وجود عيوب عميقة في الافتراض بأن الكثافة تلعب دورا ضئيلاً في العمليات الحضرية وحياة المدن، تشير الأدلة العلمية إلى أن الكثافة تتمتع بمكانة متناقضة مما سبق الاعتراف به. غير أن التحليل الاجتماعي والتاريخي ، رغم أنه ليس نهائياً ، يشير إلى أننا بحاجة إلى التساؤل عما إذا كانت الكثافة ناتجة عن العمليات الحضرية بقدر ما هي محرك. ومن المؤكد أن علم الكثافة الحضرية غير مطور بشكل كافٍ لتبرير العديد من الادعاءات التي تتم لصالح برامج محددة الكثافة. ومن هنا قرر العلماء إعادة النظر في المفاهيم المرتبطة بالكثافة الحضرية وتطوير أساليب جديدة لفهم دور الكثافة في الحياة الحضرية. فهي أداة مهمة جدًا ليس فقط لإدارة النمو السكاني والتغيير الاقتصادي، ولكن أيضًا للقيام بذلك بطرق فعالة بيئيًا واجتماعيًا.

المبحث الـأول: المفهـوم العام للكثـافة الحضرية:

مشكلة البحث:

- ما هي الكثافة اللازمة لتحقيق حيوية المكان.
- ضبابية المؤشرات الفاعلة في تحقيق حيوية المكان والناتجة من الكثافة الحضرية.

هدف البحث:

- تحديد الكثافة اللازمة لتحقيق حيوية المكان.
- ايجاد المؤشرات الفاعلة في تحقيق حيوية المكان والناتجة من الكثافة الحضرية.

فرضية البحث:

- الكثافة (المعتدلة) هي الكثافة المناسبة لتحقيق حيوية المكان.
- للكثافة الحضرية وحيوية المكان ارتباطات في عوامل عدة تؤثر مجتمعة في تحقيق حيوية المكان.

(١) مفهوم الكثافة الحضرية (Urban Density)

(١-١) الكثافة لغةً واصطلاحاً

لغةً: فالكثافة في اللغة هي الغلظ ،وهو الكثيف والمتكاثف، والكثافة هي الكثرة والالتفاف، فعلها كثف، يكثف، وتكاثف. (مختار الصحاح، ص٥٦٤) اصطلاحاً: ان مفهوم الكثافة من المفاهيم القديمة جدا وقد تم التأكيد عليها في حركة المدن الحدائقية في إنجلترا، والحركة الحديثة في المانيا خلال العصر الحديث. (Pont&Haupt,2007,p.3) ومصطلح الكثافة يشير الى العلاقة التي تربط بين مساحة معينة، وعدد الأشخاص او الوحدات التي تشغل هذه المساحة. حيث يعبر عنها كنسبة عدد الأشخاص أو عدد العائلات أو عدد الشقق او عدد المباني والمساحة التي يشغلها أي منهم .

(١-٢) المراجعة الأدبية لمفهوم الكثافة الحضرية

ويمكن تقسيم الدراسات الذي تناولت موضوع الكثافة إلى فترات زمنية. حيث اهتمت الدراسات التي اجريت في الستينيات والسبعينيات بالنتائج النفسية والاجتماعية للكثافات وخاصة العالية منها التي تصل لمستويات غير محددة غالبا. اما في الثمانينيات، ركزت الدراسات آنذاك على مدى تأثير الكثافة على التصميم المادي للمباني أو الحي أو المحلة. وبحلول نهاية الثمانينيات، برز علم البيئة واصبح محور الاهتمام في أبحاث الكثافة، واصبح التوجه نحوه أقوى في التسعينيات.

(١-٢-١) الكثافات الحضرية عمرانيا:

تاريخياً كان يُنظَر إلى المدينة كمكان يسوده الاكتظاظ والضوضاء والأوساخ والجريمة والفقر والمرض، وكانت ردة الفعل التخطيطية آنذاك بمثابة حركة قوية نحو الاسكان منخفض الكثافة خارج المنطقة الحضرية (الانتقال إلى الضواحي). (Keeble,1977,p.143) فكان مخططو المدن مستمرين في محاولة تحسين الظروف المعيشية، فكانت محاولة المخطط الحضري Ebenezer Howard تكوين مدينة ببيئات أقل كثافة وأكثر اخضرارًا والابتعاد عن الشكل الذي اتصفت به المدينة الصناعية المتنامية (او ما سمي بأعادة احياء الريف). وتركز اهتمامه على تكوين مزيج من المنطقة الحضرية والضواحي

الريفية. وكانت النتيجة المدينة الحدائقية (Garden City) (١٨٩٨). وأيده Lewis Mumford بالقول انه من الضروري فرض قيود على الحجم والكثافة والمساحة ؛ وهم من أهم أدوات التخطيط الاقتصادي والمدني العقلاني. وكان هذا في بداية ظهور مجموعة أطلق عليهم بـ (اللامركزيون) "Decentrists" في الولايات المتحدة ومنهمStein وHenry (١٩٢٠)، و"لقد أيدوا بحماس وجهة نظر هوارد بأن المدن يجب أن تكون مقيدة وذات حدود وأن سكانها واستعمالاتها الرئيسية يجب ان يتفرقوا في بلدات أصغر". اما Stein، يعتبر ان مراكز المدن كانت بمثابة "بؤرة من الضجيج والأوساخ والمتسولين والإعلانات التنافسية"، وكتب (١٩٥٧) "أن السياسة العاقلة هي بتوجيه طاقتنا نحو بناء مجتمعات جديدة وكاملة، وهذا يعني البدء على أرض مفتوحة خارج المناطق الحضرية القائمة". (Breheny,2001,p.40) وتم بعد ذلك تنفيذ أول نية لتدمير المدينة التقليدية آنذاك من قبل المهندس المعماري الفرنسي LeCorbusier ومخططه "المدينة المعاصرة" (Radiant City) (١٩٢٢) ، حيث كان يرغب في محو المركز التاريخي لباريس و استبداله بمباني شاهقة الارتفاع، بمساحات خضراء واسعة شاسعة وشوارع منظمة بشكل هرمي. وكان Frank Lloyd Wright (١٩٣٥) صوتًا مؤثرًا في هذا الجانب، واشار الى انه يمكن لشكل الضاحية أن ينقذ المدينة من المناطق المزدحمة والرديئة، بتكوين وحدات حضرية أكثر تحضراً. وكمرجع رئيسي ومدافع اكبر عن المدينة برزت الناشطة والمخططة الحضرية Jane Jacobs ، التي كانت واحدة من أوائل الذين رفعوا صوتهم تجاه المخططين الحداثيين ومهندسي المرور، وكانت تراقب صفات المدينة كما لم يتمكن مخطط حضري من فهمها. وفي كتابها "The Death and Life of Great American " الذي نُشر عام ١٩٦١ ، قدمت فيه أفكارًا حول كيفية عمل المدن. وشجعت أربعة مبدئ وركائز لتنوعها (استعمالات الارض الأساسية المختلطة، الكتل القصيرة، الحفاظ علي المباني القديمة، والحاجة إلى كثافات أعلى في المدن). (Churchman,1999,P.392)

وعليه فأن الدراسات التي تناولت الكثافات الحضري بهذا الجانب قد ركزت على توليد كثافات سكنية وسكانية منخفضة وكان هذا حتى ثلاثينيات القرن الماضي وكان هذا التوجه من قبل Howard (١٨٩٨)

Stein و Henry (١٩٢٠) Wright (١٩٣٥)، حيث اسندوا جميع مشاكل وسلبيات المدن آنذاك على الكثافة الحضرية، سوعوا نحو امتداد المدن نحو نظيرها الريفي، حيث شددوا على ضرورة وجود مساحات خضراء شاسعة. في المقابل كانت هناك دعوا تتجه في الاتجاه المعاكس تمثلت على يد الرائدة في مجال التخطيط Jacobs (١٩٦١) التي سعت للحفاظ على المركز الحضري ذا الكثافات العالية فدعت لكثافات سكنية واسكانية عالية مع ضرورة توفير مزيج كثيف من استعمالات الارض والوظائف والانشطة وهو كان معارضا لدعوة LeCorbusier (١٩٢٢) الذي سبقها داعيا لمركز حضري عالي الكثافة تحيطه مساحات خضراء واسعة يتم استبداله بالمركز التاريخي والحضري القديم. تبعهم Guest و Toynbee (١٩٧٠) الذين دعوا لكثافات سكنية عالية مع كثافات عالية لاستعمالات الارض، و Rapoport (١٩٧٥) الذي شدد على مسألة الكثافة الادراكية مع اعطاء المدينة حقها من الكثافات دون تقييد. ولم يحيد Cooper و Sarkissian ومن تبعهما (١٩٨٦) عن الدراسات التي سبقتهم فهم شجعوا الكثافات العالية مع ضرورة مراعاة الكثافات البنائية والتحكم بها لتكوين بيئة مريحة وجذابة.

(١-٢-٢) الكثافات الحضرية اجتماعيا:

لا يمكن النظر إلى الكثافة الحضرية من منظور مادي أو تقني وحسب، بل أيضًا من منظور اجتماعي. ومن المثير للدهشة أنه كان هناك القليل من الدراسات الحديثة التي اعتبرت الكثافة كمفهوم اجتماعي، الا ان بعضها قد تناول الكثافة وعلاقتها بالسلوك البشري، حيث يستخدم علماء السلوك عادة مفاهيم رئيسية لدراسة الكثافة الحضرية مثل الأمراض الفسيولوجية، فيعتقد بعضهم ان زيادة الكثافة ضمن الاراضي المقيدة (الاقاليم البشرية) تؤدي الى زيادة في العدوان وانهيار النظام الاجتماعي، وقد استخدم علماء الأحياء أو علماء الاجتماع مثل Wynne-Edwards (١٩٦٥)، Ardrey (١٩٦٦)، Morris (١٩٦٨) هذه النتيجة للإشارة إلى أن البشر يمتلكون أيضا حدودا فطرية تنتهكها الكثافات العالية، تسبب بذلك ارتفاع مستويات العدوان. ويميل المهندسون المعماريون ومخططي المدن إلى اعتماد هذه المصطلحات عند تبرير الحاجة إلى مساحة خاصة حول الوحدة السكنية. Edney يقبل فكرة Ardrey أن

ملكيـــة قطعـــة خاصـــة مـــن الارض هـــو عامـــل مهـــم فـــي تحديـــد الســـلوك البشـــري. (Schmitt&other,1978,p.201)وقـد وجـد Schmitt (١٩٦٣)، أن الكثافـة خـارج المبـاني السـكنية كانت مرتبطة ارتباطا قويا بمجموعة متنوعة من مؤشرات "الفوضى الاجتماعية" ، وقد افترض Sommer (١٩٦٩) أن المعيشـة عاليـة الكثافـة تبـرز سـلبياتها بسـبب انتهـاك الفضـاء الشخصـي والـذي عرفـه بأنـه "منطقة ذات حدود غير مرئية تحيط بجسم الشخص"، وبالتالي، فإن الصلة بين الفضاء الشخصي والكثافة الحضـرية تعتمـد علـى الابعـاد الثقافيـة للبيئـة والفـرد نفسـه وليسـت بالضـرورة انهـا سـلبية بحـد ذاتهـا. ويقدم Sundstrom و Altman (١٩٧٦) نموذجا معقدا من الفضاء الشخصي والعلاقات الشخصية بناء على ثلاثة افتراضات رئيسية تم التحقق من صحتها في دراسات سابقة، أولا، يسعى الناس إلى الحصول على أفضل نطاق للمسافات بين الأشخاص، ثانيا، عندما تكون المسافة بين الأشخاص خارج النطاق الأمثل (إما قريبة جدا أو بعيدة جدا)، تكون هنالك نتائج من عدم الراحة، و ردود فعل تهدف إلى تحقيق الدرجة المناسبة من التقارب. وأخيرا، فإن المسافة المريحة وردود الفعل على انتهاكها تتوقف على العمر والمكـان والجـنس ، وكـذلك الإعـداد نفسـها المتواجـدة فـي المكـان. (Ewing,2009,P.13) وفـي دراسـة اجراها Newman (١٩٧٣) على سكن محدودي الدخل، وجد فيها أن لمخططات البناء وتقنيات التصميم تـأثير علـى الجرائم داخل تلك المجمعات وليس الكثافة العالية بذاتها. ينص Lawrence (١٩٧٤) أنـه "يبـدو أن تـوازن الأدلـة لا يـدعم أي علاقـة سـببية بـين الكثافـة والاضـطراب الاجتمـاعي أو النفسـي"، ويعتبر Freedman (١٩٧٢) أن الكثافة لها تأثيرات كبيرة، لكنها تعتمد على الحالة، واوضح أن الكثافة العاليـة تعمـل علـى تكبيـر أو زيـادة تـأثيرات التفاعـل الاجتمـاعي.Galle وآخـرون (١٩٧٢) وجـدت أن الكثافـة الداخليـة هـي أقـوى ارتبـاط لمؤشـرات علـم الأمـراض الاجتماعيـة، مـع وجـود ارتبـاط بنـوع المبنـى. (Newman,1973,p.89)

ان الافتراض سابقا كان أن أنظمـة التحكم والسيطرة على الكثافة هي عامل أساسي في الوصول للنتائج الحضـرية المرغوبـة بعيدا عن الامراض والمشاكل الحضـرية التي كانت سائدة. ففي ظل الكثافة الأولـى

(مراحل التخطيط ما بعد الثورة الصناعية ودعم الكثافات المنخفضة) كان يُنظر إلى القيود المفروضة على تركيز التنمية الحضرية على أنها الحل لمجموعة من الأمراض الاجتماعية (الجريمة، انعدام الامان والخصوصية، التفكك الاجتماعي ..الخ) والمشاكل البيئية الحضرية. وفي ظل نظام الكثافة الثاني (بعد معرفة سلبيات التوسع منخفض الكثافة وزيادة الدعوى لتوليد كثافات عالية)، تم عكس هذا الرأي مع كون الكثافة الحضرية تعتبر عاملاً حاسماً وأساسياً في تحقيق مختلف النتائج الاجتماعية المرغوبة في المناطق الحضرية كزيادة التفاعلات الاجتماعية والتماسك الاجتماعي والتواصل بين الافراد. اذاً فقد اعتبرت الدراسات ان الكثافة العالية وما تبعها من نماذج لمدن عالية الكثافة، ما هو الا ردة فعل على الكثافات المنخفضة سابقا (الامتداد)، كما وانه كان في حد ذاته استجابة للظروف الاجتماعية والعمرانية التي ولدها التحضر الصناعي.

(١-٢-٣) الكثافات الحضرية اقتصاديا:

لقد كان البعد السياسي والاقتصادي للكثافة متغيراً باستمرار، فإذا كان التصنيع في القرن التاسع عشر يتطلب تكتلات كثيفة من العاملين في المدن، فإن جغرافيا الكثافة تم إعادة صياغتها بشكل جذري في القرن العشرين، وبهذا الصدد اعتبر Friedrich Engels (١٨٤٤) ان الكثافة الحضرية في منتصف القرن التاسع عشر كانت قمعية بشكل مبالغ به ودوامة شرسة استنزفت جهود الطبقة الفقيرة (العمال) من قبل الطبقة الحاكمة، حيث استغلوا رغبة العمال بالعمل، فاستمرت الطبقة الغنية في طلبهم ونهب طاقاتهم في ظل القانون. (Burg,1977,P.112) والطريقة الرئيسية التي ترتبط بها الكثافة الحضرية بالاقتصاد والجغرافيا هي من خلال تدرجات الكثافة. حيث ان الاقتصاديين والجغرافيين في المناطق الحضرية مثل Clark(١٩٥١)، Rees(١٩٦٨) Berry و Horton(١٩٧٠) و Edmonston (١٩٧٥) طوروا واختبروا العديد من النماذج الرياضية للهيكل المكاني الحضري حيث تكون الكثافة الحضرية هي المعلمة الأساسية. وتوصلوا الى أن الكثافة الحضرية تتناقص بتزايد المسافة من مركز المدينة. (Baum&other,1975,p.187) ويقترح Romanos (١٩٧٨) أن الكثافات ستزداد، على الرغم من

ذلك في مراكز متعددة بدلا من واحدة، من خلال الحاجة إلى السفر مسافات أقصر، والحاجة للعيش أقرب إلى وسائل النقل العامة التي تركز على المراكز. تناول Edmonston (١٩٧٥) مسألة كيف يمكن للمدن أن تقلل من اعتمادها على السيارات وبالتالي الوقود، وهذا سيتطلب التوسع المتزامن لشبكان النقل العامة مع تركيز العمالة، وكلاهما يتوقف على تركيز السكان. وتشير دراسات قدمها Fels و Munson (1974) الى تحقق وفورات كبيرة في تكاليف انشاء هياكل المباني وتكاليف الصيانة. فعلى سبيل المثال، أظهرت كلفة الزحف أن المدينة ذات الكثافة السكانية العالية كانت أقل استعمالا للسيارة والشاحنة، وأقل استهلاك للطاقة. يشير Button (١٩٨٠) الى أن ملكية السيارات تختلف باختلاف الدخل ولكنها تعتمد أيضا على إمكانية الوصول إلى وسائل النقل العامة، يبدو أن تحسين فرص الحصول على وسائل النقل العام يتسم بنفس أهمية تكلفة الخدمات، ولا شك في أن زيادة الكثافة، (Adams& Tiesdell,2013,p.201) ويشير Klase و Nestman (٢٠٠٦)، أن عدد اكبر من الأشخاص يعني بشكل واضح المزيد من القوى العاملة. ومع وجود المزيد من القوى العاملة ، يمكن القيام بالعديد من الأنشطة الإنتاجية التي تساهم في المنتج المحلي وتدفعه نحو الأعلى. (Forsyth,2003,p.4)

يمكن للمدن أن تُدرس كنظم مادية بدلا من أن تكون مجموعة من الأفراد، وتنظر هذه الدراسات للمدن باعتبارها هياكل مادية تتفاعل مع البيئة لتعطي منتوجا ماديا على هيئة نتائج اقتصادية. فغالبية الدراسات والطروحات التي تم تناولها شجعت بشكل واضح على زيادة الكثافات الحضرية، فالكثافات السكانية العالية في المراكز الحضرية غالبا ما يرافقها كثافات وتركزات عالية للعمالة والوظائف وعادة ما يكونون ذوي خبرة ومهارة في جانب معين يدعم الانتاج المحلي، وتم ربط هذا التركزات بتنوع وتركز عالي للأنشطة الاقتصادية والفعاليات، والتي يرافقها ظهور للشركات والمشاريع والاعمال التي تستثمر جهود العمالة المتركزة وتستغل طاقاتهم لتزيد بذلك الانتاج المحلي. بالإضافة الى ان مزايا زيادة الكثافة تبرز بوضوح فيما يتعلق بالتكاليف والطاقة والبيئة والنقل. اذاً لم يكن هناك تشجيع للكثافات المنخفضة كونها تعتبر هدرا اقتصاديا الذي يتجنبه ذويي الاهتمام والمصلحة.

ومما تم طرحه من مفاهيم وافكار ووجهات نظر تخص الكثافات الحضرية خلال عقود وازمان مختلفة يمكن ربطها في جوانبها للتوصل الى انواع الكثافات الحضرية التي من الممكن اعتمادها كركائز اساسية يمكن الاستناد اليها لاحقا، لتساعدنا في فهم وجه الترابط مع حيوية المكان التي سنتطرق لها في المبحث الثاني. وهذا الانواع ستتضح من خلال الابعاد العمرانية والاجتماعية والاقتصادية للكثافة الحضرية، وهي (الكثافة السكانية، الكثافة السكنية، الكثافة البنائية، كثافة استعمالات الارض، كثافة الانشطة والعمالة).

المبحث الثاني: مفهوم حيوية المكان (Vitality of Place):

(٢-١) حيوية المكان لغةً واصطلاحاً:

لغةً: هي اسم مؤنث له جذور لاتينية يُنسب الى الحياة. فالحيوية مصدر من حياة، وهو مقدرة الحي على تأدية وظائفه، ويراد بها الفاعلية غير الاعتياديّة، النشاط والعافية.(متن اللغة، ١٩٥٨، ص٧٨٩)

اصطلاحاً: أن الحيوية الحضرية هي التآزر الناشئ بين مجموعة متنوعة من الفرص التجارية والترفيهية "الفريدة" إلى حد ما، وعدد الافراد المشاة الكثيفين والغير متجانسين اجتماعيا. ففي القاموس الحضري لـ Robert Cowan[1] ، يتناول مفهومي vitality و livability بمعنى الحيوية والبقاء. فالحيوية هي القوة التي تظهر في المدن التي تركز وتوجه جهودها نحو تعزيز قدرتها على البقاء والحياة. (Cowan,2005,p.31)

فحيوية المكان هي المدى الذي يشعر به الاشخاص بحياة المكان وهي ما يميز المناطق الحضرية الناجحة، حيث تتصف بتنوع الانشطة الاقتصادية وتوفير خليط من استعمالات الارض يرافقها تركيزات كافية من الافراد ذوي الاهتمامات والاذواق المختلفة، وتدعم هذه الاماكن حركة وتفاعل المشاة خلال اوقات مختلفة من اليوم. بفعل تعدد مناطق التفاعل واللقاء للمقيمين والغرباء، فيمكن الاحساس بقوة الحياة فيها ومقدار التمساك والترابط بين الافراد، الذين يسودهم الشعور بالأمان والراحة.

(٢-٢-١) حيوية المكان عمرانيا:

ان فكرة حيوية المكان أو المجتمعات الحيوية المرنة تعود إلى ستينيات وسبعينات القرن الماضي. وغالبا ما يتم النظر للحيوية العمرانية للمكان بالاعتماد على مقدار احساس الافراد بها وما توفره من مشهد فريد ومتميز لمرتادي المكان، وخيارات متعددة لتحقيق جوية ممتعة. وتعتبر Jane Jacobs (١٩٦١) أول من نادى بإعادة احياء مراكز المدن بعدما عاشت مشاكل المدينة وانتكاساتها، و افترضت ان الحيوية وجودة البيئة المبنية تُعكس من خلال الانشطة التي تسود المكان، وقامت بتحديد أربع محددات أساسية واعتبرتها شروطا للحيوية، وهي ضرورة توفير مزيج من استعمالات الارض، الكثافة العالية، نفاذية الشكل الحضري، بالاضافة للتنوع الذي يشمل الانشطة واشكال المباني وأعمارها وانواعها وأحجامها. (Lynch,1981,p.67) ومن الملاحظات التي ابداها مختصون حضريون مثلLewis Mumford في كتابه "The City in History" (١٩٦٢)، ان المناطق الناجحة والحيوية في المدينة هي تلك التي تمتلك كثافات عالية من المساكن وتغطيات ارضية عالية، وعدد اشخاص قليل داخل الوحدات السكنية وغرفها. اما Kevin Lynch في كتابه "A Theory of Good City Form" (١٩٨١)، فقد تطرق للصفات التي يجب أن يسعى التصميم الحضري الى تحقيقها، والتي تؤدي الى توليد الإحساس بالمكان. حيث قدم خمسة أبعاد أساسية لأداء المدينة الناجحة كانت الحيوية ضمنها بالإضافة للإحساس، والملاءمة (التناسق)، وامكانية الوصول ،والسيطرة (التحكم). كما واشار Lynch في كتابه " The Image of the City" (١٩٦٠) الى اهمية تحفيز الحواس جميعها لاستكشاف المكان والتشجيع على البقاء به لمدة اطول، وتكوين ذاكرة وصورة لديهم لذلك المكان نتيجة لتفاعل الحواس معه، من جانب اخر فأن نظريات Jan Gehl تؤكد وتركز على الجوانب الإنسانية للعمارة، والتفاعلات بين العمارة والتخطيط، وعلم الاجتماع، وعلم النفس. وهذا ما بينه بكتابه "Life Between buildings" (١٩٧١) الذي كان نتيجة لدراساته حول الأماكن العامة الاجتماعية. حيث كان احد الذين صاغوا القيم الإنسانية. (Habibian,2006,p.147) وكان الافتراض الأساسي لـ Montgomery (١٩٩٥) هو التخطيط والتصميم لمدينة جيدة وتطويرها

وإدارتها لفترة زمنية طويلة هو ما يجعل منها مكانا حضريا حيويا و ناجحا. فكانت مهمة Montgomery هي إظهار كيفية القيام بذلك من الصفر. ويستلزم ذلك باعتقاده اتخاذ خطوات نستطيع من خلالها ان نفهم التأثيرات على الخصائص الحضرية الناجحة. وممن برزوا في هذا المجال Richard Florida[٢] (٢٠٠٢) الذي استخدم مصطلح " نوعية المكان" لغرض وصف فعاليات وانشطة المركز الحيوي، وتم استخدام المصطلح من خلال اقتراح نهج يأخذ في الاعتبار ثلاثة أبعاد، وهي مزيج البيئة المبنية والبيئة الطبيعية، تنوع السكان ، وتنوع الأنشطة المعروضة في الهواء الطلق. اما Henry shaftoe[٣] في كتابه "Convivial Urban Spaces" (٢٠٠٨) فيعتبر حيوية المكان هي مفهوم مساوي لنجاح الفضاء الحضري العام، دون التفريق بينهما. فهو يعتقد ان الحيوية لها ابعاد مادية، واجتماعية ونفسية، بالاضافة الى الجوانب الادارية. (Shaftoe,2008,p.143) كما وعلق المعماري Peter[٤] Buchanan (2013) على ان التصميم الحضري يعتبر مسؤولا عن توليد حيوية المكان، حيث ان الأماكن ليست مجرد مساحات محددة، ولكنها تضم الأنشطة والأحداث التي جعلت ذلك المكان موجودا.

حيوية المكان والقدرة على البقاء اصبحا محور عمليات التخطيط والتنمية والتطوير لمراكز المدن. ويشتمل المكون المكاني للحيوية على سلامة الهيكل العمراني وتنوع انشطته وفعالياته، مع إمكانية وصول لاجزاء مختلفة منه ولأعداد كبيرة من الناس، والاهم وما شدد على اهميته في هذا الجانب وبما يخص هذا المفهوم هو ضرورة وجود الكثافات العالية نسبيا على مستوى الابنية والاستعمالات والافراد، ورمز بعضهم على التصميم الجيد للمباني والواجهات لتلائم انشطة المشاة، على ان تتنوع أعمارها بين القديم والحديث. بالاضافة لتعقيد المساحات والفضاءات الحضرية، وأنماط الحركة داخل المكان لتشجع التفاعل البشري واستمراره لفترات طويلة.

(٢-٢-٢) حيوية المكان اجتماعيا

يتميز المكون الاجتماعي لحيوية المكان بأعداد مشاة كبيرة غير متجانسة، يعملون في مجموعة متنوعة من الأنشطة التفاعلية سواء الرسمية أو غير الرسمية. مع موجود جو وبيئة "متفائلة" بشكل عام يميزها

الابتكار وتخلو من الانحراف. و حيوية المكان بهذا الجانب تتضمن مجموع العلاقات التفاعلية، وقدرة الافراد على الإبداع داخل مجتمعاتهم، وقدرتهم على حل مشاكلهم المشتركة، ومقدار حفاظهم على هويتهم الفريدة وكيفية اظهارهم اياها، ويمكن تعريف الحيوية المجتمعية وقياسها، عن طريق ثلاثة جوانب (الاقتصاد ،المجتمع ،البيئة). (Gehl,1989,p.126) وبهذا الجانب جادل Wirth[٥] (١٩٣٨) في ميزة متكررة في أوصاف المشاة في المناطق الحيوية، وهي عدم التجانس، حيث اعتبر أن عدم تجانسهم هو خاصية جوهرية للمدن. ويبدو أن هذا المزيج الثقافي للمشاة يظهر بوضوح أكثر في المناطق الحيوية أكثر من أي مكان آخر في المدينة.وتناولت Margaret Mead[٦] في كتابها "People and places" (١٩٥٩) نوع المدينة التي نريدها وعمدت الى سرد مجموعة امور لابد من وجودها، كتناغم الجيران وشعور الافراد بالمجتمع، ادراك المحيط الحيوي، ويرى البعض ان حيوية المكان اجتماعيا يتم تعزيزها عن طريق الحد من الفقر، وتحسين جودة الحياة. وبشكل عام تركز الحيوية الاجتماعية على وجود الاشخاص وما سيجذبهم للمكان والمجتمع للقيام بتفاعلاتهم واعمالهم التبادلية، بالتالي هذه العملية ستحقق تبعات اقتصادية ناجحة، وسينجذب المزيد من الأشخاص، وخاصة ذوي القدرات الابداعية الذي سيعملون على تحفيز الاقتصاد. (Newman& Dale,2009,p.264) وتؤكد Jane Jacobs (١٩٦١) على ان الحكم على الأماكن الحضرية الحيوية يتم من خلال حيوية الشارع، لأن الشوارع تعتبر مساحة تتعدد فيها الأغراض والمكونات التي تعطي تصور لحياة المدينة، ومن هذه الاغراض تجمهر الناس وتفاعلهم ضمن الفضاءات العامة وخاصة الشوارع المهمة، ايضا تحتوي الشوارع على الغرباء الذين يجتمعون ويثيرون العديد من المواضيع اثناء تواجدهم فيه، فالشوارع الحيوية هي من تسمح بهذا النوع من التواصل والتفاعل ، مع كون الشارع يحترم خصوصية بعض الافراد ورغبتهم في عدم الاختلاط كثيرا. ولفت عدد من الباحثين الانتباه إلى أهمية السلامة وتأثيرها على كل من حجم وتكوين مجموعات المشاة، وهذا ما أيده Alexander[٧] (١٩٧٧) و يشير إن هذا أمر مهم للغاية بالنسبة للحياة الليلية في المدينة، حيث أن الظلام يفاقم الشعور بالخوف. (Alexander,1988,p.180) ولفت Suzanne Lennard[٨] في كتابه

"Public Life in Urban Places" (١٩٨٤)، الذي درس الحياة العامة في أكثر من خمسين مدينة أوروبية ، أنه في الأماكن الحيوية: "المشاركون ليسوا متفرجين مفتونين فحسب ، بل قد يصبحون هم أنفسهم من المساهمين في سير العملية الديناميكية داخل المكان" وهذا تم ربطه بسلوك الافراد وطرق تصرفهم. ووجدت William H. Whyte[٩] (١٩٨٠) في دراسة على احد الامكان الحيوية أن خمسين في المائة من الأشخاص الذين توجدوا فيها قد ابتسموا وظهرت عليهم معالم الراحة والسرور، كما لو أنهم تذكروا وعاشوا ذكرى ممتعة. وهنا يشير Montgomery (١٩٩٥) أن المدن تحتاج إلى فضاءات يمكن أن تحدث بها مختلف التفاعلات الاجتماعية، مشيرا إلى أن الحيوية هي ما يميز المناطق الحضرية الناجحة عن المناطق المتبقية. وفي الواقع، كانت الحيوية مصطلح يستخدم بالفعل في مجالات تقييم أداء المدينة. (Montgomery,1998,p.108) وتعتبر Miriam Chion[١٠] ان حيوية المكان هي نتاج يظهر بعد ان يجذب ذلك المكان مجموعة من الاشخاص ذوي الخبرة والابداع الذين يتفاعلون مع السكان الاصليين مولدين شبكات اجتماعية، ويحولون المباني والساحات الى أدوات تساهم في توليد الحيوية، ويعملون على تعزيز النسيج الاجتماعي وتكوين اماكن للفن والثقافة واضافة قيمة اقتصادية للمكان. (Chion, 2009,p.417)

مما سبق يتبين ان المجتمع الذي يتصف بمستوى عالي من الحيوية، هو الذي يتمتع بنسب كبيرة من الافراد المشاركين بالأنشطة العامة، وهذا النوع من المجتمعات يكون عبارة عن مزيج حيوي من الأنشطة، يدعمها وجود العلاقات والترابطات الاجتماعية المتماسكة. والمكان الحيوي هو ما يحفز جميع حواس مرتاديه، و يكون له مشهد بصري جمالي، ويمتلك نوعية هواء خالية من التلوث، وتمتزج به الاصوات لتولد ذلك الاحساس الذي يبعث الطمأنينة في النفس، على ان يجسد المكان تصورات افراده، ويعبر عن ذكرياتهم ومشاعرهم فيه من خلال نسيجه، وفضاءاته التي تعمل على توليد نسيج اجتماعي متماسك، بالتالي حيوية مكانية لا يمكن تجاهلها.

(٢-٢-٣) حيوية المكان اقتصاديا:

يشتمل المكون الاقتصادي لحيوية المكان على مجموعة متنوعة الانشطة والفرص التي توفرها البيئة الحضرية، ونسبة أكبر من العروض الفريدة والمتميزة، الطلب القوي على السلع والخدمات. و تؤكد Jacobs (1961) انه "يمكن أن يُنظر إلى تركيزات الناس والكثافات داخل المدن على أنها ظاهرة إيجابية، و الإيمان بأنهم مرغوبون واعتبارهم مصدر هائل للحيوية، ولأنهم يمثلون ثراء عظيماً ومفعماً، به الكثير من الاختلافات والإمكانيات، وإن العديد من هذه الاختلافات فريدة ولا يمكن التنبؤ بها وكلها ذات قيمة ". (Desrochers&Leppälä,2011,p.427) وكانت تصريحات Gehl وبحوثه (1978) تؤكد على ان عمليات تجديد الاماكن والتطوير المستمر لها ودعم حيويتها سيعمل على زيادة ثقة المستثمرين، وتحسين الاعمال واداءها للذين يعتمدون على تجارة المارة (passing trade)، بالتالي رفع مستوى المكان ومكانته. فهنا يتضح ان تحسين جودة المكان ونوعيته تساعد على تكوين نقطة محورية للمدينة. وبينت الدراسات في هذا المجال والتي تدعم تصريحات Gehl و Jacobs ان حياة الفضاءات والشوارع، تسهم في تحسين الاقتصاد المحلي، حيث تزيد من استهلاك الافراد للمنتوج المحلي. والمثال الأكثر قربا للعلاقة الإيجابية بين التنافس الاقتصادي وحيوية المكان، هو حين يتم تناول الطعام حارج المباني (في الهواء الطلق). (Marquet&Guasch,2014,p.214) وكقاعدة عامة يشير اليها Johnson (١٩٨٤) ان المناطق الحضرية الأكثر حيوية واثارة للاهتمام تميل إلى أن تكون أماكن متنوعة ومعقدة، مع وجود ملحوظ للنشاط التجاري الذي يلبي حاجة الافراد المحليين والعمال والشركات. حيث تتصف الاقتصادات المحلية الناجحة بزيادة حجم تجارتها، والابتكار المستمر فيها، وايجاد منتجات وخدمات جديدة بصورة مستمرة، وتعمل هذه الاقتصاديات على زيادة وتطوير شبكات الموردين والمستهلكين. ويؤكد بعض المختصين على الجانب الاقتصادي لحيوية المكان، حيث يعبر Shaffer و Robert Summers[١١] (١٩٨٨) عن حيوية المكان على انها قدرة النظام المحلي على توليد الدخل وجذب العمالة، لغرض الحفاظ على حالة المجتمع الاقتصادية النسبية إن لم يكن الهدف تحسينه، بالاضافة الى تركيز بعضهم

الاخر على فكرة استدامة المجتمع وتسليط الضوء على روابطه المؤسسية والتفاعل الاجتماعي. (Shaffer& Summers,1988,p.67) ويشير John Montgomery (١٩٩٥) الى ان الاماكن الحيوية هي اماكن تدعم امكانية اجراء التعاملات التجارية والاجتماعية والثقافية في مختلف القطاعات لفترات اطول من اليوم، وبهذا فأن حيوية المكان تدعم قيام الاقتصاد المسائي.

مما سبق يتضح ان حيوية المكان، تبرز وتُفعل عن طريق معرفة كيف يتم اشغال المكان الحضري في أوقات ومواقع مختلفة، و قابليته على الاستمرار في جذب الاستثمارات. وأهم ما يميز الاماكن والمجتمعات الحيوية، هو علاقاتها القوية والنشطة بين السكان والقطاعين العام والخاص، والاماكن الحيوية هي تلك القادرة على توطيد وزراعة هذه العلاقات، لتحقق بذلك التطور والتميز عن الاماكن الاخرى، ولتحسين رفاه الافراد وجودة حياتهم. يؤكد هذا على ان مفهوم الحيوية هو القدرة على الازدهار، والسعي لتحقيق الرفاه الفردي والجماعي بتوفير الاحتياجات والتطلعات المختلفة للمجتمع. ومما تم تناوله اعلاه من مفاهيم وافكار حول حيوية المكان خلال فترات زمنية متعددة يمكن الاعتماد عليها في التوصل لأنواع حيوية المكان واتجاهاتها الاساسية التي سيتم الاعتماد عليها لاحقا في التوصل لمجموع المؤشرات الرئيسية. وهذا الانواع ستتضح من خلال الابعاد العمرانية والاجتماعية والاقتصادية التي تم تفصيلها سابقا، وهي (الحيوية المادية، الحيوية الاجتماعية، الحيوية الاقتصادية).

المبحث الثالث: انواع الكثافة الحضرية وحيوية المكان:

(٣-١) انواع الكثافات الحضرية

(٣-١-١)الكثافة السكنية (Residential Density):

ظهر هذا المفهوم ببداية القرن الماضي بعد الحرب العالمية الاولى، نتيجة لمجموعة من الامراض الاجتماعية التي عانت منها المجمعات السكنية. وهو من المفاهيم المهمة في مجال الاسكان لكونها تؤثر بشكل كبير على مستوى السكن ضمن منطقة معينة، ويتضح ذلك من خلال عدد ونوعية الوحدات السكنية والخدمات المقدمة داخلها وخارجها. (Berry,1963,p.391) وقد تم تعريف هذا المفهوم في

بريطانيا، بانة مقدار تقارب الوحدات السكنية المشغولة بالسكان والمنظمة ضمن المناطق السكنية في المدن او القرى. اذا فالكثافة السكنية هي عدد الوحدات السكنية (شقق ،مساكن) ضمن مساحة معينه (هكتار).

الشكل (١) ويمكن تنفيذ الكثافة السكنية في ثلاث اشكال حضرية مختلفة: المباني ذات الفناء مركزي(a)، صفوف متوازية من الابنية السكنية(b)، مباني متعددة الطوابق (c).

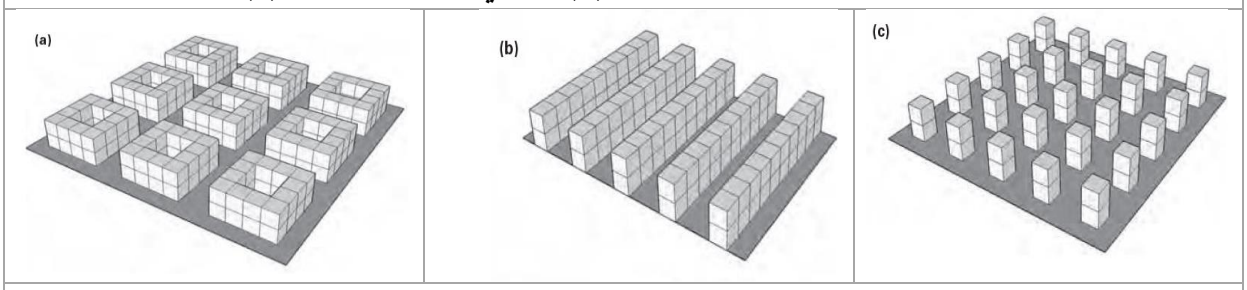

Source: (Martin, L. &March, L.,Urban Space and Structures Cambridge Cambridge University Press, 1972, p.36)

والاشكال اعلاه ايضا بالإمكان تطبيقها بـثلاث تخطيطات مختلفة لكثافة سكنية متشابهة، فأما تكون مباني برجية يحيطها فضاء واسع وهي ما تصنف بعالية الارتفاع High–rise(a)، أو بارتفاعات متوسطة ذات فناء وسطيMedium–rise(b)، او مباني منخفضة الارتفاع ذات صفوف متوازية low–rise(c).

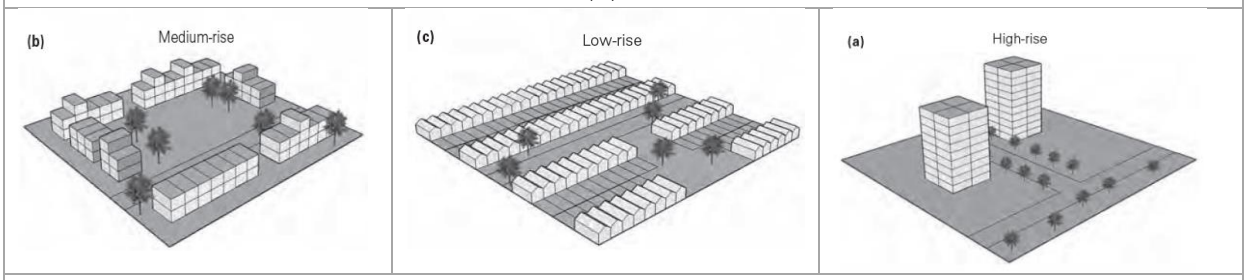

Source: (Rogers,R. Cities for a small planet, edit. Gumuchdjian, Philip, West

View Press, 1997, p.62)		
وتختلف الاشكال الثلاث في العديد من الجوانب، من حيث استخدام الارض ومنها تنظيم فضاءاتها، فإن نسبة وتنظيم المساحات المفتوحة الأرضية لها أهمية خاصة بوجود المباني السكنية عالية الكثافة.		
حيث يولد التصميم الشاهق مساحات كبيرة من الأراضي المفتوحة المناسبة للمرافق المجتمعية الواسعة، مثل المكتبات والملاعب الرياضية والمراكز المجتمعية. ومع ذلك، فبدون التخطيط الفعال للاستعمالات المرافقة له يمكن أن تتعرض هذه الأماكن لخطر تركها، وعدم إدارتها بشكل صحيح، مولدة مشاكل لابد من تجنبها. ووجود مجموعة لا حصر لها من الأبراج يؤدي الى توليد زوايا عازلة لأشعة الشمس.	الاشكال المتوازية تولد وضعا رتيبا للمناطق الحضرية وتكوّن حالة من الانعزال بين افراد المجمعات السكنية. وفي هذا الترتيب ، تكون منطقة المرافق العامة محدودة بسبب استهلاك الارض لصالح المساكن. ومع ذلك ، يمكن للمقيمين الاستمتاع بالمساحة المفتوحة الخاصة بهم بشكل منفصل.	الشكل متوسط الارتفاع مع وجود الفناء الداخلي الذي يعتبر كفضاء محدد وواضح يساعد على التفاعل، ويجعل هذا شكل الكتل وفضاءاتها محاور مجتمعية لها اهميتها. كما وسيؤدي الارتفاع المتوسط للمبنى إلى انخفاض العائق الشمسي، شريطة أن تظل زاوية إعاقة اشعة الشمس دون تغيير.

وبالاعتماد على تدرجات الكثافة ومستوياتها تنقسم المناطق الحضرية الرئيسية إلى ثلاث مناطق كثافة سكنية:) (Boughey,1972,p.34)

- تغطي المنطقة السكنية ١ كثافة سكنية عالية وغالبا ما يتم خدمتها بشكل جيد بواسطة أنظمة النقل العام عالية السعة مثل محطات السكك الحديدية أو غيرها من وسائل النقل الرئيسية. تشتمل المباني في الغالب على استعمال ومكون مهم وهو الاستعمال التجاري الذي يشغل طوابقها الثلاث الاولى.

- تغطي المنطقة السكنية ٢ مناطق الكثافة المتوسطة ويتم تطبيقها في المواقع الأقل خدمة من قبل أنظمة النقل العام ذات السعة العالية. ولا يوجد عادةً أي مكون تجاري لمساحة أرض.
- تغطي المنطقة السكنية ٣ كثافة سكنية واطئة وتنطبق على المناطق ذات القدرة المحدودة على النقل العام أو تخضع لقيود خاصة للتصميم الحضري أو حركة المرور أو يمنع زيادة الكثافة فيها لأسباب بيئية.

(٣-١-٢)الكثافة السكانية (Population Density):

هي مقياس لعدد السكان الدائمين لكل وحدة مساحة أو وحدة حجم(الأشخاص/هكتار- فدان(Persons per ha/acre) وغالبا ما يتم تطبيقه على الكائنات الحية، وخاصة البشر، ويعتبر من المصطلحات الجغرافية الرئيسية. ان الكثافة السكانية هي احد المفاهيم الأكثر تعقيداً مما تبدو عليه، و معظم الباحثين يدركون ذلك. وهناك أنواع مختلفة منها، وقد يكون لكل نوع تأثيرات مختلفة على الأشخاص وسلوكياتهم. و تلاحظ Mickelson (1970)، ان أهمية الكثافة تكمن في درجة انفصال الناس عن الآخرين أو عدم فصلهم (استمرار تواصلهم). وفي ضوء ذلك، توصلت Mickelson لنوعين من الكثافة، كل منها يتضمن أبعادًا مادية مختلفة، ومجموعات مختلفة من الأشخاص. وهي: (Madanipour,1996,p.93) الكثافة الداخلية- المتمثلة بعدد الأشخاص في المسكن او المبنى (بمختلف الانواع والتصاميم)، والكثافة الخارجية- عدد الأشخاص داخل المنطقة الحضرية السكنية. ويميز علماء النفس بين الكثافة السكانية مكانيا واجتماعيا، حيث يتم إنشاء الكثافة المكانية بواسطة عدد معين من الأشخاص في مساحات ذات أحجام مختلفة وهو ما تناولناه سابقا. كما وتشير الكثافة المكانية إلى إدراك الكثافة فيما يتعلق بالعلاقة بين العناصر المكانية مثل الطول والمسافة والتجاور. اما الكثافة الاجتماعية فيتم إنشاءها بوجود أعداد من الناس ذوي الثقافات والجنسيات والهويات المختلفة في نفس المكان، أي انها تعتمد على تنوع الافراد داخل المكان المدروس. (Baum&other,2001,p.64)

حيث تعتبر الكثافة الاجتماعية ذات قيمة تستمدها من خليط من الناس، متنوعي الاعمال والدخول، يرافقهم مزيج من الاستعمالات والاعمال، والمباني والفضاءات التي تعتبر استجابة لحاجاتهم وخاصة المشاة منهم. وعادة ما يرافق دراسات الكثافة السكانية جدل حول أهمية الشكل الحضري في توليد وسائل النقل العام المستدامة. فقد كانت الكثافات السكانية في المدينة مرتبطة ارتباطا قويا بالاعتماد على السيارات، مما يشير إلى أنها تؤثر بشكل مباشر على اختيار وضع النقل. بعد ذلك، اكتسبت الكثافة السكانية الكثير من الاهتمام في النقاش حول الشكل الحضري ووسائل النقل العام. ويبرز استعراضات الدراسات التي قامت بها UN-Habitat (٢٠١٣)، Ewing&Cervero(٢٠١٠)، أهمية تأثيرات كثافة سكان المدينة على سلوك السفر العام، وتحقيقها لخدمات نقل قابلة للحياة. فزيادة الكثافة السكانية يزيد من العناية بشبكة النقل العام ويزيد قدرتها على البقاء بفعل وفورات الحجم التي يوفرها السكان. كما أن زيادة الكثافة السكانية تقلل من متوسط مسافة الوصول إلى شبكة النقل العام-مما يقلل من أطوال الرحلة- ويزيد من حركات المشاة على طول الممرات الرئيسية، وبالتالي تحسين قدرة النظام على البقاء. (Ewing&Cervero,2010,p.274)

(٣-١-٣) الكثافة البنائية (Structural Density):

تعتبر الكثافات البنائية احد الأنواع الاساسية للكثافة الحضرية، اذ تعد من المؤشرات المهمة في السياسات التخطيطية، التي تحدد المساحات المشيدة وعدد الطوابق المسموح بها وبالتالي تحدد ارتفاعات المباني، وبهذا توضح مقدار تلاصق المباني ودرجة تقاربها ضمن مساحة معينة. وتعتبر الكثافة البنائية الطريقة الأكثر دقة لقياس الكثافة التجارية أو كثافة اي من الاستعمالات الحضرية (فقد يحتوي مبنى مختلط الاستعمال على كثافة بنائية مختلف لكل استعمال). كما وتعتبر مقياس لكثافة التطوير، حيث تقابل وتساوي الكثافة البنائية العالية التنمية الأكثر كثافة. وهي ايضا من الضرورات المسلم بها والمتفق على ان تكون مرجعا لقياس مقدار تلبية الاحتياجات الإنسانية المتنوعة بصورة تحافظ على الامان والصحة النفسية والبدنية للسكان. (Barr,2012,p.745) وبالتالي فان الكثافة البنائية هي أداء تنظميه للمجال

المكاني بين ما هو فضاء حر وما هو فضاء مبني. وتنقسم الكثافة البنائية لنوعين هما: (Costa& Noble,1993,p.128)

أ) نسبة التغطية الارضية GAR (Ground Area Ratio): وتسمى ايضا ((Site Coverage والتي تعرف انها المساحة الارضية الاجمالية gross floor area لكل المباني المتواجدة ضمن مساحة معينة تقسيم المساحة الكلية للمنطقة المقصود the Net Site Area، او انها علاقة بين مساحة المباني ومساحة الأرض الإجمالية للموقع، سواء أكانت قائمة أو مقصود إقامتها عليها. ويستثنى من المساحة الاجمالية المساحات المخصصة للخزن والمناطق المزروعة ومواقف السيارات. (Kaneko& Kono,2010,p.528)

ب) نسبة التغطية الطابقية FAR (Floor Area Ratio): وتسمى ايضا (plot ratio) التي تشير إلى " المساحة المبنية في الطابق الأرضي مضروبا في عدد الطوابق المسموح بها على مساحة الأرض الكلية ". او أنها مجموع إجمالي مساحات جميع الطوابق القائمة فوق سطح الأرض ونسبتها الى المساحة الكلية لأرض المبنى. ويكون مجموع مساحات الطوابق لجميع المباني الرئيسية والثانوية بما يخص المجمعات السكنية. (McMillen& Singell&other,1992,p.200)

(٣-١-٤) كثافة استعمالات الارض (Land Use Density):

ان نمو السكان وتزايد اعدادهم وما يقابله من زيادة الطلب على الغذاء يؤدي بالتدريج الى استنزاف الاراض. وسيتعين على هذا النمو تغيرات في الطلب على المنتجات والمرافق والخدمات، والتي سينتج عنها تغيرا في انماط استعمالات الارض، التي ستكون امام طريقين اما التوسع على الارض او زيادة الناتج لكل وحدة مساحة متاحة لكل استعمال، لذلك وجب اللجوء لما يسمى بـ "تكثيف استعمالات الأرض". فتلبية الطلب دون التضحية بالموارد الطبيعية (الأرض) يتطلب تكثيفًا مستداما لاستعمالات الارض. وتعرف كثافة استعمالات الارض او (الاستخدام المكثف للأراض) انها "مقياس لشدة استخدام خصائص وميزات الارض ضمن المنطقة الجغرافية، ويدخل ضمن هذا قياس شدة الاستعمالات السكنية

او الخدمات والمرافق بالإضافة للمسطحات الخضراء". (Cervero&other,2006,p.299) فشدة استعمال الارض هي مقياس للاحتياجات الاجتماعية-الاقتصادية للبيئة الحضرية. وهو يساوي توفير المرافق والخدمات الكافية التي توفر تجربة ثرية ومكثفة للحياة في المدينة. ويعرفها قاموس المصطلحات العقارية بأنها مقياس لمدى تطوير قطعة الأرض بما يتفق مع مراسيم تقسيم الأراضي. ايضا تعرف على أنها ظاهرة جوهرها استبدال الموارد ومدخلات الانتاج، حيث يتم فيها الاستعاضة عن مورد الأرض برأس المال والعمالة. يعتبر تطوير الاستعمال المختلط ورفع كثافته كحقل بحث في مقدمة الأعمال الأكاديمية. وتنحصر ايجابياتها على مزايا من وجهات نظر مختلفة. كالقرب من المساكن والعمل ووسائل الراحة، ومزيج من الوظائف، يعتبر الاستخدام المختلط عاملاً مشجعاً لوسائل نقل أكثر استدامة وصديقة للبيئة مثل المشي وركوب الدراجات. وينظر آخرون إلى القضايا ذات الصلة بالاستعمالات المتعددة باعتبارها محركات فعالة للحيوية الحضرية.(Stead&Hoppenbrouwer,2004,p.135) كما وتنقسم الكتل الحضرية وفق مزيج استعمالاتها سواء كانت ثنائية الوظيفة او ثلاثية الى:

(١) سكنية-خدمات: الكتل التي تحتوي على السكن والخدمات بطريقة متعادلة بحيث لا أحد منهم هو المسيطر (أكثر من ٨٠ ٪ من التغطية الطابقية) ، ونسبة ضئيلة من مكاتب الاعمال (أقل من ١٠ ٪ من التغطية الطابقية).

(٢) السكنية-العمالة: الكتل التي تحتوي على السكن ومكاتب العمل بطريقة لا يسيطر أيا منها على الاخرى (أكثر من ٨٠ ٪ من التغطية الطابقية)، وحصة منخفضة للوظائف الخدمية (أقل من ١٠ ٪ من التغطية الطابقية).

(٣) التوظيف-الخدمات: الكتل التي تحتوي على استعمال العمل والخدمة بطريقة لا يسيطر أي منها على الاخر (أكثر من ٨٠ ٪ من التغطية الطابقية) ، ونسبة منخفضة للمساكن (أقل من ١٠ ٪ من التغطية الطابقية).

(٤) المزيج الثلاثي (السكني–الاعمال–الخدمات): الكتل التي تحتوي على السكن ووسائل الراحة والعمل بطريقة لا يكون فيها أي منها مهيمناً (أكثر من ٨٠٪ من التغطية الطابقية)، ولا يكون نصيب أي منها منخفضًا (أقل من ١٠ ٪ من التغطية الطابقية).

(٣–١–٥) كثافة الانشطة والعمالة (Density of activities and Employment):

يتم التعريف بكثافة العمالة بشكل عام من حيث الموظفين أو مساحة مكان العمل. وإن تحديد عدد الوظائف والموظفين في منطقة معينة ليس بنفس الوضوح الذي يتم به قياس السكان والوحدات السكنية. لكون الوظائف أكثر تقلبا من عدد السكان، حيث أن عدد الموظفين في أي عمل قد يزيد أو ينقص في أي وقت. ويمكن أن يتخذ التوظيف أشكالا عديدة، لكل منها أرض مختلفة جدا، وشكل مبني، ومتطلبات بنية تحتية مختلفة. على سبيل المثال، يشغل عامل المكتب مساحة أقل بكثير من عامل المستودع ، مما يؤدي إلى كثافة عمالة أعلى في العمل المكتبي. (Garret,2011,p.24) فكثافة التوظيف او التشغيل هي بيانات مرجعية تعبر عن متوسط عدد العمال (الموظفين) الذين يمكن استيعابهم داخل وحدة المساحة المتوفرة. وتتطرق بعض الدراسات الى انها كثافة يمكن عن طريقها حساب موظفي كل استعمال (كالصناعي، التجاري، الترفيهي،الخ) بشكل مختلف ومنفرد عن الاستعمالات الاخرى. ويفترض النموذج الاقتصادي الذي اقترحه (1972) Mills و (1969) Muth، أن كثافة العمالة تتركز عادة في مراكز المدن بشكل حدسي، لكون الاغلبية ينتقلون للمركز لاغراض العمل، وبذلك تظهر الكثافة السكانية وبالتالي كثافة العمالة نمطًا هبوطياً بالابتعاد مسافة عن وسط المدينة. (Redfearn,2007,p.523) اما ما يخص كثافة الانشطة، فبينما تشير الكثافة (السكنية، الاسكانية) إلى عدد الأشخاص أو عناصر الشكل الحضري (كالوحدات السكنية) لكل وحدة مساحة من الأرض، تشير كثافة الانشطة إلى تركيز الأنشطة التجارية والخدمية في الطوابق الأرضية على طول شوارع المدينة. حيث يؤكد تعريف كثافة الانشطة إلى حجم التفاعلات المكانية التي تكون عادة على مستوى الطابق الأرضي، حيث تعتبر شبكات الشوارع التي تستوعب تركيزات أعلى من الأنشطة هي الأكثر كثافة.

وتم بالاعتماد على انواع الكثافة اعلاه اشتقاق مجموعة عوامل تتأثر بالكثافة بمختلف انواعها وبالتالي تؤثر في البيئة الحضرية. حيث تم الاعتماد عليها في استخلاص العوامل المشتركة والغير متكررة بين انواع الكثافة الخمسة، وعليه تبين:-

- ان الكثافة السكنية تؤثر في مجموعة من العوامل سلبا وايجابا، وهي (مدى توفر المرافق والخدمات المجتمعية لتحسين جودة حياة الافراد، وتوفير شبكات نقل ذات فعالية وكفاءة، وتؤثر كذلك بتنوع الاشكال الحضرية الذي يرافق تنوع الكثافات بين العالي والمنخفض، وعادة ما يرافق الكثافات المصممة وفق معاييرها التخطيطية وجود فضاءات للترفيه والراحة، بالاضافة لوجود مزيج متنوع من استعمالات الارض الحضرية).
- الكثافة السكانية تؤثر في ثلاث عوامل بعد ازالة التكرار، وشملت(زيادة كثافة المشاة، وعادة ما يرافق الكثافة السكانية العالية تنوع عالي للافراد، وزيادة الكثافة السكانية تدفع الى تعدد الاسباب التي يتواجد من اجلها الافراد داخل المكان نتيجة تنوع الفعاليات والانشطة).
- الكثافة البنائية وتصميمها تؤثر في (زيادة عدد التقاطعات داخل النسيج الحضري، ومدى مراعاة المقياس الانساني وحجوم المباني وتنوع اطوالها الذي يتداخل ضمن مبادئها التصميمة، وتحقيق التوازن بين الكتل المبنية والفضاءات المتخللة بينها، بالإضافة لأهمية مراعاة عدم استمرارية واجهات الابنية والكتل على طول الشوارع، ايضا يرافق تصميمها متابعة لمقدار تعقد الفضاء وانفتاحه او مقدار الوصول بصريا اليه التي بدورها تشجع المشاة او تبعدهم).
- اما كثافة استعمالات الارض فقد استخلصت من مجموع العوامل التي اشتقاقها في المخطط الخاص بها سبعة عوامل شملت (تنوع الانماط السكنية وكثافاتها نتيجة زيادة كثافة الاستعمالات، وتدعم زيادة كثافة الاستعمالات زيادة الوصول لمختلف اجزاء المكان، وارتفاع ساعات اشغاله ومقدار التدفق اليه، ونتيجة لزيادة الحركة في مناطق الاستعمالات الكثيفة سيزداد شعور الامان والراحة لدى زوار المكان،

ولكي تصبح هذه الزيادة ذات فعالية وتحقق اهدافها التخطيطية لابد ان ترافقها شبكة بنية تحتية كفؤة وفعالة، بالإضافة لذلك تدعم كثافة الاستعمالات ارتفاع كثافة العاملين).

◄ بينما حققت كثافة الانشطة والعمالة تأثيرا على اربعة عوامل مستخلصة من مجموعة من العوامل التي تم بيانها في المخطط المرافق لها، وشملت العوامل (تنوع فرص العمل، ودعم لحركة الاستثمار الباحثين عن العمالة الكفؤة وذات الخبرة، وتزيد كثافة الانشطة من حالة التفاعل داخل المكان، بالإضافة لتنوع الانشطة التجارية).

(٣-٢) أنواع حيوية المكان

(٣-٢-١) الحيوية المادية (Physical vitality):

تطرقت العديد من الدراسات للتصميم المادي للأماكن وعلاقته بحيوية المدن. وكان الكثير منهم قلقين من إخفاقات ومعوقات التصميم الحضري في معالجة صفات الحياة في المدينة. حيث ان عملية بناء صفات عمرانية فريدة للمدينة تمثل احد الابعاد والركائز المهمة لحيوية المكان، والتي تنطوي على الظروف المادية Physical لترتيب الانشطة والفعاليات المتنوعة من خلال شبكات متعددة. كأن يتم بناء وتخصيص المباني والشوارع والاماكن العامة لمنحها طابع حضري مميز، والاهتمام بالمباني القديمة في مركز المدينة واعادة استخدامه بما يتلائم والحاجة، مع الاخذ بالاعتبار تنظيم الهيكل البنائي Organizer structure الذي سيحقق فهما اكبر للمكان، وستكون هنالك امكانية اكبر للبناء والتنمية العالية. حيث يتم من خلال هذه الالية تعزيز الوصول لمختلف المواقع عن طريق الشبكة الهرمية للطرق، وبهذا تكون خدمة النقل العام ذات تغطية جيدة لمختلف المناطق. (Lefebvre,1991,p.238) ومن الخطوات المتخذة بهذا الجانب هي مراعاة المقياس الانساني فيما يخص هذا العامل فهو يعتبر من المعايير والمبادئ التصميمة التي اهتمت الدراسات وعمليات التطوير بوضعها والتركيز عليها لتوليد حيوية للمجتمع المحلي الصالح للسكن. حيث تؤكد Barton في هذا الجانب، إن من الامور الضرورية لتعزيز حيوية المكان، هو تكوين شبكة من الفضاءات الخضراء المترابطة. واشار "المنتدى الحضري العالمي" في

Vancouver ان الفضاءات الخضراء والممرات هي من دعائم حيوية المكان. اما Charles Landry فيؤكد ان هذه الفضاءات هي احد مرافقات حيوية المكان. و يعتبر "المعهد الأمريكي للمهندسين المعماريين" ان الفضاءات الخضراء وعناصر الطبيعة هي احد معايير حيوية المكان. ويشدد ايضا الى اهمية حماية موارد البيئة، ووجود توازن بين الهيكل العمراني والبيئة الطبيعية. (Punter,1991,p.25)

(٣-٢-٢) الحيوية الاجتماعية (Community Vitality):

تعمد بعض الادبيات على اعطاء تعريف للحيوية المجتمعية، وتعتبر ان المجتمعات الحيوية تتميز بعلاقات قوية ونشطة وشاملة بين السكان ومنظمات المجتمع المدني التي تعمل على تعزيز الرفاه الفردي والجماعي. والمجتمعات الحيوية هي تلك القادرة على زراعة هذه العلاقات وحشدها من أجل تحسين رفاه المواطنين. ويؤكد هذا التعريف على فهم الحيوية باعتبارها القدرة على الازدهار واستمرار السعي لتحقيق الرفاه الفردي والجماعي، بطرق شاملة واحتراما لاحتياجات وتطلعات المجتمعات المختلفة. وبالإضافة للدراسات المتعلقة بالجانب المادي للاماكن الحضرية هناك اخرى تتعلق بالبناء الاجتماعي والعلاقات والتدفقات على الفضاءات الحضرية، حيث تعترف الدراسات الحديثة بالتدفقات والشبكات الاجتماعية التي تكون الهيئة العامة للحيوية المجتمعية للمكان الحضري، وتشير الى ان هذه الحيوية لا تنتج فقط من العلاقات الداخلية ولكن ايضا بالاعتماد على ترابطات المكان وعلاقاته وتبادلاته مع محيطاته. وتعتمد عملية تعميق الشبكات والعلاقات هذه على تعزيز الشبكات والترابطات المحلية والاقليمية لمركز المدينة، حيث تقوم الاستعمالات والشركات داخل المركز بتوسيع شبكاتها اعتمادا على انتاجات معينة تدعم ذلك، كإقامة فعاليات تجذب الاشخاص من مختلف الاتجاهات او اقامة انشطة متميزة. (Chion, ٢٠٠٩,p.٣٧٤) وللحيوية المجتمعية طرق عدة للإحساس بها وهي، العلاقات الاجتماعية التي تشتمل على (المشاركة الاجتماعية ،الدعم الاجتماعي، سلامة المجتمع). وتم تضمين سلامة المجتمع ضمن هذا الجزء لتأثير العلاقات الاجتماعية السلبية على حيوية المكان. وتشير بعض الدراسات الى ان المشاركة الاجتماعية تتضمن (المشاركة المجتمعية، المشاركة المدنية، والمشاركة الاقتصادية). حيث تشير هذه

المشاركات الى قوة الشبكات الاجتماعية وتأثيرها على التفاعل الاجتماعي وتقوية الشعور بالمكان، بالتالي دعم حيوية المكان وهي المقصد الرئيسي. (Meagher,2007,p.23-36)

(٢-٢-٣) الحيوية الاقتصادية (Economic Vitality):

هي حالة تتميز بها الاماكن المعقدة التي تتنوع بها الانشطة والاستعمالات وخاصة الانشطة التجارية التي يتداولها المستهلكين (اشخاص وشركات)، فزيادة حجم التجارة وتنوع المنتجات وتقوية حركة الاستيراد والتصدير في ذلك المكان سيؤدي الى زيادة حجم الاقتصاديات المحلية، وبالتالي تتولد الحيوية الاقتصادية، التي تلعب دورا مهما في رفع وتقوية المستوى الاقتصادي للمدينة، حيث تعمل على ازدهار الانشطة الاقتصادية بالاضافة للاعمال التجارية، والاهم جذب الافراد للمكان. وتعرف على انها ما يتولد من برمجة الأحداث والأنشطة التي تحدث في الشوارع والمباني والساحات خلال فترات زمنية معينه. مع ذلك لا يمكن تحقيق الحيوية الاقتصادية على المدى الطويل إلا عندما يكون هناك تنوع في استعمالات الأراض والنشاط الاقتصادي. (Jacobs,1961,p.168) وتسعى استراتيجيات الحيوية الاقتصادية فيها إلى الاستفادة من الاستثمارات العائدة للقطاعين العام والخاص في وسط المدينة، وزيادة استيعاب الساحات للاستعمالات والأعمال التجارية المعاصرة التي يحركها السوق. وتشمل مبادرات الحيوية الاقتصادية الفعالة ضمن اطار الشارع الرئيسي استراتيجيات وإجراءات لاحتجاز وتوطين الشركات وتوسيعها. ويعد العمل مع الشركات القائمة لتحديد الفرص والنمو ومقدار الاستحواذ على السوق، من بين أفضل استراتيجيات التنمية الاقتصادية، ويهيئ هذا المجال لنجاح التوظيف على المدى الطويل في مجال الأعمال. ولكي يتم تفعيل هذه الاستراتيجيات والخطط لابد ان تأخذ بالاعتبار المجموعة الكاملة من الاستعمالات التي تجعل مركز المدينة نابضًا بالحياة. وأن تمتد استراتيجيات تطوير الأعمال إلى ما هو أبعد من تجارة التجزئة وأن تعزز الأنواع المختلفة من الاستعمالات التجارية والسكنية والترفيهية التي تشكل جزءًا من مجتمع واقتصاد وسط المدينة الذي يتمتع بالصحة والاستدامة والنشاط. (Leduc&other,2010,p.43)

مما سبق يتبين لنا:

١) بعد تناول انواع كل من الكثافات الحضرية والانواع الخاصة بحيوية المكان، تم التواصل الى مجموعة من الترابطات بين جوانبهما الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية. والتي يمكن عن طريق ترابطاتهما توليد وقياس الحيوية الحضرية بالاعتماد على كثافة المكان الحضري. حيث تزداد شدة ترابط الحيوية المادية مع الكثافة السكنية والكثافة البنائية نظرا لارتباطهما مباشرة بالبعد المادي للمكان الحضري، وترتبط الكثافة السكانية بالحيوية الاجتماعية بصورة اشد من الانواع الاخرى للحيوية كون كل من جانبي الترابط يتعلقان بالسكان والافراد من رواد المكان وزواره، بينما ترتبط كثافة استعمالات الارض بصورة متوازنة مع جميع انواع حيوية المكان، لأنها تعتمد على الهيكل المادي ومقدار تواجد الافراد لتفعيل الاستعمالات وما ينتج عن هذا التفعيل من نواتج اقتصادية تعزز الحيوية بهذا الجانب، والحال ذاته مع كثافة الانشطة والعمالة كون كثافة الانشطة ومقدرا شدتها تعتمد على تنظيمها المكاني وتعزيزها بالعناصر المادية للمكان، بالإضافة الى كثافة العمالة التي ترتبط ارتباطا واضحا مع الحيوية الاقتصادية، مع الاخذ بنظر الاعتبار ارتباطها بالحيوية الاجتماعية بما يخص جوانب التفاعل والانجذاب للمكان.

٢) وعليه فقد نتج عن انواع الحيوية والكثافة مجموعة من المؤشرات التي تعبر عن حالة توليد حيوية المكان بالاعتماد على الكثافة الحضرية بمختلف انواعها عن طريق الترابط بين مجموع العوامل المؤثرة بكل من النوعين، فحقيقة الترابط بين الكثافة وحيوية المكان كانت واضحة من خلال ما يؤثر بها بجوانبهما العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، وهو امر تم عكسه من خلال هذه المؤشرات وهي (كفاية المرافق والخدمات Adequacy of facilities and services ، نفاذية النسيج الحضري Permeability of the urban fabric، التنوع Diversity ، التدفق والجذب Flow and Attraction، التفاعل والتواصل Interaction and communication، الشعور بالراحة والانتماء Feeling comfortable and belonging) وكل من هذه المؤشرات يرتبط بمجموعة مقاييس يتم عن طريقها قياس مدى تحقق الحيوية او انعدامها.

٣)فمعظم الدراسات اشارت الى مسألة توفير مزيج كافي من الخدمات واستعمالات الارض وتوفيرها بتراكيز يمكن عن طريقها تحقيق مكان فعال وحيوي، مع ضرورة تواجدها في نسيج نفاذ وبه من الانفتاحية والتعقيد ما يولد رغبة لدى الافراد بالتنقل والاستكشاف دون ملل او ارتياب، وهذا يتزامن مع مقدار التنوع الذي يظهر في المكان الحضري والذي يعمل على ابراز الجانب الحيوية للمكان سواء بتنوع الافراد او الانشطة او حتى الهيكل المادي، وهو امر يبرز بشدة عند زيادة التفاعلات بين الافراد وبيئة المكان الذي يتواجدون ويتعزز هذا التفاعل بدوره عن زيادة شعور الافراد بالراحة والسلامة والانتماء للمكان. وسيتم التطرق لهذه المؤشرات بالتفصيل في الفصل القادم.

المبحث الرابع: مؤشرات الكثافة الحضرية وحيوية المكان:

(٤-١) مؤشرات الكثافة وحيوية المكان:

(٤-١-١) مؤشر الاكتفاء Sufficiency Indicator

يعتبر مؤشر الاكتفاء مقياس لمقدار توفر احتياجات الافراد الاجتماعية في البيئات الحضرية. كما يدرس مدى حيويّة مناطق المعيشة الحضرية الكثيفة، وينظر عن طريقه الى كيفية اهتمام التخطيط بتنوع الاسر واحتياجاتهم وتوفير الخدمات والمرافق بصورة كافية تحقق الراحة والرفاهية، حيث يشير لينج الى ان المدينة الجيدة والملائمة للعيش هي التي توفر احتياجات السكان من المباني والساحات والشبكات اللازمة لسكانها لمتابعة مشاريعهم بنجاح. بمعنى ادق، فإن هذا الاكتفاء سيمكننا من الحكم على مدى نجاح المكان الحضري ونوعية الحياة فيه. وهو امر يسهل بوجود الكثافة العالية حيث تتوفر معها مجموعة متنوعة من المرافق عالية الجودة نسبياً والإسكان والصحة والتعليم والثقافة والترفيه و الخدمات البلدية و فرص العمل، وهذه الجودة لا تقدم في مناطق الاسكان منخفض الكثافة. وهذا مهم بشكل خاص لتلبية احتياجات مختلف المجموعات السكانية وأنواع الأسر والأشخاص ذوي الاهتمامات وأنماط الحياة المختلفة. (Churchman,1999,p.394)ويتضمن هذا المؤشر مجموعة من المؤشرات الثانوية وهي:

١) كفاية المرافق والخدمات الاساسية،

٢) مزيج استعمالات الارض،

٣) شبكة حركة ونقل كفؤة.

(٤-١-٢) مؤشر نفاذية النسيج الحضري Permeability of the urban fabric Indicator :

تشير الدراسات في هذا المجال الى ان لنفاذية النسيج اهمية في ابرازه بشكل حيوي وفعال، حيث يمكن ان تكون التغطيات الارضية المتنوعة ذات الكثافات العالية غير محتملة اذا كانت كتلها طويلة لا تقطعها شوارع بشكل متكرر. لكن الجمع بين تغطيات ارضية عالية تقطعها شوارع متكررة ،فضاءات مفتوحة نابضة بالحياة، كلها تعتبر عناصر لأغاثه الأماكن الخاملة وتقلل من الضغوطات التي يمكن ان تسببها التغطيات المرتفعة للمكان. وفي الواقع، معدل النفاذية يعزز استجابة الافراد للبيئة ويزيد من شدة تفاعلاتهم داخلها. وينبغي أن يكون النسيج الحضري نفاذا ليس فقط لأولئك الذين هم على دراية به ولكن أيضا لجميع زوار المكان. ويرتبط النسيج الحضري ومقدار نفاذيته ارتباطا وثيقا بالحجم واعتباراته المتعلقة بكتل المدينة. (Chatterton &others,2007,p.47) ويتم التأكيد في هذا المؤشر على عدة مؤشرات ثانوية وهي:

١) الكتل القصيرة،

٢) توازن نسبة الكتلة والفضاء،

٣) تعدد المداخل،

٤) عدم استمرارية الواجهات،

٥) التقاطعات.

(٤-١-٣) مؤشر التنوع Diversity Indicator :

وعادة ما يتطلب التخطيط للحيوية تحفيز أكبر قدر ممكن من التنوع ومقداره يختلف بين مدينة واخرى، وهذا التنوع يعتبر الأساس الكامن وراء القوة الاقتصادية للمدينة وحيويتها. وللقيام بذلك، يجب على المخططين أن يشخصوا ما هو غير موجود لتوليد التنوع في المكان المدروس، ثم المساعدة على توفير

النقص بأفضل ما يمكن توفيره. ومصطلح ومؤشر "التنوع" يتضمن مجموعة واسعة من المؤشرات المندرجة تحت اطاره منها تنوع استعمالات الارض والمباني السكنية ونسب الاعمال التجارية والانشطة الاقتصادية، بالإضافة لتنوع ساعات العمل والتنزه، والاسواق واحجامها مع تنوع تخصصاتها والمنتجات التي تقدمها، مع ضرورة توفير المساحات، بما في ذلك الحدائق والساحات والزوايا لتمكين الناس من مشاهدة الأنشطة والفعاليات الثقافية. (Calthorpe,1984,p.85) ويمكن اختصار المؤشرات الثانوية المعتمدة هنا كالتالي:

١) تنوع المساكن وكثافاتها،

٢) تنوع المباني،

٣) تنوع الانشطة والفعاليات.

(٤-١-٤) مؤشر التدفق والجذب Flow and Attraction Indicator

إن المسائل المتعلقة بنوعية الحياة والحيوية المكانية وحيوية المجتمع المحلي صيغت في ابعاد متعدد منها الايكولوجية والاقتصادية والاجتماعية، حيث كانت هناك العديد من المحاولات لإيجاد مؤشرات تكامل جميع ضروريات البيئة والافراد ومحاولة ايجاد مقاييس مجدية تعبر عنها. وبشكل عام، يتم فيها التركيز على ما سيجذب الناس إلى المجتمع للقيام بأعمالهم، وما سيؤدي إلى اقتصاد ناجح، وليس مجرد تحفيز الناس داخل المجتمع على النجاح والنجاة في المجتمع. وهذا الاهتمام سوف يجتذب أشخاصا جددا (وخاصة الطبقات الإبداعية التي من شأنها أن تحفز الاقتصاد). وتتعد عوامل اسباب الجذب بين وجود مراكز التسوق والمؤسسات والخدمات او توفر فرص العمل للباحثين عن الوظائف. وان أحد اسباب تعزيز الحيوية وزيادة انتاجية المراكز الحضرية والحركة فيه، هو أن هذه المراكز هي نقطة جذب للمهارة. وبالتالي، يميل الناس من مناطق أخرى إلى الهجرة إلى هذه الأماكن التي تزيد من زيادة السكان المحليين. (Southworth,2003,p.349)

١) كثافة المشاة،

٢) جذب الاستثمارات والشركات،

٣) العمالة والوظائف.

(٣-١-٥) مؤشر التفاعل والتواصل Interaction and communication Indicator

المدن هي الأماكن حيث يجري فيها اجتماع الافراد ببعضهم، للتحدث والتفاعل والتجارة. وعندها تتطور الحيوية الحضرية عندما تعمل هذه الاتصالات واللقاءات بشكل جيد، وجها لوجه. فالحيوية تحتاج إلى أماكن تجمع وتشجع المحادثة والمعاملات. كما وان الاماكن الحضرية لا تخلو من الترابط بين جانبها المادي (المكان) والاجتماعي (التفاعلات)، وهذا الترابط عادة ما يعمل على تشجيع وتحفيز مجموعة واسعة ومتنوعة من الانشطة والفعاليات، وهو غالبا ما يدعم التفاعلات الاجتماعية. وهذا الاجراء سيعزز الاحساس بالمكان، ويظهر المكان على انه رمزا للحياة المجتمعية. (Cheng&others,2003,p.93) وهذا الامر يرافق عادة الكثافة العالية كونها إمكانيات للدعم الاجتماعي وسهولة اجراء التفاعلات الاجتماعية، ومن جهة اخرى إمكانية الحصول على أنواع الخصوصية المرغوبة (مثل عدم الإفصاح عن الهوية). كذلك تمكن هذه الكثافات الافراد من اختيار الأقران والزملاء بحرية، ليس فقط بسبب وجود المزيد من الناس ولكن أيضا لأن هناك تنوعا أكبر بين الحاضرين. وحرصا على حياة المكان، يتم تشجيع الناس على الاختلاط والتحدث داخل المكان ومع محيطاته، حيث يتيح هذا الامر زيادة الترابط الاجتماعي، وهذا يحدث على مستوى الأحياء الصغيرة وكذلك الساحات الواسعة. (de Roo,1998,p.1032) ومؤشراته الثانوية هي:

١) الفضاءات الحضرية العامة،

٢) الوصول البصري،

٣) انشطة وفعاليات الرصيف.

(٣-١-٦) مؤشر الشعور بالراحة والانتماء Feeling comfortable and belonging Indicator

ان إنشاء بيئة حضرية صالحة للعيش توفر الراحة لأفرادها يعتبر من متطلبات المكان الحيوية، فهو مكان يمكن أن يعيش فيه الجميع في راحة نسبية في بيئة مُدارة بشكل جيد، خالية من الإزعاج نسبيًا والاكتظاظ والضوضاء والخطر وتلوث الهواء والأوساخ وغيرها من التدخلات الغير المرغوب فيها، يتضمن الشعور بالراحة تلبية احتياجات فئات معينة في المجتمع ، بما في ذلك الأسر ذات العائل الواحد، والمسنين، والأسر ذات الدخل المنخفض والمتوسط. ومن معززات الشعور بالراحة والانتماء هو ارتباط الافراد مع بعضهم بعلاقات وتفاعلات اجتماعية، وهذا الامر تدعمه الاماكن الحيوية عالية الكثافة التي يرتكز بها خليط متنوع من استعمالات الارض والمرافق والخدمات، وهذا التنوع يحقق كثافة حركة عالية تساعد على توليد احتكاك مختلف الطبقات الاجتماعية اثناء طلبها على الخدمات وذلك يحقق نوع من التواصل الاجتماعي الذي ينعكس على وحدة وترابط المجتمع، اذ ان الترابط الاجتماعي يولد مجتمعا قويا مستقلا ومعتمدا على قدراته الذاتية يتسم بالنشاط والحيوية. (Ben,2005,p.40) ويتعلق بمجموعة من المؤشرات الثانوية وهي:

١) مراعاة المقياس الانساني،
٢) الامان وانعدام الجريمة،
٣) ساعات إشغال المكان.

الاستنتاجات:

من خلال دراسة انواع كل من حيوية المكان والكثافة الحضرية والعوامل المرتبطة بكل منهما تم التوصل لستة مؤشرات تتضمن مجموعة من المقاييس الرئيسية والفرعية، التي سيتم الاعتماد عليها في قياس مستوى حيوية المكان. ويمكن تحديد مجموعة استنتاجات بما يخص هذا الفصل، وهي:

١. لتحقيق الهدف من توليد مكان حيوية، تم تحديد مجموعة مؤشرات من ترابط انواع الكثافة الحضرية وحيوية المكان، وتم ادراج مجموعة من المقاييس التفصيلية، التي توفر بمجملها وصفا نوعياً وكمياً دقيقا

للمكان الحصري الحيوي، وتساهم في السعي لتحسين اوضاع البيئة الحضرية و بالتالي تحقيق مكان تسوده علامات الحياة والنشاط.

٢. يتواجد في هذا الفصل ستة مؤشرات فاعلة لتحقيق مكان حيوي، وهي مؤشر الاكتفاء، ونفاذية النسيج الحضري، والتنوع، والتدفق والجذب، والتفاعل والتواصل، ومؤشر الشعور بالراحة والانتماء، والتي تعمل كمنظومة متكاملة متداخلة مع بعضها الى حد ما، فلا يمكن تحقيق المكان الحيوي بالاعتماد على احدها دون الاخر.

٣. يندرج تحت مجموعة المؤشرات اعلاه مجموعة من المقاييس تم توضيحها في هذا الفصل، والتي ترتبط بدورها بمجموعة معايير و ارقام تم تطبيقها في تجارب توليد الاماكن الحيوية، حيث يمكن الاعتماد على هذه المعايير، بمقارنة مقدار تطبيق المؤشرات في منطقة معينة مع مقاييسها الرئيسة و الفرعية و التفصيلية، ومقابلتها بالمعايير والمقاييس المستمدة من الدراسات في هذا المجال.

٤. الهدف من الالية والعملية السابقة من التطبيق والمقارنة، هو معرفة وتقويم حياة المكان في الوضع القائم، مع تحديد مقدار الفجوة بين واقع الحالة وما توصي به المعايير التي تؤطر المكان الحيوية وتظهره بالصورة المطلوبة، وهذه العملية تعطينا تصورا عن مستوى ونوعية المكان الحضري، والذي سيساهم في السعي لتحقيق الهدف من جعل الاماكن الحضري مشعة بالحياة وبعيدة عن مظاهر الموت والخمول التي تصيبها في حالة عدم تطبيق هذه المؤشرات او عدم تواجدها على ارض الواقع.

التوصيات:

١) التوسع في دراسة حيوية المكان من حيث اختلاف سلوك المشاة بين المناطق الحيوية وغير الحيوية. واجراء مقارنة بين اماكن حضرية اخرى تشمل كلا الجانبين.

٢) التوسع في دراسة مفهوم الكثافة لمعالجة التعقيد الواقعي والعلاقات المتبادلة بين المتغيرات والعوامل في البحوث المتعلقة بالكثافة كما هي في التطبيق العملي. يشتمل التعقيد جانباً شخصياً موجود في سلوكيات الناس وتوقعاتهم ومواقفهم (بما في ذلك سلوك صناع القرار ومهنيي التخطيط والباحثين)،

وبالتالي، يجب أن تؤخذ في الاعتبار. فمن السهل على المخططين التأثير على الكثافة والكثافة المتصورة بدلاً من التأثير على التجربة الذاتية للازدحام. ومع ذلك ليس لدى المخططين خيار سوى محاولة معالجة تداعيات العوامل المتداخلة ذات الصلة بالازدحام.

٣) أن هناك حاجة إلى مزيد من البحث حول مختلف جوانب وتداعيات وأنواع ومستويات الكثافة المختلفة بشيء اكبر من التفصيل، مع العمل على بيان تأثيرها الايجابي او السلبي على حيوية المكان.

٤) توصي الدراسة أن يسبق أي مشروع كبير أو مقترحات لتنشيط وتعزيز حيوية المكان، تحليل كامل للهيكل الاجتماعي والاقتصادي الحالي للمنطقة، وتقدير النتائج المحتملة للتغيير. ويجب أن تتضمن هذه التحليلات، تحديد المجموعات الاجتماعية والثقافية داخل المنطقة. والروابط الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وأنماط توظيفهم وخيارات السكن التي تلائمهم والقوة الشرائية والحراك الاجتماعي. مع بيان عدد وأنواع مرافق التجزئة والترفيه الثقافية والمجتمعية التي تدعمها كل مجموعة.

٥) التوسع في دراسة الابعاد الداعمة للحيوية الحضرية ومحاولة جعلها أكثر تحديدًا. على سبيل المثال، الكثافة السكانية وفق الفئات العمرية والفئات المجتمعية المطلوبة لجذب مرافق فريدة معينة، وتحديد ماهية وأنواع الانشطة المحددة التي تسهم أكثر في إنشاء الموقع الحيوية، وتبيان فيما اذا كانت هذه المواقع بحاجة لعدد من المجموعات الاجتماعية أو الثقافية المختلفة التي يمكن أن تتواجد وتولد معها التنوع الضروري الذي يجذب بانتظام غير سكان اخرين غير المحليين.

٦) التوسع في دراسة المؤشرات العامة بهدف الوصول الى مؤشرات اكثر تفصيلا ودقة، لكونها ذات تأثير واضح على البيئة الحضرية وحيوية المكان وبالتالي حال المدن ومدى جودتها.

٧) التوسع في دراسة حيوية المكان وعلاقتها بالمعالم الطبيعية كالنهر او المعالم التاريخية بشكل كثير تفصيلا، مع استغلال هذه العلاقة في تبيان اهمية الواجهة النهرية في دعم حياة المدن والرفع من تقييمها

الحضري. كما وتقترح الدراسة أن تكون التجارب السياحية العالمية عناصر مهمة في خلق الحيوية، فمن المقترح أن العديد من المدن يمكن أن تستغل نقاط القوة فيها وتستفيد منها عن طريق ربطها بالتجربة.

الهوامش:

---

١) خبير بريطاني في تخطيط المدن، أستاذ مساعد في الفلسفة الأخلاقية ، جامعة وارويك، محاضر في الفلسفة ، جامعة غلاسكو، مدير لمجموعة Urban Design، محرر لمجلة "تخطيط المدن والبلاد"، باحثًا أقدم في قسم الهندسة المعمارية بجامعة دي مونتفورت (١٩٩٥-٢٠٠٣).

٢)باحث في الدراسات الحضرية الأمريكية يركز على النظرية الاجتماعية والاقتصادية. وهو حاليًا أستاذ ورئيس معهد مارتن للرخاء في كلية روتمان للإدارة بجامعة تورنتو.

٣) محاضر في قسم العمارة والتخطيط بجامعة غرب إنجلترا، حاصل على ماجستير في التصميم الحضري وعلى ماجستير في الدراسات الاجتماعية التطبيقية. عمل على تحسين الأماكن العامة في لندن وبريستول. وقد عمل أيضًا في عدد من مشاريع الفضاء العام في إسبانيا والبرتغال وبلجيكا وجمهورية التشيك.

٤)بيتر بوكانان مهندس معماري ومدني وكاتب وناقد ومحاضر ومنسق معارض. اشتهر بسلسلته من المقالات النقدية لجريدة The Big Rethink التي نشرتها The Architectural Review وكتبه عن الهندسة المعمارية.

٥)عالمًا اجتماعيًا أمريكيًا وعضوًا في كلية شيكاغو لعلم الاجتماع، كانت مساهمته الرئيسية في النظرية الاجتماعية للفضاء الحضري باعتباره طريقة للحياة.

٦)عالمة اجتماع أمريكية ذات شهرة عالية في الإعلام خلال الستينيات من القرن العشرين. حاصلة على درجة البكالوريس من كلية برنارد في مدينة نيويورك ودرجتي الماجستير والدكتوراة من جامعة كولومبيا.

٧) مهندس معماري ؛ قادته الفرص لممارسة التخطيط. في بيركلي (كاليفورنيا)، يعمل في جامعة ويسكونسن – ميلووكي ، معهد تكنيون – إسرائيل للتكنولوجيا.

٨)مؤسس مشارك (١٩٨٥) ومديرة المؤتمرات الدولية لكيفية جعل المدن الصالحة للعيش ، والمؤسس المشارك ومدير تحالف المجتمعات الصديقة للأطفال (٢٠١٠)، يتعلق عملها بالجوانب الاجتماعية والثقافية والنفسية للهندسة المعمارية والتصميم الحضري، ويوضح كيف تؤثر البيئة المبنية على التفاعل الاجتماعي والصحة ونوعية الحياة اليومية.

٩)مدنيًا أمريكيًا ومحللاً وصحفيًا، ووجه انتباهه إلى دراسة سلوك الإنسان في المناطق الحضرية، والحياة الاجتماعية للمساحات الحضرية الصغيرة

١٠)محاضرة في تخطيط المدن والتخطيط الإقليمي، دكتوراه في تخطيط المدن والتخطيط الاقليمي/جامعة كاليفورنيا، ماجستير في تخطيط المدن ، جامعة كاليفورنيا ، بيركلي، أستاذة مساعدة في قسم التنمية الدولية والمجتمع والبيئة في جامعة كلارك.

١١)عالم نفس بيئي، ويشغل حاليًا منصب أستاذ فخري في علم النفس الفخري في جامعة كاليفورنيا.

المراجع:

أولا: المراجع العربية:

١. الرازي، زين الدين، مختار الصحاح، المطبعة الكلية، الطبعة الاولى، ١٨٦٥.

٢. احمد رضا، متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٩٥٨.

ثانيا: المراجع الاجنبية:

١. Adams D., Tiesdell S.Shaping places: urban planning, design and development,Routledge, London, UK, 2013.

٢. Alexander, E. R. Reed, D. K., & Murphy, P. Density measures and their relation to urban form. Milwaukee: University of Wisconsin, Center for Architecture and Urban Planning Research, 1988.

٣. Baum, A., Harpin, R. E., and Valins, S. The role of group phenomena in the experience of crowding. Environment and Behavior,1975.

٤. Baum, P. A., Greene, T. C., Fisher, J. D. and Bell, High density and crowding, in Environmental Psychology, Wadsworth, Thomson Learning, Belmont, CA, 2001.

٥. Ben-joseph E. the code of the city: standards and the hidden language of place Making. Mit press, 2005 .

٦. Berry, B. J. L., Simmons, J. W., and Tennant, R. Urban population densities: Structure and change. Geographical Review. 1963.

٧. Boughey. H.N. Spaces into Places: A plan for the Civilization of West End Vanvouver street Life, Report to dept. of Social Planning City of Vancouver, 1972.

٨. Breheny, M. Densities and sustainable cities: The UK experience, in M. Echenique and A. Saint (eds) Cities for the New Millennium, Spon Press, London, New York, 2001.

٩. Burg .W. Urban Redevelopment: Problems and Practices, University of Chicago Press ,1977.

١٠. Calthorpe, P. The next American metropolis. New York: Princeton Architectural Press,1993.

١١. Chatterton P. & Hollands, R. Theorising Urban Playscapes: Producing, Regulating and Consuming Youthful Nightlife City Spaces. Urban Studies 39, 2002.

١٢. Cheng, A., Kruger, L., and Daniels, S. “Place” as an integrating concept in natural resource politics: Propositions for a social science agenda. Society and Natural Resources, 2003.

١٣. Chion, M., Producing Urban Vitality: The Case of Dance in San Francisco. Urban Geography, 2009.

١٤. Churchman, A. Disentangling the concept of density, Journal of Planning Literature, 1999.

١٥. Clemente,O.Ewing,R.&other, Measuring Urban Design Qualities: An Illustrated Field Manual, Princeton, NJ,2005.

١٦. Costa, A. Noble, G. Noble and Frank J. Floor area ratio as an urban development tool, The case of West Palm Beach,1993.

١٧. Cowan, R. The Dictionary of Urbanism, Streetwise press.2005.

١٨. Dale, A. and L. Newman. Sustainable development for some: green urban development and affordability. Local Environment, 2009.

١٩. De Roo, G. Environmental planning and the compact city a dutch perspective, Studies in Environmental Science. Vol. 72, 1998.

٢٠. Desrochers, P. & Leppälä, S. Opening up the Jacobs Spillovers' black box: Local diversity, creativity and the processes underlying new combinations, Journal of Economic Geography, 11(5), 2011.

٢١. Ewing, R., & Cervero, R. Travel and the Built Environment: A Meta-Analysis, Journal of the American Planning Association, 76(3), 2010.

٢٢. Forsyth, R. Measuring Density: Working Definitions for Residential Density and Building Density, Density Brief, Design Center for American Urban Landscape, University of Minoesota, 2003.

٢٣. Garret-peltier H. pedestrian and Bicycle infrastructure: a national study of employment impacts. amherst, Mass.: university of Massachusetts; 2011 .

٢٤. Gehl, J. A changing street life in a changing society, Places (Fall), 1989.

٢٥. Habibian, S. New city a view for urban memory,The articles of international conference of new cities,Second VOl. Civil company publications of new cities. 2006.

٢٦. Jacobs, J. The Death and Life of Great American Cities, New York, 1961.

٢٧. Kaneko, T. Kono, T. and Morisugi, H. in press. Necessity of Minimum Floor Area Ratio Regulation: a Second-best Policy, Annals of Regional Science, 2010.

٢٨. Keeble , L. Principles and Practice of Town and Country Planning , London , Pitman press ,1972.

٢٩. Lefebvre, H., The Production of Space. Oxford, UK, and Cambridge, MA: Blackwell, ١٩٩١.

٣٠. Leduc, T., Miguet, F.&other, Towards a spatial semantics to analyze the visual dynamics of the pedestrian mobility in the urban fabric, Springer-Verlag, Berlin Heidelberg, ٢٠١٠.

٣١. Lynch, K. A Theory of Good City Form. The MIT Press, Cambridge, 1981.

٣٢. Madanipour, A. Design of urban space: An inquiry into a socio-spatial process, Chichester: Wiley, 1996.

٣٣. Marquet, O., Miralles-Guasch, C., Walking short distances. The socioeconomic drivers for the use of proximity in everyday mobility in Barcelona. Transp. Res. Part A e Policy Pract. 2014.

٣٤. McMillen, D. P. and Singell, Jr. L. D. Work Location, Residence Location and the Intraurban Wage Gradient, Journal of Urban Economics, 32(2), 1992.

٣٥. Meagher, S. A Neighbourhood Vitality Index: An Approach to Measuring Neighbourhood Wellbeing. A Report for Action for Neighbourhood Change. Toronto: United Way of Greater Toronto,2007.

٣٦. Montgomery, J. Making a city: urbanity, vitality and urban design, Journal of Urban Design, Vol, 3(1), 1998.

٣٧. Pont, M. B. & Haupt, P. The relation between urban form and density, Viewpoints, Vol. 11 (1), 2007.

٣٨. Punter, J. Participation in the design of urban space, Landscape Design, 200, 1991.

٣٩. Redfearn, L. The Topography of Metropolitan Employment: Identifying Centers of Employment in a Polycentric Urban Area,Journal of Urban Economics,2007.

٤٠. Sallis, J., Cervero, R., Ascher,&other, An ecological approach to creating active living communities. Annual Review of Public Health, 2006.

٤١. Schmitt, R. C., Zane, L. Y. S., and Nishi, S. Density, health and social disorganization revisited. Journal of the American Institute of Planners 44, 1978.

٤٢. Shaffer, R. and Summers, G. Community Economic Development In Community Economic Vitality: Major Trends and Selected Issues. Ames, IA: The North Central Regional Center for Rural Development, 1988.

٤٣. Shaftoe, H. "Convivial Urban Spaces, Creating Effective Public Places, 2008.

٤٤. Southworth, M. Measuring the Liveable City. Built Environment, 29(4), 2003.

٤٥. Stead, D. & Hoppenbrouwer, E. C. Promoting an urban renaissance in England and the Netherlands, Cities, 21(2) , 2004.

مسؤولية منظمة الصحة الدولية في انتشار فيروس "covid 19"

م.د. محمد جبار جدوع
كلية القانون/ جامعة الكوفة
م. مهند إياد جعفر
كلية التربية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

أولاً / موضوع البحث: تَكفُل قواعد القانون الدولي المعنية بحقوق الإنسان عدة حقوق تكفل معيشة الفرد بمستوى يضمن صحته وحياته، حيث تبلور نتيجة تلك القواعد ما يعرف بـ (الحق في الصحة) واعتباره أحد حقوق الإنسان الأساسية، فمن حق كل فرد توفير متطلبات الحفاظ على صحته فهو الحق في البقاء والحياة دون التعرض لمعاناة يمكن تلافيها، وكان علينا لزاماً بيان التزامات الدول لتحقيق ذلك الحق بكافة جوانبه، خاصة عند تعرض صحة الإنسان للخطر نتيجة انتشار وباء معين.

ثانياً / أهمية البحث : تكمن أهمية الدراسة من حيث ضرورة بيان التزامات منظمة الصحة الدولية عند انتشار الأمراض المعدية كفيروس (COVID-19)، وكيفية تعويض الأضرار الحاصلة عند انتهاك تلك الالتزامات وفقاً لقواعد المسؤولية الدولية.

ثالثاً / مشكلة البحث : يثير موضوع البحث عدة إشكالات مهمة، أهمها مدى وجود التزام على الدول المتعرضة لأمراض معدية بنقل المعلومات الصحية الصحيحة والكاملة إلى الدول الأخرى والمنظمات الدولة المعنية بمجال الصحة، وإمكانية مطالبة الدول المتضررة من انتشار فيروس (COVID-19) بتعويض الأضرار التي لحقتها نتيجة عدم اتخاذها التدابير والاحتياطات اللازمة؛ بسبب عدم علمها منذ البداية بوجود الفيروس في أقاليم الدول التي بدأ الفيروس بالانتشار فيها.

رابعاً / منهجية البحث : تم اعتماد المنهج التحليلي والتطبيقي في دراسة البحث، حيث يعتمد تحليل آراء الفقهاء وكذلك مواقف الحكومات والمسؤولين في المنظمات الدولية، وكذلك نصوص مواد دستور منظمة

الصحة الدولية والاتفاقات الدولية المتعلقة بموضوع الدراسة، وذلك للوصول إلى جميع التفاصيل المتعلقة بها والخروج بنتائج وتوصيات مُرضية.

خامساً / خطة البحث : تناولنا موضوع البحث من خلال تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين، الأول لبيان التزامات منظمة الصحة الدولية عند انتشار الأمراض المعدية، وسنتناول في المبحث الثاني أحكام المسؤولية الدولية للمنظمة عن انتشار فيروس (COVID-19)، وسنختم البحث بخاتمة نحاول فيها تلخيص أهم ما توصلنا إليه من نتائج ومقترحات.

المبحث الأول: التزامات منظمة الصحة الدولية عند انتشار الأمراض المعدية:

سنقسّم هذا المبحث على مطلبين، الأول حول حق الإنسان في الصحة وفقاً للمواثيق الدولية، والمطلب الثاني لبيان التزامات منظمة الصحة الدولية للحد من انتشار الأمراض المعدية.

المطلب الأول: حق الإنسان في الصحة وفقاً للمواثيق الدولية:

يقصد بحق الإنسان في الصحة أن كل فرد من حقه التمتع بأقصى درجات الصحة البدنية والنفسية والعقلية، وهو حق جامع يشمل إلى جانب الرعاية الصحية حق العيش في حياة صحية متكاملة وضمان توفير الوقاية والعلاج، كما يتضمن كل مقومات الصحة الأساسية كتوفير مياه الشرب النقية والغذاء الكافي والسكن الملائم والظروف الصحية للعمل والبيئة إضافة إلى الحصول على التوعية والمعلومات الخاصة بالصحة[١]. وكفلت المواثيق الدولية الحق المذكور، حيث أشارت ديباجة دستور منظمة الصحة الدولية لسنة ١٩٤٨ إلى معنى الصحة بأنها (حالة من اكتمال السلامة بدنياً وعقلياً واجتماعياً، وضرورة التمتع بأعلى مستوى من الصحة يمكن بلوغه هو أحد الحقوق الأساسية لكل إنسان دون تمييز، واعتبرت صحة جميع الشعوب أمر أساسي لبلوغ السلم والأمن، وهي تعتمد على التعاون الأكمل للأفراد والدول)، كما أشارَ الإعلان العالمي الخاص بحقوق الإنسان لسنة ١٩٤٨ إلى حق كل شخص في مستوى معيشة يكفي لضمان صحته ورفاهيته خاصة على مستوى الأكل واللبس والسكن والاهتمام بالصحة[٢]. كما أشارَ إلى حق كل شخص في الحصول على نظام دولي واجتماعي يمكن أن يتحقق في ظله الحق المذكور بشكل تام وغيره من الحقوق التي تضمنها

الإعلان[٣]. وبعد ذلك جاء الإعلان الاعلان العالمي لحقوق الانسان ليوضح إلزامية الحقوق الواردة فيه على جميع الدول والتنظيمات والأفراد وبشكل قطعي، ومنعهم من القيام بأي عمل أو نشاط ممكن أن يخل بالحقوق والحريات المذكورة في الإعلان[٤].

وورد حق الصحة أيضاً ضمن العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لسنة ١٩٦٦، حيث جاء في الفقرة (١) من المادة (١٢) من العهد (تقر الدول الأطراف في هذا العهد بحق كل إنسان في التمتع بأعلى مستوى من الصحة الجسمية والعقلية يمكن بلوغه)، كما تضمن العهد عدة واجبات على الدول لتأمين الحق المذكور، حيث ألزمها بالوقاية من الأمراض الوبائية وإيجاد العلاج لها ومكافحتها من خلال ما جاء في نص الفقرة (٢) من المادة (١٢) من العهد: (الوقاية من الأمراض الوبائية والمتوطنة والمهنية والأمراض الأخرى وعلاجها ومكافحتها)[٥]. وأكّد العهد على الصفة الإلزامية لجميع الحقوق الوارد فيه دون أي قيد أو استثناء[٦].كما خوّل العهد المجلس الاقتصادي والاجتماعي إبرام اتفاقيات مع المنظمات المتخصصة على نحو يمكنه من تفعيل الحقوق الواردة في العهد، فضلاً عن تقديم الدول الأطراف لتقارير دورية وما تتضمنها من معلومات، وللمجلس أن يقدم تلك التقارير والمعلومات إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة للوقوف على التدابير المتخذة والإجراءات المطلوبة لمراعاة الحقوق التي تضمنها العهد[٧]. وللمجلس أيضاً لفت نظر بقية أجهزة منظمة الأمم المتحدة الرئيسية وهيئاتها الفرعية والوكالات المختصة وفقاً للتقارير والمعلومات المذكورة لتقديم المساعدات اللازمة واتخاذ الإجراءات الملائمة[٨].

المطلب الثاني: التزامات منظمة الصحة الدولية عند انتشار الأمراض المعدية:

تقوم منظمة الصحة الدولية بمسؤولية إدارة النظام العالمي لمكافحة انتشار الأمراض على الصعيد الدولي، ومنح دستور المنظمة لجمعية الصحة العالمية سلطة إقرار الأنظمة التي يراد منها الحد من انتشار الأمراض على الصعيد الدولي[٩]. وبعد إقرارها من الجمعية تدخل حيز النفاذ بالنسبة لجميع الدول الأطراف التي لا تؤكد انسحابها منها بمحض إرادتها في غضون مدة محددة[١٠]. ووفقاً لذلك تم إقرار لوائح الصحة العالمية لسنة (٢٠٠٥) والتي شملت اتفاق الدول الأعضاء في المنظمة على تحقيق الأمن الصحي في جميع دول

العالم، حيث تلتزم بتعزيز قدراتها على كشف الأحداث الصحية العامة وتقييمها، وتعمل منظمة الصحة العالمية على مساعدة البلدان من أجل تعزيز قدراتها والقيام بمسؤولياتها، وتضمنت اللوائح أيضاً وجوب الإخطار بكل الأحداث التي يمكن أن تشكل طارئة صحية عمومية تسبب قلقاً دولياً، واتخاذ التدابير اللازمة في المطارات والموانئ والمعابر البرية للحد من انتشار الأمراض الوبائية في أقاليم الدول[١١]. وأوضحت اللوائح المقصود بعبارة (طارئة صحية عمومية تسبب قلقاً دولياً) بأنها (حدثاً استثنائياً يشكل خطراً محتملاً يحدق بالصحة العمومية في الدول الأخرى وذلك بسبب انتشار المرض دولياً)[١٢]. وأشارت أيضاً إلى وجوب تعيين كل من الدول الأطراف ومنظمة الصحة نقاط اتصال لتبادل المعلومات في جميع الاوقات[١٣]. كما حددت اللوائح ثلاث طرق لأداء الدول الأطراف لالتزاماتها الخاصة بإخطار منظمة الصحة العالمية والدول الأخرى عند حدوث وباء معين:

١. الإخطار: حيث تتولى جميع الدول تقييم الأحداث الحاصلة في أراضيها، وإخطار منظمة الصحة الدولية بجميع الأحداث التي تشكل طارئة صحية عمومية تسبب قلقاً دولياً خلال (٢٤) ساعة من التقييم الذي أجرته الدولة المعنية، ويجب أن تتبع هذه الإخطارات معلومات متواصلة مفصلة ترسل إلى منظمة الصحة بضمنها تحديد مصدر ونوع الخطر المحتمل والنتائج المختبرية، وعدد المصابين والوفيات، كيفية انتشار المرض والتدابير المتخذة تجاهها، وكذلك الصعوبات والدعم اللازم الذي تحتاجه[١٤].

٢. التشاور: للدولة الطرف التي لا تشكل الأحداث الواقعة فيها طارئة صحية عمومية ولا تسبب قلق دولي أن تُطلع منظمة الصحة بانتظام عليها ووتتشاور معها بشأن التدابير الصحية المناسبة[١٥].

٣. التقارير الأخرى: وهي التقارير الواردة من مصادر غير الإخطارات والمشاورات، وتتولى منظمة الصحة تقييمها وتبلغ بها الدول الأطراف دون أن تحتفظ بسرية المصدر إلا في الحالات الاستثنائية تتخللها ما يبرر ذلك، وتسلّم الدول الأطراف إلى منظمة الصحة في غضون (٢٤) ساعة البيانات الدالة على وجود مخاطر محدقة على الصحة العمومية جرى تحديدها خارج إقليمها ويحتمل أن تتسبب بانتشار مرض ما على النطاق الدولي[١٦]. لتطلب المنظمة بعد ذلك من الدولة التي وقعت فيها تلك الاحداث التحقق من التقارير الواردة

إليها من مصادر غير الإخطارات والمشاورات والتي يحتمل أن تشكل طارئة صحية عمومية تثير القلق الدولي وتقدم الدولة المعنية خلال (٢٤) ساعة رداً أولياً للمنظمة بخصوص ذلك الطلب أو إقراراً بتسلمه[١٧]. وعلى منظمة الصحة تزويد الدول الأطراف بالمعلومات الخاصة بوجود مخاطر محدقة على الصحة العامة وعلى نحو يساعد تلك الدول على منع وقوع حوادث مماثلة فيها، وذلك بعد إعلان الحدث طارئة صحية عمومية، كما تعمل المنظمة على التأكد من المعلومات الخاصة بانتشار الأمراض المعدية او التلوث على المستوى الدولي، وذلك حين تكون التدابير المتخذة من الدول المتفشي بها لمكافحة المرض لا يحتمل أن تنجح[١٨]. ومن ثم تعد منظمة الصحة مقصرة أيضاً في عملها خلال انتشار فيروس (COVID-19)، حيث تأخرت كثيراً في إعلان الفيروس المذكور وباء عالمي بعد مضي ما يقرب عن (٤) أشهر من الاصابات الأولى بالفيروس في دولة الصين، حيث حصلت أول حالة للإصابة بفيروس (COVID-19) في مدينة (ووهان) الصينية في ٢٠١٩/١١/١٧ ولم تغلق المدينة حتى ٢٠٢٠/١/٢٣، وأعلنت منظمة الصحة في شهر مارس من ذات العام أن الفيروس المذكور جائحة أو وباء عالمي[١٩].

ورغم ما تقدم من التزامات، إلا أن منظمة الصحة وبعض الدول لم تلتزم بها عند تعرض أقاليمها لوباء كورونا المستجد، ودون أن تتعرض للمساءلة الدولية حتى الآن، حيث يفترض تفعيل النصوص الدولية اللازمة لردعها من أجل تفعيل حق كل إنسان في التمتع بأعلى مستوى من الصحة الجسمية والعقلية، إذ لم نرَ تحرّك فاعل من مجلس الأمن كونه الجهاز المختص بمهمة حفظ السلم والأمن الدوليين[٢٠]. حيث باتَ انتشار فيروس (COVID-19) يشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين؛ إذ جاء في ديباجة دستور منظمة الصحة الدولية لسنة ١٩٤٨ (صحة جميع الشعوب أمر أساسي لبلوغ السلم والأمن)، وحينئذ يمكن للمجلس أن يقرر ما يجب اتخاذه من تدابير وفق المواد (٤٢،٤١) من ميثاق الأمم المتحدة لحفظ السلم والأمن الدوليين وإعادته لنصابه[٢١]. وفي حال عدم اتخاذ المجلس الإجراءات اللازم لحفظ السلم الدولي بسبب عدم توفر الإجماع بين الدول الأعضاء الدائمين للمجلس[٢٢]. فيمكن للجمعية العامة للأمم المتحدة إصدار

التوصيات اللازمة لاتخاذ التدابير الجماعية والمناسبة للمحافظة على السلم أو لإعادته إلى نصابه وذلك استناداً إلى قرار الاتحاد من أجل السلام رقم (٣٧٧) لعام ١٩٥٠[٢٣].

المبحث الثاني: أحكام المسؤولية الدولية لمنظمة الصحة عن انتشار فيروس (COVID-19):

نتيجة تعدد وتنوع العلاقات في القانون الدولي العام أصبحت المسؤولية الدولية من أهم نتائج ذلك التعدد والتنوع، خاصة في ظل التطور الحاصل في مجال العلوم والتكنلوجيا وغيرها، لذا يفترض بيان معنى المسؤولية الدولية ومعرفة أساسها، كما إنها ترتبط بعدة أركان وينتج عن تحققها آثاراً معينة.

المطلب الأول: مفهوم المسؤولية الدولية للمنظمات الدولية:

بعد أن ظهرت المنظمات الدولية في مجال علاقات القانون الدولي كانت هناك عدة اتجاهات حول شمول المنظمات الدولية بنظام المسؤولية الدولية عند ارتكابها فعل غير مشروع أم قصره على الدول فقط ، وانسحب ذلك الخلاف لأساس المسؤولية الدولية، حيث يوجب البعض أن يكون الفعل المتسبب بالضرر مخالفاً للالتزامات المحددة في قواعد القانون الدولي، وهناك من يكتفي بوقوع الضرر دون البحث عن مشروعية الفعل المتسبب به.

الفرع الأول: تعريف المسؤولية الدولية:

أولاً/ الإتجاه التقليدي: يقوم هذا الاتجاه على جعل المسؤولية الدولية مقصورة على الدول فقط عند ارتكابها فعل غير مشروع، حيث عُرّفت المسؤولية الدولية بأنها (المسؤولية الناتجة عن قيام دولة بخطأ أو بعمل غير مشروع في النظام القانوني الدولي ينبغي التعويض عن الأضرار والخسائر، ولا بد من تعويض عن الأضرار، حتى ولو لم يكن اتفاق مسبق في ذلك)[٢٤].

وعُرّفت بأنها (نظام قانوني تلتزم الدولة بمقتضاه التي تأتي عملاً غير مشروعاً طبقاً لقواعد القانون الدولي العام بتعويض الدولة المتضررة من جرّاء ذلك العمل)[٢٥]. كما عرّف الفقيه الفرنسي (شارل روسو) المسؤولية الدولية بأنها (وضع قانوني تلتزم بموجبه الدولة التي يُنسب اليها ارتكاب فعل غير مشروع وفقاً للقانون الدولي بأن تصلح الضرر الذي لحق بالدولة التي أرتكب في مواجهتها هذا الفعل)[٢٦].

ثانياً/ الإتجاه الحديث: يقوم هذا الاتجاه على جعل المسؤولية تمتد لجميع أشخاص القانون الدولي دون اقتصارها على الدول فقط، كما أنها لا تقتصر على الأفعال المحظورة، بل تشمل أيضاً الأفعال المشروعة إذا ترتب عنها ضرراً للغير، حيث عُرّفت المسؤولية الدولية وفقاً لهذا الاتجاه بأنها (الجزاء القانوني الذي يرتبه القانون الدولي العام نتيجة عدم احترام أحد اشخاص القانون المذكور إلتزاماته الدولية)[٢٧]. وعُرّفت أيضاً بأنها (ما ينشأ نتيجة عمل مخالف لأحد الالتزامات القانونية الدولية، ارتكبه أحد اشخاص القانون الدولي العام تجاه شخص دولي اخر، وان الغاية من المسؤولية الدولية تعويض مايترتب على هذا العمل من ضرر)[٢٨].

يلاحظ مما تقدم، أن الاتجاه الحديث يمنح المسؤولية الدولية مفهوماً أوسع بشمولها جميع الأفعال المتسببة بأضرار سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، كما لم يشترط ورود ذلك الفعل من الدول على سبيل الحصر ونعتقده الأصوب، حيث شمل أيضاً المنظمات الدولية بعد أن كانت هناك خلافات فقهية بخصوص ذلك، وكان أساس الخلاف حول الاعتراف للمنظمات الدولية بالشخصية القانونية، حيث يرى أنصار الاتجاه الحديث أن الدول والمنظمات الدولية على حدٍ سواء لها الشخصية القانونية الدولية، فالدول لها ذلك وفقاً لأحكام القانون الدولي التقليدي، أما بخصوص المنظمات الدولية فقد كان الاعتراف لها بالشخصية القانونية لتمكينها من أداء مهامها واكتسابها الحقوق وأداء إلتزامتها وتمكينها من التقاضي أمام المحاكم[٢٩].وتم حسم ذلك الخلاف بموجب الرأي الاستشاري الشهير الصادر من محكمة العدل الدولية لسنة ١٩٤٩، بمناسبة البحث عن مدى أهلية منظمة الأمم المتحدة للمطالبة بالتعويض عن الاضرار نتيجة اغتيال السيد (الكونت برنادوت) في أراضي فلسطين المحتلة أثناء عمله كوسيط عن المنظمة في تسوية المشكلة الفلسطينية، حيث أشارت المحكمة إلى أن الدول ليست هي وحدها من اشخاص للقانون الدولي، وإنما أيضاً يشمل المنظمات الدولية التي أنشئت لتحقيق أهداف معينة في إطار القانون الدولي، وقد أنتهت المحكمة إلى امتلاك المنظمات الدولية شخصية قانونية مستقلة تمكنها من القيام بواجباتها وأداء التزاماتها[٣٠].

وقد قررت لجنة القانون الدولي في دورتها الرابعة والخمسين عام ٢٠٠٢ إدراج موضوع مسؤولية المنظمات الدولية في برنامج عملها، واعتمدت اللجنة عام ٢٠٠٩ مشروعاً لمسؤولية المنظمات الدولية[٣١].

ومن خلال ما سبق، يمكن لنا تعريف المسؤولية الدولية للمنظمات الدولية بأنها إلتزام على المنظمات الدولية باعتبارها من اشخاص القانون الدولي العام نتيجة قيامها بفعل أو إمتناعها عن وتسبب ذلك بأضرار لغيرهم من أشخاص القانون الدولي أو لرعاياهم، سواء كان ذلك الفعل مشروعاً أو غير مشروع وفقاً لقواعد القانون الدولي العام.

الفرع الثاني: أساس المسؤولية الدولية لمنظمة الصحة عن انتشار فيروس (COVID-19):

يقصد بأساس المسؤولية الدولية لمنظمة الصحة هو سبب قيام تلك المسؤولية على المنظمة لتسببها بضرر معين، وظهرت نظريتين بخصوص ذلك يمكن إيجازها بالآتي:

أولاً/ نظرية الخطأ: لا تتحقق المسؤولية الدولية وفقاً لهذه النظرية إلا إذا ارتكبت المنظمة الدولية خطأ أضر بغيرها من أشخاص القانون الدولي، وبالتالي فأنه لا يكفي لنشوء المسؤولية الدولية وقوع ضرر على أحد اشخاص القانون الدولي أو على أفرادها، وإنما يجب أن يكون سبب ذلك الضرر وقوع فعل غير مشروع وفقاً لقواعد القانون الدولي، وسواء كان الخطأ متعمد أو غير متعمد[٣٢].

ثانياً/ نظرية المخاطر: تُأسس هذه النظرية المسؤولية الدولية على تحقق الضرر نتيجة فعل حتى وإن كان مشروعاً وفقاً لقواعد القانون الدولي العام كالتجارب النووية والأبحاث الفضائية والطبية وغيرها، فالضرر هو العنصر الأساسي لقيام المسؤولية الدولية[٣٣].

وقد حاولت لجنة القانون الدولي التابعة للجمعية العام لمنظمة الأمم المتحدة توسيع مفهوم المسؤولية الدولية من خلال تبني هذه النظرية، حيث أدرجت موضوع (المسؤولية الدولية عن النتائج الضارة الناجمة عن أفعال لا يحظرها القانون الدولي) خلال دورتها الثلاثين سنة ١٩٧٨[٣٤]. وبعد الجهود الحثيثة للجنة تمكنت عام ٢٠٠١ من اعتماد مشروع المواد المتعلق بـ (منع الضرر العابر للحدود الناجم عن أنشطة خطرة)[٣٥]. حيث حددت المادة (٢) منه المقصود بعبارة (مخاطر التسبب في ضرر جسيم عابر للحدود) بأنها (المخاطر

المُحتمل أن تتسبب في ضرر جسيم عابر للحدود مع إحتمالية التسبب في ضرر بليغ عابر للحدود)، كما حددت معنى (الضرر) بأنه (الضرر المتسبب فيه الواقع على الأشخاص أو الممتلكات أو البيئة)، وكذلك أشارت إلى المقصود بـ (الضرر العابر للحدود) بأنه (الضرر المتسبب به في إقليم دولة غير الدولة المصدر أو في أماكن خاضعة لولايتها أو لسيطرتها، سواء كانت هناك حدود مشتركة بين الدولتين المعنيتين من عدمه)، وألزمت المادة (٣) من المشروع المعتمد الدول باتخاذ كافة التدابير المناسبة لمنع حصول ضرر جسيم عابر للحدود أو الحد منه، كما تضمنت المادة (٨) منه إلزاماً على الدول عند تعرضها لمخاطر بضرورة إرسال المعلومات الخاصة بتلك المخاطر وتقييمها إلى الدول الأخرى التي يحتمل أن تتأثر بذات المخاطر.

إن أساس المسؤولية الدولية لمنظمة الصحة عن انتشار فيروس (COVID-19) في أقاليمها يكون في نظرية الخطأ على اعتبار أن منظمة الصحة الدولية لم تفِ بإلتزاماتها المحددة بموجب قواعد القانون الدولي؛ كونها المسؤولة عن إدارة النظام العالمي لمكافحة انتشار الأمراض على الصعيد الدولي، وعليها تزويد الدول الأطراف بالمعلومات الخاصة بوجود مخاطر محدقة على الصحة العامة وعلى نحو يساعد تلك الدول على منع وقوع حوادث مماثلة فيها وذلك بعد إعلان الحدث طارئة صحية عمومية، كما تعمل المنظمة على التأكد من المعلومات الخاصة بانتشار الأمراض المعدية، ومطالبة الدول التي تنتشر فيها الأوبئة التحقق من التقارير الواردة إليها، وكذلك تحديد الصعوبات التي تواجهها وتوفير الدعم اللازم الذي تحتاجه.

المطلب الثاني: أركان المسؤولية الدولية لمنظمة الصحة عن انتشار فيروس (COVID-19) وآثارها:

ترتبط المسؤولية الدولية بوقوع ضرر مسند لأحد أشخاص القانون الدولي سواءاً للدول أو للمنظمات الدولية وفقاً لشروط معينة يترتب على تحققها الإلتزام بإصلاح الأضرار التي تسببت بها وإعادة الأمور إلى أصلها، فإذا استحال الأمر فإن التعويض المالي يعد البديل للإصلاح فضلاً عن أسلوب الترضية.

الفرع الأول: أركان المسؤولية الدولية لمنظمة الصحة عن انتشار فيروس (COVID-19):

أولاً/ الإسناد: يقصد بالإسناد نسبة الفعل سواء كان مشروع أو غير المشروع للمنظمة الدولية، حيث أشار مشروع لجنة القانون الدولي الخاص بمسؤولية المنظمات الدولية إلى كيفية إسناد الفعل للمنظمة عند صدوره عن أحد أجهزتها أو وكيلها بغض النظر عن مركز الجهاز أو الوكيل بالنسبة للمنظمة[٣٦].

وحتى عند تجاوز تصرف جهاز المنظمة الدولية أو وكيلها حدود سلطته أو كان مخالفاً للتعليمات، فإن ذلك يعد فعلاً صادراً عن تلك المنظمة بموجب القانون الدولي وموجب لمسؤوليتها الدولية، ما دام ذلك التصرف جاء بصفة رسمية من الجهاز أو الوكيل وفي إطار مهام المنظمة عموماً[٣٧]. كما أشار المشروع إلى أن (تصرف جهاز الدولة أو جهاز المنظمة الدولية أو وكيلها الذي يوضع تحت تصرف منظمة دولية أخرى فعلاً صادراً عن المنظمة الأخيرة بموجب القانون الدولي إذا كانت المنظمة تمارس السيطرة الفعلية على ذلك التصرف)[٣٨]. ويعد الفعل صادراً من المنظمة إذا اعترفت به وتبنته باعتباره صادراً عنها، وبقدر اعترافها به وتبنيها إياه[٣٩].

ومن ثم تعد منظمة الصحة مقصرة أيضاً في عملها خلال انتشار فيروس(COVID-19)، حيث تأخرت كثيراً في إعلان الفيروس المذكور وباء عالمي بعد مضي ما يقرب عن (٤) أشهر من الاصابات الأولى بالفيروس في دولة الصين، حيث حصلت أول حالة للإصابة بفيروس (COVID-19) في مدينة (ووهان) الصينية في ٢٠١٩/١١/١٧ ولم تغلق المدينة حتى ٢٠٢٠/١/٢٣، وأعلنت منظمة الصحة أن الفيروس المذكور جائحة أو وباء عالمي في ٢٠٢٠/٣/١١، بعد أن رفضت إعلان ذلك في كانون الأول من ذات العام، مما جعل عدد الوفيات والإصابات يتضاعف خمس مرات في ظرف خمسة أيام، ويعاب على المنظمة تصديقها للبيانات الصينية غير الدقيقة، خاصة وأن الصين اعتقلت طبيباً كان من أوائل من اكتشفوا الفيروس، قبل أن تعلن عدة وسائل إعلامية عن وفاته بعد إصابته بالفيروس ذاته في شهر شباط الماضي، ومن ثم فإن منظمة الصحة قد ارتكبت خطأين رئيسيين: الأول عندما أخفقت في أن تعرف مبكراً أن العدوى تنتقل بين البشر، والثاني عدم إعلان كورونا جائحة دولية إلا بعد تسجيل (١١٨) ألف حالة في (١١٤) دولة، مما أثر على سياسات الدول التي تتبع إرشادات المنظمة وعدم أخذها الاحتياطات والتدابير اللازمة

لمنع انتشار الفيروس في أقاليمها، كما تتعرض المنظمة للاتهام بأنها ساهمت إلى حد كبير في انتشار الوباء بسرعة على الصعيد العالمي، وعدم تأييدها مراراً لغلق حدود الدول مع الصين[٤٠].

ثانياً/ الضرر: ترتبط المسؤولية الدولية وجوداً وعدماً مع تحقق الضرر نتيجة فعل المُسند للدول أو للمنظمات الدولية، وسواء كان ذلك الفعل مشروعاً أو غير مشروعاً وفقاً لقواعد القانون الدولي، وحتى تكون الأضرار محققة للمسؤولية الدولية فيجب أن تكون مؤكدة الوقوع وليست محتملة، وسواء كان الضرر المتحقق مادياً كالاعتداء على حدود الدولة أو على سفنها أو طائراتها، أم معنوياً كإمتهان كرامتها أو عدم احترام رؤسائها أو علمها، كما يمكن أن يصيب الضرر رعايا الدول، وقد يكون الضرر مادي يلحق بممتلكات الأشخاص أو أجسامهم وصحتهم، وإما أن يكون معنوي يلحق بكرامتهم وسمعتهم، وقد يجتمع كلا الضررين المادي والمعنوي كنتيجة عن فعل واحد[٤١]. وأشار مشروع لجنة القانون الدولي الخاص بمسؤولية المنظمات الدولية إلى (يشمل الضرر أي خسارة، مادية كانت أو معنوية، تنجم عن الفعل غير المشروع دولياً الذي ترتكبه المنظمة الدولية)[٤٢].

الفرع الثاني: آثار المسؤولية الدولية لمنظمة الصحة عن انتشار فيروس (COVID-19):

إن الأثر الرئيسي للمسؤولية الدولية هو التزام الدولة أو المنظمة الدولية المتسببة في حصول الأضرار بالتعويضات اللازمة لجبر الأضرار التي نشأت عن الفعل المنسوب لهم، وقد أكدت عدة أحكام للقضاء الدولي على ذلك كحكم محكمة التحكيم الدائمة في قضية مصنع شورزو (Chorzow) بين المانيا وبولندا عام ١٩٢٧ الذي أشار إلى أن خرق الالتزامات الدولية يستوجب التعويض بشكل ملائم، يعد من المبادئ المقررة في القانون الدولي[٤٣]. وأشار مشروع مسؤولية المنظمات الدولية إلى آثار تلك المسؤولية بنصه على: (على المنظمة الدولية المسؤولة التزام بالجبر الكامل للضرر الناجم عن الفعل غير المشروع دولياً)[٤٤]. كما أشار المشروع إلى أشكال الجبر من خلال نصه على (يكون الجبر الكامل للضرر الناجم عن الفعل غير المشروع دولياً عن طريق الرد والتعويض والترضية، سواء بأحدها أو بالجمع بينها)[٤٥]. وبالتالي يكون تعويض الأضرار بعدة صور:

أولاً/ الترضية: حين لا يترتب عن الفعل المنسوب للدولة أو المنظمة الدولية أي ضرر مادي فتكون الترضية هي التعويض المناسب عن الضرر المعنوي، وتكون من خلال عدم إقرار التصرفات الصادرة من هيئاتها أو موظفيها أو أفرادها، وبالتالي يكون التعويض بصورة اعتذار دبلوماسي أو التعبير عن الأسف أو تحية العلم عند إهانته(٤٦).

وذكر مشروع مسؤولية المنظمات الدولية صورة الترضية من خلال إلزام المنظمة الدولية المسؤولة عن فعل غير مشروع دولياً بتقديم ترضية عن الضرر الذي ترتب على هذا الفعل في حال تعذر إصلاح الضرر عن طريق الرد أو التعويض، وحدد المشروع عدة صور للترضية كالإقرار بالخرق أو التعبير عن الأسف، أو الاعتذار الرسمي، أو أي شكل آخر مناسب، كما أن الترضية يجب أن لا تكون غير متناسبة مع الضرر، ولا يجوز أن تتخذ شكلاً مذلاً للمنظمة الدولية المسؤولة(٤٧).

ثانياً/ التعويض العيني: يعد التعويض العيني الصورة الطبيعية لجبر الضرر، ويقصد به إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل حصول الفعل المتسبب للمسؤولية الدولية، حيث يكون التعويض العيني –إن أمكن تحققه– الصورة الأمثل لإزالة جميع آثار الضرر الحاصل كإعادة الأموال المصادرة من الأجانب دون وجه حق(٤٨). وذكر مشروع مسؤولية المنظمات الدولية صورة التعويض العيني وطلق عليها تسمية (الرد)، حيث أشار إلى أن المنظمة الدولية المسؤولة عن فعل غير مشروع دولياً تلتزم بإعادة الحالة إلى ما كانت عليه قبل ارتكاب الفعل، على أن يكون الرد غير مستحيل ولا يترتب عليه أعباء لا تتناسب مع المنفعة المتأتية من الرد بدلاً من التعويض(٤٩).

ثالثاً/ التعويض المالي: ويقصد به تعويض الضرر المادي أو المعنوي الحاصل عن الفعل المنسوب للدولة أو المنظمة الدولية من خلال دفع مبلغ مالي يماثل الضرر دون زيادة أو نقص، حيث يشمل ما أصابَ الدولة المتضررة من خسائر وما فاتها من ربح، ويعد التعويض المالي الصورة الشائعة للمسؤولية الدولية، إذ أن التعويض العيني لا يكون ممكناً في جميع الحالات، وأشارت محكمة التحكيم الدائمة إلى ذلك المعنى بقولها (إن جميع مسؤوليات الدول يمكن تسويتها عبر التعويض المالي)(٥٠). وذكر مشروع مسؤولية

المنظمات الدولية صورة التعويض المالي، حيث ألزم المنظمة الدولية المسؤولة عن فعل غير مشروع دولياً بالتعويض عن الضرر الناتج عن هذا الفعل، في حال عدم إصلاح هذا الضرر عن طريق الرد، على أن يغطي التعويض جميع الأضرار القابلة للتقييم المالي(٥١). مع ضرورة مراعاة مساهمة أي طرف آخر سواء دولة أو منظمة دولية أخرى في وقوع الضرر عن عمد أو إهمال(٥٢). وعلى الدولة أو المنظمة الدولية المضرورة التي تحتج بمسؤولية منظمة دولية أخرى بإبلاغ تلك المنظمة الدولية بمطالبتها، كما لها أن تحدد الشكل الذي ينبغي أن يتخذه جبر الضرر(٥٣).

نستخلص مما تقدم، أن منظمة الصحة الدولية فشلت في أداء مهامها عند انتشار فيروس(COVID-19)؛ كونها المسؤولة عن إدارة النظام العالمي لمكافحة انتشار الأمراض على الصعيد الدولي، حيث لم أخفقت في كشف طرق انتشار الفيروس بشكل مبكر ولم تعلن عنه كجائحة أو وباء عالمي إلا بعد مضي ما يقرب عن (٤) أشهر من الاصابات الأولى به في دولة الصين، مما جعل الوفيات والإصابات بأعداد متضاعفة، كما انتهكت المنظمة لالتزاماتها المحددة موجب دستورها واللوائح الصحة العالمية لسنة ٢٠٠٥، كتزويد الدول الأطراف بالمعلومات الخاصة بوجود مخاطر محدقة على الصحة العامة وعلى نحو يساعدها على منع وقوع حوادث مماثلة فيها، والتأكد من المعلومات الخاصة بانتشار الأمراض المعدية، وذلك حين تكون التدابير المتخذة من الدول المتفشي بها لمكافحة المرض غير ناجعة، وبالتالي تكون منظمة الصحة مسؤولة عن تعويض الأضرار التي لحقت بالدول جراء تفشي الفيروس المذكور، مع مراعاة مسؤولية الدول الأخرى التي يثبت مساهمتها في وقوع تلك الأضرار عن عمد أو إهمال.

ولا يمكن أن يكون جبر الأضرار إلا بصورة تعويض مالي يحدد من خلال الوسائل السلمية لفض النزاعات الدولية التي ذكرها ميثاق الأمم المتحدة بنصه على (يفض جميع أعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولي عرضة للخطر)(٥٤). حيث حدد الميثاق تلك الوسائل عبر التفاوض المباشر بين أطراف النزاع أو الوساطة أو التحكيم أو المحاكم الدولية أو من خلال اللجوء إلى المنظمات الدولية العالمية أو الإقليمية وغيرها من الوسائل السلمية التي يتفق عليها بين أطراف

النزاع[٥٥]. مع الإشارة إلى عدم وجود قواعد تفصيلية تحكم تقدير مبلغ التعويض في القانون الدولي، لذا فإن الضابط الوحيد الذي يُرشد المحكّم أو القاضي أو الوسيط هو مقدار الضرر الحاصل، ويتحدد مقدار التعويض تبعاً لهذا المقدار[٥٦].

الخاتمة:

من خلال موضوع البحث الموسوم (مسؤولية منظمة الصحة الدولية عن انتشار فيروس (COVID-19))، توصلنا إلى النتائج والمقترحات الآتية:

أولاً/ النتائج:

١. إن حق الإنسان في الصحة يعد من حقوق الإنسان الأساسية لاستمرار حياته ولا يمكن تجاوزه أو التنازل عنه، ويعد تأمينه شرط أساسي لضمان الحقوق الأخرى التي كفلتها المواثيق الدولية، ويعد الالتزام في تبادل المعلومات الخاصة بالأمراض المعدية من أهم التزامات الدول المتفرعة عن الحق في الصحة، وتم تنظيم الالتزام المذكور في عدة وثائق دولية أهمها تعليق رقم (١٢) لسنة ٢٠٠٠ للجنة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة وكذلك لوائح الصحية الدولية لسنة ٢٠٠٥.

٢. أن منظمة الصحة الدولية هي المسؤولة عن إدارة النظام العالمي لمكافحة انتشار الأمراض على الصعيد الدولي، وعليها عدة التزامات بموجب دستورها واللوائح الصحة العالمية لسنة ٢٠٠٥، كتزويد الدول الأطراف بالمعلومات الخاصة بوجود مخاطر محدقة على الصحة العامة، وعلى نحو يساعدها على منع وقوع حوادث مماثلة فيها، والتأكد من المعلومات الخاصة بانتشار الأمراض المعدية.

٣. ان منظمة الصحة الدولية مسؤولة عن تعويض الأضرار التي لحقت بالدول جراء تفشي فيروس (COVID-19)؛ نتيجة انتهاك المنظمة لالتزاماتها بموجب دستورها واللوائح الصحة العالمية لسنة ٢٠٠٥، مع مراعاة مسؤولية الدول الأخرى التي يثبت مساهمتها في وقوع تلك الأضرار كسوء عرضها المعلومات الخاصة بانتشار الفيروس المذكور في أقاليمها وعدم عرضها الأعداد الحقيقية للمصابين والمتوفين وطرق انتشاره وعدم إبلاغها السلطات المختصة عند وصول مسافرين مصابين أو مشتبه بإصابتهم بالفيروس، وما

تسبب به الانتهاك المذكور من عدم تمكن الدول المتضررة من اتخاذ التدابير والاحتياطات اللازمة قبل انتشار الفيروس في إقليمها.

٤. يعد التعويض المالي هو الصورة الأمثل لتعويض الأضرار الناجمة عن انتهاك الالتزام بتبادل المعلومات الخاصة بالأمراض المعدية، وذلك لصعوبة إجراء التعويض العيني؛ حيث لا يمكن إعادة الوضع لما كان عليه قبل حصول الانتهاك، ولا تفي الترضية لوحدها في جبر الأضرار.

٥. يلاحظ أن مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة لم يمارسا دورهما المفترض في حفظ السلم والأمن الدوليين لردع ومحاسبة منظمة الصحة الدولية أو الدول المنتهكة للالتزاماتها عند انتشار الامراض المعدية، نتيجة تهديد انتشار فيروس (COVID-19) للسلم والأمن الدوليين؛ حيث أن صحة جميع الشعوب أمر أساسي لبلوغ السلم والأمن، كما أشار لذلك دستور منظمة الصحة الدولية لسنة ١٩٤٨.

ثانياً/ المقترحات:

١. للدول المضرورة نتيجة انتشار الفيروس المذكور أن تحتج بمسؤولية منظمة الصحة الدولية وإبلاغها بقصورها، ومطالبتها بتعويض الأضرار التي لحقتها والشكل الذي ينبغي أن يتخذه جبر الضرر

٢. للدول التي تعرضت لأضرار نتيجة انتشار الفيروس المذكور المطالبة بتعويض تلك الأضرار من الدول الأخرى المنتهكة للإلتزام بتبادل المعلومات وفقاً لقواعد المسؤولية الدولية.

٣. يمكن تحديد الأضرار الحاصلة عن انتهاك منظمة الصحة الدولية لالتزاماتها عند انتشار الأمراض المعدية كالفيروس المذكور أعلاه، وتحديد كيفية تعويضها مالياً من خلال الوسائل السلمية لحل النزاعات الدولية التي ذكرها ميثاق الأمم المتحدة كالتفاوض المباشر بين أطراف النزاع أو الوساطة أو التحكيم أو المحاكم الدولية أو من خلال اللجوء إلى المنظمات الدولية العالمية أو الإقليمية وغيرها من الوسائل السلمية التي يتفق عليها.

٤. ضرورة تفعيل قواعد القانون الدولي الخاصة بحفظ السلم والأمن الدوليين؛ لردع منظمة الصحة والدول المنتهكة لالتزاماتها عند انتشار الامراض المعدية، حيث يشكل انتشار فيروس (COVID-19) تهديداً للسلم

والأمن الدوليين، ويعد المجلس الجهاز المختص بتلك المهمة بما له من سلطات واسعة تشمل فحص أي نزاع أو موقف قد يعرض السلم والأمن الدوليين للخطر، وسلطته في تسوية المنازعات بالطرق السلمية واتخاذ التدابير المؤقتة، وغيرها من التدابير المحددة بموجب المواد (٤١،٤٢) من ميثاق الأمم المتحدة.

الهوامش:

---

(١) واثق عبد الكريم حمود، حق الإنسان في الصحة في القانون الدولي، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية، المجلد (٧)، العدد (٢٦)، ٢٠١٥، ص٢٦٩.

(٢) الفقرة (٢) من المادة (٢٥) من الإعلان العالمي لحقوق الانسان.

(٣) المادة (٨) من الإعلان العالمي لحقوق الانسان.

(٤) نصت المادة (٣٠) من الإعلان العالمي لحقوق الانسان على (ليس في هذا الإعلان أي نص يجوز تأويله على نحو يفيد انطواءه على تخويل أيَة دولة أو جماعة، أو أيٍ فرد، أيَ حق في القيام بأي نشاط أو بأي فعل يهدف إلى هدم أي من الحقوق والحرِّيات المنصوص عليها فيه).

(٥) نصت الفقرة (٢) من المادة (١٢) من العهد على (تشمل التدابير التي يتعين على الدول الأطراف في هذا العهد اتخاذها لتأمين الممارسة الكاملة لهذا الحق، تلك التدابير اللازمة من أجل:-

(أ) العمل علي خفض معدل موتي المواليد ومعدل وفيات الرضع وتأمين نمو الطفل نمواً صحياً.

(ب) تحسين جميع جوانب الصحة البيئية والصناعية.

(ج) الوقاية من الأمراض الوبائية والمتوطنة والمهنية والأمراض الأخرى وعلاجها ومكافحتها.

(د) تهيئة ظروف من شأنها تأمين الخدمات الطبية والعناية الطبية للجميع في حالة المرض).

(٦) المادة (٢٨) من العهد.

(٧) المادتين (١٨،٢١) من العهد.

(٨) المادة (٢٢) من العهد.

(٩) المواد (٢١/أ،٢٢) من دستور منظمة الصحة الدولية.

(١٠) اللوائح الصحية الدولية (٢٠٠٥)، ط٣، منظمة الصحة العالمية، سويسرا، ٢٠١٦، ص١.

(١١) الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية: https://www.who.int/ihr/about/ar/ .

(١٢) الفقرة (١) من المادة (١) من اللوائح الصحية الدولية (٢٠٠٥).

(١٣) الفقرتين (٣،٤) من المادة (٤) من اللوائح الصحية الدولية (٢٠٠٥).

(١٤) المادة (٦) من اللوائح الصحية الدولية (٢٠٠٥).

(١٥) المادة (٨) من اللوائح الصحية الدولية (٢٠٠٥).

(١٦) المادة (٩) من اللوائح الصحية الدولية (٢٠٠٥).

(١٧) المادة (١٠) من اللوائح الصحية الدولية (٢٠٠٥).

(١٨) المادة (١١) من اللوائح الصحية الدولية (٢٠٠٥).

(١٩) د. الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية:

https://www.who.int/ar/dg/speeches/detail/who-director-general-s-opening-remarks-at-the-mission-briefing-on-covid-19---19-march-2020.

(٢٠) الفقرة (١) من المادة (٢٤) من ميثاق الأمم المتحدة.

(٢١) المادة (٣٩) من ميثاق الأمم المتحدة.

(٢٢) محمد عبد الحميد فرج: النظام القانوني لقوات حفظ السلام الدولية، تجربة كوسوفو، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، مجلد(٤٤)، ع (١٧٦)، القاهرة، ابريل، ٢٠٠٩، ص٢٦٧.

(٢٣) محمد جبار جدوع العبدلي، دور عمليات حفظ السلام الدولية في تسوية النزاعات المسلحة الداخلية، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد (٣٨)، مجلد (١)، ٢٠١٥، ص١٢٨.

(٢٤) د. صلاح الدين أحمد حمدي، دراسات في القانون الدولي العام، ط١، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠١٣، ص٣٢٧.

(٢٥) د. عصام العطية، القانون الدولي العام، ط٧، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٨، ص٥١٧.

(٢٦) فلك هاشم عبدالجليل المهيرات، المسؤولية الدولية للمنظمات الدولية في القانون الدولي العام، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، ٢٠١٦، ص٢٣.

(٢٧) عبد العزيز محمد سرحان، القانون الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦، ص٠٢٥

(٢٨) د. ابراهيم العناني، القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٨٤.

(٢٩) فلك هاشم عبدالجليل المهيرات، مصدر سابق، ص٢١.

(٣٠) د. عصام العطية، مصدر سابق، ص٥٦٢.

(٣١) الرسمية للجمعية العام للأمم المتحدة لعام ٢٠٠٩، الوثيقة: A/64/10, p.11.

(٣٢) د. عبد علي محمد سوادي، مبادئ القانون الدولي الإنساني، ط١، المركز العربي للدراسات والبحوث العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٧، ص٢٢١.

(٣٣) المصدر السابق، ص٢٢١-٢٢٢.

(٣٤) الوثائق الرسمية للجمعية العام للأمم المتحدة لعام ٢٠٠٣، الوثيقة: A/58/10, p.78.

(٣٥) الوثائق الرسمية للجمعية العام للأمم المتحدة لعام ٢٠٠٣، الوثيقة: A/58/10, op, cit, p.31.

(٣٦) الفقرة (١) من المادة (٦) من المشروع.

(٣٧) المادة (٨) من المشروع.

(٣٨) المادة (٧) من المشروع.

(٣٩) المادة (٩) من المشروع.

(٤٠) وكالة الأناضول الخبرية، الرابط: https://www.aa.com.tr/ar.

(٤١) د. عصام العطية، مصدر سابق، ص٥٣٨-٥٣٩.

(٤٢) الفقرة (٢) من المادة (٣٠) من المشروع.

(٤٣) د. عبد علي محمد سوادي، مصدر سابق، ص٢٢٣.

(٤٤) الفقرة (١) من المادة (٣٠) من المشروع.

(٤٥) المادة (٣٣) من المشروع.

(٤٦) د. عصام العطية، مصدر سابق، ص٥٤٨.

(٤٧) المادة (٣٦) من المشروع.

(٤٨) د. عبد علي محمد سوادي، مصدر سابق، ص٢٢٣.

(٤٩) المادة (٣٤) من المشروع.

(٥٠) د. عصام العطية، مصدر سابق، ص٥٤٩.

(٥١) المادة (٣٥) من المشروع.

(٥٢) المادة (٣٨) من المشروع.

(٥٣) المادة (٤٣) من المشروع.

(٥٤) الفقرة (٣) من المادة (٢) من الميثاق.

(٥٥) المادة (٣٣) من الميثاق.

(٥٦) د. هشام بشير و د. علاء الضاوي سبيطة، احتلال العراق وانتهاكات البيئة والممتلكات الثقافية، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٣، ص٨٩.

المراجع:

أولاً: الكتب:

١. د. صلاح الدين أحمد حمدي، دراسات في القانون الدولي العام، ط١، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠١٣.

٢. عبد العزيز محمد سرحان، القانون الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦.

٣. د. عبد علي محمد سوادي، مبادئ القانون الدولي الإنساني، ط١، المركز العربي للدراسات والبحوث العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٧.

٤. د. عصام العطية، القانون الدولي العام، ط٧، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٨.

٥. د. هشام بشير ود. علاء الضاوي سبيطة، احتلال العراق وانتهاكات البيئة والممتلكات الثقافية، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٣.

ثانياً: الأطاريح والرسائل الجامعية:

١. فلك هاشم عبدالجليل المهيرات، المسؤولية الدولية للمنظمات الدولية في القانون الدولي العام، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، ٢٠١٦.

ثالثاً: البحوث والدوريات

١. محمد جبار جدوع العبدلي، دور عمليات حفظ السلام الدولية في تسوية النزاعات المسلحة الداخلية،

٢. مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد (٣٨)، مجلد (١)، ٢٠١٥.

٣. محمد عبد الحميد فرج، النظام القانوني لقوات حفظ السلام الدولية، تجربة كوسوفو، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، مجلد(٤٤)، ع (١٧٦)، القاهرة، ابريل، ٢٠٠٩.

٤. واثق عبد الكريم حمود، حق الإنسان في الصحة في القانون الدولي، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية، المجلد (٧)،

العدد (٢٦)، ٢٠١٥.

رابعاً: الوثائق الدولية

١. ميثاق الأمم المتحدة لعام ١٩٤٥.

٢. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة ١٩٤٨.

٣. دستور منظمة الصحة العالمية لسنة ١٩٤٨.

٤. العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لسنة ١٩٦٦.

٥. الوثائق الرسمية للجمعية العام للأمم المتحدة لعام ٢٠٠٣، الوثيقة: A/58/10.

٦. الوثائق الرسمية للمجلس الاقتصادي والاجتماعي، الوثيقة E/C.12/2000/4.

٧. اللوائح الصحية الدولية (٢٠٠٥)، ط٣، منظمة الصحة العالمية، سويسرا، ٢٠١٦.

خامساً : مواقع الانترنت

١. الموقع الرسمي للأمم المتحدة: http://www.un.org/ar .

٢. الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية: https://www.who.int/ar .

الاستلزامُ التّخاطُبيّ في وصايا الإمام عليّ "ع"– مقاربة تداوليّة

م. رجاء محسن حمد
مديرية تربية النجف/ النجف الأشرف

المقدمة:

إن اللغة لم ترتكز على أُفق واحد من المناهج بل شكّل إنتاجها مجالاً رحباً للدراسات العلمية ، فاتّجه مداها نحو الاتساع والشّمول والاستحداث لمناهج جديدة في الوصف والتّحليل ، مما ساهم في ظهور العديد من النّظريات ، منها ما أهتم بتحليل الخطاب في ظل ما يُقال وما يُقصد ؛ لأنه الركيزة الأولى في العملية التّواصلية ، فالحوار عملية إجرائية تقتضي التّفاعل بين المتكلم والمتلقي ، وهذا لا يكون إلاّ لأهداف ، ومقاصد تضبطها أُطر زمانية ومكانية ، وتحكمها شروط سياقية معينة ، فانبثق المنهج التّداولي بوصفه منهجاً لغوياً حديثاً ، يُعنى باستعمال اللغة على أساس أنه فعل كلامي ، واستلزام حواري قائم على مقاصد معينة وفق الموقف الذي يوضحه ويفسره كاسراً قيود المناهج الشّكلانيّة ، التي تركّز على العلاقة بين الدّال والمدلول ، أو قواعد النّحو ، داعياً إلى التّوليف بين البنية اللغوية والأوضاع التّواصليّة ، أدواته في ذلك دراسة العوامل اللسانية وغير اللسانية التي لها تأثير محوري في تفسير النّصوص ، وفهمها .

بما أنّ نهج البلاغة يعدّ من النّصوص ذات الثّراء اللغوي والمعنوي فضلا عن الأسلوب التّربوي القويم ، والمنهج التّعليمي الإرشادي الهادف إلى خير الفرد والمجتمع بما يقدمه من تعاليم وإرشاد ووصايا في مختلف مفاصل الحياة فكانت تلك الوصايا ثقافة واسعة اشتملت على أكثر من قضية فهي بمثابة تشريع بعد القرآن الكريم والسّنة النّبوية ، برزت فيها القرائن اللغوية إلى جانب القرائن المعنوية لمعالجة متكاملة للنص .

وانطلاقا مما سبق ترسّم هذا البحث دراسة الأبعاد التّداولية في هذه المدونة القيّمة ، فكان بعنوان "الاستلزامُ التّخاطُبي في وصايا الإمام عليّ (ع) مقاربة تداولية" .

وهي دراسة تطبيقية اعتمدت المنهج الوصفي التّحليلي ، محاولة لاستجلاء جانب من الأبعاد التّداولية في هذه المدونة.

وقد تحصل البحث في ضوء معاينة وصايا أمير المؤمنين ، أن يكون في فقرات ، أولها : التّداولية ، وثانيها : الاستلزام التّخاطبي ، وثالثهما : تجليات الاستلزام التّخاطبي في وصايا أمير المؤمنين خُتم البحث بجملة من النّتائج ، وثُبت بالمصادر والمراجع .

أولا : التّداولية Pragmatics:

شهد البحث اللساني تغييرا جذيراً في مرحلة ما بعد البنيوية ، بعد أن مهدت له محاولات العديد من اللغويين والفلاسفة ، فمزجت بحوثهم بين الفلسفة واللسانيات ، فتحولت اللسانيات من علم تجريدي ينظر إلى النّص بكونه كياناً مستقلاً بذاته بغض النّظر عن قصد المرسل ، أو السّياق الذي أُنتج فيه إلى علم " يدرس اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية (أو تداولية) للمتكلم ، وهي الآلية اللغوية الفطرية التي تسمح له بربط مقال محدد بدلالة محددة في مقام محدد لغرض محدد"[١].

ولامتداد علاقتها بعلوم شتى منها " الفلسفة التّحليلية ممثلة في فلسفة اللغة العادية ، ومنها علم النّفس المعرفي ، ومنها علوم التّواصل ، ومنها اللسانيات بطبيعة الحال "[٢] جعلها حلقة وصل بين دراسات معرفية كثيرة مما جعل تقديم تعريف جامع لها أمراً صعباً ، ويعدّ تشارلز موريس Charles Morris عام ١٩٣٨ أول من قدّم تعريفاً لها ، إذ اعتبرها جزء من السّيميائية بعد أن ميّزها بثلاثة فروع هي[٣] :

١. علم التّركيب Syntax : ومهمته دراسة العلاقة بين العلامات داخل التّركيب النّحوي .

٢. علم الّدلالة Semantic : ويدرس علاقة العلامات بالمرجع الذي تحيل إليه .

٣. التّداولية Pragmatics : تدرس العلاقة بين العلامات ومستعمليها .

وهذا التّقسيم وسّع من رحاب التّداولية لتتعدى حدود اللسانيات إلى ما هو سيميائي ، فهي تهتم " بدراسة الكلام وما يتعلق به من سياق لغوي وغير لغوي ، لتحقيق كمال الاتصال بين المتكلم (المرسِل) والمستمع (المستقبِل) "[٤] .

فالمعاني اللغوية التي تُفهم من المفردات والتّراكيب (علم الدّلالة) معانٍ وضعية لا نحتاج في استنباطها إلى عناصر خارج البنية اللغوية ، أما الوصول إلى قصد المتكلم لا يتم إلا بمعرفة المقام والسّياق الذي قيل فيه الكلام والعلاقة بين المتكلم والمخاطَب ، وزمان الخطاب ومكانه وظروف إنتاجه[٥] ، فكان أقرب تعريف لها هو " دراسة اللغة في الاستعمال أو التّواصل "[٦] ؛ لأنّ اللغة هي أُسس وقواعد للاتصال بين النّاس وليست مجرد أصوات تطلق ، والأهم في عملية التّواصل هو اختيار المرسِل سلاسل من العلامات دون غيرها لإفهام المرسَل إليه غايات الكلام ومقاصده .

ثم أصبحت التّداولية مجالاً رحباً للدرس اللغوي الحديث بجهود الفلاسفة " أوستين وسيرل وجرايس "[٧] ، وقد أعادت دراسات هؤلاء للغة ديناميتها بشكل جديد ، بعيداً عن التّحليل البنيوي أو الفيولوجي أو المنطقي الشّكلي ، منطلقة في ذلك من الإنجازات التي قدّمها المنطق المعاصر[٨] ، ويكاد يجمع الدّارسون على أن التّداولية تقوم بدراسة أربعة جوانب هي : –

١. الإشاريات Deictiques
٢. الافتراض المسبق Presupposition
٣. الاستلزام الحواري Conversationnel implication
٤. أفعال الكلام Actesdeparole

وتوجز مهام التّداولية بما يأتي[٩] :

١. تهتم بالظاهرة اللغوية في الاستعمال الفعلي ، أي تُعنى بدراسة الرّموز المستخدمة في عملية التّواصل ، والعوامل المؤثرة في اختيار هذه الرّموز دون غيرها .
٢. الوقوف على العوامل التي سببت عجز المعالجات البنيوية للملفوظات .
٣. بيان أسباب تجاوز الوضع الأصلي المباشر إلى المعنى السّياقي غير المباشر .
٤. دراسة الآلية الاستدلالية في معالجة الملفوظات .

وقد تميزت عمن غيرها من اتجاهات البحث اللساني " في كونها تهتم بمختلف الأسئلة الهامة ، والإشكالات الجوهرية في النّص الأدبي المعاصر ، لأنها تحاول الإحاطة ، بعديد من الأسئلة ، من قبيل : من يتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟ ما هو مصدر التّشويش والإيضاح ؟ كيف نتكلم بشيء ، ونريد قول شيء آخر"[١٠] ؛ لذا عُدت " قاعدة كل اللسانيات "[١١] ، والمعول عليها في نجاح عملية التّواصل اللغوي .

ثانيا : الاستلزام التّخاطُبي Conversational implicature:

تنقسم الجملة في دلالتها على المعنى إلى صريحة مباشرة ، وأخرى ضمنية يحدد دلالتها السّياق الذي ترد فيه ، أي أنّ " معنى جمل اللغات الطبيعية إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر في ما تدلّ عليه صيغها الصّورية من استفهام ، وأمر ، ونهي ، ونداء ، وإلى غير ذلك من الصّيغ المعتمدة في تصنيف الجمل "[١٢] ، فأن بعض الأقوال تبلغ أكثر مما يدل عليه معناها الحرفي ، وتسمى هذه الظّاهرة اللغوية بـ " الاستلزام الحواري "[١٣]، أو " نظرية التّخاطب " ، أو " نظرية الاقتضاء "[١٤] ، وقد تبلورت على يد الفيلسوف الامريكي (غريس) إذ يرجع البحث فيها إلى المحاضرات التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة ١٩٦٧ بعد أن فرّق بين ما تعنيه القيمة اللفظية للعبارات (ما يقال) ، وما يريد المخاطب أن يوصله للسامع بشكل غير مباشر (ما يقصد) فنشأت عنده فكرة الاستلزام[١٥] ، والتي يمكن أن نوجز مفهومها بأنه " عمل المعنى ، أو لزوم الشّيء عن طريق قول شيء آخر ، أو قل : إنه شيء يعنيه المتكلم ، ويوحي به ، ويقترحه ، ولا يكون جُزءا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية "[١٦]؛ لأن المعنى ليس مقتصرا على الكلمات وحدها ، ولا مرتبطا بالمتكلم والمخاطَب فحسب ، بل يتداول بين هذه الأطراف ، ومن ثمَّ مراعاة المعطى اللغوي المتعلق باللفظ[١٧] ، فالاستلزام التّخاطُبي يهتم بالتّمييز بين المضمون الدّلالي للكلام ، والمضمون الاستعمالي له ، لذا يعدّ محورا أساسيا في الدّراسة التّداولية التي تهتم بدراسة اللغة في استعمالها ، فلا يمكن اختزال القول بما قيل (ما يحمله القول من دلالة لغوية صريحة) دون الالتفات إلى ما يحمله من معنى متضمن (الاستلزام التّخاطُبي) ، ولكي يجعل المتكلم سامعه يدرك

المعنى الضمني للكلام فأنه يبني كلامه على ضوء الفرضيات المسبقة عن شخصية المخاطب الاجتماعية وامتلاكه لوسائل الاستدلال التي تمكنه من إدراك المعاني غير المباشرة التي يتضمنها الكلام فعناصر التّخاطب الدّلالي قوامها " إنشاء الكلام من لدن المتكلم ، وفهمه من لدن المخاطب "[١٨] ، فمبدأ (القصد) المحور الأهم الذي تدور حوله اهتمامات أصحاب البحث التّداولي ، ومن ثم (الفائدة) التي يتحصل عليها السّامع من الخطاب بعيداً عن الملابسات والغموض الذي يحيط بالكلام ولتحقيق حوار ذا فاعلية ينبغي أن تبنى العملية التّواصلية وفق قانون وضعه (غرايس) ، ومفاده " إنّ التّفاعلات الحورية تبلغ مقاصدها بمقتضى التّعاون القائم بين أطراف الحوار وهو ما يتطلب أن يكشف المتحاورون مقاصدهم ، أو على الأقل التّوجه العام لهذه المقاصد"[١٩] يعرف بـ (مبدأ التّعاون) .

تستند التّفاعلات الحورية إلى مجموعة من المبادىء والمعارف المشتركة التي تحيل إلى إنتاج الخطاب من جهة المتكلم وتأويله من جهة المتلقي بما يخدم الهدف المرجو من الخطاب أي تقوم على التّعاون المشترك بين المتحاورين بمعنى آخر ترجع إلى مدى احترام مبدأ التّعاون الذي يحكم عملية التّخاطب ، والذي يتفرّع منه أربع قواعد تخاطبية ، وهي[٢٠] :

ـ قاعدة الكَمْ Maxim of quantity

تُلزم هذه القاعدة المخاطب على أن يوازن بين إنتاجيته للكلام والهدف المراد تحقيقه من الحوار أي يكون كلامه على قدر المعلومات الضّرورية للمعنى ولا تتعدى المشاركة المقدار الذي يستلزمه المعنى في التّخاطب .

ـ قاعدة الكَيْف Maxim of quality

القصد من هذه القاعدة أن تكون المعلومات الواجب تقديمها في عملية التّخاطب صادقة ، وتتفرع إلى : ـ

ـ لا تقل ما تعلم أنه خاطئا ـ لا تقل ما لا تستطيع إثباته بدليل .

ـ قاعدة المناسبة أو العلاقة ، أو الملاءمة Maxim of relevance

الهدف منها أن يكون كلام المرسل مناسباً لقصد الخطاب دون الانحراف إلى مقاصد أخرى مخالفة لموضوع الحوار أي يكون إسهامك التّخاطبي مفيداً مناسباً ، وارداً ، ملائماً .

ـ قاعدة الجهة ، أو الكيفية Maxim of manner

تنص هذه القاعدة على أن يكون المتكلم واضحاً ، يدفع أي عارض يحدث اضطراباً في مسيرة المعنى ويحوله عن وجهته المقصودة ، كالإيجاز المخل بالمعنى والزيادة المفرطة في الالفاظ المولدة للضجر والملل ، وتتفرع إلى ثلاث قواعد فرعية : ـ

ـ احترز اللبس ـ كن منظماً ـ أداء المقصود بأقل من عبارة متعارف الاوساط (أوجز)

أراد غرايس أن تكون هذه القواعد ضابطاً للتبادل الكلامي بين المشتركين في الحوار ، ليتحقق هدف الخطاب وخرق أي قاعدة منها يمثل الانتقال من التّصريح إلى التّلميح لسببٍ دفع المتكلم إلى ذلك[٢١] ، وتولد ظاهرة (الاستلزام التّخاطبي) ، لكن مع خرق مبدأ التّعاون في قواعده الاساسية يبقى المتلقي قادرا على أن يصل إلى قصد المتكلم بما يمتلكه من وسائل الاستدلال وأعراف الاستعمال[٢٢] .

بما أن غاية الخطاب الاتصال والابلاغ ، قام الإمام (ع) باستثمار التّداولية ؛ للكشف عن الاستعمال من جانب ، وصورة الحال والمقام من جانب آخر ، فهي الجادة الموصّلة للدلالة المرادة .

ثالثا :تجليات الاستلزام التّخاطُبي في وصايا أمير المؤمنين

يقوم الاستلزام على خرق أحدى قواعد التّعاون الحواري[٢٣] ، لتحقيق قصد معيّن ، يتوصّل إليه المخاطَب بحسب معرفته وبمقدار ملكاته اللغوية ، وسيسلط البحث الضّوء على تلك القواعد في حالة الخرق والمعاني المستلزمة منها في صايا أمير المؤمنين ، وعلى النّحو الآتي :

١. اختراق قاعدة الكم:

هي إحدى قواعد الاستلزام التّخاطُبي ، وتُلزم أن يكون الكلام بالقدر الذي يحقق إيفاء للمعنى وفهماً للمتلقي ، وقد تُخرق هذه القاعدة لغرض معيّن ، نتلمّس ذلك عند الإمام في وصيته : (فإذَا نزَلتُمْ بِعَدُوّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ، فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الأَشْرَافِ ، أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الأَنْهَارِ، كَيْما يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً ،

وَدُونَكُمْ مَرَدّاً، وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْه وَاحِد أَوِ اثْنَيْنِ، واجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ الْهِضَابِ ، لِئَلاَّ يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَة أَوْ أَمْن وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَومِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا غشِيكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً ، وَلاَ تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلاَّ غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَة)[٢٤].

استُهلت الوصية بالأسلوب الإخباري الشّرطي بـ (إذ) التي تفيد " تعلق حصول مضمون جملة بخصوص أخرى "[٢٥] وهذا التّعلق إنما جاء ليخصص القول عن طريق تحقيقه وتوثيقه ، فجملة الشّرط تنهض بدور توجيه المتلقي إلى الجزاء ، وقد تكرر أسلوب الشّرط في هذه الوصية ؛ لعرض الاحتمالات التي قد يواجهها العسكر ووضع الحل المناسب لكل احتمال ، وهذا يستلزم الدّراية الفاحصة ، وبُعد النّظر بمجريات الأمر ، فقد بدأ (ع) بوضع الخطوط العامة للمعركة ، والثّوابت التي تتعلق بالأهداف البعيدة . ابتداءً من الموقع العسكري الذي ينزل به الجيش ، فقد أمر (ع) باختيار المواقع العسكرية المحصنة (فليكن معسكركم) تتكون الحمولة الدّلالية للفعل في أمرين تتجلى الأولى في (الأمر) ومستلزمة تستظهر في النّصح والإرشاد ، وقد تم خرق قاعدة الكَم عندما عيّن وبتفصيل دقيق مكان التحصّن وفي كل موقع جغرافي قد يحلّ فيه الجيش ، إن كان الموقع جبلياً ، أو قرب الأنهار ، أو في الهضاب ، إذ نلاحظ عبارات (العلو العالي) ، و (سفاح الجبل) ، و (منعطفات الأنهار) ، ويستلزم هذا اختيار الموقع العسكري من الأمور التي تؤدي إلى كسب المعركة إذا ما رُعيت بالشّكل الصحيح ؛ لأنه يستلزم ضمنياً حماية ظهور المقاتلين باعتماده مُعينا ومكاناً للرد ودفع هجمات العدو غير أنه (ع) أعقب وصيته بالجملة التّعليلية لاختيار الموقع المحصّن (كيما يكون ردءا) وقد استلزمت هذه الزيادة ضرورة الالتزام بتنفيذ الوصية .

ثم انتقل (ع) إلى خط آخر من الخطوط المرحلية للمعركة وهي نشر العيون للاستطلاع ، فقد أمر مقاتليه بنشر الطلائع في (أعالي الجبال) ، و (مرتفعات الهضاب) وإن تتقدم الجيش لاستكشاف الطّريق ، و جمع المعلومات عن العدو كحجمه ونقاط ضعفه وسياسته في المواجهة ، وفي تكرار ذكر هذه المهمة

العسكرية (رقباء ، عيون ، طلائع) خرق لقاعدة الكم استلزمت التّنبيه على أهمية هذا الدّور العسكري فعليه يتحدد موقع وأسلوب ووقت مواجهة العدو ، ثمّ حذّر (ع) من التّفرق وأمر بالوحدة في الحل والتّرحال ، وقد نهى جنده عن النّوم إلا قليلاً جداً ؛ فكم من جيشٍ أُخذ على حين غرّة ، والسّياق الإنتاجي التّوليديّ الذي يترشح منه أسلوب النّهي هو تحذير الجند مع وعظهم وإرشادهم .

ومن وصيته للحسن والحسين (ع) لمّا ضربه ابن ملجم (لعنه الله) : (وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً... وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ لاَ تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ أَشْرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ)[٢٦].

تعامل معها في خرق مبدأ الكَم بالزيادة ، ففي مقارعة الظّلم والوقوف خصماً له يقتضي بالضرورة نصرة للمظلوم وإعانة له ، فهي دعوة إلزام لنصرة المظلوم ، وفي التزام التّواصل ومد أواصر المحبة والالفة بين النّاس بالبذل والعطاء تستلزم نبذ التّقاطع ، ورفض كف العطاء ، أما الأمر بالمعروف فأنه يلازم النّهي عن المنكر ، فالأمر بالشّيء هو نهي عن ضده ، ولكن أمير المؤمنين آثر الزيادة على الاقتصاد في الكلام ؛ لأنها تستلزم تقرير الوصية وإثباتها وإقرارها .

وفي وصيته لعبد الله بن عباس ، عند استخلافه على البصرة قال : (سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ، وإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللهِ يُبَاعِدُكَ مِنْ النَّارِ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّار)[٢٧].

السّعة" تقال في الأمكنة وفي الحال وفي الفعل كالقدرة والجود "[٢٨] ، وهذا ما أُوجزته وصيته (ع)، فالسّعة بالوجه تعني لقاء الحاكم للرعية بالبشر ، وهذا يمنحهم حرية في عرض مطالبهم والتّعبير عن مظالمهم ، والسّعة في المجلس أي لا يضيق مجلسه بعامة النّاس

ويقتصر على النّخبة فلا يخصص لهم وقتاً للاستماع إليهم ، والسّعة في الحكم فلا ينحاز حكمه عن العامة بل يعم عدله الجميع ، ويقدم رضا العامة على الخاصة[٢٩].

إن المعاني في عملية التّأويل قد تتعدى الصّورة الحرفية للكلام ، وإذا ما ربطنا هذا بقواعد غريس ، نجد أنه تم خرق قاعدة الكَم ؛ لأن المعلومات كانت موجزة وهذا يستلزم أن خدمة الرّعية واجب أكبر من أيّ تأطيرات سياسية وتحديدات اقتصادية ، وعلى الحاكم الوقوف المطلق غير المقيد بزمان أو مكان أو درجة على كلّ ما اشتملت عليه السّعة من معانٍ لخدمة عامة النّاس فهم قوام الدّولة وعمادها.

٢. اختراق قاعدة الكَيْف:

تنص قاعدة الكيف على أن " لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح ، ولا تقل ما ليس عندك دليل "[٣٠] ، وتبقى دواعي المتكلم وظروف النّص حاضرة في توجيه الخطاب وتحديده ، فالمخاطب لا ينتج خطابه عبثاً ، وإنما ينتجه لتحقيق غرض وغاية معينة[٣١]، ومما تمّ فيه خرق مبدأ الكَيْف قوله (ع): (أَتَرْجُوا أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ . وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ ، تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ والأَرْمَلَةَ . أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمتَصَدِّقِينَ؟ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بَمَا [أ] سلَفَ ، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَالسَّلاَم)[٣٢]، فقد طرح السّؤال وهو يعلم بعدم صوابه ؛ لأنه لا يعتقد بصحة ما يقول ، فالله سبحانه لا يُنال ما عنده من جزيل العطاء إلا بطاعته فيستحيل ان يسجل عنده في سجل المتواضعين من كان في عداد المتكبرين ، ولا يمكن أن يكون من يتقلب في الرفاه والتّرف مع تمنعه وصده للضعيف والمحتاج في مصاف الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، فالانتهاك هنا مقصود من أجل مخاطبة العقول بطريقة تمس الوجدان على وفق صيغة خطابية متسمة بالدّقة وقوة الحجة لإثبات البرهان وإقامة الدّليل ، فالمخاطَب قادر على الوصول إلى مراده (ع)؛ لأنه يعلم استحالة المساواة بين المتواضع والمتكبر ، وذلك يستلزم أن الإمام يقصد بقوله شيئاً غير ما تقوله كلماته وهو أن المنهج الذي يعتمده المخاطَب في تعامله مع الرّعية غير صحيح ، فالاستفهام لم يأتِ على وجه طلب الفهم و الاستعلام عن أمر ما ، إنما نستشف منه دلالة التّأنيب والتّوبيخ لمن وجه إليه السّؤال ليكون الكلام أبلغ و أوقع في النّفس ، فالتّتابع النّسقي لأسلوب الاستفهام في كلامه (ع) لا يحتاج إلى إجابة ، وإنما يحتاج إلى إعمال الفكر في المستفهم عنه ، فالاستفهام هنا هو فعل حجاجي بالقّصد المضمر فيه ، الذي يؤدي بالمرسل إليه إلى التّسليم المرة بعد

الأخرى للتنازل عن معتقداته شيئاً فشيئاً ، والمرسِل يدرك كما يدرك المرسل إليه أن هذه الأسئلة ليست استفهاما عن مجهول ، فهي حجج باعتبار قصد المرسِل لا باعتبار الصّياغة، والمعنى الحرفي فقط[٣٣] ، ومن هنا جاءت في سياق الإنكار ، فالاستفهام يعدّ أسلوباً استدلالياً بيانياً يمكن به معرفة المقصود سواء أكان حقيقيا أم مجازيا ، ويدعم قوله (ع) بالجملة (وأنت متمرغ في النّعيم تمنعه الضّعيف والأرملة) لإبطال رأي الخصم فهي طريقة حجاجية تستلزم إقامة الدّليل قبل إتمام المعنى ، ويختم (ع) كلامه بخلاصة وصيته الدّاعية إلى بناء الشّخصية الإدارية وفق الأُطر الاخلاقية والإنسانية المستمدة من تعاليم الإسلام: (إنما المرء مجزي بما سلف) ، فلفظة (إنما) " تأتي حين يراد تصحيح معتقد أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم "[٣٤] تستلزم أن المرء يُحاسب بما يقدّم من أعمال في سالف أيامه وغير ذلك يعد ادّعاء كاذب .

ومن كتاب له (ع) إلى زياد بن أبيه يوصيه بالحذر بعد أن علم بخديعة معاوية له ومحاولة استتدراجه قال : (وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ ، فاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ)[٣٥] فأن معاوية ليس هو الشّيطان في الحقيقة ، وإنما أُريد المعنى المجازي ، فهناك علاقة تشابه بينهما ففيه من دلالة الشّطئنة " فالشّاطن الخبيث ، ولعل الشّيطان وصف بهذا الوصف لأنه يبعد الانسان عن نيته بخبثه ووسوسته "[٣٦] ، فالشّيطان كان مداوماً على خلق الرّغبة لدى الانسان ليستزله عن نهج الحق وهو يحاول أغراءه بشتى الطرق والوسائل ؛ لتحقيق غايته ، واستطاع أن يدخل إلى بني آدم من الاستعدادات الفطرية التي مُنحت لهم ، وهي حب البقاء ، وحب التّملك ، وهما فطرتان في الإنسان[٣٧] ، وهذا ما اعتمده معاوية مع زياد إذ أغراه بما أراد وأحب مقابل مناصرته ضد الإمام ، ويستلزم من هذا الخرق لفت الانتباه والتّحذير من مكر معاوية ، فقد جهر بالكفر عندما انبرى قولاً وفعلاً لحرب إمام زمانه والتّحريض على الوقوف ضده وعدم الاقرار بالولاية التّكوينيّة والتّشريعيّة للإمام (ع) ويستلزم هذا أن معاوية كافر ناصبي ، قد نصب العداء للإسلام .

٣. اختراق قاعدة المناسبة:

تنص قاعدة المناسبة على أن تجعل " كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع "[٣٨] ، أي أن يناسب المقال المقام[٣٩] ، وقد يتم خرق هذه القاعدة عندما يكون الكلام غير مباشرة لغاية ما يتخذها المخاطِب لإيصال المعلومة للمخاطَب ؛ لكون الأسلوب غير المباشر أقوى من الأسلوب المباشر[٤٠] ، كقوله (ع) لأصحابه بعد معركة صفين ، لاسيما بعد التّحكيم وما آل إليه الجيش من تفرق بعد مخالفته ، فكلامه كان يدور في فلك الوصية ، فهو دعوة إلزام برأي كل حكيم نافذ النّصيحة بعد الاستدراج النّفسي عن طريق الوقوف عند نتائج التّعنت والعصيان فكان خطابه قادرا على الوصول إلى الوعي الشّعبي : (وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ في هذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخزُونَ رَأْيِي ، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِير أَمْرٌ! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمخَالِفِينَ الْجُفَاةِ)[٤١] ، فقد أنتهك مبدأ المناسبة عندما وظّف في خطبته مثلاً عربياً قديماً (لو كان يطاع لقصير أمر) ، فالأمثال تمثل " رموزاً وإشارات يلوح بها على المعاني تلويحاً"[٤٢] ، تعمد إلى تحفيز أفق المتلقي والتّوغل في فكره ونقل كل ما يتطلّبه الحدث من تأملات فكرية وانفعالات وجدانية إلى حيّز الواقع وإعادة إحيائه من جديد ، وكان باستطاعته أن يضرب المثل باسمه ، ولا يخل القصد والمعنى ، ولكن السّامع في ضوء المبادىء الأخرى للتعاون يسأل نفسه ما هي العلاقة الممكنة بين المثل المعروف وقبول حادثة التّحكيم فيصل إلى مراد المتكلم وهو إبلاغهم رسالة مفادها التّأنيب والذّم لشناعة صنعهم ، واستشراف نهايتهم المشابهة لمصير المخالفين لرأي قصير * ويستلزم الاستعمال اللغوي للأداة (لو) التي تقع دلالتها على الحدث الذي يمتنع تحققه أو هو من قبيل المحال[٤٣] دوام عصيانهم وعدم اطاعتهم لأوامره (ع).

وفي كتاب له (ع) جواب لقوم سألوه معاقبة المآمرين فكان بمثابة الوصية لجعل الحرب الخيار الأخير بعد معالجة الأمور بالحلول السّلمية ، فقال : (يَا إِخْوَتَاهُ! إِنّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلكِنْ كَيْفَ لي بِقُوَّة وَالْقَوْمُ الْمُجْلبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ ، يَمْلِكُونَنَا وَلاَ نَمْلِكُهُمْ !وهَاهُمْ هؤُلاَءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانِكُمْ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلاَلَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَة عَلَى شَيء، تُرِيدُونَهُ؟! إِنَّ هذَا الأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّة، وَإِنَّ لِهؤُلاَءِ الْقَوْمِ مَادَّةً إِنَّ النَّاسَ مِنْ هذَا الأَمْرِ . إِذَا حُرِّكَ . عَلَى أُمُور: فِرْقَةٌ تَرَى مَا

تَرَوْنَ، وَفِرقْةٌ تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لاَ تَرَى لا هذَا وَلاَ هذَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً ; فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً ، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً.وَسَأُمْسِكُ الأمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّواءِ الْكَيُّ)(٤٤).

ففي قوله (آخر الدّاء الكي) خرق لمبدأ المناسبة فالمقام ليس في الكلام عن الامراض وعلاجها ولكن (ع) أراد أن يبين أن النّاس إن استقاموا أصابوا حظهم ورشدهم ، وإن اعوجّوا فكان لا بدّ من إقامة اعوجاجهم مهما كلف الأمر ، والمراد بالكي هنا الحرب والقتال فهي الغاية التي ينتهي إليها العصاة ودواء لقلوبهم المريضة ، فأراد دفع الحرب بالتّخويف والإنذار ، والاجتهاد في ردعهم بالتّرغيب والتّرهيب أولاً ، ويستلزم من هذا الخرق ان الإسلام لا يحبذ العنف ولا يلجأ إلى القتال إلا إذا أصبح هو الحل الوحيد ، ففي استدراج النّفوس وعلاجها لا بدّ من الابتداء بالموعظة والمناصحة ثمّ التّدرّج إلى الحزم والشّدة .

ومن خطاب له (ع) حثّ فيه النّاس على الجهاد فسكتوا ، فقال لهم موصيا بالثّبات والإقدام : (مَا بَالُكُمْ أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ؟ فقال قوم منهم: يا أميرالمؤمنين، إن سرتَ سرنا معك.فقال (ع): مَا بَالُكُمْ! لاَ سُدِّدْتُمْ لِرُشْد! وَلاَ هُدِيتُمْ لَقَصْد! أَفِي مِثْلِ هذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ؟ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلاَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ، وَالْمِصْرَ، وَبَيْتَ الْمَالِ، وَجِبَايَةَ الأرْضِ، وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ في حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَة أَتْبَعُ أُخْرَى، أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِالْفَارِغِ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَا، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَاني، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا . هذَا لَعَمْرُ اللهِ الرَّأْيُ السُّوءُ)(٤٥) .

ففي ذم التّقاعس والجبن هو أمر للتحلي بالشّجاعة ؛ لأن النّهي عن شيء هو أمر بضده ، يستلزم سؤاله معنى الإنكار والتّوبيخ ، لعدم استجابتهم والتّزامهم الصّمت دون الرّد على دعوته الذي يستلزم رفضهم لمضمون خطابه (ع) وعدم الامتثال لمحتواه ثم أجابه واحد منهم بقوله (إن سرت سرنا معك) ، فكان جوابه لغير ما سُئل عنه ، فلم يكون جوابه ذا علاقة مناسبة بالسّؤال ، ففي جوابه يُخيل إلى أنه يخبر فيه عن استعداده للحرب متى أذن (ع) بذلك ، فعُلم منه الجواب وزيادة عليه ، وهو استبعاد أن يكونوا قد

اصابهم الخرس وأنهم على أهبة الاستعداد للقتال ، وفي ذلك خرق لقاعدة الكَيْف ؛ لأنه قال ما يُعتقد أنه كذب وفي قول الإمام (لا سددتم لرشد ، ولا هديتم لقصد) خير دليل ، فالرّشد الاستقامة والهداية ، والقّصد الاعتدال وهذا بيان لواقع حالهم الذي يثبت تقاعسهم حتى وإن ادّعوا عكس ذلك ، وقصده (ع) من بيان حالهم هو لومهم وتوبيخهم ، وباختيار (المجيب لسؤال أمير المؤمنين) أسلوب الشّرط بدلالته المتأرجحة بين احتمالية كون الشّيء وعدمه دون إلزام وتقرير للأمر ، فضلا عن دلالة أداة الشّرط (إن) التي تستعمل في الأمر غير المقطوع بوقوعه أو غير مرغوب فيه[٤٦] ، دليل آخر على التّخاذل عن إطاعة أوامره (ع) .

إذا ما طبقنا المبدأ التّعاوني على خطابه (ع) فإننا نجد بأنه تمّ انتهاك مبدأ المناسبة لأن المخاطب انزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي قصدها المتكلم .

٤. اختراق قاعدة الطرّيقة:

الهدف من هذه القاعدة تجنب اللبس والملل والإيجاز المخل في القول ، فهي مرتبطة بالقاعدة الأساسية التي تنص " التزام الوضوح "[٤٧] ، لكن خرق هذه القاعدة قد تؤدي إلى معانٍ لا يمكن أن تتولد من دون هذا الخرق ، وعليه " فإنّ للمتكلم استراتيجيتين لتوليد استلزام خطابي ما : أما احترام الحكم أو توظيفها عبر انتهاك هذه العبرة أو تلك "[٤٨] ، وهو الأمر الذي دفع المتكلم إلى اختيار الطّريقة المناسبة المعبرة عن قصده ، وقد آثر الإمام (ع) خرق مبدأ الطّريقة بالإطناب حينما سأله ذعلب اليماني هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟ فقال: (أَ فأَعْبُدُ مَا لا أَرَى ؟قال: وكيف تراه؟ قال: لاَ تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الأيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الأشْيَاءِ غَيْرُ مُلاَمِس، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِن، مُتَكَلِّمٌ بِلاَ رَوِيَّة ، مُرِيدٌ بِلاَ هِمَّة ، صَانِعٌ لاَ بِجَارِحَة ، لَطِيفٌ لاَ يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ ، بَصِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لاَ يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ)[٤٩].

سؤال المتكلم ليس سؤالاً حقيقياً بقصد البحث عن الجواب وإنما بقصد تقرير التّعجيز عن الإجابة ، فقال له (ع): " أ فأعبد مالا أرى " ويستلزم السّؤال الإنكار لعبادة ما لا يدرك ؛ لأن العبادة بتفاصيلها من دعاء

وتوجه وطلب المغفرة ومناجاة وخضوع وتذلل تستلزم إدراك المعبود ورؤيته ، ولمّا ظن السّائل من كلامه (ع) الرؤية البصرية لا البصيرة ، قال : " وكيف تراه " ويستلزم سؤاله الإنكار والتّوبيخ لادعاء غير الممكن ؛ لأن رؤيته البصرية غير ممكنة الحصول(٥٠) ، فاستدرك (ع) بقوله تدركه القلوب الخالصة الايمان بالعقول ، فالذات الالهية قريبة من كل شيء بالإحاطة وتدبّر الأمور ، وفي التّنزيه هي أعلى من كل شيء ، متكلم ليس بتفكير واستعداد وتهيأ كسائر النّاس ، ومريد ليس كإرادة البشر بالهمّة والعزيمة ، وصنعته ليست بالأعضاء والجوارح { إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون}(٥١) منزه عن المعاني المستلزمة للجسمية ، موصوف بالعظمة والعلو والكبرياء ولكن ليس كالملوك والأمراء فهو منزه عن الغلظة والجفاء ، منزه عن الحواس ؛ لأنها من صفات الجسم (٥٢) ، ويسترسل (ع) في كلامه ، ففي الإطناب عدول كمي بالزيادة المطلقة والتي تنقل الكلام من الحقيقة الإبلاغية الإخبارية إلى صيغة فنية جمالية لا يتوقف دورها عند الكشف والإيضاح بل يتعدى ذلك إلى تحقيق الإقناع ، ولفت انتباه المتلقي إلى البنية الظّاهرة واستجلاء ما وراءها من معالم ايحائية تتعدى فيها حدود الزّيادة اللغوية " فكثرة الكلام توجب كثرة النّظر "(٥٣)، فيلحظ أن هذا التّفصيل في الخطاب إنما لتزيد قيمة المعنى فيه ، وإقراره في ذهن المتلقي ويستلزم منه بيان حقيقة الرّؤية وترسخ الإيمان وتشبيه في الذّهن بشكل يتفاعل مع الصّفات الإلهية ، فالأمر لا يتعلق بمتلقي يبحث عن الجدل والمراوغة بل تتعداه إلى وصية إلى الغائب عن مدى المخاطِب وقت إذ .

وفي قوله (ع): (أما إنّهُ سِيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ! أَلاَ وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي؛ فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرَّأُوا مِنِّي، فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الأيمَانِ وَالْهِجْرَةِ)(٥٤).

أختلف الشّراح في لفظة (رجل) المجملة فقيل أنه معاوية ، وقيل عنى زيادا ، أو المغيرة بن شعبة ، أو المراد به الحجاج(٥٥) ، ثم بدأ (ع) في ذكر صفاته التي رسمت الطّريق لتحديد شخصه ، ففي قوله (سيأمركم بسببي والبراءة مني) ، فالذي سنَّ هذه السّنة السّيئة معاوية بلا شك(٥٦) ، وفي قوله (يأكل ما

يجد ويطلب ما لا يجد) دليل آخر فقد دعا عليه الرّسول (ص): (اللهم لا تشبع بطنه)[٥٧] ، ويستلزم هذا الخرق لمبدأ الطّريقة بالإجمال لفت الانتباه والتّحذير عن طريق التّشويق ، فـ " ليس إعلامك الشّيء بغتة غفلاً ، مثل إعلامك له بعد التّنبيه عليه والتّقدمة له ؛ لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التّأكيد والإحكام "[٥٨] ، هذا من جانب وللدلالة على الإذلال والتّحقير من شأن ذلك الرّجل من جانب آخر .

نخلص مما تقدّم أن خرق الإمام (ع) لأي مبدأ من مبادىء التّعاون ، ليحمّل خطابه دلالات واغراض جديدة تكون ذات تأثير أكبر من تلقي الخطاب المباشر ففي خروجه (ع) عن هذه البادىء لا يعني عدم تعاونه وإنما هي استراتيجية مقصودة تُوصّل المعنى المتضمن في الخطاب بعد شحنه بمزيد من المعاني المستفادة من سياق ورودها فتُثري الدّلالة لمحاججة المتلقي وإقناعه بترسيخ رسالة المتكلم في ذاكرته .

الخاتمة:

١. يُعنى الاستلزام التّخاطُبي بالبعد الوظيفي للغة و ينأى عن ما تقدّمه اللغة البنيوية ، فلا يقف عند حدود المعنى المقالي فقط ، وإنما يعتمد في تأطير الحدث الكلامي على سياق الحال والقرائن ، فهي الرّافد المعنوي الأقوى لتشكيل المعنى ، مؤلفا بذلك بين المعنى المقالي والمقامي لاغياً الحدود الفاصلة بين المكون الدّلالي والتّداولي .

٢. بما أن غاية الخطاب الاتصال والإبلاغ والإقناع ، وإن دراسة المعنى التّواصلي هو الهدف الذي تسعى إليه التّداولية ، جعلت الإمام يستثمر البعد التّداولي للخطاب ، فكان خطابه نافذاً لوعي عموم النّاس.

٣. إن خرق الإمام (ع) لأي مبدأ من (مبادىء التّعاون) انتهاك مقصود لإثراء خطابه بمعانٍ متعددة تكون ذات تأثير أكبر بتقوية الإعلامية بإثارة التّوقع لدى السّامع وحثه على ملاحظة ذلك المعنى الإضافي ، وتعزيز مقصدّية المتكلم ، فهي استراتيجيّة تواصليّة حجاجيّة .

٤. تجسّد الاستلزام التّخاطبي في كلام الإمام (ع) بخرق مبدأ (الكَمْ ، والكَيْف ، والنّوع ، والطّريقة) مع مراعاة قدرة المتلقي على الوصول إلى قصده ، فـ (ع) راعى ما يمتلك المخاطِب من إمكانات لغوية وثقافية واستعدادات استدلالية وتأويلية .

هوامش البحث:

١. الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتّراث العربي : ٢٤.

٢. التّداولية في الدّراسات النّحوية : ١٨.

٣. ظ : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٩ ، والتّداولية اليوم : ٢٩.

٤. التّداولية في الدّراسات النّحوية : ١٨.

٥. ظ : النّظرية البراجماتية اللسانية : ٢٢.

٦. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ١٥.

٧. ظ : م . ن : ٨٠.

٨. ظ : عندما نتواصل نغيّر ، مقاربة تداولية معرفية لأليات التّواصل والحجاج : ٦٩.

٩. ظ : التّداولية عند علماء العرب : ١٦.

١٠. المقاربة التّداولية : ٥٠.

١١. م . ن : ٣٤.

١٢. مظاهر التّداولية في مفتاح العلوم للسكاكي : ١٨٥.

١٣. ظ : التّداولية عند العرب : ٣٣.

١٤. ظ : نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس : ٧٨.

١٥. ظ : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٣ ، و ظ : الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية تداولية) : ٨.

١٦. نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس : ٧٨.

١٧. ظ : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٦.

١٨. في اصول الحوار وتجديد علم الكلام : ٥٠.

١٩. الاستلزام الحواري في التّداول اللساني : ٩٨.

٢٠. ظ : المحاورة مقاربة تداولية : ١٦٢، اللسان والميزان أو (التّكوثر العقلي) : ٢٣٨ ، وأصول تحليل الخطاب في النظرية النّحوية : ١/ ٩٢١ـ ٩٢٢.

٢١. ظ : تبسيط التّداولية : من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السّياسي : ٤٧.

٢٢. ظ : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٤، واللسانيات التّداولية في الخطاب القانوني : ١٤٨.

٢٣. ظ : التّداولية عند العلماء العرب : ٣٤.

٢٤. شرح نهج البلاغة : ١٥/ ٨٩.

٢٥. شرح الرضي على الكافية : ٣ /١١٥ .

٢٦. شرح نهج البلاغة : ١٧/ ٥.

٢٧. م . ن : ١٨ / ٧٠.

٢٨. المفردات : ٥٢٣.

٢٩. ظ : قبسات من الثقافة الادارية في نهج البلاغة : ٦٨.

٣٠. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٣٤.

٣١. ظ : استراتيجيات الخطاب : ٣٧.

٣٢. شرح نهج البلاغة : ١٥/ ١٣٩.

٣٣. ظ : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٤٨٥.

٣٤. دلالات التّراكيب : ١٣٩.

٣٥. شرح نهج البلاغة : ١٦/ ١٧٩.

٣٦. التّطور الدّلالي : ٤٧٦.

٣٧. ظ : القّصص القّرآني ايحاؤه ونفحاته : ٤٨.

٣٨. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٧، وظ :اللسان والميزان أو التّكوثر العقلي : ٢٣٢.

٣٩. ظ : اللسان والميزان : ٢٣٨.

٤٠. التّداولية بوصفها منهجا في تحليل النّص الأدبي : ١٩.

٤١. شرح نهج البلاغة : ١٩ / ٣٦.

٤٢. المثل السّائر : ١/ ٧٧.

* قصير : مولى جذيمة الأبرش أحد ملوك العرب دعته الزباء ملكة الجزيرة للزواج بها ، فأشار عليه قصير أن لا يفعل ، فخالفه وذهب فقتله، فقال : لو كان يطاع لقصير أمر ، فذهب مثلا لكل ناصح مصيب الرأي عصاه قومه . ظ : شرح نهج البلاغة : ١٩/ ٣٦.

٤٣. ظ: شرح ابن عقيل : ٢ / ٣٨٥.

٤٤. شرح نهج البلاغة : ٩/ ٢٩١.
٤٥. شرح نهج البلاغة : ٧/ ٢٨٥.
٤٦. ظ : الاطول شرح تلخيص مفتاح العلوم : ٤٥٧.
٤٧. الاستلزام الحواري في التّداول اللساني : ١٠٠.
٤٨. القاموس الموسوعي عن التّداولية : ٢١٥.
٤٩. شرح نهج البلاغة : ١٠/ ١٨٠.
٥٠. ظ : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٦١/١.
٥١. يس : ٨٢.
٥٢. ظ : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٦١/١.
٥٣. التّعريفات : ١٧.
٥٤. شرح نهج البلاغة : ٥٤/٤.
٥٥. ظ : م . ن .
٥٦. ظ : في ظلال نهج البلاغة : ١/ ٣٠٧.
٥٧. شرح نهج البلاغة : ٤/ ٥٥.
٥٨. دلائل الاعجاز : ١٠٢ .

المراجع:

١. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعة – الاسكندرية ، ط١ (٢٠٠٦م) .
٢. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة – ليبيا ، ط١ (٢٠٠٤م) .
٣. الاستلزام الحواري في التداول اللساني – من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة : العياشي أدراوي ، دار الأمان– الرباط ، ط١ (٢٠١١م).
٤. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص) : محمد الشاوش ، كلية الآداب منوبة – تونس ، ط٤ (١٤٢١هـ – ٢٠٠١م) .

٥. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم : إبراهيم بن محمد الحنفي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
٦. تبسيط التداولية – من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي : د. بهاء الدين محمد مزيد ، شمس للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط١(٢٠١٠م).
٧. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي :مسعود صحراوي ، دار الطليعة – بيروت ، ط١ (٢٠٠٥م).
٨. التداولية في الدراسات النحوية : جاد الكريم عبد الله أحمد ، مكتبة الآداب ، (٢٠١٤م).
٩. التداولية اليوم علم جديد في التواصل : آن روبول ، جاك موشلار ، ترجمة : د. سيف الدين ، د. غفوس ، د. محمد الشيباني ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، (٢٠٠٣م).
١٠. التعريفات : ابو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني ، الدار التونسية للنشر ، (١٣٩١هـ – ١٩٧١م).
١١. التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن : عودة خليل أبو عودة ، مكتبة المنار– الاردن ، ط١ (١٩٨٥م) .
١٢. دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق وتقديم : محمد رضوان الداية ، د. فايز حداد ، مكتبة سعد الدين – دمشق ، ط٢ (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) .
١٣. دلالات التراكيب دراسة بلاغية: محمد حسنين أبو موسى ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط١ (١٩٩٧م).
١٤. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : سهاد الدين عبد الله بن عقيل الهمداني(٧٦٩هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ، (٢٠٠٢م).
١٥. شرح الرضي على الكافية : رضي الدين الاستراباذي ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس – ليبيا ، (١٣٩٨هـ –١٩٧٨م) .
١٦. شرح نهج البلاغة : لابن ابي الحديد، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط٢ (١٩٦٧م) .
١٧. عندما نتواصل نتغير (مقاربة تداولية معرفية آليات التواصل والحجاج) : عبد السلام عشير ، افريقيا الشرق – المغرب ، ط١ (٢٠٠٦م) .
١٨. في أصول الحوار وتجديد الكلام : طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، ط٢ (٢٠١٣م) .
١٩. في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد : محمد جواد مغنية ، مؤسسة الكتاب الإسلامي ، ط٢ (١٤٢٦هـ) .
٢٠. القاموس الموسوعي عن التداولية : جاك موشلر ، آن ربيول ، ترجمة : مجموعة من الاساتذة والباحثين ، اشراف : عز الدين المجدوب ، مراجعة : خالد ميلاد ، المركز الوطني للترجمة – تونس ، (٢٠١٢م) .

٢١. قبسات الثقافة الادارية في نهج البلاغة : مركز نون للتأليف والترجمة ، جمعية المعارف الاسلامية، ط١ (٢٠١٥م)
٢٢. القصص القرآني إيحاءه ونفحاته : فضل حسن عباس ، دار الفرقان – عمان ، (د . ت).
٢٣. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي – بيروت ، ط١ (١٩٩١م) .
٢٤. اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني (قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين) : د. مرتضى جبار كاظم ، دار ومكتبة عدنان ، ط١ (٢٠١٥م) .
٢٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الاثير ، تقديم وتحقيق وتعليق : احمد الحوفي ، بدوية طبانة ، مطبعة الرسالة – مصر ، (١٣٨١هـ – ١٩٦٢م).
٢٦. المحاورة مقاربة تداولية : حسن بدوح ، عالم الكتب الحديث – اربد الاردن ، ط١ (٢٠١٢م .
٢٧. مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي : باديس لهويمل ، عالم الكتب الحديث – اربد الاردن ، ط١ (٢٠١٤م)
٢٨. المفردات في غريب القرآن : الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، (د . ت) .
٢٩. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : حبيب الله الهاشمي الخوئي ، طهران ، ط٤ (١٤٠٥هـ) .
٣٠. النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادىء : محمود عكاشة ، مكتبة الآداب – القاهرة ، ط١ (٢٠١٣م) .
٣١. نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس : صلاح اسماعيل ، الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، (٢٠٠٥م) .

الرسائل والاطاريح:

١. الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية تداولية) : حجر نورما وحيدة (رسالة ماجستير) ، كلية العلوم الإنسانية والثقافة – جامعة مولانا مالك إبراهيم ، ، (٢٠١٠م) .
٢. الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي : د. مسعود صحراوي (أطروحة دكتوراه) ، جامعة باتنة ، (٢٠٠٣م) .

المجلات العلمية:

- التداولية بوصفها منهجا لتحليل النص الأدبي : د. مجيد الماشطة ، جريدة الأديب – بغداد ، السنة الثانية ، العدد/ ٥٨، ٩شباط (٢٠٠٥م)

سيكولوجية البكاء في ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة– دراسة تحليلية

م.د. ضرغام علي العنكوشي
كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

لم يزل ولا يزال القرآن الكريم ذلك الكتاب الالهي والدستور السماوي محيرا لألباب العقلاء، ومعجزا لجهابذة العلماء، ونميرا عذبا للبلغاء والفصحاء ،فهو الناطق الذي لا يعيا لسانه، وبيت لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه، فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم١، فالكتاب المجيد هو الغاية الأساس الذي بذلت لأجله جُلّ الدراسات المتباينة في مختلف العلوم والتخصصات ،ولذلك فلن تجد كتابا سماويا يثمر بالعطاء كما اثمر القران الكريم على مدى خمسة عشر قرنا، ومن الجدير بكل مفكر أن يولي مجهودا في فهم القرآن المجيد، من أجل إبراز أسراره، واقتباس أنواره، وبفضله انبثق الكثير من العلوم التي أخذت حيزاً واسعا من الدراسات القرآنية ، وهو ذا يكشف عن نعمة من النعم الجمة التي اولاها الله لعبادة الا وهي البكاء يعد البكاء حالة من حالات النفس الإنسانية حينما تتعرض للانفعالات الخارجية أو الداخلية باختلاف حالة الانفعال من قبيل التعرض لخبر مفرح أو موقف محزن أو التعبير عن الألم الداخلي ، وهو بعد ذلك نعمة أفاض بها الله عز وجل على مخلوقاته لما فيه من منافع وفوائد نفسية وطبية وخلقية فضلا عن الفوائد العقائدية فالبكاء سلاح ذو حدين ، وعند استقراء سيرة المعصوم (ع) والاولياء والصالحين نجد ان البكاء قد استعمل لغايات واهداف سامية وكبيرة تنوع البكاء تبعا لتلك الغايات والاهداف، ومن يمكن ابراز أهمية دراسة البكاء في القرآن الكريم بما يأتي:

١.احتل مصطلح البكاء ومشتقاته جزءاً من آيات القران المجيد، وتكرر الحديث عنه في مختلف النصوص قصارها وطوالها ، مكيَها ومدنيَها ، بأساليب متنوعة بتنوع الغايات ومتميزة بإثارة عقل الإنسان وعواطفه ، وجعله محفزا للتلقي والاستجابة.

٢. حاجة المجتمع إلى هكذا موضوعات هادفة تخدم التطور السريع الذي نعيشه وخصوصا من ظروف معقدة ، وضغوطات كثيرة تملأ النفس قلقا واضطربا فيكون البكاء مرة علاجا ناجعا لتفريغ هذه الشحنات السلبية والضغوط النفسية منبعه من القرآن العظيم .

٣. تقديم دراسة موضوعية قرآنية تبين سيكولوجية البكاء في القرآن الكريم مما يثري المكتبة الإسلامية.

٤. إبراز نعمة البكاء عند الإنسان والحث على شكر المنعم والحفاظ عليها وتسخيرها في كل ما يرضي الله تعالى .

كل ذلك استدعى ان يكون عنوان البحث " سيكولوجية البكاء في ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة دراسة تحليلية "، وقد قسم البحث على مقدمة وخمسة مطالب مع خاتمة وقائمة بأبرز مصادر البحث ؛ فكان المطلب الاول تحت عنوان "البكاء في التعريف اللغوي والاصطلاحي" تناولت فيه بيان المعنى المعجمي لمصطلح البكاء وبيان ابرز معانيه عند علماء اللغة والاصطلاح، اما المطلب الثاني فكان تحت عنوان "فوائد البكاء" وبينت فيه أهمية البكاء فضلا عن أبرز الفوائد التي تكمن فيه عبر شواهد قرآنية وأحاديث نبوية ودراسات طبية ونفسية، اما المطلب الثالث فيقع تحت عنوان "اشكالات وردود حول البكاء" وقد تناولت فيه اشكالات عديدة مطروحة حول البكاء وتم ردها بأسلوب منهجي وعلمي دقيق، وكان المطلب الرابع بعنوان "البكاء في المنظومة القرآنية" تم فيه دراسة مصطلح البكاء في الآيات القرآنية وكيف تعامل القرآن الكريم مع هذا المصطلح والكشف عن انواعه وتطبيقاته في القرآن والسنة النبوية المباركة يجمعها المنهج الموضوعي والوصفي، واما المطلب الخامس فكان تحت عنوان " تباين مواقف البكاء بين الناس " تحدث عن تباين الاسباب التي تكون مبكية في مجتمع ما ومضحكة في اخر ، تلتها خاتمة بأهم النتائج التي افرزها البحث وقائمة بأهم المصادر .

المطلب الأول: البكاء في التعريف اللغوي والاصطلاحي:

البكاء في اللغة مأخوذ من بَكَى يَبْكِي بُكًا وبُكَاءً، فالبكاء بالمدّ: سيلان الدمع عن حزن و عويل، بمعنى من يرى انه ممدود أجراه مجرى الأبنية الموضوعة للصوت كالرّغاء والثغاء وما إلى ذلك من الأصوات ،

أما البكاء بالقصر يقال إذا كان الحزن أغلب، و جمع البَاكِي بَاكُون و بُكِيّ، و أصل بكيّ فُعُول يطلق في الحزن وإسالة الدمع معا، وقد يقال في كل واحد منهما منفردا عن الآخر[٢]، ويقال باكيت فلانا فبكيته، بمعنى كنت أبكى منه، وأبكيته: صنعت به ما يبكيه[٣] ، وهناك من يرى ان اصل البكاء بمعنى النقصان والقلّة من بكى : بمعنى نقص، وأصله الهمزة، من بكأت الناقة تبكأ وبكؤت تبكؤ : إذا قلّ لبنها، ، وهذا شطط دون ادنى شك فالبكاء بهذا المعنى غير مرتبط بهذه المادّة، بل هو مدلول مادّة البكؤ بهمز اللام- كما في كتب اللغة.

اما في الاصطلاح فيعرف بانه الأثر البارز من انقباض شديد في الباطن وهو نقيض الضحك [٤].

وهو علامة مميزة من علامات الزهد ، وهو يجلي القلوب ، ويطهر النفس من الذنوب ، وهو في إطلاق عنانه في المناسبات الإنسانية ، الفجائعية فيض رحمة .

ويعرّف ايضا بانه فعل من أفعال النفس الجانحيّة لا الجارحيّة كون تلك الأفعال لا تتّصف بلون ما بذاتها ، وإنّما تتصف بلحاظ الغايات [٥].

ويعرفه علماء الأخلاق انه حالة انفعال في الجناح العمليّ للنفس ،وهو ما يسمّى بتأثّر الضمير والوجدان في الإنسان بمعنى تأثّر الجانب العمليّ الذي فيه مزيج إدراكيّ سواء خرج الدمع أم لا ؛ مصحوبا بالصيحة أو دونها [٦]. وقد فرق العلماء بين البكاء والتباكي اذ يقال تباكى الرجل تكلف البكاء اذن فالتباكي يختلف عن البكاء ان الانسان يتكلف به [٧]، بل جعل من المستحبات في الصلاة ، لما رواه سعيد بياع السابري ، قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : أيتباكى الرجل وهو في الصلاة ؟ قال: " بخ بخ ، ولو مثل رأس الذباب" [٨].

المطلب الثاني: فوائد البكاء:

أثبتت الروايات والأحاديث الواردة عن النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين فضلا عن البحوث العلمية أن للبكاء أهمية كبيرة نذكر بعض من تلك الفوائد :

حيث افصحت الكثير من الروايات ان فوائد جمة تكمن في البكاء من قبيل انه :-

١. مفتاح الرحمة ووعاء للشفقة والرأفة:

يعد البكاء من افضل السبل لغسل درن القلب ، فضلا عن تهيئة الأرضية الصالحة فيه للتفاعل والتأثر وبالتالي يملأ القلب بالرحمة والرأفة فقد ورد عن أمير المؤمنين (ع) انه قال: " البكاء من خشية الله مفتاح الرحمة" [٩] ، وفيه من الخصوصيات والفضائل ما لا يوجد في غيره من أصناف الطاعات ، فهو رحمة مزجاة من الخالق العزيز لعباده تقربهم من منازل لطفه وكرمه ، وتتجاوز بهم عقبات الآخرة وأهوالها قال رسول الله (ص): " إذا أحب الله عبدا نصب في قلبه نائحة من الحزن ، فإن الله لا يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن إلى الضرع " [١٠]، وعن أمير المؤمنين (ع) قال: "بكاء العيون وخشية القلوب من رحمة الله تعالى ذكره ، فإذا وجدتموها فاغتنموا الدعاء ، ولو أن عبدا بكى في أمة لرحم الله تعالى ذكره تلك الأمة لبكاء ذلك العبد "[١١]. فالإنسان إذا ما بكى خشية وخوفا من الله سبحانه وتعالى غمرته الرحمة وأحاطته العناية الإلهية وانسلخ من لباس التجلد والقسوة المذمومة التي تجلبب بها نتيجة الاعمال المنحرفة وتراكم الذنوب المهلكة ولهذا قال امير المؤمنين علي (ع) : "ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب "[١٢] ، وويل للقلب القاسي قال تعالى : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولئِكَ في ضَلالٍ مُبين﴾ [١٣]، فاذا ما قسى القلب بَعُد عن الله سبحانه وتعالى وخرج من دائرة عنايته الى ولاية الشيطان عندها ينبذ من النور القدسي الى الظلمات قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدُون ﴾ [١٤].

٢. ينفس الهم ويزيل الكرب:

يرى علماء النفس ان البكاء نوع من التفريغ والتفريج النفسي الذي يريح الاعصاب لان البكاء سلوك صحي وعلاج سريع لأغلب المتاعب النفسية [١٥] ، لان الانسان عندما يبكي فانه يعبر عن ضعفه واحتياجه الى الامان والراحة بل عندما يبكي الانسان يستفرغ ما في داخله من شحنات سلبية مؤذية كما يرى عالم النفس الامريكي أليركاتس " ان الانفعالات والاحاسيس القوية من حزن وألم وقلق توجد في

الانسان بغتة مواد سامة قاتلة فيحدث له مثلما يحدث للأفعى التي تفرز إبان غضبها أو خوفها سما مميتا ولكنها يوجد في حنكيها حفر خاصة لتجمع السم ، والانسان خلو من هذه الحفر والاغوار وكان مما لا بد منه ان تطغى السموم التي تفرز في ساعات الغضب أو الخوف او الحزن على الانسان ، وتنتشر في اطرافه ، ولا شي يحمي الانسان من هذه الاخلاط ، ويرد اذاها عنه مثل الدموع التي تسيل من عينيه ، فانها دليل نجاته من تلك السموم القاتلة "[١٦] .

٣. سلامة الدماغ وصحة الجسد:

فالبكاء تجفيف لرطوبة الدماغ والتي يعد بقائها خطرا كبيرا على البصر والبدن سواء عند الصغار او الكبار على حد سواء [١٧]، وقد اشار الامام الصادق (ع) في حديثه الى المفضل بن عمر حيث قال : " : اعرف يا مُفَضَّلُ ، ما لِلأَطفالِ فِي البُكاءِ مَنِ المَنفَعَةِ ؟ وَاعلَم أنَّ في أدمِغَةِ الأَطفالِ رُطوبَةً إن بَقِيَت فيها أحدَثَت عَلَيهِم أحداثاً جَليلَةً وعِلَلاً عَظيمَةً مِن ذَهابِ البَصَرِ وغَيرِهِ ! فَالبُكاءُ يُسيلُ تِلكَ الرُّطوبَةَ مِن رُؤوسِهِم فَيُعَقِّبُهُم ذلِكَ الصِّحَّةَ في أبدانِهِم وَالسَّلامَةَ في أبصارِهِم، أفَلَيسَ قَد جازَ أن يَكونَ الطِّفلُ يَنتَفِعُ بِالبُكاءِ ووالِداهُ لا يَعرِفانِ ذلِكَ ؟ فَهُما دائِبانِ لِيُسكِتاهُ ويَتَوَخَّيانِ فِي الأُمورِ مَرضاتَهُ لِئَلاّ يَبكِيَ، وهُما لا يَعلَمانِ أنَّ البُكاءَ أصلَحُ لَهُ وأجمَلُ عاقِبَةً "[١٨].

٤. علاج ناجع لدرء الذنوب :

لان البكاء يوقد شعلة نور في قلب الإنسان تضيء له حيثما تولى ، فاذا ما شعر الانسان بقصوره اتجاه خالقه وربه ، ومدى طغيانه وقبح تجاوزه للحدود يتكون في صدره شعور بالندم والحسرة مما يؤول به الامر غالبا بالبكاء على ما فرط في جنب الله تعالى فاذا ما عاد الى جادة الصواب امتلأ قلبه بالنور والايمان فضلا عن تحصنه عن معاودته لاقتراف ذلك الذنب يقول الإمام علي (ع) : " البكاء من خشية الله ينير القلب ، ويعصم من معاودة الذنب" [١٩].

هذا من جهة الروايات اما من جهة البحوث العلمية حيث اثبت علماء الطب والنفس والاجتماع اهمية البكاء عبر الابحاث المتكثرة نذكر بعض تلك الفوائد :

١.هناك ثلاثة انواع من الدموع تفرزها الغدد الدمعية[٢٠]:

أ. الدموع القاعدية حيث تفرز القنوات المسيلة الدموع الغنية بالبروتين المضاد للبكتيريا والذي يساعد في الحفاظ على رطوبة العين في كل مرة ترمش فيها العين.

ب. الدموع اللاإرادية والتي يتم تحفيزها من خلال الغبار والدخان او الغازات الناتجة من بعض الخضار والفواكه كالبصل وقشور الحمضيات حيث يتم افراز هذه السوائل لغسل العينين من هذه العوامل وحمايها والتي تمثل مطهرا يهلك الجراثيم.

ج.دموع المشاعر وهذه الدموع عادة ما تحتوي على مستويات عالية من هرمونات التوتر مما يساعد في تهدئة نفس الانسان واعصابه من المشاعر السلبية المكبوتة بصدره وأخطرها مشاعر الحزن والتوتر وهذا ما يراه ايضا علماء النفس ان البكاء نوع من التفريغ والتفريج النفسي الذي يريح الاعصاب لان البكاء سلوك صحي وعلاج سريع لأغلب المتاعب النفسية حيث عند البكاء تفرز الغدد هرمونات الاوكسيتوسين " ٠xytocin" والاندورفين " Endorphins" وهو ما يطلق عليهما بهرمونات السعادة [٢١].

د. البكاء يعمل على سلامة الغدد الدمعية من حالة الجمود او فقد جزئي للذاكرة .

٢.يرى علماء الاجتماع عبر دراسة نشرت عام ٢٠١٦ ان البكاء يعزز العلاقات الاجتماعية، حيث عند بكاء شخص تلاحظ ان من حولك يقدمون لك الدعم المناسب من اجل تخطي سبب البكاء وهذا بدوره يسهم في تحسين الصحة النفسية فضلا عن تكوين علاقات اجتماعية تسودها الرأفة والالفة [٢٢].

المطلب الثالث: اشكالات وردود حول البكاء:

تفشى في الفترات المتأخرة بين الاوساط المجتمعية أنّ البكاء بدعة دخلت حياة المسلمين وهي ظاهرة غير حضارية وفيها شيء من الاعتراض على قضاء الله تعالى وقدره، ثم عمدوا إلى زرع الشك في الأذهان ، الا ان هذا التوهم يزول بمجرد العود الى السيرة التاريخية للأنبياء والصالحين فضلا عن سيرة الحبيب المصطفى (ص) وأئمة اهل البيت (ع).

اذ يعقوب النبي (ع) على ولده يوسف (ع) حتى ابيضت عيناه لكثرة البكاء وبح صوته اسفا عليه قال تعالى : ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظيم﴾ [٢٣]، والحال ان يعقوب يعلم بان يوسف على قيد الحياة ، وقد ذكرت الروايات ان نبي الله شعيب (ع) بكى حبا لله عز وجل حتى عمى ، فرد الله عز وجل عليه بصره ، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه : يا شعيب ، إلى متى يكون هذا أبدا منك ، إن يكن هذا خوفا من النار فقد أجرتك ، وان يكن شوقا إلى الجنة فقد أبحتك ، قال إلهي وسيدي أنت تعلم إني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا إلى جنتك ، ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك ، فأوحى الله جل جلاله إليه : اما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران " [٢٤]، بل وحتى الكتب المقدسة ذكرت ان هاجر زوج نبي الله ابراهيم (ع) بكت على ولدها اسماعيل (ع): "قالت: لا أشهد موت الصبي ، فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت.

ملاك الله يخاطب هاجر وسمع الله بكاء الصبي، فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : ما الذي يزعجك يا هاجر ؟ لا تخافي، لأن الله قد سمع بكاء الصبي من حيث هو ملقى قومي واحملي الصبي، وتشبثي به لأنني سأجعله أمة عظيمة، ثم فتح عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبي ، وكان الله مع الصبي فكبر ، وسكن في صحراء فاران ، وبرع في رمي القوس ،واتخذت له أمه زوجة من مصر ." [٢٥] ، وغير ذلك من الادلة المزبورة في طي الكتب .

ثم انّ رسول الله (ص) بكى في اكثر من مورد حتى ان البعض قسم بكاءه (ص) على عدة اقسام نذكر بعض منها :

أ. بكاؤه (ص) حزنا وهما لفقد الأعزّة والأحبّة:

فقد بكى على ابنه إبراهيم (ع) فقد دخل أنس مع رسول الله "وإبراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله (ص) تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه): وأنت يا رسول الله (ص)؟! فقال: "يا بن عوف، إنّها رحمة " ثم أتبعها بأخرى ، فقال (ص) : " إنّ العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلاّ ما

يرضي ربّنا ، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " [٢٦]، وفي الحقيقة أنّ الذين قالوا بحرمة البكاء وجعلها ذريعة للتوهين والطعن ، غفلوا أو تغافلوا عن الفطرة التي أودعها الله في الإنسان ، فالإنسان إن تحققت آماله شعر بالفرح والسرور ، وإن أخفق في ذلك أو أصيب بنائبه فإنّه يحزن ويغتم وقد ينهار أمام ذلك .

ب. بكاؤه (ص) رحمة ورأفة :

فقد ورد في الروايات أن إعرابي قام لرسول الله (ص) وأنشد قائلا :

أتيناك والعذراء يدمى لبانها * وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

وليس لنا إلا إليك فرارنا * وليس فرار الناس إلا إلى الرسل

فبكى النبي (ص) حتى اخضلت لحيته الشريفة ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ورفع يديه إلى السماء، وقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا عذبا طيبا نافعا غير ضار عاجلا غير آجل فما رد رسول الله (ص) يده إلى صدره حتى مطرت السماء وجاء أهل البلد يصيحون الغرق الغرق يا رسول الله فضحك رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانجابت السحابة حتى أحدقت بالمدينة كالإكليل [٢٧].

ومثل ذلك ان رسول الله (ص) قال : " ان أرواح المؤمنين تأتي كل جمعة إلى السماء الدنيا بحذاء دورهم وبيوتهم ينادي كل واحد منهم بصوت حزين باكين : يا أهلي، ويا ولدي، ويا أبي، ويا أمي وأقربائي اعطفوا علينا يرحمكم الله بالذي كان في أيدينا والويل والحساب علينا والمنفعة لغيرنا وينادي كل واحد منهم إلى أقربائه : اعطفوا علينا بدرهم أو برغيف أو بكسوة يكسوكم الله من لباس الجنة " ، ثم بكى النبي (ص) وبكينا معه ، فلم يستطع النبي (ص) أن يتكلم من كثرة بكائه ، ثم قال: " أولئك إخوانكم في الدين ، فصاروا ترابا رميما، بعد السرور والنعيم فينادون بالويل والثبور على أنفسهم يقولون : يا ويلنا لو أنفقنا ما كان في أيدينا في طاعة الله ورضائه ما كنا نحتاج إليكم فيرجعون بحسرة وندامة ، وينادون : أسرعوا صدقة الأموات "[٢٨].

ج.بكاؤه خوفا وخشية :

عن أبي محمد جعفر بن أحمد القمي : انه لما نزلت هذه الآية على النبي (ص) : ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ [٢٩]﴾،" بكى النبي (ص) بكاء شديدا ، وبكت أصحابه لبكائه ، ولم يدروا ما نزل به جبرئيل (ع) ولم يستطع أحد من صحابته أن يكلمه ، وكان النبي (ص) إذا رأى فاطمة (ع) فرح بها ، فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها فوجد بين يديها شعيرا وهي تطحنه وتقول: ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ فسلم عليها وأخبرها بخبر النبي (ص) وبكائه ، فنهضت والتفت بشملة لها خلقة قد خيطت اثنا عشر مكانا بسعف النخل ، فلما خرجت نظر سلمان الفارسي إلى الشملة وبكى وقال: وا حزناه إن قيصر وكسرى لفي السندس والحرير، وابنة محمد (ص) عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر .... " .[٣٠]

د. بكاؤه حبا وشوقا:

بكى (ص) محبة وشوق من قبيل ما ورد عن أبي سعيد الخدري انه قال: كنت مع النبي (ص) بمكة إذ ورد عليه أعرابي طويل القامة عظيم الهامة، محتزم بكساء وملتحف بعباء قطواني، قد تنكب قوسا له وكنانة، فقال للنبي (ص): يا محمد أين علي بن أبي طالب من قلبك ؟ – فبكى رسول الله (ص) بكاء شديدا حتى ابتلت وجنتاه من دموعه ، وألصق خده بالأرض ، ثم وثب كالمنفلت من عقاله ، وأخذ بقائمة المنبر، ثم قال : يا أعرابي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة وسطح الأرض على وجه الماء لقد سألتني عن سيد كل أبيض وأسود ، وأول من صام وزكى وتصدق، وصلى القبلتين، وبايع البيعتين، وهاجر الهجرتين ، وحمل الرايتين، وفتح بدرا وحنين، ثم لم يعص الله طرفة عين، قال: فغاب الإعرابي من بين يدي رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) لأبي سعيد : يا أخا جهينة هل عرفت من كان يخاطبني في ابن عمى علي بن أبي طالب ؟ – فقال: الله ورسوله أعلم، قال: كان والله جبرئيل، هبط من السماء إلى الأرض ليأخذ عهودكم ومواثيقكم لعلي بن أبي طالب (ع)[٣١].

المطلب الرابع: البكاء في المنظومة القرآنية :

ان المتأمل للفظ البكاء ومشتقاته في آيات القرآن الكريم يجد انه جاء على عدة أنواع نذكر منها:

١. بكاء الخشية والتعظيم :

وهذا النوع من البكاء ممدوح في آيات الكتاب المجيد فالبكاء خشية وتعظيما وخضوعا لله سبحانه وتعالى ، والبكاء من خشية الله ، هو سيد آداب الدعاء وذروتها، ذلك لأن الدمعة لسان المذنب الذي يفصح عن توبته وخشوعه وانقطاعه إلى بارئه ، والدمعة سفير رقة القلب الذي يؤذن بالإخلاص والقرب من رحاب الله تعالى .

حيث جمع هذا النوع بين الخوف والرجاء ووجوب حسن الظن بالخالق وحرمة سوء الظن به ، وهو من اعلى مراتب البكاء وافضلها فالعلم هو من احدث الخشية في اعماق قلوبهم ،ومن هنا يوصي النبي الاكرم (ص) ابا ذر قال [٣٢]: " يا أبا ذر ، من أوتي من العلم ما لا يبكيه لحقيق أن يكون قد أوتي علما لا ينفعه ، لأن الله نعت العلماء فقال عز وجل : ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً ۞ وَ يَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً ۞ وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ وَ يَزيدُهُمْ خُشُوعاً ﴾ [٣٣]، ولعل هذه المنقبة من جملة ما اختص به العلماء ممن أوتوا العلم وتحققوا به بالله وآياته من قبل نزول القرآن الكريم ،فاستعدوا لفهم كلمه الحق وقبولها لتجهزهم بالعلم بحقيقة معناه وهم خشوع فيزيدهم القرآن المتلو عليهم خشوعا لما للآيات من أثّر بالغ في نفوسهم خشية من الله تعالى فيبكون [٣٤].

ولهذا نجد ان رسول الله يحث ابا ذر الغفاري رضوان الله عليه بالبكاء او التباكي " ... يا أبا ذر من استطاع أن يبكي فليبك، ومن لم يستطع فليشعر قلبه الحزن وليتباك، إن القلب القاسي بعيد من الله تعالى ولكن لا يشعرون، يا أبا ذر يقول الله تبارك وتعالى: لا أجمع على عبد خوفين ولا أجمع له أمنين ، فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة ... "[٣٥].

ثم ان رب العزة سبحانه وتعالى جعل البكاء خشية منه علاجا ناجعا لدرء الذنوب وحط الاوزار قال الامام الصادق (ع): " ان الرجل ليكون بينه وبين الجنة أكثر مما بين الثرى إلى العرش لكثرة ذنوبه فما هو إلا أن يبكى من خشية الله عز وجل ندما عليها حتى يصير بينه وبينها أقرب من جفنه إلى مقلته" [٣٦] .

واي خشوع كان يعتري الامام علي (ع) فهو بحق سيد البكّائين الخاشعين إذا ما سدل الليل ستاره سجد امير المؤمنين على الارض ودموعه تتحدر على كريمته مناجيا لله حتى يغشى عليه وكأنه لم يكن ذلك الضرغام الذي تفزع من ذكره الوغى وتغص بأرواحها الابطال عند ذكر اسمه فهو يبكي خشية من الله حتى لقب بالبكّاء ولهذا ذكر ذلك الوصف في علي (ع)[٣٧] :

علي الدر والذهب المصفى * وباقي الناس كلهم تراب

هو البكاء في المحراب ليلا * هو الضحاك إذا اشتد الضراب

هو النبأ العظيم وفلك نوح * وباب الله وانقطع الخطاب

٢.بكاء الحزن والحسرة :

ويحدث هذا البكاء عند عدم قدرة الانسان على اداء فعل ما او عدم الحصول على شئ ما لعذر مشروع كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ وَ لا عَلَى الْمَرْضى وَ لا عَلَى الَّذينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ ما عَلَى الْمُحْسِنينَ مِنْ سَبيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ ۞ وَ لا عَلَى الَّذينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ [٣٨]﴾ ، واستعمال كلمة " تفيض " بمعنى تفيض دمعها ذات دلالة بليغة اي أنّ العين صارت دمعا فيّاضا[٣٩] حزناً على الحرمان من المشاركة في فعل الخير الذي كانوا يودّون فعله بلهفة[٤٠]، حيث ان الآية نزلت في البكائين ، وهم سبعة نفر منهم عبد الرحمن بن كعب ،وعتبة بن زيد ، وعمرو بن غنمة ، وهؤلاء من بني النجار ، وسالم بن عمير ، وهرم بن عبد الله ، وعبد الله بن عمرو بن عوف ، وعبد الله بن معقل من مزينة ، جاءوا إلى رسول الله (ص) فقالوا : يا رسول الله ! احملنا فإنه ليس لنا ما نخرج عليه للجهاد من الأموال والظهر. فقال: لا أجد ما أحملكم عليه ،فرجعوا عنك ، وأعينهم تسيل بالدمع ، لحزنهم أن لا يجدوا ما يركبونه من الدواب ، وينفقونه في الطريق ، ليخرجوا معكم ،ولحرصهم على الخروج[٤١].

٣.بكاء المكر والخديعة :

وهذه الدموع كاذبة مصطنعة يرسلها الانسان ليدلس على الرائي شيئا يخفيه ولهذا استشهد القرآن الكريم على هذا النوع من البكاء في سورة يوسف (ع) ، حينما رأى ابناء يعقوب مدى اهتمام يعقوب بيوسف واخيه تأمروا فيما بينهم ، وقالوا :﴿إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبينا مِنَّا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبانا لَفي ضَلالٍ مُبين۞ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبيكُمْ وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحين﴾ [٤٢] أي تتوبون بعد ان تجمعوا على احد الخيارين عندها قالوا: ﴿قالُوا يا أَبانا ما لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلى يُوسُفَ وَ إِنَّا لَهُ لَناصِحُون ۞ أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُون﴾ [٤٣]. فقال يعقوب : إني ليحزنني ان تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب ، فانتزعه حذرا عليه من أن تكون البلوى من الله عز وجل على يعقوب في يوسف خاصة لموقعة من قلبه وحبه له ، قال فغلبت قدرة الله وقضائه ، ونافذ أمره في يعقوب ويوسف وأخوته ، فلم يقدر يعقوب على دفع البلاء عن نفسه ولاعن يوسف وولده ، فدفعه إليهم وهو لذلك كاره متوقع للبلوى من الله في يوسف ، فلما خرجوا من منزلهم لحقهم مسرعا ، فانتزعه من أيديهم فضمه إليه واعتنقه وبكى ودفعه إليهم فانطلقوا به مسرعين مخافة أن يأخذه منهم ولا يدفعه إليهم ، فلما أمعنوا به أتوا به غيضة أشجار ، فقالوا نذبحه ونلقيه تحت هذه الشجرة ، فيأكله الذئب الليلة ، فقال كبيرهم : ﴿قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ في غَيابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلينَ﴾[٤٤] ، فانطلقوا به إلى الجب فألقوه فيه وهم يظنون أنه يغرق فيه فلما صار في قعر الجب ناداهم : يا ولد رومين أقرؤا يعقوب مني السلام ، فلما سمعوا كلامه قال بعضهم لبعض: لا تزالوا من هاهنا حتى تعلموا أنه قد مات ، فلم يزالوا بحضرته حتى أمسوا ورجعوا إلى أبيهم عشاء وهم يبكون وهذا البكاء مصطنع غير حقيقي قال تعالى : ﴿وَجاؤُ أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُون﴾ [٤٥]، ليوهموه أنّهم صادقون فلمّا سمع بكاءهم فزع وقال : ما لكم يا بنيّ هل أصابكم في غنمكم ؟

قالوا : لا قال : فما لكم وأين يوسف ؟ وبكائهم المخادع هذا فيه دلالة على أنّ البكاء لا يوجب صدق دعوى الباكي في دعواه [٤٦] ، قالوا :﴿قالُوا يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَ لَوْ كُنَّا صادِقينَ﴾ [٤٧]، فلما سمع مقالتهم استرجع واستعبر وذكر ما أوحى الله عز

وجل إليه من الاستعداد للبلاء ، فصبر وأذعن للبلاء ، وقال لهم : بل سولت لكم أنفسكم أمرا وما كان الله ليطعم لحم يوسف للذئب من قبل ان رأى تأويل رؤياه الصادقة [٤٨] .

فتلك الدوع الجارية على الوجوه ما هي الا دموع المكر والخديعة الذي مكروه بيوسف وأبيهم يعقوب (ع) فأصبح بكاؤهم مضربا للمثل عند العرب حيث يذكر عن الشعبي قال: شهدت شريحا وجاءته امرأة تخاصم رجلا فأرسلت عينيها فبكت، فقلت : يا أبا اميّة ما أظنّ هذه الباكية إلَّا مظلومة ، فقال : يا شعبي إنّ إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون[٤٩] ، ومن هنا ذهب العلماء إلى أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله ؛ لاحتمال أن يكون تصنعا ومن الخلق من يقدر على ذلك ومنهم من لا يقدر وقد قيل إن الدمع المصنوع لا يخفى كما قال حكيم [٥٠]:

إذا اشتبكت دموع في خدود * تبين من بكى ممن تباكى .

٤. بكاء المستأجر أو المستأجرة :

كانت العرب تستأجر من يندبها ويبكيها إذا ما حل الموت فيهم أو بشخص منهم ، وهو من الامور الجائزة عند الفقهاء لما ورد من الدليل عليه عن اهل البيت (ع) فقد جاء عن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) حينما سئل عن أجر النائحة ، فقال : " لا بأس ، قد نيح على رسول الله (ص)" [٥١] .

بل صرح بحلية التكسب به واخذ الاجرة عليه لما جاء عنه (ع) انه قال: " لا بأس بكسب النائحة إذا قالت صدقا " [٥٢] ، وايضا ما جاء في خبر أبي بصير عنه (ع): " لا بأس بأجر النائحة " [٥٣] .

بل ان فعل الامام الباقر (ع) خير دليل على جواز استأجار البواكي والنادبات حيث أوقف من ماله ثمان مائة درهم لنوادب يندبنه عشر سنين بمنى وأنه تستحله بضرب إحدى يديها على الأخرى [٥٤] ،ولكن اشترط بعض الفقهاء الاحتياط أن يكون من غير تشارط على الاجر مستدلين على ذلك بموثقة حنان بن سدير عن أبي عبد الله (ع): "... قل لها لا تشارط وتقبل ما أعطيت " [٥٥] ، وإنّما يحرم استأجار النوادب حينما يكون النّوح بالباطل كأنْ تذكر صفات كاذبة ليست في الميت ، أو تذكر الصفات التي لا يسوغ ذكرها ، كأنْ تصفه بما يرفعه في دنياه ويضعه في أُخراه ، أو تقضي برفعته وضعة غيره ، أو تأتي بالنوح غير

السائغ لسماع الأجانب ، ونهي مفترض الطاعة ، أو لكونه على الكفّار ونحو ذلك، إذ لا يؤمن على النائحة التخطي إلى الباطل وإن قصدت الاقتصار على الحق لتتاخم حدودهما واللسان سباق إلى الهجر يعسر ضبطه إذا أطلق على مقدار الرخصة[٥٦].

واما من ذهب الى حرمة بكاء النوادب او المستأجرة وان الميت يعذب ببكاء اهله مستدلين بما جاء في البخاري ومسلم من ان النبي (ص) انه قال: "ان الميت ليعذب ببكاء أهله" [٥٧]، فالميت لا يعذب بالبكاء عليه سواء كان بكاء مباحا أو محرما كالمشتمل على المحرم ، لقوله تعالى : ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ﴾ [٥٨] ، من جهة اخرى ان رسول الله (ص) بكى على ولده ابراهيم (ع) كما تقدم ذكره.

٥. بكاء بيان المظلومية :

لما كان للبكاء بعد سياسي كونه من أفضل السبل الإنسانية والاجتماعية لاستنكار الظلم والتعبير عن عمق المأساة والمظلومية التي تعرض لها الشخص فيحاول ان يفصح عن مدى مظلوميته عبر هذا الأسلوب ،وتظهر أهمية هذا الأسلوب في هذا البعد السياسي في ظروف المحنة والقمع والإرهاب ، عندما تعجز بقية الأساليب عن التعبير عن ذلك ومن هنا اتخذ نبي الله يعقوب (ع) البكاء على ولده يوسف (ع) حتى ابيضت عيناه من الحزن ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظيم﴾ [٥٩]، والأسف أشد الحزن وسئل أبو عبد الله (ع) ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف ؟ قال حزن سبعين ثكلى بأولادها وقال إن يعقوب لم يعرف الاسترجاع ومن هنا قال وا أسفى على يوسف[٦٠]، فبكى حتى عميت عيناه فهو (ع) أراد بذلك بيان عظم الظلم والحيف الذي وقع عليه وعلى ولده من أبنائه.

وكذا الحال اتخذت هذا المنهج السيدة الجليلة فاطمة الزهراء (ع) بعد رحيل رسول الله (ص) ، فكانت تبكي اباها النبي (ص)، حتى اجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين علي (ع) فقالوا له : يا أبا الحسن إن فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فرشنا ، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا ، وإنا نخبرك أن تسألها إما أن تبكي ليلا أو نهارا ، فقال (ع) : حبا

وكرامة ، فأقبل أمير المؤمنين (ع) حتى دخل على فاطمة (ع) وهي لا تفيق من البكاء ، ولا ينفع فيها العزاء فلما رأته سكنت هنيئة له ، فقال لها : يا بنت رسول الله

إن شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك إما أن تبكين أباك ليلا وإما نهارا .

فقالت : يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم فوالله لا أسكت ليلا ولا نهارا أو ألحق بأبي محمد (ص)، فقال لها : افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك ، ثم بنى لها بيت الأحزان في البقيع نازحا عن المدينة ، وكانت إذا أصبحت قدمت أمامها الحسنين (ع)، وخرجت إلى البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية ، حتى إذا جاء الليل أخذها أمير المؤمنين (ع) إلى منزلها، وهي بهذا البكاء أرادت بيان مظلوميتها وعمق المأساة التي حدثت لها بعد رحيل النبي إلى الرفيق الأعلى[٦١] .

وقد اتخذه الامام علي بن الحسين (ع) سبيلا لبيان عظم الرزية التي حلت بأبيه الحسين واخوته وعمومته (ع) فضلا عن قبح جريمة بني امية وكشف زيفهم امام المسلمين فقد بكى (ع) على أبيه الحسين (ع) عشرين سنة ، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له : يا ابن رسول الله أما آن لحزنك أن تنقضي؟! فقال له: ويحك إن يعقوب النبي (ع) كان له اثنا عشر ابنا فغيب الله عنه واحدا منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه ، وشاب رأسه من الحزن ، واحدودب ظهره من الغم ، وكان ابنه حيا في الدنيا وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني[٦٢].

فكان بكاء الامام زين العابدين (ع) منهجا لقبح صنائع بني أمية وبيان عظم الرزية التي وقعت بالإمام الحسين (ع) واهل بيته .

٦. البكاء السماوي والأرضي على فقد المؤمن- :

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن هناك أقوام إذا ماتوا لم تبك عليهم السماء ﴿فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما كانُوا مُنْظَرِين﴾ [٦٣]، فهؤلاء لم يكونوا يعملون على الأرض عملا صالحا يبكى عليهم ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فيفقدهم فيبكي عليهم ، وان كان

هناك من يرى أن هذا البكاء مجازي لا حقيقة وإنما بمعنى حزنت فكأنه تعالى قال : فلم تحزن عليهم السماء والأرض بعد هلاكهم وانقطاع آثارهم ، وإنما عبّر سبحانه عن الحزن بالبكاء لأن البكاء في أكثر الأحوال يصدر عن الحزن، ومن عادة العرب أن يصفوا الدّار إذا ظعن عنها سكّانها ، وفارقها قطّانها بأنها باكية عليهم ، ومتوجعة لهم على طريق المجاز والاتساع بمعنى ظهور علامات الخشوع والوحشة عليها ، وانقطاع أسباب النعمة والأنس عنها [٦٤] ثم إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) مرّ على المدائن فلما رأى آثار كسرى وقرب خرابها ، قال رجل ممن معه :

جرت الرياح على رسوم ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد

فقال (ع) أفلا قلت: ﴿كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوما آخرين * فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾ ، هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين ، إن هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية ، إياكم وكفر النعم لا تحل بكم النقم[٦٥].

ويذهب ابن عباس الى ان المؤمن تبكي عليه السماء والارض اربعين يوما [٦٦].

بل جاء في الروايات " إذا قبض الله نبيا من الأنبياء، بكت عليه السماء والأرض أربعين سنة ، وإذا مات العالم العامل بعلمه بكيا عليه أربعين يوما ، وأما الحسين (ع) فتبكي عليه السماء والأرض طول الدهر ، وتصديق ذلك أن يوم قتله قطرت السماء دماء وأن هذه الحمرة التي ترى في السماء ظهرت يوم قتل الحسين (ع) ، ولم تر قبله أبدا ، وأن يوم قتله (ع) لم يرفع حجر في الدنيا إلا وجد تحته دم "[٦٧] .

ومما جاء في الخبر عن إبراهيم النخعي ، قال: " خرج أمير المؤمنين (ع) فجلس في المسجد واجتمع أصحابه حوله ، وجاء الحسين (ع) حتى قام بين يديه ، فوضع يده على رأسه فقال : يا بني ان الله عبر أقواما بالقران ، فقال: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾، وأيم الله ليقتلنك بعدي ثم تبكيك السماء والأرض " [٦٨]، وهذا البكاء مجازي يظهر باحمرار السماء حزنا لقتل سيد الشهداء (ع) كما ورد عن عبد الله بن هلال ، قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: " ان السماء بكت على الحسين بن علي

ويحيى بن زكريا ، ولم تبك على أحد غيرهما ، قلت: وما بكاؤهما ، قال: مكثوا أربعين يوما تطلع الشمس بحمرة وتغرب بحمرة ، قلت : فذاك بكاؤهما، قال: نعم " [٦٩].

ويذكر علي بن إبراهيم عن أبيه، عن حنان بن سدير، عن عبد الله بن الفضيل الهمداني ، عن أبيه ، عن جده ، عن أمير المؤمنين (ع) قال: " مر عليه رجل عدو الله ولرسوله ، فقال: ﴿فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأَرْضُ وما كانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [٧٠]، ثم مر عليه الحسين بن على (ع)، فقال : لكن هذا لتبكين عليه السماء والأرض ، وقال : وما بكت السماء والأرض إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي (ع)"[٧١] .

وعن داود بن فرقد ، قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : " كان الذي قتل الحسين (ع) ولد زنا، والذي قتل يحيى بن زكريا ولد زنا ، وقد احمرت السماء حين قتل الحسين (ع) سنة ، ثم قال: بكت السماء والأرض على الحسين بن علي ويحيى بن زكريا ، وحمرتها بكاؤها "[٧٢] .

٧.بكاء الشكر :

وهذا البكاء يصدر عن رهبة المخلوق من عظمة خالقة او شكرا لأنعمه بل قد يصدر من الجمادات ، فالحجر يخشع ويتصدع من خشية الله قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٧٣]، فالحجر يتأثر بكلام الله تعالى وقلب بني ادم قد يكون اشد قسوة من الحجارة بعيد من الله تعالى قال تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [٧٤] ، جاء في الروايات أن نبيا من الأنبياء مر على حجر وهو يبكي والماء يتقاطر منه ، فقال له : لم تبكي أيها الحجر؟ فقال: يا رسول الله منذ سمعت قوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة فأخاف أن أكون من تلك الحجارة ، فقال: أنا أدعو لك الله أن لا تكون من تلك الحجارة فشكر له ذلك الحجر، فانصرف النبي، ثم عاد إليه بعد أيام ، فإذا هو يبكي أيضا ، فقال له : لم تبكي ؟ والله تعالى أجارك مما تخاف، فقال: يا رسول الله ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر[٧٥].

٨.بكاء الخوف من الوعيد:

ويصدر هذا البكاء عن الإنسان حينما يتذكر أهوال يوم القيامة وما فيها فحينما تمر عليه آيات الوعيد ،وقد ذمّ الكتاب المجيد الضحك وأسبابه كالبطر والفرح الحيواني ، وعدم البكاء من خشية الله وأهوال يوم القيامة كقوله تعالى : ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۞ لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ كاشِفَةٌ ۞ أَفَمِنْ هذَا الْحَديثِ تَعْجَبُونَ ۞ وَ تَضْحَكُونَ وَ لا تَبْكُونَ ۞ وَ أَنْتُمْ سامِدُونَ﴾ [٧٦]، بل الآية تدلّ بوضوح على مطلوبية البكاء وإيجابيته وخصوصا حينما يكون فزعا وخوفا من عذاب يوم القيامة وما يشتمل عليه من أهوال فالاستفهام للتوبيخ والتقريع لأولئك الذين يستهزؤون بآيات الله تعالى ومعاجزه فحري بهم البكاء انزجارا مما فيه من الوعيد[٧٧] ، وكان القرآن يقول لهم إذا كان الله هو ربكم الذي ينتهي إليه كل أمر وعليه النشأة الأخرى وكانت القيامة قريبة وليس لها من دون الله كاشفة كان عليكم أن تبكوا لما فرطتم في جنب الله ، وتعرضتم للشقاء الدائم أفمن هذا البيان الذي يدعوكم إلى النجاة تعجبون إنكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون ؟ [٧٨]وعن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية على النبي (ص) ما رئي رسول الله بعدها ضاحكا أو مبتسما حتى ذهب من الدنيا [٧٩].

وعن أنس قال: خطب رسول الله (ص) خطبة ما سمعت مثلها قط! فقال: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " قال : فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين "[٨٠].

٩.بكاء الشماتة :

وهو من أقبح أنواع البكاء لأنه بكاء تمثيلي قائم على جريان الدمع وإظهار الحزن مع أن صاحبه فرح بما يصيب الناس _ رفيقا كان أو عدوّا_ من ابتلاء أو حادثة سوء، وقد يظهر قسرا باللسان أو بالعمل ، ولهذا ورد الذم الشديد في من كانت هذه صفته بل على الإنسان أن يعلم أن ما يصاب به شخص ما قد يصيبه في يوم ما لقول رسول الله (ص) : " لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك "[٨١].

وقد بكى معاوية بن حرب شماتة عند بلوغه نبأ مقتل أمير المؤمنين (ع) فرثاه أبو الأسود الدؤلي وذكر في أحد أبياته بكاء معاوية فرحا بمقتل سيد البلغاء [٨٢] :

فلا والله لا أنسى عليا وحسن صلاته في الراكعينا
فلا يفرح معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتينا
وقل للشامتين بنا رويدا سيلقى الشامتون كما لقينا
أفي الشهر الحرام فجعتمونا بخير الخلق طرا أجمعينا
كأن الناس مذ فقدوا عليا نعام جال في بلد سنينا
فلو إنا سألنا المال فيه بذلنا المال فيه والبنينا

١٠.بكاء الموافقة " الفعل الجمعي ":

بأن يرى إنسان ما جماعة يبكون فيبكي معهم مع عدم علمه بالسبب[٨٣]، وهذا ما يطلق عليه بنظرية العقل الجمعي الذي يتحكم بالشعوب فهناك أناس يفكرون بعقول غيرهم لا بعقولهم، ويتبعون أفعال الآخرين دون معرفة سبب قيامهم بالفعل[٨٤] ، وهذا النوع من البكاء ناتج من تذبذب الميول والمتجهات .

١١.بكاء الندم :

وهو بكاء محمود يحدث نتيجة التحسّر والحزن من تغيّر رأى في أمر فائت وقع منه فيتمنى أنه لم يقع [٨٥] ، قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَليلاً وَ لْيَبْكُوا كَثيراً جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٨٦]، فهؤلاء يبكون ندما وحسرة بسبب تخلفهم عن الجهاد بالأموال والانفس فضلا عّما أصابهم من فرح وسرور نتيجة تخلفهم عن هذه الفريضة الإلهية الفطرية التي لا سعادة للإنسان في حياته من دونها [٨٧]، وهنا التفاته جميلة استعملها القرآن الكريم عبر ما يسمى بأسلوب المطابقة وهى الجمع بين المتضادّين في الكلام مع مراعاة التقابل حتّى لا يضمّ الاسم إلى الفعل وهي أن يأتي بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب لإظهار الفرق بينهما وهو أسلوب من أساليب تحريك دوائر العقل وحثها نحو التدبر الدقيق [٨٨]، وهذا النوع من البكاء مقابل البكاء من خشية الله عز وجل من جوانب كثيرة أهمها أن هؤلاء فرحين بتخلفهم عن الجهاد وهم في حالة ضحك كثير في الدنيا يعقبه بكاء شديد في الآخرة حسرة وندما على ما فرّطوا به في حين إن البكاء الكثير خشية من الله تعالى يعقبه ضحك وسرور في الآخرة نتيجة ما أعده الله لهم من

جنان ونعيم قال رسول الله (ص): "ما من قطرة أحب إلى الله ، من قطرة دمع خرجت من خشية الله ، ومن قطرة دم سفكت في سبيل الله ، وما من عبد بكى من خشية الله ، إلا سقاه الله من رحيق رحمته ، وأبدله الله ضحكا وسرورا في جنته ، ورحم الله من حوله ولو كانوا عشرين ألفا ، وما اغرورقت عين من خشية الله ، إلا حرم الله جسده على النار ، وإن أصابت وجهه لم يرهقه قتر ولا ذلة ، ولو بكى عبد في أمة لنجى الله تلك الأمة ببكائه " [٨٩].

المطلب الخامس تباين مواقف البكاء بين الناس:

تتباين المواقف في المبكيات بين مجتمع وآخر بمعنى آخر أن الأسباب التي تستدعي للحزن والبكاء تختلف من بيئة إلى بيئة أخرى ، منها ما تكون مصائب وابتلاءات قوم عند قوم فوائد قال الشاعر:

وبذا قضت الأيام بيني وبيتها مصائب قوم عند قوم فوائد

ومنها ما يبكي قوم قد يضحك آخرين ومن هنا قال الشاعر :

أمور يضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب

ولهذه الحقيقة أشار القرآن الكريم بتقريعه لأولئك الذين كفروا واستهزؤوا بآيات الله تبارك وتعالى وعبادة قال مخاطبا إياهم بقوله : ﴿ إِنَّهُ كانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبادي يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْري وَ كُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُون﴾ [٩٠] ،ولذلك جاء التقريع الشديد من الله سبحانه بقوله : ﴿أَ فَمِنْ هذَا الْحَديثِ تَعْجَبُونَ ۞ وَ تَضْحَكُونَ وَ لا تَبْكُون ﴾ [٩١] .

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث المتواضع وبعد الخوض فيه هناك جملة من النتائج نشير إلى بعض منها:

١. ان البكاء حالة من حالات النفس الإنسانية والتي تظهر عبر جريان الدمع على وجه الانسان حينما يتعرض للانفعالات الداخلية او الخارجية فهو ناتج من القوى النفسيّة الموجودة ويعبر عن الجانب العمليّ نتيجة لإدراك فضلا عن كونه علاج نفسي سريع جداً للأمراض المتجذّرة أخلاقية كانت أم قهرية ، والتي ربما تكون أمراضاً نفسية سرطانية خطيرة تهدّد مستقبل الإنسان والمجتمع ، ومن ناحية أُخرى فإنّ البكاء

يبني الفضائل والمحاسن في نفس الإنسان بشكل سريع أيضاً وقد أكدت البحوث والدراسات أنّ الكثير من العُقَد والأمراض النفسية والإجرام والاضطرابات الروحية ، إنّما تحصل نتيجة غياب وفقدان البكاء ، وأنّ في البكاء علاج لهذه الأمراض الروحية والنفسية ، ولهذا بذل بعض الأطباء الغربيين على تهيئة أجواء البكاء لبعض المرضى ، أو كما يصطلحون عليه بالبكاء الاصطناعي في مقابل البكاء الطبيعي ؛ مما اعطى نتائج محمودة ظهرت عبر شفاء اغلب هؤلاء المرضى.

٢.أثبت علماء الاجتماع عبر دراسة نشرت عام ٢٠١٦ ان البكاء يعزز العلاقات الاجتماعية ويقوي الوشائج والعلاقات بين افراد المجتمع .

٣.تفصح السيرة الكريمة للأنبياء والرسل (ع) والاولياء وما ورد من وصف بكائهم دليلا حاكما على مشروعية البكاء وبطلان دعوى حرمته وكونه بدعة دخلت حياة المسلمين وهي ظاهرة غير حضارية وفيها شئ من الاعتراض على قضاء الله تعالى وقدره

٤.تتنوع صور البكاء في المنظومة القرآنية على أكثر من نوع حيث هناك بكاء الخشية والخضوع ، وبكاء النفاق وبكاء الندم والحسرة ، وبكاء المكر والخديعة ، وبكاء بيان الظلامة ، وبكاء المستاجرة ، وبكاء الحب والشوق وغير ذلك مما بينه القرآن الكريم عبر آياته الكريمات فضلا عن السنة المطهرة للنبي الاكرم محمد (ص) واهل بيته (ع).

الهوامش:

١- نهج البلاغة خطبة " ١٣٣؛١٨٥"

٢- ينظر الفراهيدي ، الخليل بن احمد ، العين : ٤١٨/٥ ؛ الراغب الاصفهاني ، المفردات في غريب القرآن : ١/ ١٤١.

٣- ينظر ابن منظور ، لسان العرب : / ؛ حسن المصطفوي ، التحقيق في كلمات القران الكريم :١/ ٣٢٦.

٤- ينظر حسن المصطفوي ، التحقيق في كلمات القران الكريم :٧ / ١٦.

٥- ينظر محمد السند ،الشعائر الحسينية /٢٦٣.

٦- ينظر هيئت محمد الامين ، الاخلاق والاداب الاسلامية /١٧٦.

٧- ينظر الطريحي فخر الدين ، مجمع البحرين : ١/ ٥٨.
٨- الكليني ، الكافي :٣/٣٠١.
٩- محمد الريشهري ، ميزان الحكمة :١/ ٢٨٤.
١٠- الحر العاملي ، وسائل الشيعة :٧/ ٧٦.
١١- المجلسي ، بحار الانوار: ٩٣/٣٣٦.
١٢- الحر العاملي ، وسائل الشيعة :١٦/٤٥.
١٣- سورة الزمر / ٢٢ .
١٤- سورة البقرة / ٢٥٧.
١٥- ينظر فرغلي هارون ، سايكلوجية البكاء / ٣.
١٦- علي محمد سلام ، البكاء والدموع في الفلسفة والادب والحياة الاجتماعية / ٣٨-٣٩.
١٧- ينظر محمد حسن المظفر ، الامام الصادق : ١/ ١٥٧.
١٨- محمد الريشهري ، موسوعة الاحاديث الطبية:١/١٩٣ .
١٩- محمد الريشهري ، ميزان الحكمة :١/٢٨٤.
٢٠- EIGHT BENEFITS OF CRYING – Medical news tody K by LANA BURGESS, Eight BENEFITS OF CRYING :why it’s good to shed a few tears ,7 oct 2017, 16.
٢١- ينظر فرغلي هارون ، سايكلوجية البكاء / ٣.
٢٢- EIGHT BENEFITS OF CRYING – Medical news tody K by LANA BURGESS,Eight BENEFITS OF CRYING:why its good to shed a few tears ,7 oct 2017, 15.
٢٣- سورة يوسف / ٨٤.
٢٤- الصدوق ، علل الشرائع ١/٥٧+ المجلسي ، بحار الانوار :١٢/٣٨٠.
٢٥- التوراة والانجيل العهد القديم /٣٦ .
٢٦- البخاري ، صحيح البخاري :٢/٥٨ .
٢٧- ينظر الكاشاني ابو بكر ، بدائع الصنائع :١ / ٢٨٣ .
٢٨- حسين النوري ، مستدرك الوسائل : ٢/٤٨٤.

٢٩- سورة الحجر / ٤٣-٤٤ .

٣٠- المجلسي ، بحار النوار : ٣٠٣/٨ + حسين النوري ، مستدرك الوسائل : ٢٧٤/٣.

٣١- البرقي ، احمد بن محمد بن خالد ، المحاسن : ٣٣١/٢.

٣٢- محمد الريشهري ، العلم والحكمة في الكتاب والسنة /٦٥ .

٣٣- سورة الاسراء / ١٠٧-١٠٩ .

٣٤- ينظر الميزان : ٢٢٢/١٣.

٣٥- الفيض الكاشاني ، الوافي : ٢٦ / ١٨٩ .

٣٦- الفتال النيسابوري ، روظة الواعظين /٤٥١.

٣٧ - علي النمازي ، مستدرك سفينة البحار :١٨١/٨.

٣٨- سورة التوبة / ٩١-٩٢.

٣٩- ينظر الطوسي ، تفسير جوامع الجامع : ٨٧/٢+الجواد الكاظمي ، مسالك الافهام الى ايات الاحكام :٣٢٨/٢ .

٤٠- ينظر محمد السند ، الشعائر الدينية /٩٩.

٤١- ينظر الطبرسي ، مجمع البيان :١٠٥/٥ .

٤٢- سورة يوسف / ٨-٩ .

٤٣- سورة يوسف / ١١-١٢ .

٤٤- سورة يوسف /١٠.

٤٥- سورة يوسف /١٦.

٤٦- ينظر فتح الله الكاشاني ، زبدة التفاسير :٣/ ٣٤٩.

٤٧- سورة يوسف /١٧.

٤٨ - ينظر الصدوق ، علل الشرائع :١/ ٤٧ + المجلسي ، بحار الانوار : ١٢ / ٢٧٣ .

٤٩ - ينظر ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق : :٤٦/٢٣+ حبيب الله الهاشمي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٧ /١٥٨ .

٥٠- ابن العربي ، احكام القرآن :٣٩/٣ .

٥١ - الصدوق ، من لا يحضره الفقيه : ١/ ١١٦ .

٥٢- المصدر نفسه.

٥٣- الطوسي، التهذيب :٦/ ٣٥٩+ الاستبصار :٣/٦٠ .

٥٤- ينظر الكليني ، الكافي :٥/١١٧.

٥٥- الكليني ، الكافي :٥/١١٧ + الطوسي ، التهذيب :٦/٣٥٨ .

٥٦- ينظر جعفر الجناجي ، شرح القواعد ١/ ٢٠١-٢٠٢

٥٧- البخاري ، صحيح البخاري :٢ / ١٠١ + مسلم ، صحيح مسلم: ٢ / ٦٤٠ .

٥٨- سورة فاطر / ١٨ .

٥٩- سورة يوسف / ٨٤.

٦٠- القمي ، تفسير القمي :١/٣٥٠ .

٦١- ينظر المجلسي ، بحار الانوار :٤٣/ ١٧٨.

٦٢ - ينظر الصدوق ، الخصال /٥١٩ .

٦٣- سورة الدخان / ٢٩ .

٦٤- الشريف الرضي ،تلخيص البيان في مجازات القران /٣٤٠.

٦٥ - الكراجكي ، كنز الفوائد :١/٣١٥+ محمد الريشهري ،ميزان الحكمة :٣/١٨١٠.

٦٦- ينظر الحاكم النيسابوري ، المستدرك :٢/٤٤٩.

٦٧- البحراني هاشم ، البرهان في تفسير القران : ٥/ ١٦ .

٦٨- ابن قولويه ، كامل الزيارات /١٨٠ + المجلسي ، بحار الانوار : ٤٥/٢٠٩.

٦٩- المصدر نفسه .

٧٠- سورة الدخان /٢٩ .

٧١- القمي علي بن ابراهيم ، تفسير القمي :٥/١٤.

٧٢- البحراني هاشم ، البرهان في تفسير القران : ٥/ ١٥.

٧٣- سورة الحشر / ٢١.

٧٤- سورة البقرة / ٧٤.

٧٥ - الجزائري نعمة الله ، نور البراهين :٢/١٦٤.

٧٦- سورة النجم / ٥٧ -٦١ .

٧٧- ينظر الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٠٦/٩.

٧٨- ينظر محمد حسين الطباطبائي ، الميزان :٥١/١٩.

٧٩- ينظر الزيلعي ، تخريج الاحاديث والاخبار :٣٨٦/٣.

٨٠- النووي ، رياض الصالحين /٢٥٦.

٨١- الفتا النيسابوري ، روضة الواعظين / ٤٢٤.

٨٢- ينظر المرعشي ، شرح احقاق الحق :٦٨٨/٣٢.

٨٣- الحلبي ، السيرة الحلبية :٢٠٠/٢.

٨٤- ينظر نذير الحسني ، سياسة الانبياء /٦٥ .

٨٥- ينظر الطريحي ، مجمع البحرين :١٧٤/٦ .

٨٦- سورة التوبة /٨٢.

٨٧- ينظر الطباطبائي ، الميزان :

٨٨- ينظر محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء /٤٤٨.

٨٩- حسين النوري ، مستدرك الوسائل : ١١ / ٢٤٦.

٩٠- سورة المؤمنون / ١٠٩-١١٠ .

٩١- سورة النجم /٥٩-٦٠.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

١.- البحراني : هاشم بن سليمان (ت٧٩٤ هـ)، البرهان في تفسير القرآن ،تح/لجنة العلماء والمحققين الأخصائيين بيروت، منشورات الأعلمي للمطبوعات ط١، ١٤١٩هـ.

٢.البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) صحيح البخاري ، طبع ونشر دار الفكر ، مطبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامة ، باستانبول ، ١٤٠١هـ.

٣.البرقي أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد (ت٢٧٤هـ) ، المحاسن، تحقيق : تصحيح وتعليق : السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، ١٣٣٠ش.

٤.الجزائري نعمة الله الموسوي (ت ١١١٢هـ) ، نور البراهين ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ،ط١ ، مطبعة : مؤسسة النشر الإسلام ،١٤١٧.

٥.الجناجي جعفر بن الشيخ خضر ، شرح القواعد ، تحقيق : السيد محمد حسين الرضوي الكشميري، ط١، مطبعة سرور، ١٤٢٢ – ٢٠٠٢ م.

٦.الجواد الكاظمي (ت ق١١هـ) ، مسالك الافهام الى آيات الاحكام ، تحقيق : علق عليه وأخرج أحاديثه : الشيخ محمد باقر شريف زاده – أشرف على تصحيحه السيد محمد تقي الكشفي.

٧.الحاكم النيسابوري : الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) ،المستدرك على الصحيحيين ، ويليه التلخيص للحافظ الذهبي ، تح : د. يوسف المرعشي ، الناشر دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ.

٨.حبيب الله الهاشمي الخوئي (١٣٢٤هـ) ،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تحقيق : سيد إبراهيم الميانجي،ط٤، مطبعة الاسلامية بطهران.

٩.الحر العاملي: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ)،وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، تح: مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث ، ط ٣، مطبعة مهر ، ١٤١٤هـ.ق .

١٠. حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم،ط١،مؤسسة الطباعة والنشر :وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي،١٤١٧هـ.

١١. حسين النوري الطبرسي.(ت ١٣٢٠ هـ) ، مستدرك الوسائل، تح: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، المطبعة، ستارة – قم الناشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم– إيران ،ط١، ١٤١٥ هـ .

١٢. الحلبي ، السيرة الحلبية

١٣. الراغب الاصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، ط٤، ١٤٢٥هـ ، دار القلم، دمشق.

١٤. الزيلعي (ت ٧٦٢هـ) ، تخريج الاحاديث والاخبار، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، الرياض – دار ابن خزيمة، ١٤١٤.

١٥. الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى الموسوي (ت٤٠٦هـ) ، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تح/ عبد الغني حسن، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٦. ابن شهرآشوب مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) ، مناقب ال ابي طالب ، تحقيق : تصحيح وشرح ومقابلة : لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة : الحيدرية – النجف الأشرف، ١٣٧٦ – ١٩٥٦ م.

١٧. الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي(ت٣٨١هـ)، علل الشرائع ، ، طبع ونشر المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م.

١٨. ـــــ، الخصال ، تح/ علي اكبر غفاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم المقدسة، ١٤٠٣هـ .

١٩. ـــــ، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري،ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم، ١٤٠٤هـ.

٢٠. الطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، تح / لجنة من العلماء والمحققين الأختصاصيين ، ط ١ ، الناشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١٥هـ .

٢١. الطريحي: فخر الدين النجفي (ت١٠٨٥هـ) ،مجمع البحرين ،تح/ السيد احمد الحسيني ،ط٢،الناشر مكتب نشر الثقافة الإسلامية ،١٤٠٨هـ.

٢٢. الطوسي: محمد بن الحسن، شيخ الطائفة (ت ٤٦٠ هـ) تهذيب الأحكام(في شرح المقنعة للشيخ المفيد) ، حققه و علق عليه: السيد حسن الموسوي الخرسان، الناشر دار الكتب الإسلامية– طهران، المطبعة– خورشيد ، ط٣ ، ١٣٦٤ هـ– ش .

٢٣. ـــــ، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، حققه و علق عليه : السيد حسن الموسوي الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية – طهران،مطبعة – خورشيد ، ط٤، ١٣٦٣ هـ–ش .

٢٤. ـــــ، تفسير جوامع الجامع ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي ،ط١ ، ١٤١٨.

٢٥. ابن العربي (ت٥٤٣هـ) ، احكام القرآن ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، المطبعة : لبنان – دار الفكر للطباعة والنشر.

٢٦. ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥١٧ هـ) ، تاريخ مدينة دمشق ،تحقيق : علي شيري، ط١،مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ، ١٤١٥هـ .

٢٧. علي محمد سلام ، البكاء والدموع في الفلسفة والأدب والحياة الاجتماعية ،ط١ .

٢٨. الفتال النيسابوري: محمد بن فتال (ت٥٠٨هـ) ، روضة الواعظين ، تح / السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي ، قم – إيران / د.ط ، د.ت .

٢٩. فتح الله الكاشاني بن شكر الله الشريف(ت٩٨٨هـ) ، زبدة التفاسير، تح/ مؤسسة المعارف الإسلامية–إيران،ط١،مطبعة عترت، ١٤٢٣هـ .

٣٠. الفراهيدي: عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)،العين، تح/مهدى المخزومي وإبراهيم السامرائي،ط٢، دار الهجرة–إيران ،١٤٠٩هـ.

٣١. فرغلي هارون محمد ، سايكلوجية البكاء ،ط١، القاهرة ، ٢٠٠٨م.

٣٢. الفيض الكاشاني : محمد بن المرتضى المدعو بمحمد محسن (ت١٠٩٣هـ)، الوافي / تح : السيد ضياء الدين حسين ، ط١ ،مطبعة رسول – قم المقدسة، ١٤٣٠هـ .

٣٣. القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (٣٢٩هـ) ، تفسير القمي ، تح: السيد طيب الموسوي الجزائري ، ط٣ ، الناشر دار الكتاب للطباعة والنشر –قم، ١٤٠٤ هـ .

٣٤. ابن قولويه جعفر بن محمد (ت ٣٦٧ هـ) ، كامل الزيارات ، تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، ط١، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي ،١٤١٧ .

٣٥. الكاشاني علاء الدين أبي بكر بن مسعود الحنفي (ت ٥٨٧هـ) ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ،ط١ ، المكتبة الحبيبية – باكستان،١٩٨٩م.

٣٦. الكراجكي، ابو الفتح محمد بن علي (ت ٤٤٩هـ) ، كنز الفوائد ،ط٢، غدير،١٣٦٩ش.

٣٧. الكليني : محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ)، الكافي، تحق/علي اكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران،١٣٦٣هـ ش.

٣٨. الشيخ محمد باقر المجلسي (١١١١ هـ) ،بحار الأنوار في مختارات الروايات والأخبار ،ط٢، المصححة ، مطبعة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣م.

٣٩. محمد الريشهري ،العلم والحكمة في الكتاب والسنة،تح/ مؤسسة دار الحديث الثقافية– قم – ايران ،ط١، ١٣٧٦هـ.

٤٠. ـــــــ، ميزان الحكمة،تح/ دار الحديث،ط١، ١٤١٦هـ.

٤١. ـــــــ، موسوعة الاحاديث الطبية، تح/ مؤسسة دار الحديث الثقافية– قم – ايران ،ط١، ١٣٧٦هـ.

٤٢. محمد السند ، الشعائر الدينية، تحقيق : جعفر السيد الصاحب الحكيم ،ط١ ، دار الغدير ،٢٠٠٣م.

٤٣. محمد حسن المظفر(ت ١٣٧٥هـ) ، الامام الصادق (ع) ، ط٣، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ، ١٩٧٨م.

٤٤. محمد حسين بن السيد محمد بن الميرزا علي اصغر شيخ الإسلام الطباطبائي التبريزي القاضي(السيد)(ت١٣١٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن،ط١ ، مؤسسة الأعلمي – بيروت ،١٩٩٧م – ١٤١٧هـ .

٤٥. محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ،ط٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان،١٩٨٨.

٤٦. المرعشي نور الله الحسيني المرعشي التستري(ت ١٤١١هـ) ، شرح احقاق الحق وازهاق الباطل، تحقيق : تعليق : السيد شهاب الدين المرعشي النجفي / تصحيح : السيد إبراهيم الميانجي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – ايران.

٤٧. مسلم النيسابوري: ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى (ت٢٦١هـ)،صحيح مسلم، منشورات دار الفكر. بيروت. لبنان.

٤٨. ابن منظور: جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن احمد بن أبي القاسم بن حبقه الأنصاري الأفريقي (ت٧١١ هـ) ،لسان العرب ، تح/عامر احمد حيدر ، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم ،ط١، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٢م .

٤٩. نذير يحيى الحسني ، سياسة الأنبياء دروس وعبر دراسة لطرق المواجهة وأساليب المقابلة بين الإصلاح والانحراف.

٥٠. النووي أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي(ت ٦٧٦ هـ) ، رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين،ط٢، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ، ١٩٩١م.

٥١. هيئت محمد الأمين ، الأخلاق والآداب الإسلامية